



جامعة اليرموك

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

قسم الدراسات الإسلامية

النمو الإنساني من منظور إسلامي

إعداد الطالب

عماد عبدالله محمد الشريفين

إشراف

أ.د. مروان إبراهيم القيسي مشرفاً رئيساً

أ.د. شفيق فلاح علاونه مشرفاً مشاركاً

حقل التخصص - التربية الإسلامية

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

النمو الإنساني من منظور إسلامي

إعداد

عماد عبدالله محمد الشريفين

بكالوريوس شريعة، أصول الدين، جامعة اليرموك، ١٩٩٥م
دبلوم التربية، تدريس التربية الإسلامية، جامعة اليرموك، ١٩٩٨م
ماجستير التربية في الإسلام، جامعة اليرموك، ٢٠٠٢م
قُدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة دكتوراه الفلسفة في
التربية الإسلامية، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

وافق عليها

- الأستاذ الدكتور مروان إبراهيم القيسي مشرفاً ورئيساً
أستاذ العقيدة والفكر الإسلامي، جامعة اليرموك
- الأستاذ الدكتور شفيق فلاح علاونة مشرفاً مشاركاً
أستاذ علم النفس التربوي، جامعة اليرموك
- الأستاذ الدكتور عزمي طه السيد عضواً
أستاذ الفلسفة الإسلامية، جامعة آل البيت
- الأستاذ الدكتور عدنان محمد فرح عضواً
أستاذ الإرشاد النفسي، جامعة اليرموك
- الدكتور محمد أحمد صوالحة عضواً
أستاذ مشارك في دراسات الطفولة، جامعة اليرموك
- الدكتور أحمد ضياء الدين الحسين عضواً
أستاذ مساعد في التربية الإسلامية، جامعة اليرموك

تاريخ تقديم الأطروحة ٢٠٠٧/٦/٤م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نقص البشر

«إنني رأيت أنه لا يكتب إفساح كتاباً في يومه، إلا قال في
خبره: لو خيّر هذا الكتاب أحسن، ولو زيد هذا الكتاب تسجيس،
ولو قُدح هذا الكتاب أفضل، ولو ترك هذا الكتاب أجمل. هذا من
أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر»
القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي اليماني (٥٦٩هـ)

الإهداء

إلى والدي الكرّيبين اللذين ماقتا يد حواء اللهم يا ذا الجلال والإكرام بالتوفيق

والمداد الحزين اللهم لما التوراب

إلى التي ما انفكت تغسني وجرحت ربيّ الدهر والتعب معي

... زوجتي الفاضلة

إلى فلذة كبدي وشؤبوية عظمي وأمل معيني طفنتي ... هوو

إلى أصحاب القلوب الرفيعة، اللذين كانوا المداد الذي كتب به

والورق الذي أسطر عليه ... إخوتي وإخواتي

إليهم جميعاً هدي عني عزرا

شكر وتقدير

الحمد لله صاحب الفضل والمنّة، المتفضل على عباده بالجود والإحسان، والصلاة

والسلام على من أحسن شكر صاحب الفضل سيدنا محمد ﷺ وبعد،،،،،

فإنه ليسعدني أن أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى الأستاذ الدكتور مروان

القيسي، الذي جاد عليّ بعلمه وتوجيهاته، فما حظيت به من توجيه مفيد ونصح سديد، وخلق

قويم، وتواضع كريم كان له أطيب الأثر في إتمام هذا العمل المبارك.

والشكر موصول إلى الأستاذ الدكتور شفيق علاونة، صاحب الفكرة الأولى لهذه

الأطروحة فهو الذي نهلت من معين علمه وحسن خلقه ما أعانني على إتمام العمل.

كما وأتقدم بالشكر والتقدير إلى السادة الأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقشة الأستاذ

الدكتور عزمي طه السيد، والأستاذ الدكتور عدنان فرح، والدكتور محمد صوالحة، والدكتور

أحمد ضياء الدين، اللذين تفضلوا بقبول مناقشة الأطروحة لإقالة عثراتها وتسديد خطاها

وإثرائها بملاحظاتهم القيمة المفيدة مما يزيدنا قوة وصلابة ودقة فجزاهم الله خيراً.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أتقدم بعظيم الامتنان والعرفان إلى المؤسسة التي أشرف

بالانتساب إليها جامعة اليرموك، والقائمين عليها، وإلى كلية الشريعة، ممثلة بعميدها وأعضاء

هيئة التدريس فيها الذين أكرموني ببعثة دراسية لنيل درجة الدكتوراه في التربية الإسلامية،

أسأل الله أن يجزيهم خير الجزاء.

وختاماً لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى كل من أسدى إليّ معروفاً

واخص بالذكر الدكتور هيثم جديتاوي والأستاذ إياد الشريفين والفاضلة فاطمة عنقرة.

الباحث

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	هـ
شكر وتقدير	و
فهرس المحتويات	ز
الملخص	ك
المقدمة	ا
هدف الدراسة وأسئلتها	٢
أهمية الدراسة	٣
أهداف الدراسة	٥
الدراسات السابقة	٦
منهج الدراسة	٩
خطة البحث التفصيلية	١٠
الفصل الأول - الأطر التمهيديّة للدراسة	١١
المبحث الأول- مفهوم التأصيل الإسلامي وأهميته للدراسات النفسية	١٢
المطلب الأول- مفهوم التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية	١٢
المطلب الثاني- أهمية التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية	١٤
المطلب الثالث- ملاحظات حول ما كتب في التأصيل الإسلامي	١٩
المبحث الثاني- أهمية بناء نظرية إسلامية في النمو الإنساني	٢١
المطلب الأول- مفهوم النمو الإنساني	٢١
المطلب الثاني- مفهوم النظرية وموقف الباحثين المسلمين من استخدام المصطلح	٢٤
المطلب الثالث- أهمية البحث في النظرية التربوية النفسية الإسلامية ومعوقات قيامها	٢٧
المطلب الرابع- فوائد بناء نظرية إسلامية في النمو الإنساني	٣١
المبحث الثالث- مصادر دراسة النمو الإنساني في المنظور الإسلامي	٤٦
تمهيد:	٤٦
المطلب الأول- القرآن الكريم	٤٨
المطلب الثاني- السنة النبوية المطهرة	٥٠
المطلب الثالث- التراث الإسلامي	٥١
المطلب الرابع- الحواس والعقل والتجربة	٥٣
المبحث الرابع- التعريف بالمناحي النظرية للنمو الإنساني	٥٤
المطلب الأول- أسباب القبول في النظريات الغربية	٥٤
المطلب الثاني- المناحي النظرية في علم نفس النمو	٥٦

٥٨	المطلب الثالث- رؤية نقدية عامة لنظريات النمو.
٦٥	الفصل الثاني: مراحل النمو في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.
٦٦	المبحث الأول- الخلق الذي خرج عن السنة الجارية المعروفة للإنسان.
٦٦	المطلب الأول- خلق آدم <small>عليه السلام</small> .
٧٣	المطلب الثاني- خلق حواء عليها السلام.
٧٥	المطلب الثالث- خلق عيسى <small>عليه السلام</small> .
٧٧	المطلب الرابع- تصنيف مراحل النمو من المنظور الإسلامي.
٨٠	المبحث الثاني- مرحلة الاختيار وبناء الأسرة وأثرها في النمو الإنساني.
٨٠	التمهيد:
٨١	المطلب الأول- قواعد اختيار كلا الزوجين للآخر.
٨٧	المبحث الثالث- مرحلة الجنين.
٨٧	التمهيد:
٩٠	المطلب الأول- مراحل نمو الجنين.
	المطلب الثاني- جانب من الأحكام الشرعية التي تدل على مراعاة الإسلام
٩٧	لنمو الإنساني في هذه المرحلة.
١٠١	المطلب الثالث- مظاهر النمو في هذه المرحلة.
١٠٣	المبحث الرابع- مرحلة ما قبل التمييز.
١٠٣	تمهيد:
١٠٥	المطلب الأول- مرحلة الرضاع.
	المطلب الثاني- جانب من الأحكام الشرعية التي تدل على مراعاة الإسلام للنمو الإنساني في
١١٠	مرحلة الرضاع.
١١٧	المطلب الثالث - مرحلة الحضانه.
١١٨	المطلب الرابع - مظاهر النمو في هذه المرحلة.
	المطلب الخامس - جانب من الأحكام الشرعية التي تدل على مراعاة
١٢٣	الإسلام للنمو الإنساني في مرحلة الحضانه.
١٢٧	المبحث الخامس - مرحلة التمييز.
١٢٧	تمهيد
١٢٨	المطلب الأول - مظاهر النمو في هذه المرحلة.
	المطلب الثاني - جانب من الأحكام الشرعية التي تدل على مراعاة
١٣٧	الإسلام للنمو الإنساني في مرحلة التمييز.
١٤٨	المبحث السادس - مرحلة المراهقة والبلوغ.
١٤٨	المطلب الأول - التعريفات.
١٥٣	المطلب الثاني - مظاهر النمو في مرحلة المراهقة والبلوغ:

المطلب الثالث - جانب من الأحكام الشرعية المتعلقة بمرحلة البلوغ:.....	١٦١
المبحث السابع - مرحلة الشباب "الرشد والأشد".....	١٦٥
المطلب الأول- التعريفات.....	١٦٥
المطلب الثاني - مظاهر النمو في هذه المرحلة:.....	١٧٠
المطلب الثالث - دلالة التكليف في النمو الإنساني:.....	١٧٦
المبحث الثامن - مرحلة الكهولة.....	١٧٧
المطلب الأول - تعريف الكهل في اللغة والاصطلاح.....	١٧٧
المطلب الثاني - مظاهر النمو في مرحلة الكهولة.....	١٧٨
المبحث التاسع - مرحلة الشيخوخة.....	١٧٨
المطلب الأول - تعريف الشيخوخة.....	١٧٨
المطلب الثاني - مظاهر النمو في هذه المرحلة.....	١٨٠

الفصل الثالث: توجيهات النمو الإنساني ومبادئه وخصائصه والعوامل المؤثرة فيه من منظور

إسلامي.....	١٨٧
المبحث الأول- توجيهات النمو الإنساني من منظور إسلامي.....	١٨٨
تمهيد.....	١٨٨
المطلب الأول- توجيهات النمو الديني.....	١٨٨
المطلب الثاني - توجيهات النمو الجسمي.....	١٩١
المطلب الثالث- توجيهات النمو العقلي.....	١٩٣
المطلب الرابع - توجيهات النمو النفسي.....	١٩٥
المطلب الخامس - توجيهات النمو الأخلاقي والاجتماعي.....	١٩٨
المبحث الثاني - مبادئ النمو الإنساني وخصائصه من منظور إسلامي.....	٢٠٣
المطلب الأول - مبادئ النمو الإنساني من منظور إسلامي.....	٢٠٣
المطلب الثاني - خصائص النمو الإسلامي من المنظور الإسلامي.....	٢١٥
المبحث الثالث - العوامل المؤثرة في النمو الإنساني من منظور إسلامي.....	٢١٩
تمهيد.....	٢١٩
المطلب الأول - العبادات.....	٢٢١
المطلب الثاني - الوراثة.....	٢٢٩
المطلب الثالث - زواج الأقارب.....	٢٣٠
المطلب الرابع - سن الأم.....	٢٣٣
المطلب الخامس - البيئة.....	٢٣٥
المطلب الخامس - الغذاء.....	٢٣٧
المطلب السابع: النظافة.....	٢٤٤
المطلب الثامن - الأمراض.....	٢٥١

٢٥٣.....	المطلب التاسع - الإرهاق والتعب.....
٢٥٦.....	المطلب العاشر - اتجاهات الوالدين نحو جنس الجنين.....
٢٥٩.....	المطلب الحادي عشر - الحالة الانفعالية للأم أثناء الحمل:.....
٢٦١.....	المطلب الثاني عشر - التجانس بين الوالدين:.....
٢٦٧.....	الفصل الرابع: قضايا أساسية في علم نفس النمو من منظور إسلامي.....
٢٦٨.....	المبحث الأول - الطبع والتطبع من منظور إسلامي.....
٢٦٨.....	تمهيد:.....
٢٦٩.....	المطلب الأول - الوراثة وأثرها في النمو الإنساني.....
٢٧٩.....	المطلب الثاني - البيئة وأثرها في النمو الإنساني.....
٢٨٧.....	المبحث الثاني - الطبيعة الإنسانية من منظور إسلامي.....
٢٨٧.....	المطلب الأول - أهمية دراسة الطبيعة الإنسانية من منظور إسلامي.....
٢٨٩.....	المطلب الثاني - مفهوم الطبيعة الإنسانية والقطرة من منظور إسلامي.....
٢٩٢.....	المطلب الثالث - حقائق الطبيعة الإنسانية من منظور إسلامي.....
٣٠٥.....	المبحث الثالث - طبيعة النمو من منظور إسلامي.....
٣٠٥.....	تمهيد.....
٣٠٨.....	المبحث الرابع - النمو غير السوي "مشكلات النمو".....
	المطلب الأول - مظاهر النمو غير السوي المتعلقة بالنمو الجسدي.....
٣٠٩.....	والنمو الحسي والنمو العقلي "الإعاقات".....
٣١٦.....	المطلب الثاني - مظاهر النمو غير السوي المتعلقة بالنمو الجنسي والأخلاقي.....
٣٢٢.....	المطلب الثالث - مظاهر النمو غير السوي المتعلقة بالنمو النفسي.....
	المطلب الرابع - الخطوط العريضة في علاج المشكلات "النمو غير السوي".....
٣٤٩.....	من منظور إسلامي.....
٣٥٥.....	الخاتمة.....
٣٥٥.....	الفرع الأول - نتائج الدراسة.....
٣٥٨.....	الفرع الثاني - التوصيات.....
٣٥٩.....	قائمة المصادر والمراجع.....
٣٥٩.....	المراجع العربية.....
٣٧٦.....	المراجع الأجنبية.....
٣٧٧.....	فهرس الآيات.....
٣٩٣.....	فهرس الأحاديث.....
٤٠٠.....	الملخص باللغة الإنجليزية.....

المخلص

النمو الإنساني من منظور إسلامي

إعداد

عماد عبدالله محمد الشريفين

إشراف

الأستاذ الدكتور شفيق فلاح علاونة

الأستاذ الدكتور مروان إبراهيم القيسي

مشرفاً تربوياً

مشرفاً شرعياً

هدفت الدراسة إلى بيان معالم الرؤية الإسلامية للنمو الإنساني، وذلك من خلال الإجابة

عن الأسئلة الآتية:

١. ما أهمية التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية؟
 ٢. ما أهمية بناء نظرية إسلامية في النمو الإنساني؟
 ٣. ما مصادر دراسة النمو الإنساني؟
 ٤. ما مراحل النمو الإنساني ومظاهره في القرآن الكريم والسنة المطهرة ومطلوباتها النفسية والتربوية؟
 ٥. ما توجيهات النمو الإنساني ومبادئه وخصائصه والعوامل المؤثرة فيه من منظور إسلامي؟
 ٦. ما موقف الإسلام من قضايا النمو الإنساني الأساسية؟ أ- الطبع والتطبع. ب- الطبيعة الإنسانية الأساسية. ج- طبيعة النمو. د - النمو غير الطبيعي.
- وقد استخدم الباحث من أجل تحقيق أهداف الدراسة والإجابة عن أسئلتها، المنهج الأصولي، والمنهج الوصفي التحليلي، وذلك لملاءمتهما لطبيعة الدراسة.
- وجاءت الإجابة عن أسئلة الدراسة بمقدمة وأربعة فصول وخاتمة، فتناول الباحث في المقدمة مشكلة الدراسة وأسئلتها وأهميتها وأهدافها ومنهجها والدراسات السابقة وخطة البحث التفصيلية.
- وعرض الباحث في الفصل الأول مفهوم التأصيل الإسلامي، وأهميته للدراسات النفسية وأهمية بناء نظرية إسلامية في النمو الإنساني، ومصادر دراسة النمو الإنساني والتعريف بالمناحي النظرية للنمو الإنساني.
- وبين الباحث في الفصل الثاني مراحل النمو ومظاهره في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، استناداً إلى الأحكام الشرعية المتعلقة بسلوكيات الإنسان، وفي الفصل الثالث بين

الباحث توجيهاً النمو الإنساني ومبادئه وخصائصه، والعوامل المؤثرة فيه من منظور إسلامي، أما الفصل الرابع فقد ناقش الباحث فيه القضايا الأساسية في علم نفس النمو من منظور إسلامي مثل الطبع والتطبع والطبيعة الإنسانية الأساسية وطبيعة النمو، والنمو غير الطبيعي.

ومن أهم النتائج التي أفضت إليها الدراسة:

أولاً - بناء نظرية إسلامية في النمو الإنساني تعود على المسلمين وعلى غيرهم بفوائد عديدة، منها ما يتعلق بالجانب الإيماني والجانب الفكري والتربوي وجانب الطبيعة الإنسانية.

ثانياً - مصادر دراسة النمو الإنساني من المنظور الإسلامي تتمثل في القرآن الكريم والسنة المطهرة والتراث الإسلامي والعقل والحواس والتجربة.

ثالثاً - القرآن الكريم والسنة النبوية بينا مراحل النمو الإنساني ومظاهره النمائية المختلفة من خلال الأحكام الشرعية المتعلقة بالإنسان في مختلف مراحل حياته.

رابعاً - بين الإسلام توجيهاً النمو الإنساني ومبادئه والعوامل المؤثرة فيه بشكل تفصيلي.

خامساً - الطبيعة الإنسانية في المنظور الإسلامي تشير إلى أن الإنسان مفطور على جملة من الأمور هي: الإيمان بالألوهية والوحدانية لله تعالى، ومفطور كذلك على مجموعة من

الدوافع والأخلاق التي تؤثر بمجموعها في مختلف المظاهر النمائية للإنسان.

سادساً - طبيعة النمو الإنساني في المنظور الإسلامي مراحل متصلة ومتداخلة متراكمة تشمل تغيرات كمية ونوعية في آن واحد.

سابعاً - أشار القرآن الكريم والسنة المطهرة إلى مظاهر النمو غير السوي (مشكلات النمو) وبيننا الخطوط العامة في معالجة مشكلات النمو.

وقد أوصت الدراسة بما يلي:

أولاً - تبني كليات الشريعة في الجامعات الأردنية موضوعات تسهم في التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية.

ثانياً - العمل على إجراء الدراسات الآتية:

أ- نظرية ابن قيم الجوزية في النمو الإنساني.

ب- نظرية ابن الجوزي في النمو الإنساني.

ج- العوامل المؤثرة في النمو الإنساني "دراسة مقارنة".

د- النمو الاجتماعي من منظور إسلامي "دراسة في القرآن والسنة والتراث".

هـ- النمو النفسي من منظور إسلامي "دراسة في القرآن والسنة والتراث".

الكلمات المفتاحية - النمو، النمو الإنساني، التربية الإسلامية، علم نفس النمو من منظور إسلامي، علم نفس إسلامي، نمو جسدي، نمو نفسي، نمو اجتماعي، نمو أخلاقي.

المقدمة

الحمد لله خالق الإنسان في أحسن تقويم، والصلاة والسلام على الرسول الهادي البشير

وبعد؛

فالدراسات الإسلامية ميدان مهم للبحث، وركن أساسي في بناء الإنسان وتشكيله، إذ تسعى هذه الدراسات إلى ترسيخ المنهج الذي من خلاله يحقق الإنسان العبودية لله تعالى، وإعمار الأرض وفق منهج الله تعالى.

ومن أهم الموضوعات التي تحتاج إلى دراسة متأملة من أجل تحقيق الأهداف المرجوة للإنسان في الحياة: الدراسات النفسية الإسلامية، فهي من الموضوعات المهمة التي تحتاج إلى دراسة تأصيلية ذات عمق واضح من خلال القرآن الكريم والسنة المطهرة والتراث الإسلامي. فموضوعات الدراسات النفسية في مجالات علم النفس من الكثرة بمكان، فمنها ما يتعلق بالتطور الإنساني، ومنها ما يبحث موضوع الدوافع والفروق الفردية، وأخرى تبحث في نظريات التعلم، إضافة إلى موضوعات الصحة النفسية والانفعالات والعواطف وغيرها.

إن الدراسات النفسية الحديثة بعامة والمتعلقة منها بالنمو الإنساني بخاصة، لا تستهدي بحقائق القرآن الكريم والسنة المطهرة في أطروحاتها البحثية، مع أن فيهما أساساً ومبادئ تضمن للإنسان مسيرة طيبة في الحياة، وهي التي أوضحت له منهجاً متكاملًا وشاملاً لجميع نواحي حياته؛ بهدف بناء الإنسان المتكامل المتوازن في كل سلوك وتصرف، فالإسلام يعنى بنمو الإنسان وسلوكه وعواطفه وانفعالاته وصحته النفسية، حتى يكون عنصراً إيجابياً في بناء المجتمع قادراً على تحمل تكاليف الحياة.

إن الناظر في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وكتب التراث الإسلامي يجد كما هائلاً من المعلومات التي تتحدث عن الإنسان وسلوكه ونموه وتطوره. وما علم نفس النمو إلا بحث في الإنسان وسلوكه ونموه وتطوره؛ ولكن هذه المعلومات مبنوثة في ثنايا ذلك التراث، مما يدعو الباحث المسلم الجاد إلى العمل على تجميع تلك النصوص وتحليلها وتصنيفها تحت ما يمكن أن نطلق عليه الرؤية الإسلامية في النمو الإنساني.

إن مراحل النمو الإنساني وخصائصها والعوامل المؤثرة فيها تلقى كل عناية ورعاية في تراثنا الإسلامي، إذ يحرص الإسلام على أن ينمو الإنسان نمواً كاملاً شاملاً في جميع نواحي حياته.

كما أن بحث النمو الإنساني من منظور إسلامي، من أهم الموضوعات التي تحتاج إلى دراسة معمقة جادة، سواء أكانت هذه الدراسات بالوصف أم بالتحليل أم بتقصي القواعد والمبادئ التي أصلها القرآن الكريم والسنة المطهرة.

إن المهتمين بالدراسات النفسية والإسلامية على حد سواء، متفقون على أن الدراسات التأصيلية لموضوعات علم النفس من الدراسات البالغة الصعوبة، والتي تحتاج إلى قدر كاف من الإلمام والإحاطة بالموضوعات النفسية والشرعية في آن واحد.

ومن هنا تأتي هذه الدراسة إسهاماً في التأصيل الإسلامي لعلم النفس، في موضوع مهم يمس الإنسان ويؤثر في حياته وهو موضوع النمو الإنساني.

هدف الدراسة وأسئلتها

تعددت النظريات في تفسير النمو الإنساني، فاختلفت باختلاف منهجية أصحابها واختلاف مشاربهم الفكرية والمعرفية، فمثلاً هناك نظريات اتخذت من الانفعالات والدوافع اللاشعورية أساساً لتفسير النمو الإنساني، وبعضها جعلت الأنماط السلوكية الظاهرة أساساً لتفسير النمو الإنساني، وأخرى ركزت على عمليات التفكير، والبيئة الاجتماعية والثقافية أساساً لتفسير النمو الإنساني.

وهذه الدراسة تسعى إلى بيان معالم الرؤية الإسلامية للنمو الإنساني من خلال القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والتراث الإسلامي، إذ يمكن صياغة مشكلة الدراسة في السؤال الرئيسي الآتي:

ما معالم الرؤية الإسلامية للنمو الإنساني؟ والذي تتفرع عنه الأسئلة الآتية:

١. ما أهمية التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية.
٢. ما أهمية بناء نظرية إسلامية في النمو الإنساني؟
٣. ما مصادر دراسة النمو الإنساني ومناهج البحث فيه من منظور إسلامي؟
٤. ما مراحل النمو الإنساني ومظاهره في القرآن الكريم والسنة المطهرة ومطلوباتها النفسية والتربوية؟
٥. ما توجيهات النمو الإنساني ومبادئه وخصائصه والعوامل المؤثرة فيه من منظور إسلامي؟
٦. ما موقف الإسلام من قضايا النمو الإنساني الأساسية؟ أ- الطبع والتطبع. ب- الطبيعة الإنسانية الأساسية. ج- طبيعة النمو. د - النمو غير الطبيعي.

أهمية الدراسة:

اهتم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والتراث الإسلامي بمراحل نمو الإنسان من خلال عرض مراحل النمو الإنساني عرضاً بالغ الدقة، واضح المعالم، شاملاً إياها جميعاً، وهذا يدل على عناية القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وشمولهما لأحوال الإنسان المختلفة، وعليه فتتمثل أهمية دراسة النمو الإنساني من منظور إسلامي بالنقاط الآتية:

أولاً - يمهّد البحث في مراحل النمو الإنساني في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والتراث الإسلامي، لقيام نظرية إسلامية في النمو الإنساني، تتصف بالوضوح، والشمول، والتكامل، والأصالة، والمعاصرة.

فعلم النفس الموجه وجهة إسلامية بحاجة إلى إطار نظري، وهذه مهمة ليست يسيرة خاصة مع اتساع نطاق علم النفس وتشعب آفاقه، فالمطلع على علم النفس الحديث يخرج بانطباع مؤداه أن هذا العلم غربي المنشأ والصيغة والفكر، غير أن المدقق في التراث الإسلامي يتضح له أن كثيراً من الأفكار والآراء المطروحة إسلامية الطابع، قرآنية المنشأ، ولا أدل على ذلك من بحث القرآن الكريم في مختلف موضوعات علم النفس الحديث.

ثانياً - تؤثر دراسة النمو من منظور إسلامي في الدراسات النفسية الحديثة، ذلك أن نظرة متأملة في كتب علم نفس النمو تكشف عن حشد هائل من المعلومات والنظريات، دون أن تقف هذه النظريات عند نظرة الإسلام أو نظريته في النمو ومراحلها ومتطلباته وخصائصه. وهذا ما يدعو المهتمين بعلم النفس إلى ضرورة الرجوع إلى كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة نبيه ﷺ، ومصنفات العلماء لتكوين مفاهيم نفسية إسلامية، تستمد من مصادرها الأصلية ومقارنتها مع ما وصلت إليه النظريات الغربية.

ثالثاً - إن مراحل النمو الإنساني يجب أن ترتبط بالنصوص المستمدة من القرآن الكريم والسنة المطهرة، فثمة حاجة لدراسة تخصصية في مجال النمو الإنساني من منظور إسلامي، ذلك لأن البحث الإسلامي في خلق الإنسان ومراحل تطوره جدير بالاهتمام؛ لأنه وثيق الصلة بالموضوع، ويحمل رؤية واضحة بشأنه، بما يمتلك من نصوص الوحي التي تتسم بآتم بيان وأقوى برهان على خلق الإنسان وغايته من الدنيا ومصيره الذي يؤول إليه.

رابعاً - إن دراسة النمو من المنظور الإسلامي تعود بفوائد عديدة على المربين والباحثين ومن أهمها:

التعرف إلى الطبيعة الإنسانية وحقيقة خلق الإنسان وأصل هذا الخلق، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ^ط وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴿١﴾

التعرف إلى الخصائص المميزة للإنسان عن غيره من المخلوقات من منظور إسلامي. مساعدة المربين وواضعي المناهج، وتزويدهم بالخصائص المميزة لكل مرحلة من مراحل النمو الإنساني لتمكينهم من استخدام الأساليب والوسائل المناسبة، ووضع المناهج الملائمة لكل مرحلة.

مساعدة الوالدين والمعلمين في تربية أبنائهم، حتى تتسنى لهم معرفة أساليب التربية المناسبة والأحكام الشرعية الخاصة بكل مرحلة قال تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَعِذُوا كَمَا اسْتَعَاذَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ^ع كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ^ط وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢﴾

الاعتبار بدلائل قدرة الله سبحانه وتعالى في خلق الإنسان، قال تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ^ع بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣﴾

خامساً - إن الدراسة الحالية تمثل اجتهادا فكرياً وإن لم يكن هدفها استنباط أحكام عملية؛ فهدف الاجتهاد إثبات صلاحية الإسلام لكل عصر، فالفعل الاجتهادي هو الذي يحفظ الشريعة من التيسير والتسيب، وهذه الدراسة جهد علمي يثبت صلاحية الإسلام لكل عصر، خاصة أن العلوم الإنسانية بصفة عامة وعلم النفس الحديث بصفة خاصة أطلقت مجموعة من الشبهات والمشكلات التي تحتاج إلى جهد علمي يظهر دين الله تعالى، والدراسة الحالية ردت على شبهة تثار بين الحين والآخر حول علاقة علم النفس بالدين.

سادساً - إن الدراسة الحالية تفتح قناة اتصال بين القائمين على نظريات النمو الحديثة والمختصين بالعلوم الشرعية المختلفة، من أجل إسهام الجميع في مشروع التأصيل الإسلامي لعلم النفس، وكذلك تضيق الفجوة بين ما اصطلح على تسميته بعلوم الشريعة والعلوم الطبيعية والإنسانية.

سابعاً - إن مما يدعو إلى إجراء مثل هذه الدراسة واقع أقسام علم النفس في الجامعات العربية والإسلامية، التي تدرس موضوعات علم النفس الغربي، وآرائه الغربية البعيدة عن

(١) سورة السجدة، آية ٧-٨.

(٢) سورة النور، آية ٥٩.

(٣) سورة لقمان، آية ١١.

البيئة الإسلامية والحضارة الإسلامية، ومما يزيد الأمر تعقيداً تطبيق هذه النظريات على البيئة الإسلامية، وجعلها أساساً متيناً في بناء العلاقات والمناهج وأساليب التدريس.

ثامناً - إن الدراسة الحالية تمثل مناقشة علمية، فالمجال مفتوح لأن يعرض الباحث المسلم الوجهة الإسلامية لموضوعات تتعلق بعلم النفس في إطار مناقشة علمية بينه وبين الآخر، فتعدد وجهات النظر في تفسير جانب من جوانب النمو الإنساني، يدعو إلى مزيد من البحث والمعرفة.

وأخيراً فإن الدعوة إلى إجراء الدراسة الحالية من منظور إسلامي لا تعني ألا يفيد المسلم مما توصل إليه علم النفس الغربي من تقدم، بل هي دعوة إلى بيان العلاقة القائمة بين الدراسات النفسية الغربية والدراسات النفسية الإسلامية، ودعوة للمقارنة من أجل فتح مجالات جديدة للبحث العلمي الجاد، فالمجال مفتوح لتعدد المرجعيات ووجهات النظر، والكل متفق على أن ما في العلوم الإنسانية من آراء ونظريات ليست فوق النقد، لا تعدو هذه العلوم أن تكون اجتهادات بشرية تصيب وتخطيء.

أهداف الدراسة

تتطلع هذه الدراسة إلى المساهمة في مشروع التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية الحديثة، من خلال تكوين مفاهيم نفسية إسلامية، وبالتالي إيجاد نظرية متكاملة وشاملة في النمو الإنساني، من خلال القرآن الكريم والسنة المطهرة والتراث الإسلامي.

وفي ضوء هذا الطموح فالأهداف التي يسعى الباحث أن يحققها من الدراسة تتمثل بالآتي:

- أولاً - بيان مفهوم التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية.
- ثانياً: بيان أهمية بناء نظرية إسلامية في النمو الإنساني.
- ثالثاً - بيان مصادر دراسة النمو من منظور إسلامي.
- رابعاً - بيان مراحل النمو الإنساني ومظاهره ومطلوباته التربوية والنفسية في الإسلام.
- خامساً - بيان توجيهات النمو الإنساني ومبادئه وخصائصه من منظور إسلامي.
- سادساً - معرفة العوامل المؤثرة في النمو الإنساني من منظور إسلامي.
- سابعاً - بيان موقف الإسلام من قضايا النمو الكبرى مثل: الطبع والتطبع، وطبيعة النمو، وطبيعة الإنسان الأساسية، ومشكلات النمو غير السوي.

الدراسات السابقة

في حدود إطلاع الباحث من خلال مراجعة مكتبة الجامعة الأردنية، ومكتبة جامعة اليرموك، ومركز الملك فيصل للدراسات والبحوث - لم يجد دراسة عالجت الموضوع بشكل مباشر، ولم يقف على دراسة تحمل ذات العنوان والموضوع غير أنه عثر على بعض الدراسات التي تتعلق ببعض جزئيات هذه الدراسة، وكانت على النحو الآتي:

(أ) الرسائل الجامعية

١- نحو بناء نظرية إسلامية في الشخصية^(١)

دراسة هدفت إلى الكشف عن مفهوم نظرية الشخصية في الإسلام، وكيف تتطور شخصية الإنسان، وبيان مراحلها، والعوامل المؤثرة في بناء الشخصية واتبع الباحث المنهج التأصيلي.

وخلصت الدراسة إلى أن العوامل المؤثرة في بناء الشخصية هي: الوراثة والبيئة والقدرات والإمكانات الفردية، وأن مراحل تطور الشخصية في القرآن الكريم والسنة المطهرة هي المهد والحضانة والتميز والحلم والرشد والرجولة والكهولة والشيخوخة والهرم.

وتلتقي هذه الدراسة مع دراسة الباحث في مجالين، الأول - يتصل بمراحل النمو الإنساني والتي أطلق عليها مراحل نمو الشخصية والثاني - في العوامل المؤثرة في الشخصية.

٢- المتطلبات التربوية لمراحل النمو الإنساني في ضوء التربية الإسلامية^(٢)

هدفت الدراسة إلى معرفة المتطلبات التربوية لمراحل النمو الإنساني في ضوء التربية الإسلامية، واتبع الباحث المنهج التحليلي الاستنباطي الذي يقوم على تحليل النصوص واستخلاص المتطلبات التربوية منها.

وخلصت الدراسة إلى أن ثمة متطلبات تربوية تتناسب كل مرحلة من مراحل النمو، تمثلت في حق الطفل في الانتساب إلى أبوين شرعيين مؤمنين صالحين، وأن هناك سمات تتسم بها كل مرحلة تمثلت بأن الطفل يتأثر بتفاعل الوراثة والبيئة معاً.

وتلتقي هذه الدراسة مع الدراسة الحالية في تناولها لبعض المتطلبات التربوية لمراحل النمو الإنساني، حيث سيستفيد منها في عرض متطلبات كل مرحلة، وتفترق في تقسيم مراحل النمو الإنساني، إذ اعتمدت الدراسة مرحلة ما قبل المدرسة، ومرحلة ما بعد المدرسة، واعتمد الباحث تقسيماً آخر لمراحل النمو الإنساني.

(١) مسعد النجار، نحو بناء نظرية إسلامية في الشخصية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، كلية التربية، ١٩٩٥م.
(٢) محمد الشريعة، المتطلبات لمراحل النمو الإنساني في ضوء التربية الإسلامية رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، كلية الشريعة، ١٩٩٧م.

٣- مراحل خلق الإنسان في آيات القرآن^(١)

دراسة هدفت إلى الكشف عن مراحل تخلق الجنين في بطن أمه، من كونه نطفة إلى مرحلة الخلق الآخر، ومقارنتها مع ما توصل إليه العلم الحديث، وكذلك بيان المفهوم العلمي للاستساخ وموقف الإسلام منه.

وتلتقي هذه الدراسة مع الدراسة الحالية في الكشف عن مراحل تخلق الجنين، إلا أن الدراسة المشار إليها توسعت فيما لا ضرورة له، وأغفلت العوامل المؤثرة في نمو الجنين في هذه المرحلة، وكذلك المظاهر النمائية المختلفة.

(ب) الأبحاث العلمية

١- مراحل النمو الإنساني ومطالبها التربوية^(٢)

هدفت الدراسة إلى إبراز الخصائص النمائية في كل مرحلة من مراحل النمو الإنساني من وجهة النظر الإسلامية، واتبعت المنهج الوصفي التاريخي القائم على استعراض مراحل النمو.

وخلصت الدراسة إلى أن مراحل النمو الإنساني للخلق الناتج عن التزاوج هي الحمل والطفولة والتأديب والمراهقة والشباب، وأن لكل مرحلة متطلبات تربوية تختلف عن الأخرى، وأن الإسلام قد رسم الطريق لبناء إنسان صحيح النفس والعقل، بحيث يصبح لبنة قوية في المجتمع.

وأكدت الدراسة ضرورة الرجوع إلى التراث العربي الإسلامي من أجل استخراج كنوزه واعتمادها في التربية والتعليم في جميع المراحل التعليمية.

وتلتقي الدراسة مع الدراسة الحالية في عرضها لبعض مراحل النمو الإنساني ومطلوباتها التربوية، والتركيز على دراسة التراث الإسلامي واستخراج كنوزه التربوية والنفسية.

(١) منى رفعت ادعيس، مراحل خلق الإنسان في آيات القرآن، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، ١٩٩٣م.

(٢) شادية النل، مراحل النمو الإنساني ومطالبها التربوية، في بحوث المؤتمر التربوي، "نحو بناء نظرية تربوية إسلامية"، فتحي ملكاوي (محررا)، ١٩٩٠م.

٢- التوجيه الإسلامي للنمو الإنساني عند طلاب التعليم العالي^(١)

هدفت الدراسة إلى بيان دور التوجيه الإسلامي للنمو الإنساني عند طلاب التعليم العالي، واتبع الباحث المنهج الوصفي، وبينت الدراسة أن أبرز مظاهر النمو عند طلاب التعليم العالي هو النمو الاجتماعي الذي يتأثر بعدة عوامل من أهمها المسجد. وأكدت الدراسة ضرورة تشجيع الشباب للاستفادة المثلى من قدراتهم العقلية، وضرورة تقرير مادة دراسية تحت عنوان النمو الإنساني، تكون ضمن المتطلبات العامة لطلاب التعليم العالي.

وتلتقي الدراسة مع الدراسة الحالية في بحث العوامل المؤثرة في النمو الإنساني وبعض مظاهر النمو الإنساني.

٣- نحو منظور إسلامي لعلم نفس النمو^(٢)

هدفت الدراسة إلى بيان مبادئ تطور الإنسان المستمدة من القرآن الكريم والسنة المطهرة وكذلك الكشف عن العوامل المؤثرة في التطور الإنساني، واتبع الباحث المنهج الوصفي.

وخلصت الدراسة إلى أن مبادئ التطور الإنساني في القرآن والسنة تختلف عن مبادئ التطور الإنساني في النظريات الحديثة، وأن أهم عامل مؤثر في التطور الإنساني في الإسلام هو الإرادة الإلهية، وأوصت الدراسة بضرورة إجراء دراسات تكشف عن حقائق التطور الإنساني من وجهة نظر إسلامية.

وتلتقي الدراسة مع الدراسة الحالية في جانبين، الأول - يتصل بمبادئ النمو الإنساني، والثاني - في العوامل المؤثرة في النمو الإنساني.

٤- علم نفس النمو من منظور إسلامي^(٣)

هدفت الدراسة إلى بيان اتجاهات بناء علم نفس إسلامي، وأكدت ضرورة بناء هذا العلم، واختار الباحث أحد ميادين علم النفس، وهو علم نفس النمو، حيث عرض لآيات الله في نمو الإنسان ثم كشف عن سنن الله في آيات النمو.

(١) عبد الرحمن الزيد، التوجيه الإسلامي للنمو الإنساني عند طلاب التعليم العالي، مجلة الجامعة الإسلامية، السعودية، ١٤١٧هـ - (١٩٩٧م).

(٢) Shehu, Salisu.(1998), Toward an Islamic Perspective of Developmental Psychology , The American Journal of Islamic social sciences Psychology , 15(4)

(٣) فؤاد أبو حطب، علم نفس النمو من منظور إسلامي، المجلة التربوية الإسلامية، الكويت، جامعة الكويت، كلية التربية.

وتلتقي هذه الدراسة مع الدراسة الحالية في عرضها لمراحل النمو الإنساني من منظور إسلامي.

ما تتميز به هذه الدراسة عن غيرها من الدراسات السابقة

أولاً - تبيان أهمية التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية.
ثانياً - الكشف عن فوائد بناء نظرية إسلامية في النمو الإنساني والدراسات السابقة لم تتعرض للأمر.

ثالثاً - التعرض لمصادر دراسة النمو من منظور إسلامي والدراسات السابقة لم تتعرض لهذا الأمر.

رابعاً - الدراسات السابقة عرضت مراحل النمو الإنساني ومجالاته بشكل جزئي مختصر، وبعيد عن الشمول، والدراسة الحالية تعرض مراحل النمو الإنساني بصورة تفصيلية، إضافة إلى ذكرها مظاهر النمو الإنساني في كل مرحلة من مراحل النمو.

خامساً - عرض الدراسات السابقة العوامل المؤثرة في النمو الإنساني عرضاً موجزاً من منظور علم نفس النمو الحديث، والدراسة الحالية تعرض العوامل المؤثرة في النمو الإنساني مستندة إلى النصوص الشرعية.

سادساً - الدراسات السابقة عرضت بعض أسس النمو الإنساني وخصائصه ومبادئه من منظور نظريات النمو، والدراسة الحالية تعرض مبادئ النمو الإنساني من منظور إسلامي.

منهج الدراسة

يعتمد الباحث في دراسته

أولاً - المنهج الأصولي وذلك من خلال:

- جمع نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية ذات العلاقة بالموضوع.
- الرجوع إلى كتب التفسير وشروح الحديث لبيان معاني النصوص.
- الرجوع إلى كتب التراث الإسلامي، وانتقاء بعض النصوص ذات العلاقة بالموضوع.
- الرجوع إلى المؤلفات المعاصرة والاستعانة بها في تحديد معالم البحث.

ثانياً - المنهج الوصفي التحليلي

والذي يعنى بوصف الأمر الذي يراد دراسته، ولا يقف عند مجرد الوصف وجمع المعلومات بل يتعدى ذلك إلى تحليلها وتفسيرها ومعرفة العلاقة بينها.

وهو أسلوب بحثي لعمل استنتاجات، واستخراج خصائص الظاهرة المدروسة أو سماتها بشكل منظم وموضوعي.

خطة البحث التفصيلية

المقدمة - تشمل مشكلة الدراسة، وأهداف الدراسة، وأهمية الدراسة، والدراسات السابقة، ومنهج الدراسة، وخطة الدراسة الشخصية.

الفصل الأول - الأطر التمهيدية للدراسة

المبحث الأول- مفهوم التأصيل الإسلامي وأهميته للدراسات النفسية.

المبحث الثاني- أهمية بناء نظرية إسلامية في النمو الإنساني.

المبحث الثالث- مصادر دراسة النمو الإنساني من منظور إسلامي.

المبحث الرابع - المناحي النظرية للنمو الإنساني.

الفصل الثاني - مراحل النمو في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة

المبحث الأول - الخلق الذي خرج عن السنة النبوية الجارية المعروفة للإنسان

المبحث الثاني - مرحلة الاختيار وبناء الأسرة وأثرها في النمو الإنساني

المبحث الثاني - مرحلة الجنين

المبحث الرابع - مرحلة ما قبل التمييز

المبحث الخامس - مرحلة التمييز

المبحث السادس - مرحلة المراهقة والبلوغ

المبحث السابع - مرحلة الشباب "الرشد والأشد.."

المبحث الثامن - مرحلة الكهولة

المبحث التاسع - مرحلة الشيخوخة

الفصل الثاني - توجهات النمو الإنساني ومبادئه وخصائصه والعوامل المؤثرة

فيه من منظور إسلامي

المبحث الأول - توجهات النمو الإنساني من منظور إسلامي

المبحث الثاني - مبادئ النمو الإنساني وخصائصه من منظور إسلامي

المبحث الثالث - العوامل المؤثرة في النمو الإنساني من منظور إسلامي

الفصل الرابع - قضايا أساسية في علم نفس النمو من منظور إسلامي

المبحث الأول - الطبع والتطبع "الوراثة والبيئة".

المبحث الثاني - الطبيعة الإنسانية الأساسية.

المبحث الثالث - طبيعة النمو "كمي أم نوعي، متصل (زياداته) أم منفصل (مراحل)".

المبحث الرابع - النمو غير الطبيعي "مشكلات النمو".

الفصل الأول

الأطر التمهيدية للدراسة

المبحث الأول - مفهوم التأصيل الإسلامي وأهميته للدراسات النفسية.

المبحث الثاني - أهمية بناء نظرية إسلامية في النمو الإنساني.

المبحث الثالث - مصادر دراسة النمو الإنساني من المنظور الإسلامي.

المبحث الرابع - المناحي النظرية للنمو الإنساني.

المبحث الأول- مفهوم التأصيل الإسلامي وأهميته للدراسات النفسية

يتناول هذا المبحث ثلاثة مطالب، المطلب الأول- مفهوم التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، والمطلب الثاني- أهمية التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، والمطلب الثالث- ملاحظات حول ما كتب في التأصيل الإسلامي.

المطلب الأول- مفهوم التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية

يقصد بالتأصيل الإسلامي للعلوم، إبراز الأسس الإسلامية التي تقوم عليها العلوم، وبيان قواعدها وضوابطها الكلية والعامة، ودراسة العلوم من حيث موضوعاتها ومناهجها دراسة تقوم على أساس العقيدة الإسلامية، والاستفادة مما توصل إليه العلماء المسلمون وغيرهم فيما لا يتعارض مع أحكام الإسلام^(١).

أما التأصيل الإسلامي لعلم النفس فهو "إقامة هذا العلم على أساس التصور الإسلامي للإنسان، وعلى أساس مبادئ الإسلام وحقائق الشريعة الإسلامية، بحيث تصبح موضوعات هذا العلم، وما يتضمنه من مفاهيم ونظريات متفقه مع مبادئه الإسلامية، أو على الأقل غير متعارضة معها"^(٢). أي أن ننطلق من منطلق إسلامي، سواء التقى أو لم يلتق مع ما كتبه علماء الغرب، فليس المقصود الالتقاء أو الاختلاف، إنما القصد التعرف على التصور الإسلامي، ثم الانطلاق منه في البحث.

وهذا يتفق مع مفهوم إسلامية المعرفة، الذي هو "ممارسة النشاط المعرفي كشفاً وتجميعاً وتوصيلاً ونشراً من زاوية التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان"^(٣). فإسلامية المعرفة لا تعني الدعوة لتحقيق الوفاق بين العلوم الإنسانية والمطالب الدينية، بل احتواء كافة الأنشطة المعرفية الإنسانية على المستويين النظري والتطبيقي معاً، من أجل جعلها تتحقق في دائرة القنوات الإيمانية^(٤).

لقد تناول الباحثون عدداً من المصطلحات التي تدل على مفهوم التأصيل الإسلامي منها- مفهوم الأسلمة: تعني الأسلمة إعادة صياغة تراث المعرفة الإنسانية وفقاً لوجهة النظر الإسلامية، فالرؤية الإسلامية لا يمكن أن تكون إلا إذا كانت رؤية لشيء معين، وبالتحديد رؤية للحياة والواقع والكون^(٥).

(١) صالح الصنيع، دراسات في التأصيل الإسلامي لعلم النفس، الرياض، عالم الكتب ط١، ١٩٩٥، ص١٩.

(٢) محمد عثمان نجاتي، منهج التأصيل الإسلامي لعلم النفس، مجلة المسلم المعاصر، الكويت، عدد ٥٧، ١٩٩٠، ص ٢٥-٢٦.

(٣) عماد الدين خليل، مدخل إلى إسلامية المعرفة، السعودية، الرياض، الدار العالمية للكتاب الإسلامي ط٣، ١٩٩٢، ص ١٥.

(٤) عماد الدين خليل، مدخل إلى إسلامية المعرفة، مرجع السابق، ص ١٧.

(٥) عمر هارون خليفة، علم النفس التجريبي في التراث العربي الإسلامي. لبنان - بيروت. المؤسسة العربية للدراسات والنشر

ط١، ٢٠٠١، ص ٣٠

وأسلمة علم النفس يقصد بها صياغة علم النفس على أساس علاقته بالإسلام، إذ يجب أن تمر بعدة مراحل: أولها- إتقان العلوم الحديثة وقضاياها ومناهجها وأوجه النقد الموجهة إليها من المنظور الإسلامي، ثم التمكن من القرآن الكريم والسنة المطهرة والتراث الإسلامي، وذلك بأن يحيط الدارس بالنصوص المتعلقة بالتخصص، ثم تحديد المشكلات الهامة والتحديات التي يجب أن يتصدى لها العالم المسلم، وأخيراً الإبداع والمبادرة الإسلامية بتقديم الحلول والبدائل الإسلامية بمنهج علمي يقيم علاقة بين الرؤية الإسلامية والواقع الحياتي المعاصر^(١).
مفهوم الوجهة الإسلامية:

هي إيجاد وجهة علمية لهذا العلم في البلاد الإسلامية مستمدة من منهج حياتها، توجه علماء النفس المسلمين في نظرتهم إلى الإنسان، وفي تفسير سلوكه، وفي وضع برامج تنمية صحته النفسية، ووقايته من الانحراف، وعلاج انحرافه، وفي اختيار موضوعات البحوث وتفسير نتائجها...^(٢)، وهذا يعني أن معالم الخصوصية لهذا العلم في البلاد الإسلامية يجب أن تكون مستمدة من القرآن الكريم والسنة المطهرة كونهما يشكلان منهج حياة الأمة، الأمر الذي يوجه علماء النفس المسلمين في نظرتهم إلى الإنسان هذه الوجهة.

بناء عليه فالمفاهيم السابقة: التأسيس الإسلامي، والأسلمة، والوجهة الإسلامية، تهدف إلى تناول مفردات هذا العلم - علم النفس - على أساس مبادئ الإسلام وأحكامه، التي تحكم السلوك الإنساني، وتهذب النفس الإنسانية، وتضع القواعد المثلى للسلوك الإنساني القويم والعلاقات الاجتماعية السوية.

إن دراسة النفس الإنسانية مطلب قرآني، فالقرآن دعانا دعوة صريحة إلى التأمل في الكون، وهو يدعونا بالقدر نفسه دعوة مباشرة للتأمل في النفس البشرية. يقول سبحانه: ﴿أُولَٰمِ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ^١ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى^٢ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكٰفِرُونَ^٣﴾. ويقول سبحانه: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعِنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ^٤ أُولَٰمِ يَكْفِرُ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ^٥﴾.

وهكذا فإن دراسة النفس وتأملها أمر مباشر من الله تعالى في كتابه العزيز، للتعرف على آياته في خلقه والكشف عن سننه فيها.

(١) صالح الصنيع. دراسات في التأسيس الإسلامي لعلم النفس (مرجع سابق)، ص ١٤-١٥.

(٢) إبراهيم رجب. "مداخل التأسيس الإسلامي للعلوم الاجتماعية" أبحاث ندوة الخدمة الاجتماعية في الإسلام، المعهد العالمي للدراسات الإسلامية، ١٩٩١م، ص ٧٩.

(٣) سورة الروم، آية ٨.

(٤) سورة فصلت، آية ٥٣.

المطلب الثاني- أهمية التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية

تظهر لنا أهمية التأصيل الإسلامي لعلم النفس بشكل واضح إذا تمكنا من الوقوف على مسوغات التأصيل والفوائد المترتبة على القيام بمثل هذا المشروع لعلم النفس، وفيما يلي عرض موجز لأهمية التأصيل الإسلامي لعلم النفس^(١).

أولاً- التأصيل الإسلامي يسهم في التخلص من بعض القيم السلبية في علم النفس المعاصر. إن العلوم ناقلة وحاضنة للقيم الثقافية التي نشأت في كنفها، وعلم النفس وإن كان أصوله إسلامية فإنه يغصن بالقيم الثقافية الغربية، فقد نشأ في إطار علماني، وهو ليس حقائق علمية مجردة وإلا لما كان هناك مسوغ للبحث في مشروع التأصيل الإسلامي.

لذا فتقبل علم النفس المعاصر المشبع بالقيم الثقافية الغربية يفقدنا كثيراً من مقومات ثقافتنا الإسلامية وتميزها، بل قد يؤدي إلى انحرافها، ف" ليس ثمة كالعلوم المسماة بـ (الإنسانية) أداة ذات قدرة عالية على التبديل والتفكيك، وإعادة الصياغة في البنية الحضارية، بسبب كونها تنبثق عن خلفيات رؤيوية شاملة وتنهض قائمة على منظومة من التصورات والمذاهب والفلسفات التي تغذيها وتمنحها الملامح والخصائص، وتتجاز بها صوب هذا المنظور أو ذلك، إنها ليست محايدة كالعلوم الصرفة أو التطبيقية، ومن ثم فإن تقبلها في نسيج أية ثقافة مغايرة، سيقود تلك الثقافة بدرجة أو بأخرى- ليس إلى مجرد إضافة عناصر غريبة عن المناخ الذي تنتفس فيه وتتشكل- وإنما إلى أن تفقد على نحو تدريجي مقوماتها الأساسية وتضحى بتميزها، وتمارس - هي الأخرى انحيازاً قد يؤذن بتفككها وسقوطها"^(٢).

فالتأصيل الإسلامي يسهم في التحول من الإطار الثقافي الغربي العلماني إلى الإطار الإسلامي، وبالتالي تتحول مسيرة البحث باتجاهات جديدة من أجل بناء علم نفس إسلامي مستقل، وهذا لا يعني بأية حال أن ينقطع الاتصال بعلم النفس، فليس هناك ما يدعو إلى الانقطاع فاللغة النفسية والإجراءات البحثية وأدوات المعرفة لا غنى عنها طالما لا تتعارض مع حقائق العلم والدين المنسجمة مع بعضها.

ثانياً- التأصيل الإسلامي يجعل علم النفس يصدر عن مصدر يقيني وليس عن مصدر احتمالي.

إن علم النفس ليس ميراً من العيوب، فهو لم يقدم ما هو مأمول منه في تحقيق هدفه الأسمى في تحسين سلوك الإنسان والارتقاء به نحو حياة فضلى، فما تتضمنه العلوم الإنسانية

(١) الزبير بشير طه. علم النفس في التراث العربي الإسلامي. جامعة الإمارات العربية المتحدة، لجنة التعريب والتأليف والترجمة،

١٩٩٧م، ص ٢٠٨-٢١٩.

(٢) عماد الدين خليل. حول إسلامية المعرفة والعلوم الإنسانية، محاضرة مكتوبة، ٢٠٠٥م، ص ١.

بشكل عام وعلم النفس بشكل خاص من آراء ونظريات ليست فوق النقد، بل هي اجتهادات بشرية تخطئ وتصيب^(١).

فالدراسات النفسية التي افترض علميتها لن تكون إلا علماء احتماليًا، فعلماء النفس ينقضون بنيانهم وينكثون غزلهم، إذ لم يعد التحليل النفسي لفرويد والنظرية الإشرافية لبافلوف وغيرها من التظيريات حقًا متفردًا مطلقًا فبعضها يرد بعضها الآخر، إذ لا بد أن يكون هناك خطأ ما وبالتالي فليس ثمة مصداقية تحمل صفة الإطلاق^(٢).

هذه هي النتيجة التي توصل إليها سوليفان حيث يقول: " إن علم النفس على نقبض العلوم الطبيعية، أشد قصوراً وأقل كفاية، فأكثر نظرياته قرباً من مفاهيم الميكانيك وهي نظرية السلوك، تعاني من قصور شديد. حقاً لقد أدخل التحليل النفسي مفاهيم أساسية غير ميكانيكية، لكن هذه المفاهيم بيقين غير محددة إلى درجة لا يمكن معها وصفها بأنها مفاهيم علمية، فمفهوم " الدافع الجنسي أو اللبيدو، " عند فرويد مثلاً أريد به تفسير أشياء كثيرة جداً إلى درجة أنه لم يفسر شيئاً محدداً ... " ^(٣) والنتيجة التي انتهى إليها سوليفان أنه ليس في نظريات علم النفس كافة شيء من شأنه أن يغير من قناعتنا بأن هذا العلم لا يمكن عدّه علماً حتى الآن، فأقوى ما يكون عليه العلم عندما يتناول العالم المادي أما مقولاته في المواضيع الأخرى فتعدّ نسبيًا ضعيفة ومتلججة وهي نفس النتيجة التي انتهى إليها " الكسيس كاريل" في كتابه " الإنسان ذلك المجهول" من أن السيطرة على عينة مادية لغرض فهمها ممكنة، أما السيطرة على عينة يدخل فيها الإنسان بعقله ونفسه طرفاً فتكاد تكون مستحيلة ... والنتيجة التي يمكن أن نصل إليها من دراسة هذه العينة في أي مجال لن تكون إلا ضعيفة ومتلججة أيضاً^(٤).

وبما أن علم النفس بل المعرفة الإنسانية بشكل عام ليست سوى علماً احتمالياً ينطوي على الخطأ والصواب والحق والباطل، فلن ينقذها من هذا المصير سوى جعلها تصدر عن مصدر يقيني وهو الوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهذه ضرورة منهجية لا مناص منها، ككل نشاط يسعى إلى إغناء التأصيل الإسلامي المعرفي وتغذيته بمعطيات جديدة، فالتأصيل الإسلامي لعلم النفس يجعل هذا العلم يصدر عن مصدر يقيني ويقدم علماً يقينياً وليس احتمالياً^(٥).

(١) محمد عز الدين توفيق. التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية. مصر، القاهرة، دار السلام ط١، ١٩٩٨، ص٧.

(٢) عماد الدين خليل. حول إسلامية المعرفة والعلوم الإنسانية، مرجع سابق، ص٧.

(٣) ج سوليفان. حدود العلم. لبنان، بيروت، الدار العلمية ط١، ١٩٧٢م، ص١٠.

(٤) عماد الدين خليل. العلم في مواجهة المادية، قراءة في كتاب حدود العلم لسوليفان، لبنان، بيروت، مؤسسة الرسالة ط١، ١٩٨٣، ص١٢٥.

(٥) عماد الدين خليل، حول إسلامية المعرفة والعلوم الإنسانية، مرجع سابق، ص١٢.

ثالثاً- التأسيس الإسلامي يجعل علم النفس يخدم بيئة المجتمع المسلم وأهدافه.

يجمع النقاد على الدور السلبي الذي قام به بعض المتغربين الذين درسوا العلوم النفسية والاجتماعية في الجامعات الغربية، فقد ظل أثر تكوينهم العلمي في تلك الجامعات واضحاً في إنتاجهم وتصوراتهم العلمية، كما شكّلت مؤلفات أساتذتهم سلطة مرجعية عليهم، فعملوا على نقلها وترجمتها وبقي تأليفهم معتمداً على المصادر نفسها، وانعكس ذلك كله على بحوثهم العاجزة عن خدمة البيئة الثقافية للمجتمع المسلم.

إن استمرار التبعية إلى هذه الحقبة المتأخرة من الزمن يعبر بالفعل عن مدى الاستلاب والانهيار بالثقافة الغربية، وغياب الثقافة الإسلامية الأصيلة القادرة على تجاوز هذه السلبية^(١).

إضافة إلى ما سبق فإن تجاهل الفوارق البيئية، يجعل من التأسيس الإسلامي ضرورة ملحة كون التأسيس الإسلامي للدراسات النفسية يجعل علم النفس يخدم المجتمع المسلم ويسهم في حل مشكلاتها، فعلى سبيل المثال: اختبارات الذكاء التي تجرى على المفوضين في المجتمعات العربية والإسلامية لا تعطي نتائج صحيحة لأنها، متأثرة بالأحوال الاجتماعية والمستوى الاقتصادي، والانتماء العرقي في المجتمعات الغربية وهذا يكفي للطعن بصلاحيّة تطبيقها على المجتمعات العربية والإسلامية، لذا نحن بحاجة إلى اختبارات ذكاء وبحوث ميدانية وتجريبية تتناسب مع البيئة الثقافية للمجتمع المسلم وتخدمه في الآن نفسه.

ثم إن مشروع التأسيس الإسلامي يحدث تغييراً في أهداف علم النفس، فتصبح الأهداف متمثلة بالكشف عن آيات الله تعالى وسننه في الإنسان، بمعنى الكشف عن المبادئ والقوانين التي تنظم سلوك الإنسان في الحياة وكذلك معرفة أسباب انحراف الإنسان عن الحياة المثلى والسوية، والتي تسبب له القلق والمرض النفسي. فالتأسيس الإسلامي إذن يجعل المعرفة في علم النفس أقدر على فهم الإنسان وأكثر فعالية في إرشاده وتوجيهه وتعديل سلوكه^(٢).

رابعاً- التأسيس الإسلامي للدراسات النفسية يجعلنا ننتقي ونمحص هذه الدراسات.

التأسيس الإسلامي للدراسات النفسية يجعلنا ننتقي ونمحص ما نأخذه من نظريات غربية، دون أن يكون انكاؤنا عليها عشوائياً كما يحدث اليوم، مما يؤدي إلى إدخال سم كثير في حياتنا الثقافية التي بدأت تفقد بعض مقوماتها الأساسية شيئاً فشيئاً، وتضحى بتميزها، الأمر الذي قد يؤدي -لا قدر الله- إلى تفككها وسقوطها.

والمأمل للذي حدث وجدنا نتعامل مع المعرفة الإنسانية الغربية بشكل عام والدراسات النفسية عبر القرنين الأخيرين دون أن نحاول -إلا في حالات استثنائية لا يقاس عليها- أن

(١) محمد امزيان، منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعايير، فيرجينيا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ط١، ص ٢٠٧-٢٠٩.

(٢) محمد عثمان نجاتي، منهج التأسيس الإسلامي لعلم النفس، مرجع سابق، ص ٢٦.

نتخير أو أن ننتقد ونمحض ونفرز ثم نختار ... وبسبب إحساسنا بالدونية تجاه معارف الآخرين تناولنا سمّاً كثيراً بدلاً من البحث عن المصل المجدد للقوى والمنشط للعقول، ولقد قاد هذا السم إلى انحلالنا الثقافي أكثر فأكثر، لذا فالتعويض الوحيد والمصل المجدد للقوى والجد الذي يقتضيه الموقف أن نبدأ نشاطاً تأصيلياً يجعل المعرفة تتشكل في رحم الإسلام، وينقد المعرفة الإنسانية الغربية ويمحصها^(١).

إن ما سبق يدعونا إلى التأصيل الإسلامي وانتقاء الدراسات النفسية الغربية وتمحيصها، لأن منها ما يتصادم مع الدراسات الإسلامية، لاختلافهما في المصدر والغاية، فالدراسات الإسلامية تتعامل مع الإنسان على أنه مخلوق من مخلوقات الله تعالى، في حين أن بعض علماء النفس الغربيين يتعاملون مع الطبيعة الإنسانية على أنها جاءت نتيجة التطور، كما تتعامل الدراسات الإسلامية مع الإنسان المركب من روح وجسد متفاعلين، غير أن علم النفس الغربي يتعامل مع النفس الطبيعية التي تضعها الظروف والمؤثرات الخارجية^(٢).

خامساً- التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية ضرورة على أكثر من مستوى.

يعدّ التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية ضرورة على أكثر من مستوى ويمكن الإشارة إلى بعض هذه المستويات في المجالات الآتية^(٣):

أ- ضرورة عقديّة وثقافية:

لما كانت العقيدة الإسلامية تطالب الإنسان المسلم بالنشاط المعرفي، ومنه النشاط المعرفي المتعلق بالنفس، فإن التأصيل يعدّ ضرورة عقديّة كونه يعين المسلمين في العالم على فهم دينهم وتثبيت قناعتهم بأحقيته في قيادة البشرية.

فالمعرفة الإنسانية والدراسات النفسية يجب أن تعيدا تنظيم نفسيهما تحت لواء مبدأ التوحيد، القاضي بوجود ووحديته سبحانه رباً وإلهاً، وبأن جميع المعرفة الموضوعية عن العالم تعد معرفة لإرادته وتديبره وحكمته، كما يجب أن توجه جميعها - المعرفة - للالتزام بأمره، أي الالتزام بالنمط الإلهي الذي أوحى به حتى تجلب السعادة والهناء للبشرية^(٤). فالتأصيل الإسلامي للدراسات النفسية يجعل هذه العلوم تقر عقيدة أن الإنسان يحيا بملكوت الله سبحانه وتعالى في كلتا الناحيتين الغيبية والقيمية^(٥).

(١) عماد الدين خليل، حول إسلامية المعرفة والعلوم الإنسانية، مرجع سابق، ص ٤-٥.

(٢) علي مذكور، منهج التربية في التصور الإسلامي، مصر، القاهرة، دار الفكر العربي ط ١، ٢٠٠٢م، ص ١٥٤.

(٣) عماد الدين خليل، مدخل إلى إسلامية المعرفة، مرجع سابق، ص ١٧-٢١.

(٤) إسماعيل الفاروقي، صياغة العلوم الاجتماعية صياغة إسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٨٩م، ص ٢٠.

(٥) إسماعيل الفاروقي، المرجع السابق، ص ٢٠.

ب- ضرورة إنسانية:

لقد عاش الإنسان في البيئات التي رفضت الإيمان في تعاسةٍ وشقاء؛ فكثير من الدراسات النفسية تجري في الخفاء ولأغراض المنافسة والصراعات الأُممية، ولا تنتشر نتائجها إلا بعد أن تفقد قيمتها، وكثير من الاختبارات التي تُجرى باسم علم النفس يشوبها الطعن والشك فيها، وعليه فمن حق الأمم والشعوب الإنسانية الإفادة من ثمار المعرفة الإنسانية المرتبطة بالإيمان بعد أن شقيت في المعارف التي ابتعدت عن الإيمان.

ج- ضرورة علمية وتربوية:

يمنح التأصيل الإسلامي النشاط العلمي بعداً إيمانياً، ويعدّ هذا البُعد وقوداً جديداً للمضي في المعرفة، إضافة إلى رغبة الأفراد في التفوق أو الكسب المادي، إضافة إلى إعادة بناء الأجيال وفق التربية الإسلامية التي يعدّ علم النفس أساساً لها.

سادساً- التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية يعود على المسلمين بفوائد عديدة.

إن التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية يعود على المسلمين بفوائد عديدة لعل من أهمها^(١)-

أ- الإسهام في إزالة الحواجز النفسية التي تكونت لدى المشتغلين بالدراسات النفسية من المسلمين بين تفسير علم النفس والتفسير الإسلامي لكثير من الظواهر، ويزيل التناثر المعرفي المصطنع بين الإسلام والاختصاصات الأخرى.

ب- زيادة مكانة اللغة العربية في هذا العلم، إذ ستستخدم كثير من المصطلحات العربية بدلاً من استخدام مصطلحات اللغة الإنجليزية أو غيرها من اللغات فاللغة العربية لغة غنية تستطيع أن تقدم أقصى ما تقدمه لغة إنسانية عند الحديث عن النفس الإنسانية والسلوك الإنساني.

ج- زيادة التواصل الحضاري والعلمي بين الأمم، فلا يخضع النص الإسلامي للتفسير الغربي، ويستطيع المسلمون إعادة بناء حضارتهم بعيداً عن الذوبان في الآخر، أو العزلة عنه، والانكفاء على الذات.

د- بذل الجهد لصياغة العلوم النفسية والإنسانية من منظور إسلامي يتيح للأثر الإسلامي مساحة في التراث الإنساني يحققها فيحتفظ بها تاريخ الفكر الإنساني.

وأخيراً فإن الحاجة التأصيل الإسلامي للمعرفة في جميع مجالاتها ليست مقصورة على المسلمين وحدهم في واقعهم المعاصر، إنما هي أمر لازم للبشرية كلها لإخراجها من الظلمات إلى النور^(٢).

(١) محمد عز الدين توفيق، التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، مرجع سابق، ص ٥١-٥٧.

(٢) محمد قطب، حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، القاهرة، دار الشروق ط ٣، ١٩٩٨م، ص ٩.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝﴾^(١).

المطلب الثالث- ملاحظات حول ما كتب في التأصيل الإسلامي

كثرت المؤلفات والمصنفات التي يمكن أن تصنف ضمن مشروع التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، وهذه المؤلفات لا تخلو من ملاحظات يمكن للباحث أن يقدمها حتى يتم تلقيبها في مستقبل الأيام منها:

أولاً - إن بعض ما تم إنجازه لم يكن تأصيلاً حقيقياً بالمعنى المطلوب، بقدر ما كان اعتماداً على المفاهيم الغربية، مع وضع طلاء إسلامي عليها يتمثل في بعض الآيات والرسور الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة^(٢).

ثم إن استخدام النصوص الإسلامية - القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة - يشعرك بأنه يكاد يلوي عنق النص حتى يتفق مع ما يريد أن يؤكد من انسجام بين الفكر الغربي والنص الإسلامي، إضافة إلى عدم الدقة في نقل النصوص القرآنية، تتمثل في إضافة كلمة إلى النص أو حذف كلمة أو استبدال بعض الكلمات والحروف من النصوص بغيرها، أو التقسيم والتأخير في النصوص القرآنية والخلط بين نصوص القرآن الكريم والحديث الشريف وأقوال العلماء المسلمين، كالاستشهاد بالحديث ظناً أنه آية أو الاستشهاد بقول صحابي ظناً أنه حديث، أو الاستشهاد بأقوال العلماء ظناً أنها أحاديث. هذا فضلاً عن الاعتماد على الأحاديث الضعيفة والموضوعة^(٣).

ثانياً- إن المقاربات التي تمت بين النص القرآني المفهوم النفسي الغربي كانت بهدف ردم الهوة أو الفجوة الكبيرة ومحاولة إيجاد نوع من التوفيق بين المفهوم القرآني والمفهوم الغربي، أو البحث عن جذور إسلامية لمفاهيم علم النفس الغربي في التراث العربي الإسلامي^(٤).

(١) سورة البقرة، آية ٢١٣.

(٢) محمد قطب، حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، مرجع سابق، ص ٤٩.

(٣) انظر خوله جرادات، المؤلفات المعاصرة في التربية الإسلامية دراسة نقدية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد، كلية الشريعة، ١٩٩٦م، ص ٧٣-١٢٣.

(٤) عمر هارون خليفة، علم النفس التجريبي في التراث العربية الإسلامي، مرجع سابق، ص ٢٠-٢١.

والحق أن التأصيل الإسلامي يقضي بأن ننطلق ابتداءً من منطلق إسلامي سواء النقي مع ما كتب في الدراسات الغربية أم لا، فليس المقصود من التأصيل الالتقاء أو الاختلاف بل البحث عن التصور الإسلامي.

ثالثاً - إن الدراسات التأصيلية يغلب عليها طابع الفردية وهي ليست ضمن مشروع واحد كبير لقراءة التراث السيكولوجي وفرزه وتمييز الخبيث من الطيب منه، حيث تفنقر الدراسات النفسية التأصيلية إلى خاصية مهمة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالنزعة العلمية وهي "الجماعية" فالعمل الذي يقوم به فريق يحمل من الحق والصدق أكثر مما يحمله عمل الفرد الواحد، من حيث تعدد زوايا الرؤية، والتنوع الفكري، وكثرة الطاقات وفعاليتها، دون أن نقلل من قيمة الأعمال الفردية التي تصدر عن مفكرين وعلماء يتسمون بالتميز، بحيث يمكن أن تحظى آراؤهم بقدر كبير من القبول عند الجماهير ذات الاهتمام بالقضايا النفسية التأصيلية والتربوية^(١).

يقول احد الباحثين مجملاً الملاحظات على الدراسات التأصيلية- "ويلاحظ اهتمام هذه الدراسات ببحث جزء واحد مثل الذكاء أو العلاج النفسي أو التربية أو الإرشاد كما لم تتم مقاربات أو مقارنات حقيقية وعميقة في نفس الوقت بين موضوعات ونظريات ومناهج علم النفس في التراث العربي الإسلامي، كما لم تتم عملية بحث علم النفس التجريبي في التراث العربي الإسلامي. ولم تتم مناقشة الكيفية التي يتم بها تأصيل علم النفس بصورة عميقة، وليس في هذه الدراسات مشروع واحد كبير لقراءة وهضم التراث السيكولوجي بصورة موسوعية... والدراسات المتعلقة بالتراث سواء أكانت كتباً أو مقالات توصف بأنها دراسات تجزيئية، اهتمت بدراسة إسهامات فردية لأقطاب علم النفس في التراث العربي الإسلامي..."^(٢).

رابعاً - إن استقراء كثير من الأعمال العلمية في مجال الدراسات التأصيلية النفسية يكشف أن الأهلية العلمية البحثية للكتاب تكاد تكون مفقودة، فهناك نقص واضح في الأهلية العلمية البحثية، فئمة فئتين، فئة تحمل كثيراً من العلم التربوي والنفسى لكنها تفتقر إلى العلم الشرعي، والفئة الأخرى امتلكت العلم الشرعي لكنها تفتقر إلى العلم التربوي والنفسى.

(١) سعيد إسماعيل علي، الخطاب التربوي الإسلامي، الدوحة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر، سلسلة كتاب الأمة، العدد ١٠٠، ربيع الأول ١٤٢٥هـ، ص ٦١-٦٢.

(٢) عمر هارون خليفة، علم النفس التجريبي في التراث العربي الإسلامي، مرجع سابق، ص ٣٣.

المبحث الثاني- أهمية بناء نظرية إسلامية في النمو الإنساني

المبحث أربعة مطالب هي- المطلب الأول- مفهوم النمو الإنساني في علم النفس والإسلام. المطلب الثاني- مفهوم النظرية الإسلامية ومواقف الباحثين من استخدام المصطلح. المطلب الثالث- أهمية البحث في النظرية الإسلامية ومعوقات قيامها. والمطلب الرابع- فوائد بناء نظرية إسلامية في النمو الإنساني.

المطلب الأول- مفهوم النمو الإنساني

اجتهد الباحثون في تحديد مفهوم واضح للنمو الإنساني، وأشاروا إلى عدد من التعريفات منها:

- "ما يحدث للكائن الحي من تغيرات كمية وزيادات في الحجم والبنية، تبدأ مع بداية تكون البويضة، وتستمر حتى اكتمال النضج، ومن المعروف أن هذه التغيرات الكمية يصاحبها ارتفاع في الوظائف النفسية التي تتمثل في تزايد القدرة على التعلم والتذكر والاستنتاج وحل المشكلات والإبداع والتوافق الاجتماعي والاستمرار الانفعالي والالتزام بأخلاق الجماعة، أي أن النمو الجسمي والزيادة في الحجم يرافقها ارتفاع وتحسين في الوظائف العقلية"^(١).

- العمليات المتتابعة التي تحدث للفرد عبر حياته منذ لحظة الإخصاب حتى الممات، والتي تحدث تغيرات سلوكية ونمائية، وهو عملية ارتقائية متتابعة في سلسلة التغيرات التي تكشف عن إمكانيات الفرد بطريقة علمية"^(٢).

- "سلسلة متتابعة من التغيرات التي تهدف إلى اكتمال نضج الكائن الحي من جميع النواحي الجسمية والعقلية والاجتماعية والانفعالية وتحدث هذه التغيرات بترتيب معين، وبطريقة يمكن التنبؤ بها كنتيجة للنضج والخبرة"^(٣).

- "الدراسة العلمية لكافة التغيرات التي تحدث للكائن الحي بمظاهرها الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية والسلوكية بهدف وصفها وبيان ارتباطها مع بعضها ومع غيرها، والكشف عن القوانين والمبادئ المنظمة لها بغية تحقيق أهداف معرفية أو تطبيقية مستخدماً في ذلك المنهج العلمي"^(٤).

(١) شفيق فلاح علاونة، سيكولوجية النمو الإنساني "الطفولة" عمان، دار الفرقان، ط١، ١٩٩٤م، ص ١١.

(٢) مريم سليم، علم نفس النمو، بيروت، دار النهضة العربية، ط١، ٢٠٠٢م، ص ١٣.

(٣) سيد محمود الطواب، النمو الإنساني أسسه وتطبيقات، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥، ص ١٦.

(٤) محمود عطا عقل، النمو الإنساني، الطفولة والمرافقة، الرياض، دار الخريجي، ط٥، ١٤١٩هـ، ص ٢٧.

- " تنمية قوى الطفل وقدراته واستعداداته والموازنة بينها، ورفع مستواها والسمو بها وتركبتها، حتى يشب معافى من الأمراض البدنية والعقلية ومحصناً ضد العلل النفسية والانحرافات الأخلاقية والاجتماعية"^(١).

- " سلسلة متتابعة من التغيرات التي تهدف إلى اكتمال نضج الكائن الحي، وهو بهذا لا يحدث فجأة ولكنه يتطور بانتظام وبخطوات متلاحقة "^(٢).

- " التطور الذي يلاحظ على الإنسان من حيث التغيرات التي تحدث في بنيته الجسمية وطاقته العقلية وسلوكه الانفعالي وعلاقاته الاجتماعية "^(٣).

- " سلسلة متلاحقة ومتتابعة من التغيرات التي تحصل في جميع جوانب الشخصية العقلية والنفسية والاجتماعية والخلقية التي تطرأ على الإنسان "^(٤).

- " دراسة كل التغيرات النوعية والكمية التي ترافق الإنسان "^(٥).

إن المتأمل في التعريفات السابقة يلحظ أنها تتحدث عن نوعين من النمو: نمو يتعلق بالفرد من حيث طوله وعرضه ووزنه، ونمو يتعلق بالوظائف التي يستطيع أن يقوم بها كال تفكير والتذكر، أي نمو الوظائف الجسمية والعقلية والاجتماعية والانفعالية. وعليه يكون النمو نوعان^(٦):-

النمو الخاص: هي تلك التغيرات الجسمية كالطول والوزن نتيجة للتفاعلات الكيميائية التي تحدث في الجسم، وهي تسير بالكائن حتى النضج.

النمو العام: يشمل بالإضافة إلى ما سبق جميع التغيرات في السلوك والمهارات والنواحي العقلية والانفعالية والاجتماعية.

مناقشة التعريفات من منظور إسلامي

أولاً- التغيرات النمائية التي أشارت إليها التعريفات السابقة تتعلق بالجسم والعقل والنفوس والانفعالات والمجتمع، ولكنها لم تشمل المظهر الديني والذي لا يمكن أن تتكامل المظاهر الأخرى لتحقيق التوازن والسواء إلا إذا ضم إليها فهو يمثل حجر الزاوية^(٧).

(١) عبد الحميد الصيد الزنتاني، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ليبيا، دار العربية للكتاب، ١٩٨٤م، ص ٥٠.

(٢) محمد عبد الظاهر الطيب، مبادئ علم النفس العام، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية ١٩٩٤م، ص ٢٥٧.

(٣) عبد الرحمن بن عبد الله الزيد. التوجيه الإسلامي للنمو الإنساني عند طلاب التعليم العالي، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، العدد (١٠٣-١٠٤)، ١٤١٦-١٤١٧هـ، ص ٥٠٣.

(٤) عبد الفتاح دويدار، سيكولوجية النمو والارتقاء، بيروت، دار النهضة العربية، ص ٢٠.

(٥) shehu, salisu (1998). Toward an Islamic Perspective of Developmental Psychology. The American- Journal of Islamic. Social sciences psychology 15(4).P 40.

(٦) كامل عويضة، علم نفس النمو، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٦، ص

(٧) هشام عثمان خوجلي، علم نفس النمو، الخلفيات العلمية.. رؤية جديدة، جدة، الدار السعودية ط١، ٢٠٠١م، ص ١٤٠-١٤١.

ثانياً- التعريفات السابقة لم توضح غرض النمو والهدف منه؛ وغرض النمو من منظور إسلامي يجب أن يتصل بالتفكير والتأمل والنظر الإيماني، وهذا البعد هو الذي يعطي علم نفس النمو من المنظور الإسلامي تفرده وتميزه عن سائر التصورات الأخرى.

ثالثاً- المراحل لدى بعض علماء نفس النمو تبدأ بمرحلة الميلاد وتنتهي بالشيخوخة أو الموت، وفي الإسلام تشير الآيات القرآنية إلى وجود إنساني غير جسدي، يقول سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾^(١).

بالإضافة إلى إن النمو يتأثر بأسس الاختيار وبالمادة التي خلق منها آدم عليه السلام هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الموت ليس هو نهاية الإنسان بل يمثل بداية جديدة لمرحلة البعث والحساب يقول سبحانه: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَعِينُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾^(٢).

والسؤال المطروح: ما مفهوم النمو من المنظور الإسلامي أو ما مفهوم علم نفس النمو من المنظور الإسلامي؟ وتكمن الإجابة عنه بأنه "المجال الذي يهتم بدراسة مراحل الإنسان في أثناء كسبه في الحياة بحيث يشمل المتابعة العلمية لآثار المظاهر المختلفة التالية: الجسمية والحسية والحركية، والعقلية، والنفسية، والانفعالية، واللغوية، والاجتماعية والدينية والنظر في تأثيرها في نمو شخصية الفرد وسلوكه، وذلك بقصد التدبير في أحوال الإنسان، واستشعار مظاهر القدرة الإلهية المطلقة، وتحقيقاً لقوله تعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾^(٣).

فالمتأمل في التعريف السابق يلحظ أن الباحث قد أشار إلى أمور منها-

١. ذكر التعريف أحد المظاهر الرئيسة للنمو، بعكس التعريفات السابقة التي أغفلته، وهو النمو الديني الذي يمثل حجر الزاوية بإكساب الإنسان الشخصية المتوازنة.
٢. أشار التعريف إلى أن القصد من دراسة النمو الإنساني هو التدبير في أحوال الإنسان واستشعار عظمة الله سبحانه وتعالى.
٣. اغفل التعريف الإشارة إلى ذكر مراحل النمو الإنساني التي تبدأ قبل ارتباط الزوجين وتمتد إلى ما بعد الموت من المنظور الإسلامي.
٤. أغفل التعريف الإشارة إلى عناصر مهمة في النمو الإنساني، مثل العوامل المؤثرة في النمو والتي من أهمها القدرة الإلهية، فهي التي جعلت عيسى عليه السلام يتكلم في المهد قبل أن

(١) سورة الأعراف، آية ١٧٢.

(٢) سورة المؤمنون، آية ١٥ - ١٦.

(٣) سورة الذاريات، آية ٢١.

(٤) هشام عثمان خوجلي، علم نفس النمو، مرجع سابق، ص ١٤٣.

يتعلم اللغة، والمبادئ والقوانين التي تحكم النمو الإنساني، وكذلك المشكلات التي تواجه الإنسان في مختلف مراحل حياته.

هذا ويعرف النمو من المنظور الإسلامي بأنه " التغير المستمر في البنيات العضوية والنفسية والوظيفية، واكتساب المهارات والقدرات التي تجعل الفرد متوافقاً مع المنهج الإلهي... وبالتالي متوافقاً مع ذاته ومع بنيته، قادراً على عمارة الأرض سعيداً مطمئناً"^(١).

أما ما يراه الباحث في تحديد علم نفس النمو من المنظور الإسلامي فيتمثل في كونه العلم الذي يبحث في التغيرات الحادثة للأفراد في الجوانب الجسمية والحسية والحركية، والعقلية، والنفسية، والانفعالية، واللغوية والاجتماعية، والدينية، وذلك خلال المراحل العمرية الممتدة منذ الوجود الإنساني غير الجسدي في ظهر آدم، مروراً بمرحلة الاختيار للزوج والزوجة، إلى الموت الذي يمثل بداية جديدة لمرحلة أخرى، ويكشف عن العوامل والمبادئ والمشكلات المتعلقة بالتغيرات الحادثة في الجوانب النمائية المختلفة، وكل ذلك بقصد التدبر في أحوال الإنسان واستشعار مظاهر القدرة الإلهية والتزام القيم الإسلامية في حياتنا العملية.

المطلب الثاني- مفهوم النظرية وموقف الباحثين المسلمين من استخدام

المصطلح

لم يتفق الباحثون المسلمون على تحديد مفهوم واضح لمصطلح النظرية، وذلك لاختلافهم في إمكانية استخدام المصطلح في الدراسات التربوية والنفسية الإسلامية، وفيما يلي أهم تعريفاتهم لها:

- " مجموعة من المعرفة العقلية الخالصة التي ترتبط فيما بينها ارتباطاً منطقياً ومنهجياً فهي تقابل المعرفة التجريبية"^(٢).

- " فرض ثبتت صحته أو مجموعة من الفروض المرتبطة منطقياً ووظيفة هذه الفروض شرح أو تفسير المادة التي تنتهي إليها"^(٣).

- " مجموعة من الأفكار التي تتولد تبعاً خلال عمليات التفكير والملاحظة والتجريب"^(٤).

(١) محمد عوده ومحمد رفيع عيسى، الطفولة والصباء، الكويت، دار القلم، ط١، ١٩٨٤، ص

(٢) عبد الرحمن صالح، النظرية العامة للتربية رؤية إسلامية، في بحوث المؤتمر التربوي (نحو بناء نظرية إسلامية معاصرة، في فتحي ملكاوي(محرر)، عمان، جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية، ١٩٩١، ج٢، ص ٤٩٥.

(٣) مهني محمد غنایم، أسس بناء نظرية إسلامية معاصرة، في بحوث المؤتمر التربوي، مرجع سابق، ج٢، ص ٣٥٥.

(٤) المرجع السابق. نفس الصفحة.

- " مجموعة من العبارات المترابطة التي تقدم تفسيراً منطقياً لفئة من الأحداث ... أو مجموعة من المسلمات العلمية التي تدور حول ظاهرة ما والتي ثبت صدقها بالتجريب تمكننا من فهم الظاهرة والتبوء بها وتفسيرها"^(١).

- فرق بين نوعين من النظريات هما النظرية التفسيرية والنظرية العلمية؛ فالنظرية التفسيرية- فرضية أو مجموعة مترابطة من الفرضيات ثبتت صحتها عن طريق المشاهدة والتجربة، والنظرية العملية: هي مجموعة من المبادئ والقواعد والمفاهيم المترابطة التي توجه وترشد مختلف أنواع الممارسات والأعمال"^(٢).

إن المتأمل للتعريفات السابقة يخلص إلى أن كل باحث قد انطلق في توضيحه لمفهوم النظرية من منطلقه الخاص، فمنهم من ربطها بالتجريب وهذا يتعارض مع بعض الأسس التي يقوم عليها الإسلام، فليس كل الأمور تخضع للتجربة، فالعقيدة والقيم والأخلاق لا تخضع للتجربة مطلقاً، ومنهم من جعل النظرية تصورات ذهنية للفرد، وليست كل تصورات الفرد صحيحة، وآخرون جعلوا النظرية فروضاً ثبتت صحتها إما عن طريق التجربة أو عن طريق الملاحظة، فنصوص القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ليست فروضاً حتى تثبت صحتها أو خطأها.

في حين يرى الباحث أن النظرية في المنظور الإسلامي: مجموعة من المبادئ والقواعد والمفاهيم المترابطة المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة تدور حول موضوع ما، وتمثل هذه المبادئ والقواعد والمفاهيم آراء المفكرين المسلمين من فقهاء وغيرهم خلال العصور الإسلامية بما لا يتعارض مع القرآن والسنة.

وعليه فالنظرية الإسلامية في النمو: هي مجموعة المبادئ والقواعد والمفاهيم المستمدة من القرآن الكريم والسنة المطهرة والتي تبحث في مراحل حياة الإنسان من قبل أن يكون نطفة إلى انتقاله لحياة أخرى (البرزخ) بحيث تشمل المتابعة لمظاهر مراحل النمو والعوامل المؤثرة فيه.

مواقف الباحثين من استخدام مصطلح النظرية:

اختلف الباحثون المسلمون في استخدام مصطلح النظرية، فمنهم من يرى استخدام المصطلح دون قيد أو ضابط، ومنهم يعارض استخدامه. فالمعارضون لاستخدام المصطلح يرون فيه تحويلاً للعقيدة الإسلامية الحية - التي يجب أن تتمثل في واقع حي متحرك - إلى

(١) معاوية أبو غزال، نظريات التطور الإنساني وتطبيقاتها التربوية، عمان، دار المسيرة، ط١، ٢٠٠٦م، ص١٧.

(٢) بشير حاج توم، مكانة فلسفة التربية في النظرية الإسلامية، في بحوث المؤتمر التربوي، مرجع سابق، ٢/٢٢٠.

نظرية للدراسة والمعرفة الثقافية لمجرد أننا نريد أن نواجه النظريات البشرية الهزيلة بنظرية إسلامية^(١).

كما أن النظرية مجموعة من مبادئ توجه العمليات وتحكم عليها، أي أنها عملية ذهنية فقط بعيدة عن السلوك، والإسلام عقيدة وسلوك، ثم إن النظرية غير ثابتة وقابلة للرفض فكيف تكون نظرية إسلامية غير ثابتة وقابلة للرفض وهي مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة^(٢).

وبناء على ما سبق يرفض هذا الفريق مصطلح النظرية لأن فيه خطأ للنوع الصافي بالإنابيع البشرية المشوهة، ولا يجوز سلب المنهج الإسلامي حيويته في التفكير ليناسب مناهج وضعية سائدة.

أما المؤيدون لاستخدام المصطلح، فيرون أن مصطلح النظرية يعود إلى الفعل نظر، والنظر في القرآن الكريم يدل على الاستدلال والتفكير، فصاحب النظر قادر على إدراك الظاهرة وملاحظتها ودراستها وربطها بأسبابها الحقيقية، كما أنه لا داعي للخوف من هذا الاستخدام كون المرابين المسلمين لم يستخدموه فهذا موافق لمصطلح العقيدة الإسلامية الذي لم يستخدم من قبل^(٣).

ومن دواعي استخدامه تسهيل عملية الموازنة والمناظرة بين النظريات، فعدم وجود نظرية إسلامية يعد نقصاً في الدراسات الإسلامية المعاصرة^(٤)، ثم إن القرآن الكريم استخدم ألفاظاً وطلب ترك استخدام ألفاظ أخرى مراعاة للمضمون، ومثال ذلك طلب استخدام لفظ انظرنا بدل راعنا، يقول سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَأَسْمَعُوا وَلَلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٥).

والنظرية الإسلامية لا تعبر بالضرورة عن مراد القرآن الكريم، فالحديث عن القرآن والسنة النبوية المطهرة هو حديث عن فهمنا نحن للآيات والأحاديث الشريفة وليس عن مراد الله تعالى فيها. فقد كان الرسول ﷺ إذا أمر أميراً في غزوة يطلب منه أن ينزل الناس على

(١) سيد قطب، في ضلال القرآن، جدة، دار الشروق، ط ١٩٩٦م، ج ٢، ص ١٠١٢-١٠١٣.

(٢) علي مذكور، منهج التربية في التصور الإسلامي، القاهرة، دار الفكر العربي، ط ١، ٢٠٠٢م، ص ٤١.

(٣) عبد الرحمن صالح، النظرية العامة للتربية، رؤية إسلامية، مرجع سابق، ج ٢، ص ٤٩٤.

(٤) مقداد بالجن، معالم بناء النظرية الإسلام، في بحوث المؤتمر التربوي، مرجع سابق، ج ٢، ص ٣٢٤.

(٥) سورة البقرة، آية ١٠٤

حكّمه وليس على حكم الله تعالى فيقول **الخطيب** " ... ولكن أنزلهم على حكمك فإنك لا تُدري
اصيب حكم الله فيهم أم لا .. " (١).

ثم إن علماء الإسلام وضعوا منهاجاً عظيماً في قبول المصطلحات التي مدارها
مضمون المفهوم، يقول ابن تيمية " إذا جاء مصطلح ليس له أصل في اللغة أو القرآن تنظر في
مضمونه، فلا بأس أن تقبله إذا كان المعنى صحيحاً، وإذا كان المعنى غير صحيح نرفضه
ليس رفضاً للرفض ذاته، وإنما رفض المضمون .. " (٢).

أخيراً فإن واقع التخلف والتبعية الذي نعيشه يجعلنا محاصرين في استخدام
المصطلحات، كما يجعل دورنا محصوراً في دائرة ردود الأفعال وليس في إنتاجها. والذي
يذهب إليه الباحث هو استخدام مصطلح النظرية والعمل على بنائها، لموافقة هذا المصطلح
لمضمون الشريعة الإسلامية، وعدم تعارضه مع المفاهيم والمصطلحات الأخرى.

المطلب الثالث - أهمية البحث في النظرية التربوية النفسية الإسلامية ومعوقات قيامها.

تعود أهمية البحث في النظرية الإسلامية إلى عدة عوامل: منها ما يتعلق بعلاقة العالم
الإسلامي بالأمم والشعوب الأخرى، وهي العوامل الخارجية، ومنها عوامل داخلية ذاتية تعود
إلى ظروف الأمة، وإن كان من العسير فصل هذه العوامل بعضها عن بعض.

الفرع الأول - العوامل الخارجية

أولاً- التقدم العلمي والتكنولوجي في العالم الذي يدعو المسلمين إلى المسارعة في بناء نظرية
إسلامية تربوية نفسية تستطيع أن تتدخل لتوجيه هذا التقدم العلمي الهائل، والحقيقة أن
النظرية الإسلامية في هذا المجال تعد تمسكاً بالثوابت الإسلامية والخصوصية العربية
والإسلامية " ففي عصر يكاد ينعدم فيه اليقين، ويكاد يستحيل فيه تصور الواقع
الافتراضي للمستقبل ... عصر يلهث فيه قادمة يكاد يلحق سابقه وتتهاولى فيه النظم
والأفكار ... وتتقدم فيه الأشياء وهي في أوج جنتها ... عصر تتألف فيه الأشياء مع
أضدادها؛ حتى أعلن البعض نهاية الأضداد ونهاية تضاد الجميل والقبيح في الفن والعدل
والظلم في السياسة، والصدق والتخريف في الإعلام والموضوعية والذاتية ... في العلم
والشريعة والشذوذ في العلاقات الإنسانية! ... في هذا يصبح التمسك بالثوابت الدينية

(١) رواه أحمد، المسند، ج ٥، ص ٣٥٨، حديث (٢٣٠٨٠)، صححه الألباني، انظر صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيدته رقم
(١٠٧٨).

(٢) عبد الحميد مذكور، محاضرات غير منشورة في نظرية المعرفة في التربية الإسلامية.

والخصوصية الإسلامية والعربية هو العامل الوحيد من الوقوع في الفوضى الشاملة والانهيار الكامل^(١).

ثانياً- النظريات الغربية لم تحقق النتائج المرجوة منها، ولم تحقق للمجتمعات السعادة المنشودة، بل قامت هذه النظريات بتفسير السلوك الإنساني بعيداً عن الفطرة، فثمة من جعل الإنسان كالحيوان، وأن ما يصدر عنه هو ردود أفعال ليس غير، وهذا ما يدعو المسلمين للعمل على إخراج النظرية الإسلامية التي تحقق السعادة للإنسان، وتتعامل معه بصدق وموضوعية وعدل.

ثالثاً- تواجه الأمة الإسلامية في وقتنا الحاضر هجمة عدوانية شرسة مع ما يرافقها من غزو فكري ثقافي في ظل ما سمي بالعولمة، لعل من نتائجها طمس الهوية العربية الإسلامية وطمس معالم حضارتها، والنظر إلى القرآن الكريم والسنة المطهرة على أنهما تراث، فيكون البحث في النظرية الإسلامية هو تعبير عن الهوية الإسلامية وإبراز معالم الحضارة الإسلامية وإثبات أن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة صالحان للتطبيق في كل زمان ومكان.

الفرع الثاني - العوامل الداخلية

فنتأمل في أن البحث في النظرية الإسلامية فرض من الفروض الإسلامية، لأن البحث فيها يساعد الأمة على الخروج من حمى التقليد للغرب، إذ إن أخطر التحديات التي تواجهها الأمة هي التبعية وفقدان الذات، ف تحرير الذات من القيود منطلق أساسي، وعلى المسلمين والعرب أن يتجاوزوا المناهج الوافدة التي عاشوا أسارى لها خلال فترة السيطرة الأجنبية الاستعمارية والتي وجدوا من خلال تجاربهم أنها لم تحقق الاستجابة الحقيقية لمفاهيمهم أو لذواتهم، لذا عليهم أن يفكروا بلغتهم ويتحركوا من داخل أفكارهم وأن يستردوا أصالتهم^(٢).

لذلك نجد الإسلام قد حذر المسلمين من التشبه بغيرهم، وأعلن حرباً لا هوادة فيها على التقليد الأعمى والسلبى، ودعا إلى إعلان التميز بين الأمم في العادات والأخلاق، بل قرر أن التقليد الأعمى فقدان للشخصية والتبعية عبودية للفكر والعقل، وأن الأمم في فترات الضعف لا تقلد إلا جوانب الضعف والهزم وتعجز عن تقليد جوانب القوة، لذا فهي تتحصر دائماً في مجالات اللذات والانحراف والتحلل والتخلي عن قيم القوة والتماسك والصمود^(٣).

(١) علي منكور، منهج التربية في التصور الإسلامي، مرجع سابق، ص ٧.

(٢) أنور الجندي، مفاهيم العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق في ضوء الإسلام، دار الاعتصام، ط ١، ١٩٧٧م، ص ١٤.

(٣) المرجع السابق، ص ١٧.

وعليه فالبحث في النظرية الإسلامية يسهم إسهاماً بالغاً في التخلص من حمى التقليد، ويساعد الأمة على التمييز في الأخذ من الغرب، فتأخذ ما ينفع الأمة ويساعد في تطورها، وتبتعد عن كل ما يؤدي إلى ارتكاسها في المستقبل الغربي.

والبحث في النظرية الإسلامية يحيي المفاهيم الإسلامية في قلوب أبناء الأمة وعقولهم، لا سيما تلك الفئة التي تحظى بتأثير كبير في مجريات الأحداث، وسبيل إحياء المفاهيم الإسلامية هو التربية الإسلامية، وهذا يتطلب أن تتخلص الأمة من الأنظمة الغربية في التربية والعودة إلى النظام الإسلامي وبناء النظرية الإسلامية^(١).

إن بناء النظرية الإسلامية يحفظ للمجتمعات الإسلامية المعاصرة أصالتها، ويبعدها عن الذوبان في الآخر وفقدان الهوية، كما يساعد الأمة على تجاوز المأزق الحضاري الذي تعيشه، فالنظرية الإسلامية هي الأداة التي تسعى الأمة لبلورة مشروعها الحضاري من خلالها والخروج من الأزمات الحادة التي عانت منها ربحاً طويلاً من الزمن، فلا غنى عن النظرية الإسلامية لتحقيق التنمية البشرية اللازمة لتجاوز مرحلة التخلف والتبعية.

ومما لا شك فيه، أن البحث في النظرية الإسلامية يردّ على منكري أصول الفكر التربوي الإسلامي بعدم قدرته على مسايرة التطورات العصرية، وينسجم مع التوجيهات الإسلامية التي تهدف إلى أسلمة العلوم والمعارف، وهي عامل من عوامل وحدة الأمة الإسلامية على مستوى الفكر والسلوك.

الفرع الثالث - معوقات قيام النظرية التربوية النفسية الإسلامية

لعل المتأمل في الواقع الذي يعيشه المسلمون اليوم يلحظ أن ثمة معوقات كثيرة تمنع قيام نظرية إسلامية في التربية وعلم النفس، ومن أبرز هذه المعوقات:
أولاً- السلبية الفكرية عند المسلمين.

إن مما يعوق بناء نظرية إسلامية هو السلبية الفكرية التي يتعامل بها المسلمون، والتي طرأت على مناهج التفكير في العالم الإسلامي، فشوهت الفكرة الإسلامية، واستبعدت الطريقة الإسلامية عن الحياة المعيشة، وبذلك فصلت العقيدة والشريعة عن ممارسات التطبيق، وعن الممارسات التربوية والنفسية، مما أدى إلى غموض الفكرة الإسلامية في علاقاتها بالحياة بل غموض الطريقة الإسلامية في النهوض والتربية والبناء، فانقطع الفرد عن أصوله الفكرية، وأصبح مشغولاً بأموره الخاصة، وأقتصر المنهج الإسلامي في نظر كثير من المسلمين على إصدار الفتاوى مع إجلال قدرها وأهميتها في الحياة، وإطلاق الشعارات وعدم ترتيب

(١) علي مذكور، منهج التربية في التصور الإسلامي، مرجع سابق، ص ٩- ١٠.

الأولويات، وليس الاهتمام ببناء المنهج الإسلامي، أي النظريات الإسلامية التي تُناقش شؤون الحياة المختلفة^(١).

وربما كان هذا ما عمل الاستعمار على تربية الأجيال المسلمة عليه، وعلى إبعادها عن الإسلام، وسلخها من مفهومه الصحيح بصفته ديناً شاملاً يعنى بحياة المسلم وآخرفته، وقد نجحت هذه السياسة في إبعاد بعض المسلمين عن دينهم أو على الأقل في إيجاد اعتقاد لديهم بأن الإسلام علاقة بين العبد وربه لا شأن له في مجالات الحياة المختلفة.

ثانياً- واقع التخلف والتبعية والتقليد الذي تعيشه الأمة الإسلامية " الاستلاب الحضاري " .

إن واقع التخلف والتبعية الذي تعيشه الأمة الإسلامية يجعلها تطبق النظريات الغربية البعيدة عن بيئة المسلمين وحضارتهم الإسلامية، لاعتقادها بأن تطبيق هذه النظريات يوصل الأمة إلى مصاف الدول المتقدمة المتبوعة.

وإذا أرادت الأمة أن تتخلص من واقعها، عليها أن تتحرر من فقدان الذات فتحرر من القيود منطلق أساسي، على العرب والمسلمين أن يبادروا إليه من خلال تجاوز المناهج الوافدة التي أثبتت التجربة أنها لن تحقق " الاستجابة الحقيقية، للمفاهيم التي يحملها المسلمون ولا لذواتهم، فما عليهم إلا أن يفكروا بلغتهم وأن يتحركوا من داخل فكرهم حتى يستردوا أصالتهم^(٢).

الواجب أن تكون للأمة الإسلامية رؤيتها الخاصة، النابعة من معتقداتها وتصوراتها وقيمها، ومن النظرة للكون والحياة والإنسان، منطلقاً من الغاية من الوجود والمهمة الموكولة إليها، فحياة المسلمين اصطبغت بصبغة الحضارة الغربية في جميع جوانبها: في الفكر والتصوير والاعتقاد، وفي التربية والتعليم، وفي السياسة وأنظمة الحكم في كل شيء، وهذا لا يعني أنها اصطبغت بجوانب القوة- التي يجلبها الغرب عنها - فالأمة الضعيفة لا تقلد إلا جوانب الضعف والهزم والانحلال، لذلك فالصبغة تنحصر في مجالات اللذات والانحراف والتحلل والتخلي عن القيم.

وقد عبر الأستاذ سيد قطب عن هذه التبعية بقوله " فأما نحن الذين نزع أننا مسلمون فأرانا نتلقى في صميم فهمنا لقرآننا وحديث نبينا ﷺ عن المستشرقين وتلامذة المستشرقين! وأرانا نتلقى فلسفتنا وتصوراتنا للوجود والحياة من هؤلاء وهؤلاء من الفلاسفة والمفكرين- الإغريق والألمان والأوروبيين والأمريكان! وأرانا نتلقى نظام حياتنا وشرائعنا وقوانيننا من تلك

(١) عبد القادر هاشم رمزي، النظرية الإسلامية في فلسفة الدراسات الاجتماعية التربوية، الدوحة، دار الثقافة، ط١، ١٩٨٤م، ص ١١٩-١٢٠.

(٢) أنور الجندي، مفاهيم العلوم الاجتماعية والنفس، مرجع سابق، ص ١٤.

المصادر المدخولة! وأرانا نتلقى قواعد سلوكنا وأخلاقنا من ذلك المستنقع الأسن الذي انتهت إليه الحضارة المادية المجردة من روح الدين ...^(١).

إن مما يسهم في واقع التخلف والتبعية والتقليد، أن معظم المسلمين هجروا إسلامهم، وتهاونوا في تطبيق أحكامه، خلدوا إلى الدعة والراحة بل تعلقوا بالدنيا وتفرقوا إلى أحزاب متصارعة، بالإضافة إلى نقشي الجهل والبعد عن العلم خاصة في السنين الأخيرة- بعد أن كان المسلمون يتبأون قمة الحضارة، وكانوا قادة الركب الإنساني إلى تصحيح كل فكر منحرف- فتراكمت النكبات التي تعرض لها المسلمون وما زالوا، ونفشت حالة الضعف النفسي التي وصلوا إليها بعدما تنكبوا الطريق القويم، مما أدى إلى تكريس واقع التخلف والتبعية.

ثالثاً- عدم توافر مؤسسات البحث العلمي الداعمة للأبحاث المتعلقة بالنظرية الإسلامية.

إن البحث العلمي يحتاج إلى تفرغ كامل، وإلى نفقات مالية كبيرة، فعدم توافر مؤسسات تفرغ الباحثين الإسلاميين من أجل الكتابة والتأليف، يجعل البحث العلمي يقوم على فضول الأوقات وعلى همم بعض المتفرغين.

رابعاً- عدم توافر الباحث الإسلامي الذي يملك مؤهلات البحث العلمي.

يجب أن تتوافر في الباحث الذي يبحث في النظرية الإسلامية وفي العلوم التربوية والنفسية، مجموعة من الصفات والخصائص التي تميزه عن غيره، فالمطلوب منه أولاً أن يلمَّ بعلوم اللغة العربية وعلوم القرآن الكريم والحديث الشريف، وأن يكون ذا اطلاع عام على الفقه الإسلامي وأحواله، ثم أن يكون دارساً ومطالماً للنظريات النفسية والتربوية الغربية، وعلى معرفة بنقاط قوتها وضعفها، وهذه الصفات والخصائص لا تتوافر في كثير من الباحثين المشتغلين في التربية الإسلامية في الوقت الحاضر.

المطلب الرابع- فوائد بناء نظرية إسلامية في النمو الإنساني.

إن بناء نظرية إسلامية في النمو الإنساني يعود علينا بكثير من الفوائد؛ منها ما يتعلق بالجانب الإيماني للإنسان، ومنها ما يتعلق بالجانب الفكري التربوي، وكذلك بالكشف عن الطبيعة الإنسانية ومعرفة الخصائص المميزة للإنسان. وفيما يأتي توضيح موجز لأهم الفوائد المترتبة على دراسة النمو من المنظور الإسلامي كما يرى الباحث.

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٤٤٠/١.

الفرع الأول - الجانب الإيماني

إن دراسة مراحل النمو الإنساني وتخلق الأجنة وأطوار نموها ترينا تشابهاً كبيراً في مراحل التخلق المتعاقبة للإنسان، مما يدل دلالة أكيدة على أن خالقاً واحداً وإرادة واحدة وهو سبحانه وتعالى واحد، هو الذي يخلق ويبني من غير أن يكون له شريك في ملكه^(١).

فالتوازن الذي يلف الجسم البشري بوسائل حيوية تعمل بانسجام تام، يدل على ذات مدبرة حكيمة رحيمة ترعى الوجود كله، يقول سبحانه وتعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾^(٢).

إن معرفتنا بخلق الإنسان ومراحل تطوره ونموه تزيدنا إيماناً و يقيناً بأن الله سبحانه وتعالى منزّه عن مشابهة خلقه، فالله سبحانه وتعالى موجود لكن وجوده سبحانه وتعالى مخالف لما يخطر على قلب البشر، فهو منزّه عن المماثلة والمثابفة لمخلوقاته. يقول سبحانه: ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذَرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٣).

فليس هناك من شيء يماثله، فخالق الأشياء لا تماثله الأشياء التي هي من خلقه، وهي ترجع إلى حكمه عندما تختلف فيما بينها ولا ترجع إلى احد غيره؛ لأنه ليس هناك أحد يماثله^(٤). يقول صاحب التحرير والتنوير معلقاً على قوله تعالى: ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذَرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٥). إن هذه الآية أصل في تنزيه الله تعالى عن الجوارح والحواس والأعضاء عند أهل التأويل والذين أثبتوا لله تعالى ما ورد في القرآن مما نسّميه بالمتشابه، فإنما أثبتوه مع التنزيه عن ظاهره... إذ لا خلاف في أن لا شبيه له ولا نظير له..^(٦) ودراسة النمو في المنظور الإسلامي يكشف لنا أن الإنسان خلق لغاية عظيمة ومهمة كبيرة، خلق ليكون خليفة في الأرض، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ

(١) أحمد محمد كنعان، خلق الإنسان، الدوحة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر، سلسلة كتاب الأمة، ذو الحجة، ١٤٠٤هـ، ص ٦٧.

(٢) سورة الأنبياء، آية ٢٢

(٣) سورة الشورى، آية ١١.

(٤) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٣١٤٦/٥.

(٥) سورة الشورى، آية ١١

(٦) محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، بيروت، مؤسسة التاريخ، ط١، ٢٠٠٠م، ١١٦/٢٥.

حَلِيفَةٌ قَالُوا أَلْجَعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ
إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١﴾.

فالمشيئة الإلهية تريد للإنسان أن يستلم زمام الأرض، وتوكل إليه إبراز مشيئة الخالق في الإبداع والتكوين، بل في التحليل والتركيب، وكشف ما في هذه الأرض من قوى وطاقات تسخر كلها من أجل أداء المهمة الضخمة، وهذا يدل على أن الإنسان فيه من الطاقات الكامنة والاستعدادات المذخورة كما في الأرض من قوى وطاقات^(١).

" وإذن فهناك وحدة أو تناسق بين النواميس التي تحكم الأرض وتحكم الكون كله والنواتميس التي تحكم هذا المخلوق وقواه وطاقاته، كي لا يقع التصادم بين هذه النواميس وتلك، وكي لا تتحطم طاقة الإنسان على صخرة الكون الضخمة!"^(٢).

وتركز دراسة النمو الإنساني في وجدان المسلم الحقيقة الكبرى، وهي حقيقة العبودية لله سبحانه وتعالى، فقد ركز القرآن الكريم تركيزاً شديداً على تقرير هذه الحقيقة وتعميقها في النفس، حقيقة العبودية لله تعالى وحده لا شريك له، والدينونة لله وحده بلا منازع باعتبار أن هذه العبودية وهذه الدينونة شاملتان للوجود كله غير مقتصرين على الكائن الإنساني^(٣)، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾^(٤).

فهذا النص يحوي حقيقة ضخمة هائلة، وهي حقيقة العبودية لله تعالى، فمن قام بها وأداها فقد حقق غاية وجوده؛ ومن قصر فيها فقد أبطل غاية وجوده وأصبح بلا وظيفة، وباتت حياته فارغة من القصد خاوية من معناها الأصيل، وأن مدلول العبادة أوسع وأشمل من مجرد إقامة الشعائر، بل هو التوجه إلى الله بكل حركة في الجوارح، وكل حركة في الحياة، التوجه بها إلى الله خالصة من كل معنى غير التعبّد لله تعالى^(٥).

وتقرر دراسة النمو الإنساني مهام خلق الإنسان وغاياته التي بسببها حمل الأمانة، التي عجزت عن حملها السماوات والأرض والجبال، قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَىٰ

(١) سورة البقرة، آية ٣٠.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٥٦/١.

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، المرجع السابق، ٥٦/١.

(٤) سيد قطب، مقومات التصور الإسلامي، القاهرة، دار الشروق، ط٢، ١٩٨٧م، ص ٨٢.

(٥) سورة الذاريات، آية ٥٦.

(٦) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٣٢٨٦/٦ - ٣٢٨٧.

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَابْتِئَنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿١﴾.

إن المفاهيم السابقة التي وردت بصفاتها غايات لخلق الإنسان - الخلافة في الأرض، العبودية لله، حمل الأمانة - هي مفاهيم مترابطة ومتكاملة ولا يناقض أحدها الآخر أو يعارضه، بل يعضده ويسنده فهي تعني^(٢):

▪ انتماء الإنسانية إلى مرجع واحد هو الله سبحانه وتعالى، ويترتب على ذلك طرح كل الانتماءات لغير الله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ يَا هَلْ أَكْتَبِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾^(٣).

▪ تحرر الإنسان من عبودية الأسماء، وبناء علاقات تقوم على أساس عبودية الإنسان المستخلف على هذه الأرض لله. ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَتْهُمَا أَنْتُمْ وَعِبَادُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ أَحْكَمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(٤).

▪ رعاية الحقوق الإنسانية والحفاظ على الأمانة التي حملها الإنسان، لأنها عهد من الله تعالى للإنسان ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَارٌ مَسْئُولًا ﴾^(٥).

فإنه الذي خلق الإنسان وقدر نشأته وحجمه وشكله، وتتأسفه مع غيره من أفراد الوجود، فهل ذلك كله محض صدفة أو عبث، فالصغير لا يلعب لعبة ولا يركب تركيبة إلا وله هدف، والكبير العاقل لا يأتي بحركة إلا وقد فكر وخطط، فما بالك بالخالق البارئ المصور؟ أيعقل أن يكون خلق الإنسان للعناء والعبث؟^(٦).

(١) سورة الأحزاب، آية ٧٢.

(٢) سعيد بن راشد الصوافي، الوحدة الإنسانية في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، غير منشورة، المفروق، جامعة آل البيت، كلية الدراسات الفقهية والقانونية ١٩٩٩م، ص ١٠٨.

(٣) سورة آل عمران، آية ٦٤.

(٤) سورة يوسف، آية ٤٠.

(٥) سورة الإسراء، آية ٣٤.

(٦) أحمد محمد كنعان، خلق الإنسان، مرجع سابق، ص ٦٨.

ليس مقصود القرآن الكريم أن يزود الإنسان بمعلومات عن أطوار خلقه فقط، ولكن القرآن الكريم يريد منه عندما يقرأ أطوار خلقه ومراحل حياته، أن يعود بذاكرته وخياله ليتابعها في نفسه، ويجمع بين النظر الوارد في ترتيبها في الآيات، وبين ترتيبها الواقعي في الحياة، فعندما يتعامل مع الآيات بهذه الصورة، يكون للعبر المبنوثة في ثنايا الآيات وقع خاص في قلبه، لأنه يستشعر أنها خطاب مباشر له^(١).

ومن أعظم العبر المبنوثة في دراسة آيات النمو، تعرف الإنسان على آيات الله في خلقه، تماماً كالعلوم الطبيعية التي تهدف إلى التعرف على آيات الله سبحانه وتعالى في خلق الكون، فقد عدا الحق سبحانه وتعالى علامات قدرته في خلق الكون والإنسان آيات دالة على قدرته وعظمته سبحانه وتعالى إذ قال: ﴿سَتُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(٢). ويقول سبحانه: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّمُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾^(٣).

فأعظم رحلة يقوم بها الإنسان على الإطلاق، هي الرحلة التي تعرفه على آيات الله في خلقه، التي من خلالها يدخل إلى عالمه الخاص، فيبصر خبايا نفسه، ويعي دوافع سلوكه، ويدرك أعماق كيانه، فعندما يدرك الإنسان ذاته تتفتح أمامه أبواب محاريب الحقيقة، وعندما يجهل تاريخه وقصته وإمكاناته يتخذ من نفسه معول هدم يتحول به ضد نفسه وذاته، وبالتالي يبتعد عن أخذ العبر المبنوثة في آيات خلقه.

ومن آيات الله في خلق الإنسان إعماله حاسة السمع لديه قبل حاسة البصر، يقول سبحانه: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٤).

فالآية الكريمة تدل على أن الإنسان يولد ولا يعلم شيئاً عن محيطه، ثم تبدأ حواسه تدريجياً بأداء وظائفها، فيتأثر بما يتعرض له من المؤثرات التي تكون فيما بعد إدراكه ومعرفته بالعالم الخارجي، ومن آيات الله في خلق الإنسان أنه جاء متدرجاً شيئاً فشيئاً، حتى تتقبله الأنثى وتحمله، ولا شك أن في ذلك رحمة عظيمة من رب العالمين.

وهنا لا بد أن يكون في منظورنا - ونحن ندرس كتاب الله سبحانه وتعالى - أنه ليس دائرة معارف علمية تتضمن تفاصيل حقائق العلم، وإنما هو بالدرجة الأولى كتاب هداية

(١) محمد عز الدين توفيق، دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، القاهرة، دار السلام للطباعة، ط٢، ١٩٩٨م، ص٧٠.

(٢) سورة فصلت، آية ٥٣.

(٣) سورة الذاريات، آية ٢٠-٢١.

(٤) سورة النحل، آية ٧٨.

وإرشاد، لذا فعلينا ألا نحمل كلمات القرآن الكريم ما لا تحتمله من معانٍ وألا نحاول إقحامه في التفاصيل الجزئية^(١).

وأخيراً، إن إحدى الغايات الأساسية من دراسة النمو الإنساني من المنظور الإسلامي هي أن يعتاد الدارسون التأسّي بأقوال نموذج النمو الإنساني الأكمل وأفعاله محمد ﷺ التي لا شك أن التأسّي بها يعدّ أعظم مصدر لزيادة الإيمان واليقين بالله سبحانه وتعالى.

الفرع الثاني - الجانب الفكري التربوي

إن دراسة النمو وبناء نظرية إسلامية تبحث في موضوعاته المتعددة والمتشعبة تغني الجانب الفكري والتربوي لدى الأفراد والأمة على حد سواء، وفيما يلي عرض لبعض ما يمكن أن نفيده في الجانب الفكري والتربوي منها.

أولاً - مبدأ المساواة بين البشر

نتبين من خلال دراسة النمو الإنساني بعض المبادئ الفكرية التربوية، منها مبدأ المساواة بين البشر، وهذا المبدأ نستخلصه من الآيات والأحاديث الشريفة المتعلقة بالإنسان، فهو ليس مجرد شعار يرفع وإنما هو مبدأ له مضامين وميادين تدل عليه منها^(٢):

أ- المساواة في أصل الكيان الإنساني

الحقيقة الثابتة التي لا لبس فيها هي أن القرآن الكريم دعا للمساواة الإنسانية، فإلناس سواء في مبدأ نشأتهم وهم جميعاً يرجعون إلى أصلين: أحدهما - بعيد، ويعني بداية الخليقة الإنسانية، والآخر - قريب، ويعني طبيعة تخلقه في رحم أمه^(٣). وقد أشار القرآن إلى الأصل البعيد المتمثل في آدم عليه السلام ثم خرجت منه زوجته حواء، فتأسست الأسرة الإنسانية، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(٤).

أما الأصل القريب فيعتمد القرآن في كثير من الأحيان إلى قرنه بالأصل البعيد يقول سبحانه: ﴿خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٣١﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا

(١) فؤاد أبو حطب، علم نفس النمو من منظور إسلامي، المجلة التربوية الإسلامية، جامعة الكويت، كلية التربية، ١٩٨١م، ص ٢١-٢٢.

(٢) سعيد بن راشد الصوافي، الوحدة الإنسانية في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص ١٣٥-١٤٧.

(٣) أحمد محمد الدغشي، نظرية المعرفة في القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية، عمان، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ٢٠٠٢م، ص ١٦٥-١٦٦.

(٤) سورة النساء، آية ١

النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١﴾.

ب- المساواة في الكرامة الإنسانية

يقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (٢).

فالآية تقرر أن كل آدمي له كرامة، وأن هذه الكرامة يستمدّها من كونه آدمياً فحسب بغض النظر عن اللون أو العرق، أو الدين.

ج- المساواة بين الرجل والمرأة

يختلف الرجل عن المرأة في التكوين الجسمي وفي القدرات البدنية، وبعض الأحكام الشرعية، ولكن الإسلام ينظر إلى المرأة كما ينظر إلى الرجل، فهما آدميان يتساويان في أصل الخلقة والكرامة والحقوق والواجبات ولكل منهما وظيفة في الحياة، لا يستطيع الآخر منهما القيام بها.

د- المساواة في الحقوق الإنسانية.

الحقوق الإنسانية التي تظهر من خلال دراسة النمو الإنساني كثيرة جداً منها-
١. حق الحياة.

الله سبحانه وتعالى هو خالق الموت والحياة، يقول سبحانه: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (٣). وحق الحياة حق مقدس لا يحل لأحد انتهاك حرمة ولا استباحة حماه، يقول سبحانه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ (٤).
وحماية لهذا الحق حرم الله سبحانه القتل كونه هدم لبناء إرادة الله، وسلب لحياة المجني عليه، وهذا التحريم يستوي به المسلم والذمي، ومن شدة عناية الإسلام بهذا الحق أنه حرم إسقاط الجنين بعد أن تدب الحياة فيه إلا إذا كان هناك سبب حقيقي يوجب إسقاط الجنين (٥).

(١) سورة المؤمنون، آية ١٢ - ١٤

(٢) سورة الإسراء، آية ٧٠.

(٣) سورة الملك، آية ٢.

(٤) سورة الإسراء، آية ٣٣

(٥) سيد سابق، فقه السنة، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٩٢م، ٤٢٨/٢ - ٤٣٢.

٢. حق الحرية.

الحرية من أكثر الحقوق التي اهتمت بها العقائد وشغلت المصلحين والمفكرين والمنظرين، ومن أكثر المفاهيم تعرضاً للتفسير يقول سبحانه ناهياً عن الإكراه في الدين: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(١).

ثانياً - مبدأ تقدير قيمة الحياة الإنسانية

وكذلك من المبادئ مبدأ تقدير قيمة الحياة في الإسلام، فالله سبحانه وتعالى خلق الإنسان لغاية سامية، وهي عبادة الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٢)، فإذا كانت هذه هي الغاية من خلق الإنسان وعمر الإنسان محدود فعليه أن يغتنم كل ساعة من ساعات عمره في طاعة الخالق لأنه سيسأل عن ذلك يوم القيامة. يقول ﷺ: " لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه وعن علمه فيم عمل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه"^(٣)، ومن تقدير قيمة الحياة الإنسانية أن يبحث الإنسان عن أسباب الحياة، فمعرفة الإنسان بمراحل حياته والعوامل المؤثرة في نموه في هذه الحياة، يجعله يبحث عن الأسباب التي تؤدي إلى الحياة المستقرة التي تملأها البهجة والسرور والأمن والكفاية والجو النظيف والمظهر الجميل والحياة التي يباشر فيها الإنسان العمل الصالح بنفسه. يقول سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٤). مما يؤدي إلى إصلاح الحياة في جميع جوانبها النفسية والعقلية والاجتماعية، وما يتصل بالأخلاق والتهديب وكذلك إيجاد علاقة سامية بين الإنسان وأخيه الإنسان.

فالنمو الإنساني في حقيقته عملية تفوق الوجود الدنيوي، ذلك أن الإسلام يعدّ الحياة الحالية أساساً للحياة الآخرة الدائمة، فالإنسان في مراحل نموه وتطوره في الحياة الدنيا يعمل من أجل أن تكون حياته الدنيا وحياته الثانية سعيدة.

(١) سورة البقرة، آية ٢٥٦

(٢) سورة الذاريات، آية ٥٦

(٣) رواه الترمذي، سنن الترمذي، ج٤، ص٥١٢، حديث (٢٤١٧)، حديث حسن صحيح، وصححه الألباني، انظر صحيح الترغيب والترهيب، حديث (١٢٦).

(٤) سورة النحل، آية ٩٧

وعليه فلا بد للإنسان أن يقدر الحياة الإنسانية؛ بالعمل الجاد الصالح فيها مع علمه وبقينه أن الحياة الدنيا ما هي إلا معبر للحياة الخالدة، حيث ينتهي فيها الموت وينتفي فيها تعب الدنيا للمؤمن ويزداد تعب الكافر^(١)، يقول سبحانه وتعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّهَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾^(٢).

ثالثاً - مبدأ تقرير الفروق الفردية بين الناس

من الفوائد المترتبة على بناء نظرية إسلامية في النمو الإنساني، تقرير مبدأ الفروق الفردية في النمو، والفروق الفردية هي الصفات التي يتميز بها كل إنسان عن غيره من الأفراد، سواء أكانت تلك الصفات جسمية أم عقلية أم مزاجية، أم في سلوكه النفسي والاجتماعي^(٣).

فالفروق الفردية إذن هي اختلاف الأفراد والمجموعات بعضهم عن بعض في الصفات والخصائص سواء أكانت جسمية أم عقلية أم في الاستعدادات والقدرات، ودراسة النمو الإنساني من المنظور الإسلامي تبين أن الفروق الفردية تكون في الصفات الجسدية والأمزجة والانفعالات والفروق العقلية والإيمانية.

يكتفي الباحث بذكر نصوص القرآن الكريم في مجال الفروق الفردية الجسدية لأن هذا المبدأ سيأتي تفصيلاً في ثنايا الأطروحة - يقول سبحانه وتعالى مبيناً الفروق الجسدية بين الناس: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجَسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكُهُ مِنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(٤)، ويقول سبحانه مبيناً اختلاف الناس في الألوان: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾^(٥).

(١) هشام أحمد بني خلف، المبادئ الأخلاقية لتربية الفرد والمجتمع في سياق القرآن الكريم، رسالة دكتوراه، غير منشورة أربد، جامعة اليرموك، كلية التربية، ٢٠٠٥م، ص ٩١.

(٢) سورة الدخان، آية ٥٦

(٣) عبد الحميد الهاشمي، الفروق الفردية: دراسة تحليلية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٩٨٢م، ص ٧.

(٤) سورة البقرة، آية ٢٤٧

(٥) سورة فاطر، آية ٢٨

فالفروق الفردية تشكل أهمية بالغة للخطورة، يجب وضعها في الاعتبار أثناء معاملة الأطفال، وتقديم العناية لهم، لأن سرعة نمو كل طفل في كل مرحلة وما يتبعها من صفات تختلف من طفل إلى آخر^(١).

رابعاً - تقديم فوائد لعناصر العملية التعليمية

دراسة النمو الإنساني تسهم في ترشيد عملية التربية والتعليم، فنستطيع من خلال دراسة النمو معرفة خصائص كل مرحلة، وما تتميز به من أجل توفير البيئة الملائمة والرعاية اللازمة في كل مرحلة، وكذلك تحديد الوسيلة المناسبة للتعليم وطريقة التدريس لمعرفة المعلم بخصائص المتعلم، والكشف عن نظرية إسلامية في النمو الإنساني يعني معرفة الموجه للممارسات العملية في العملية التعليمية، فبدون هذه النظرية تبقى الممارسات التعليمية تسير في تخبط وعشواء، إذن فالنظرية تحدد مسار العملية التربوية برمتها، فتصاغ الأهداف التربوية، ويختار المحتوى التعليمي، وتحدد المناهج وأساليب العملية التعليمية ووسائلها وأنشطتها وفق مرحلة النمو التي يمر بها التلميذ، كما تحدد مجالات البحث العلمي في النمو الإنساني، وتوجه الدراسات التوجيه السليم، ومن خلالها يلتزم الباحث بأصول البحث العلمي الإسلامي وأخلاقه، فيلتزم الموضوعية في الطرح دون تحيز لأية جهة، ويعرض النتائج التي توصل إليها دون تحريف أو تبديل، لأن هذا يسهم في تطوير مجالات البحث العلمي.

ولدراسة النمو الإنساني من المنظور الإسلامي فوائد تعود على المعلمين^(٢). فهي تساعدهم على فهم طبيعة الفروق الفردية، الجسمية والحسية والعقلية والانفعالية والدينية، وبالتالي تحديد أساليب التعامل مع المتعلمين ووسائله.

- تساعد المعلمين على تحديد أنواع المشكلات وتصنيفها وآلية العمل على حلها وإدراك حجم تأثيرها في حياة المتعلمين، مما يدعو المعلم دائماً إلى تطوير معرفته وكفاءته في مجالات النمو الإنساني.

- يحسن المعلم معرفته بالطبيعة الإنسانية وبآثار العوامل الوراثية والبيئية، فالوعي بأساسيات النمو الإنساني يمثل خطوة مهمة نحو معرفة أسس المعالجات والتوجيهات والإرشادات النفسية والتربوية، ومعرفة أسس النمو وضوابطه وقوانينه تساعد على إرساء الأسس السليمة للحياة السلوكية الفضلى، لا سيما إن كانت هذه المعرفة تستنبط من القرآن الكريم والسنة المطهرة.

(١) عبد الحميد الزنتاني، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ليبيا، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٤م، ص ٥١.

(٢) هشام خوجلي، علم نفس النمو... الخلفيات العلمية... رؤية جديدة، جدة، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠١م، ص ١١٩-١٢٧.

- تساعد المعلم على الإلمام بنظريات النمو الإنساني وخلفياتها الاجتماعية المتباينة، مما يسهل عقد موازنات وانتقاء ما يصلح منها ورفض ما لا يتناسب وتوجيهات الإسلام.

- تساعد المعلم على اختيار النماذج السلوكية الحسنة السوية الصالحة، وفهم آليات بناء هذه النماذج السلوكية ومكوناتها وتأثيرها الحسن في سلوك المتعلمين.

أما بالنسبة للمتعلمين فإن دراسة النمو الإنساني يحقق لهم العلم النافع؛ الذي يخلف أثراً مفيداً للإنسان في سلوكياته ونشاطاته العقلية والاجتماعية والنفسية، وكذلك يحقق له الراحة التعليمية والانسجام النفسي، ما لا يُحس به عند تعلم علوم أخرى^(١).

وإن الدارس لخصائص النمو الإنساني وقوانينه، قد يحلق في عوالم لا تبدو فيها إمكانية لغير إظهار الإعجاب والانبهار بخلق الله تعالى، فأياته دالة على وجوده في جميع جنبات هذا الكون وفي داخل نفس الإنسان، وتكون الخبرة ملازمة له وهو يتذكر جهله وشح نفسه وافتقاره للحق سبحانه وتعالى^(٢). يقول سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(٣).

ولا شك أن جميع فئات المجتمع تغرف من الفوائد المتحصلة من بناء نظرية إسلامية في النمو الإنساني، وفي مقدمة هؤلاء الباحثون الذين يحددون معايير النمو والسلوك السوي من أجل التعرف على الأشخاص الأسوياء الذين يعانون من المشكلات ومساعدتهم على حلها؛ ومن الجدير نكره أن نظريات علم النفس تكاد تخلو من معيار موحد للسلوك، من أجل الحكم عليه أهو سلوك سوي أم غير سوي؟ فالمعايير التي يحكم بها أصحاب النظريات على السلوك الإنساني الذي يعدونه سلوكاً منحرفاً أو نمواً غير طبيعي، إنما هي معايير وضعية لا يمكن أن ترقى إلى المعايير التي يحكم بها على السلوك في الإسلام، فعلى سبيل المثال: يعد الإسلام سلوك من يعمل عمل قوم لوط منحرفاً يستحق العقوبة عليه من الله سبحانه وتعالى بتنفيذ الحد المشروع، في حين أن كثيراً من المعالجين النفسيين في الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من دول أوروبا يعدون المثلية سلوكاً غير مضطرب، وتركوا لمن يمارس هذا السلوك حرية المثل للعلاج وعدمه^(٤).

(١) هشام خوجلي، علم نفس النمو، مرجع سابق، ص ١١٥.

(٢) هشام خوجلي، علم نفس النمو، المرجع السابق، ص ١١٩.

(٣) سورة آل عمران، آية ١٩١.

(٤) محمد محروس الشناوي، بحوث في التوجيه الإسلامي للإرشاد والعلاج النفسي، القاهرة، دار غريب للطباعة، ط١، ٢٠٠١م،

بينما يرى علماء النفس المسلمون أن المعيار واضح لا لبس ولا غموض فيه، وهو معيار موضوعي يتفق عليه الجميع؛ لأنه لا يدخل فيه اجتهاد شخصي أو فكرة شخصية، فالإسلام هو الذي يحكم على السلوك بأنه سوي أو منحرف، والاختلاف في بعض السلوكيات لا ينقص من ثبات المعيار؛ لأنه اختلاف داخل إطار موحد^(١). قال ﷺ: " الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كراع يرعى حول الحمى، يوشك أن يواقعها، ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله في أرضه محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب"^(٢).

هذا وتبقى مهمة الباحثين التوصل إلى معايير فرعية في إطار المعيار الكلي الشمولي الذي يحكم على العديد من السلوكيات والآراء والممارسات والتجارب الإنسانية المختلفة وما فيها من حق وباطل وخير وشر.

والآباء والأمهات من الفئات التي تفيد من دراسة النمو الإنساني، فيتعرف الآباء والأمهات على أساليب معاملة الأبناء وطرائقها حتى يتحقق لهم النمو السليم، كما كان يفعل ﷺ في معاملته للأطفال فيقدم لهم مثلاً الهدايا التي لها أثر بالغ في نموهم النفسي، فعن عائشة - رضي الله عنها- قالت: قدمت على النبي ﷺ، حلية من عند النجاشي أهداها له، فيها خاتم من ذهب فيه فص حبشي، قالت: فأخذ رسول الله ﷺ بعود معرضاً عنه أو ببعض أصابعه، ثم دعا أمامه بنت أبي العاص ابنة ابنته زينب فقال- " تحلي بهذا يا بنية"^(٣).

فكان تعامله ﷺ مع الأطفال يشعرهم بأهميتهم، لأن أقدس شيء على الإنسان أن يشعر بالتميز وعدم الأهمية، لذا فمن لا يشعر الآخرين بأهميتهم فإنه يصعب عليه أن يصل إلى قلوبهم، ومعاملة الأبناء بعيداً عن العطف والحنان ومصادرة حقهم في الرعاية والعطف يجعلهم عرضة للأمراض النفسية في مستقبل حياتهم وأيامهم، فعلى قدر الرعاية يكون النمو النفسي والاجتماعي سليماً^(٤).

كما يتعرف الآباء والأمهات على الأحكام الشرعية الخاصة بكل مرحلة من مراحل النمو عند الأبناء، مثل الختان، العقيقة، تعليم الصلاة والاستئذان، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذَا بَلَغَ الْإِنْسَانُ أَلْفًا مِّنْ نَّحْوِهَا فَلَیْسَ مِنكُم مَّن كَفَرَ فَلیَسْتَعْدُوا كَمَا اسْتَعْدَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ یُبَیِّنُ اللَّهُ

(١) محمد عز الدين توفيق، التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، مرجع سابق، ٣٤٢

(٢) رواه البخاري، صحيح البخاري، ج١، ص ٢٩، حديث ٥٢.

(٣) رواه أبو داود، سنن أبي داود، ج٤، ص ٩٣، حديث (٤٢٣٥)، حسنه الألباني.

(٤) علي الحمادي، الكنز الذي لا يكلف درهماً، بيروت، دار ابن حزم، ط٢، ١٩٩٨م، ص ٦٠.

لَكُمْ ءَايَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١﴾ وبذلك يحتاط الوالدان لتربية أولادهم التربية الإيمانية السليمة الصحيحة، يقول سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (٢).

ويوجه الآباء والأمهات الأبناء حسب قدراتهم الجسمية والعقلية والنفسية، وبالتالي عدم تكليفهم فوق طاقتهم، كما كان يفعل النبي ﷺ مع الصغار من الصحابة رضوان الله عليهم. فعن زيد بن ثابت قال: أتى بي النبي ﷺ مقدمه المدينة، فقالوا- يا رسول الله- هذا غلام (٣) من بني النجار، وقد قرأ مما أنزل عليك سبع عشر سورة، فقرأت على سول الله ﷺ فأعجبه ذلك، قال: " يا زيد، تعلم لي كتاب يهود، فأني والله ما آمن يهود على كتابي " فتعلمه فما مضى لي نصف شهر حتى حفظته، فكنت أكتب لرسول الله ﷺ إذا كتب، وأقرأ كتابهم إذا كتبوا إليه (٤).
وعنه قال، قال لي رسول الله ﷺ "أتحسن السريانية؟! فإنها تأتيني كتب؟" قلت- لا، قال: " فتعلمها " فتعلمتها في سبعة عشر يوماً (٥).

والدعاة كذلك من الفئات التي تعرف من فوائد بناء النظرية الإسلامية في النمو الإنساني، فيفيدون باختيار الأساليب الدعوية المناسبة بحسب مراحل نمو المدعوين، فالطفل يرغب في القصة، والشاب يريد الإقناع وغيرها من الأساليب، وكذلك التعرف على الدوافع الإنسانية المؤثرة في الأفراد للتركيز عليها عند مخاطبتهم وتقديم طرائق العلاج المناسبة للمشكلات التي يواجهونها كل حسب المرحلة العمرية التي يمر أو يعيشها.

الفرع الثالث - جانب الطبيعة الإنسانية (٦)

إن المعرفة التي يتلقاها الدارسون عن الإنسان غالباً ما يكون مصدرها النظريات الوضعية التي أنتجها غير المسلمين ممن ينتمون إلى بيئات وثقافات اجتماعية مختلفة عن البيئة الإسلامية، وقد تحتوي على مفاهيم مخالفة للإسلام (٧).

(١) سورة النور، آية ٥٩.

(٢) سورة التحريم، آية ٦

(٣) الغلام هو الصبي حيث يقارب البلوغ، ويطلق على الابن الصغير، ويطلق أيضاً على من جاوز البلوغ وقد اختلف اللغويون في هذا الإطلاق فمنهم من اعتبره حقيقياً، فيكون الغلام من قبيل المشترك ومنهم من اعتبره إطلاقاً مجازياً باعتبار ما كان، انظر المعجم الوسيط، المصباح المنير.

(٤) رواه أحمد، المسند، ج ٥، ص ١٨٦، حديث (٢١٦٥٨)، صححه الألباني، انظر مشكاة المصابيح، حديث (٤٦٥٩).

(٥) رواه أحمد، المسند، ج ٥، ص ١٨٢، حديث (٢١٦٢٧)، صححه الألباني، انظر السلسلة الصحيحة، حديث (١٨٧).

(٦) الحديث عن الطبيعة الإنسانية سيأتي مفصلاً في فصل قضايا أساسية في علم نفس النمو من منظور إسلامي" وسنعرض هنا لبعض الحقائق المتعلقة بالإنسان.

(٧) مسعد النجار، نحو نظرية إسلامية في الشخصية، رسالة ماجستير غير منشورة اريد، جامعة اليرموك، كلية التربية، ١٩٩٥م،

ومن أمثلة النظرة الإلحادية تجاه الإنسان والدين ما عبر عنه رسل (Russell) في حديثه المادي الإلحادي عن الإنسان، إذ قال: " الإنسان وليد عوامل ليس بذات أهداف، وأن بدئه ونشوءه وأمانيه ومخاوفه وعقائده، كلها جاءت نتيجة ترتيب رياضي اتفاقي في نظام الذرة، والقبر ينهي حياة الإنسان، ولا تستطيع أية قوة إحياءه مرة أخرى ... ولو لم تكن هذه الأفكار قطعية، فإنها أقرب ما تكون إلى الحقيقة، حتى إن أية فلسفة تحاول إنكارها ستلقى فناءها تلقائياً ... " (١).

فبناء النظرية الإسلامية في النمو الإنساني، يكشف لنا عدداً من الحقائق المتعلقة بالإنسان لعل من أهمها (٢):

أولاً - مكانة الإنسان بين المخلوقات

إن للإنسان مكانة مرموقة مميزة بين المخلوقات التي خلقها الله سبحانه وتعالى، فهو مخلوق مكرم، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (٣).

فإنه سبحانه وتعالى هو الذي خلقه بيده، وجعله في أحسن تكوين وأجمله، وهو الذي نفخ فيه من روحه، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (٤)، وهو الذي أسجد له الملائكة، وسخر له ما في السماوات والأرض حتى يحقق الغاية التي خلق لأجلها، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَ وَبَاطِنًا وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ (٥).

يقول الأستاذ سيد قطب " وقد كرم الله هذا المخلوق البشري على كثير من خلقه كرمه بخلقه على تلك الهيئة، بهذه الفطرة التي تجمع بين الطين والنفخة ... وكرمه بالاستعدادات التي أودعها فطرته، وبالتالي استأهل الخلافة في الأرض ... وكرمه بتسخير القوى الكونية له في الأرض وأمدته بعون القوى الكونية ... وكرمه بذلك الاستقبال الفخم الذي استقبله به الوجود ... وكرمه بإعلان هذا التكريم كله في كتابه المنزل من الملائكة الأعلى ... ومن التكريم أن يكون الإنسان قيما على نفسه، محتملاً تبعه اتجاهه وعمله ... " (٦).

(١) وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى. تعريب ظفر الإسلام خان، دار البحوث العلمية، ط٢، ١٩٧٣م، ص ٢١.

(٢) مسعد النجار، نحو نظرية إسلامية في الشخصية، مرجع سابق، ص ٥-١٣.

(٣) سورة الإسراء، آية ٧٠

(٤) سورة ص، آية ٧٢

(٥) سورة لقمان، آية ٢٠

(٦) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٤ / ٢٢٤١.

وقد كرمه بالعقل الذي هو مركز التفكير والتأمل والتدبر، وهو عجلة القيادة لهذا الإنسان إذ يستطيع به أن يميز بين الحق والباطل وبين الخير والشر، وهو جوهرة ثمينة لا بد أن يراعاه حق الرعاية وأن يسان بعيداً عن الانحراف والتبعية، وبعيداً عن اللهو والعبث بأن يوجه في مساره الصحيح لينتج فكراً صحيحاً بعيداً عن الخرافات والأساطير^(١).

ثانياً - الكشف عن قدرات الإنسان

إن الله سبحانه وتعالى زود الإنسان بقدرات وإمكانات تؤهله وتساعد على أداء المهام التي خلق لأجلها الإنسان، ومن هذه القدرات التي زود بها الإنسان؛ القدرة على التعلم. يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^(٢).

فالآية تدل على أن الله سبحانه وتعالى علم آدم أسماء المخلوقات، وفي تعليمه لأسماء المخلوقات يكون قد علمه اللغة، حتى يستطيع أن ينطق بأسماء هذه المخلوقات، ثم أخذتها ذريته بالسمع، وبذلك تعددت اللغات بين البشر بحسب البيئات المختلفة التي يعيشون بها^(٣). والآية تدل كذلك على سر إلهي أودع الكائن البشري وهو سر القدرة على الرمز بالأسماء للمسميات وسر تسمية الأشخاص والأشياء بجعلها رموزاً تدل على الأشخاص والأشياء^(٤).

فالقدرة على التعلم ليست خاصة بآدم عليه السلام إنما هي لجميع ذريته من بعده، وقد أشار الإسلام إلى مصادر المعرفة التي يمكن للإنسان أن يتعلم من خلالها وهي: الحواس والعقل والوحي، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾^(٥).

ثالثاً - النظرة المتوازنة للإنسان وتحقيق الصحة الجسمية والنفسية والعقلية له

من الفوائد المترتبة على بناء نظرية إسلامية في النمو الإنساني إعادة النظرة المتوازنة إلى الإنسان، وهي الرؤية القرآنية الشاملة غير المبتورة، فنظريات علم النفس التي بحثت النمو الإنساني نظرت إلى الإنسان من منظور ضيق ومن جهة واحدة، أما الإسلام فقد نظر إليه نظرة شمولية متوازنة تشمل جميع جوانب حياته المادية والعقلية والنفسية والروحية، فالنظرة

(١) منى ادعيس، مراحل خلق الإنسان في آيات القرآن الكريم. رسالة ماجستير غير منشورة، نابلس، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، ٢٠٠٣م، ص ١٤.

(٢) سورة البقرة، آية ٣١

(٣) محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتتوير، بيروت، مؤسسة التاريخ، ط١، ٢٠٠٠م، ١ / ١٦٦.

(٤) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٥٦/١.

(٥) سورة النحل، آية ٧٨.

المتوازنة للإنسان تجعل منه قوة دافعة للأمام تسيطر على القوى الأخرى فيعمر الأرض، وفق أوامر الله سبحانه وتعالى.

ومن أمثلة النظرة المتوازنة للإنسان أنه خلق من روح وطين ينزع إلى هذه تارة وإلى الآخر تارة أخرى، فإذا كانت نزعتَه إلى روحه استقام أمره وارتقى بمنازل القرب من الله تعالى، وإذا نزع إلى الطين اعوج عن الطريق المستقيم وهذان أمران موجودان في حياة البشر.

ودراسة النمو تجعلنا على بصيرة بالأساليب والوسائل والعوامل المؤثرة في تحقيق الصحة الجسمية والنفسية والعقلية للإنسان، فالغذاء من العوامل البالغة التأثير في النمو الإنساني، ونقص الغذاء قد يسبب ضرراً عقلياً وجسماً للجنين، كما أن نقصه في مرحلة الطفولة يؤدي إلى ضعف البنية الجسدية للطفل وإلى أضرار عقلية ونفسية - سيأتي الحديث عنها بشكل مفصل في مبحث العوامل المؤثرة في النمو الإنساني - لذا فدراسة النمو من المنظور الإسلامي يسهم في تحقيق الصحة الجسمية والعقلية والنفسية للإنسان في مختلف مراحل نموه.

المبحث الثالث - مصادر دراسة النمو الإنساني في المنظور الإسلامي.

يشمل هذا المبحث أربعة مطالب هي: القرآن الكريم والسنة المطهرة، والتراث الإسلامي، والفكر الغربي المتعلق بالنمو الإنساني.

تمهيد:

يقول أحد المفكرين الغربيين - داعياً إلى إيجاد مصادر أخرى للمعرفة غير العلم؛ كون العلم لا يقدم سوى معرفة جزئية عن الحقيقة - " لقد أصبح العلم شديد الحساسية ومتواضعاً نسبياً، ولم نعد نوقن الآن أن الأسلوب العلمي هو الأسلوب الوحيد الناجح لاكتساب المعرفة عن الحقيقة، وإن علينا لذلك أن لا نعتبر أو لا يطلب إلينا أن نعتبر كل شيء يستطيع العلم تجاهله مجرد وهم من الأوهام.

إن الحماسة التي يظهرها رجال العلم هؤلاء فيما يتعلق بفكرتهم القائلة بأن للعلم حدوداً، ليست مما يثير العجب في حقيقة الأمر، فلو اعتبر ما يقدمه العلم على أنه الحقيقة النهائية، فإن الإنسان نفسه لن يكون سوى ناتج عرضي مشتق من آلات رياضية هائلة لا عقل لها ولا غرض ... فعلينا إذاً أن لا ندهش إذا وجدنا أن الاكتشاف القائل بأن العلم لم يعد يجبرنا على الإيمان بتفاهتنا بالضرورة، قد لاقى ترحيباً وتهليلاً حتى من بعض رجال العلم أنفسهم...⁽¹⁾.

(1) ج سوليفان، حدود العلم، ط1، بيروت، الدار العلمية، 1972م، ص 32 - 33.

لذا فالإنسان دائم البحث عن المصادر الثابتة للمعرفة التي لا تخضع لنواميس العقل البشري الناقص أو لقوانين التجربة المحددة، والمتأمل في الدراسات المتعلقة بالنمو الإنساني يرى أنها تتميز بغياب القوالب الموضوعية الشمولية الموثوق بصحتها كون هذه الدراسات في نهاية المطاف تمثل اجتهادات التجربة الإنسانية المتأرجحة بين الصحة والخطأ^(١).

لعل بعض الدارسين يقول: إن هناك علوماً حديثة، مثل علم النفس، وعلم الاجتماع، ليس لها مصادر يقينية، فيجاب عليهم: إن أصول هذه العلوم متواجدة في ثقافتنا الإسلامية، بل تمثل مضامينها جانباً جوهرياً في حضارتنا، وإن كان تراثنا لم يطلق عليها أسماء مغرية مثل علم النفس، وعلم الاجتماع... كما لم تفرز فيه كموايد مستقلة عن العلوم الأخرى، فإن هذا لا يبطل من الواقع أو ينتقص من الحقيقة.

فمواد هذه العلوم متواجدة في الأصل الأصيل لديننا وحي الله تعالى، فهي ثابتة في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ولكن دون عيوب، وخالية من أي اضطراب أو تناقض أو قصور، كما هو الحال في العلوم الإنسانية في الغرب، ويمكن لخبير في المعاني التي تشتمل عليها هذه العلوم أن يلحظها في كافة تراثنا دونما استثناء، فوحي الله سبحانه وتعالى استقصيت فيه الشؤون الإنسانية جمعاء بينما ما تحملها هذه العلوم هو محدود وقاصر، إضافة إلى أن المقطوع فيه نادر^(٢). وعليه فإن الاهتمام بالنمو الإنساني ومراحله، والعوامل المؤثرة فيه، وخصائص كل مرحلة ليس من نتاج الدراسات الغربية، فالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة بينت وأوضحت المراحل التي يمر بها الجنين وهو في بطن أمه، وهذا ما لم يكشفه علم التشريح إلا حديثاً.

فالغرب يرفض أن يكون الوحي مصدراً للمعرفة، فهو من وجهة نظرهم خرافة وأسطورة، وهذا الرفض للوحي نتيجة للصراع بين الكنيسة والعلماء الذي حُسمت نتيجته لصالح العلماء، مما ولد ما سمي بالثورة العلمية، بينما نحن المسلمين نعدّ الوحي مصدراً معصوماً وهذا يؤثر على وعي المسلم وتفكيره عندما يبحث عن كل نوع من أنواع المعرفة^(٣).
"يعتمد الباحثون الغربيون على العقل والحواس والتجربة مصدراً وحيداً للحصول على المعرفة بالنفس والمادة على السواء، مؤمنين بأن البحث العلمي وحده كفيل بأن يوصل أصحابه لمعرفة الحقيقة، وهذا صحيح وغير صحيح، صحيح إذا ما اتخذ سبيلاً لمعرفة الحقيقة والحصول على المعرفة بالنسبة للمادة في حقول كالفيزياء والكيمياء والأحياء والفلك... وكل

(١) هشام خوجلي، نظريات النمو الإنساني دراسة نقدية من منظور إسلامي، جدة، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠١م، ص ١٨٧.

(٢) عثمان الصافي، أسلمة العلوم الإنسانية، بيروت- دار الكتاب العربي، ط١، ص ١٥-١٦.

(٣) shehu,salisu(1998). Toward an Islamic Perspective of Developmental Psychology. The American- Journal of Islamic. Social sciences psychology 15(4).P 2

ما يتعلق بالطبيعة خلا الإنسان، فإن لمعرفته طريقاً ينبغي أن يضم ويضاف إلى طريقي العقل والتجربة بل يكون مهيمناً عليهما وهو الوحي"^(١).

فأسلوب التجريب يحول دون الفهم الدقيق والصحيح لطبيعة الإنسان ويمنعه، وهذا يؤدي إلى تقليص رؤيتنا للإنسان وإلى مفهوم ضيق للحياة وجعلها تتعلق بالعالم الحسي، فالإسلام لا يرفض أسلوب التجريب ولا ينفي الفائدة منه، لكنه يأخذ بعين الاعتبار الوحي مصدراً للمعرفة وطريقة مؤدية إليها، وعليه فلا بد أن يعترف التجريب بالمكونات الروحية والمادية للإنسان وعلاقتها التفاعلية^(٢).

إن مصدر العلوم الإنسانية الأول للمعرفة وفي مقدمتها علم النفس هو الوحي، وهو لا يشكل المصدر الأول وحسب، وإنما يعد مهيمناً ومصوباً وموجهاً ومقوماً لما تصل إليه الأبحاث الناشئة عن الحس والعقل، وذلك لما فيه من حقائق ومبادئ ومسلمات وقواعد من خالق الإنسان والعالم بما فيه وما يصلح له^(٣).

وأخيراً فإن العلم الحديث لم يعد يرفض الحقيقة الدينية أو يشك فيها كما حدث في القرون الماضية، فهو يعترف بأنه ليست لديه الكلمة النهائية في موضوع هو أكبر من حجمه بكثير^(٤).

وفيما يلي عرض موجز لمصادر دراسة النمو الإنساني من المنظور الإسلامي -

المطلب الأول - القرآن الكريم

أمر الله سبحانه وتعالى عباده أن يتدبروا آيات القرآن الكريم، فكل متخصص يجد فيه بغيته، وكل باحث يجد فيه مهمته، والعقول في تدبر آياته متفاوتة، فكل يستقي من بحاره على قدر إنائه، فلو لم يكن من وراء التدبر فتح من الله على العلماء وسداد وهداية لما كان لهذا الأمر من فائدة، فالذين يقفون عند مجرد الكلمات يصنفون في عداد الأميين^(٥)، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ إِلَّا كَتَبَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُونَ ﴾^(٦).

(١) مروان القيسي. المدخل إلى علم النفس في الإسلام، مكتبة عمران، اربد، ط١، ٢٠٠٦م، ص١٢.

(٢) shehu,salisu(1998). Toward an Islamic Perspective of Developmental Psychology. The American- Journal of Islamic. Social sciences psychology 15(4).P 3

(٣) مروان القيسي، المدخل إلى علم النفس في الإسلام، الأردن، اربد، مكتبة عمران، ط١، ٢٠٠٦م.

(٤) عماد الدين خليل، مدخل إلى إسلامية المعرفة، الرياض - الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ط٣، ١٩٩٢م، ص ٢٥٨.

(٥) خليل الحدرى، التربية الوقائية في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها، وزارة التعليم العالي، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٨هـ، ص ١٢٢.

(٦) سورة البقرة، آية ٧٨

وقد وصف الحق سبحانه الذين يعطلون ملكات العقل عن التدبر والتأمل في آيات الله سبحانه أنهم بالأنعام: ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۗ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ۗ ﴾^(١).

فمن خلال التأمل والتدبر في آيات الله سبحانه وتعالى، يجد الباحث القرآن الكريم مصدراً من مصادر دراسة النمو الإنساني، لا يمكن لمختص أن يدلي ببياناته العلمية المتعلقة بالنمو الإنساني دون أن يقف وقفة متأنية مع مصدر العلم الذي فيه نبأ الأولين والآخرين، يقول تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ۚ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ۗ ﴾^(٢). ويقول سبحانه: ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۗ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۗ ﴾^(٣). فقد حفل القرآن الكريم بالعديد من الآيات التي تتعلق بنمو الإنسان، فأشار إلى مراحل النمو المختلفة عند الإنسان، قال سبحانه: ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَبِّ مِنَ الْبَعَثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنَبِّئَنَّ لَكُمْ ۖ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ ۖ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَقَّفُ ۖ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۖ وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأُنْتَبَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۗ ﴾^(٤).

وقد بين القرآن الكريم بعض العوامل المؤثرة في نمو الإنسان مثل الغذاء، فحرم عليه أنواعا منه لتأثيرها السلبي، وأحل أخرى لأثرها الإيجابي. يقول سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ۗ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۗ ﴾^(٥). ويقول سبحانه: ﴿ وَاللَّاتَّعَمَرَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۗ ﴾^(٦).

(١) سورة الفرقان، آية ٤٤

(٢) سورة الأنعام، آية ٣٨

(٣) سورة فصلت، آية ٤٢

(٤) سورة الحج، آية ٥

(٥) سورة البقرة، آية ١٧٣

(٦) سورة النحل، آية ٥

كما بينت عوامل أخرى تؤثر في النمو الإنساني، مثل الوراثة والبيئة سيأتي تفصيلهما في مبحث العوامل المؤثرة في النمو الإنساني. وأوضح أسس النمو الإنساني وغيرها من الموضوعات ذات الصلة بالنمو الإنساني.

وبعد هذا التوضيح الموجز؛ يجب أن تستمد العلوم النفسية والاجتماعية والتربوية والتاريخية من القرآن الكريم، فلا يجوز للمسلمين أن يتخذوا مصدراً لهذه العلوم غير القرآن والسنة المطهرة، لأن غاية هذه العلوم هي تعبيد الإنسان لربه عز وجل، ولا يكون ذلك إلا عن طريق القرآن الكريم والسنة المطهرة اللذين هما مصدر تحقيق العبودية، وهي الجانب الأهم من الخلافة لله في الأرض، ومن ثم فيجب أن ينبع كل ما هو إنساني من القرآن والسنة^(١).

يقول الدكتور عبد القادر رمزي " ليس القرآن الكريم مجرد مصدر من المصادر بل هو المصدر المقياس لكل تفكير يراد وصفه بأنه إسلامي، مثلما أنه المصدر والمقياس لكل تشريع أو استنباط فقهي، وذلك بالإضافة إلى كونه المنبع الأساسي لكل وجهة نظر إسلامية. وكونه المقياس يعني أنه المقياس الوحيد، وإذا كان ثمة من مصادر أخرى فما هي إلا بيان له أو تفصيل لمقتضيات نصوصه ودلالاتها، فهو مشكاة هذه المصادر وهو مبدؤها، وإليه تعود، هذا هو الأصل في التفكير الإسلامي"^(٢).

المطلب الثاني - السنة النبوية المطهرة

السنة المطهرة هي مجموع ما نقل من أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وتقريراته. أو هي ما صدر عن النبي ﷺ من قول غير القرآن أو فعل أو تقرير^(٣). والسنة حجة على المسلمين يدل على ذلك كثير من النصوص، يقول سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾^(٤). ويقول سبحانه: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٥). أما مكانة السنة من القرآن الكريم، فهي إما أن تكون مقررة ومطابقة لما جاء في القرآن الكريم، أو إنها مبينة لأحكام القرآن فتفصل ما

(١) فاروق دسوقي، الإسلام والعلم التجريبي، بيروت، المكتب الإسلامي، ط١، ١٩٨٧م، ص ١١٣.

(٢) عبد القادر رمزي، النظرية الإسلامية في فلسفة الدراسات الاجتماعية والتربوية، النوحة، دار الثقافة، ط١، ١٩٨٤م، ص ٤٠.

(٣) مصطفى البغا، أصول الفقه الإسلامي، دمشق، دار المصطفى، ط١، ٢٠٠٤م، ص ٦٧.

(٤) سورة الأنفال، آية ٢٠

(٥) سورة النور، آية ٦٣

جاء مجملاً أو تفصيلاً ما جاء مطلقاً أو تُخصص العام أو تُنشئ أحكاماً جديدة غير موجودة في القرآن الكريم^(١).

لقد حفلت السنة النبوية المطهرة بالعديد من الأحاديث النبوية الشريفة التي تبين مختلف الموضوعات التي تتعلق بالنمو الإنساني؛ فأشار بعضها إلى مراحل النمو داخل رحم الأم فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك، فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد ... " (٢).

وكشفت السنة عن حقائق تتعلق بالنمو الإنساني منها على سبيل المثال، أن حيواناً منوياً واحداً هو الذي يلقح البويضة، يقول صلى الله عليه وسلم: " ليس من كل الماء يتكون الولد" (٣).

فالعلم أثبت أن عدد النطاف المنوية في اللقاء الزوجي تزيد على ثلاثمائة مليون، وكل نطفة لها رأس وعنق وذيل تسبح في سائل يغذيها ويسهل حركتها، يتجه هذا العدد الكبير إلى البويضة، كي تلقح بحيوان منوي واحد من ثلاثمائة مليون حيوان، لأنه ما من كل الماء يتكون الولد (٤).

كما بينت السنة النبوية المطهرة العوامل المؤثرة في النمو الإنساني مثل الوراثة، البيئة، العبادات، زواج الأقارب. - سيأتي تفصيلها في مبحث العوامل المؤثرة في النمو الإنساني - وكذلك مبادئ النمو الإنساني وأساسه.

المطلب الثالث - التراث الإسلامي

لم تحظ الدراسات النفسية عند العلماء المسلمين المعاصرين لغاية الآن بالاهتمام اللازم، ببيان دورها في علم النفس وتطوره عبر التاريخ، فالغربيون يبدأون دراساتهم النفسية بدءاً من المفكرين اليونان وبخاصة أفلاطون وأرسطو ثم ينتقلون إلى المفكرين الأوروبيين في العصور الوسطى، ثم إلى عصر النهضة الحديثة، ويغفلون إسهامات الدراسات النفسية للعلماء المسلمين، التي ترجم منها كثيراً إلى اللغة اللاتينية، وليس هذا الصنيع مقصوراً على الغربيين فقط، بل إن العلماء المسلمين العرب الذين يدرسون مقررات علم النفس في البلاد العربية والإسلامية، يحذون حذوهم بإغفال الإسهامات الإسلامية في تاريخ علم النفس (٥).

(١) للمزيد انظر: عبد الكريم زيدان، الوجيز في أصول الفقه، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ٥، ١٩٩٦م، ص ١٦١ - ١٧٨.

(٢) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ٤، ص ٢٠٣٦، حديث ٢٦٤٣.

(٣) رواه الطيالسي، مسند الطيالسي، ج ١، ص ٢٨٩، حديث (٢١٧٥)، صححه الألباني، انظر السلسلة الصحيحة، حديث (١٤٦٢).

(٤) محمد راتب النابلسي، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، آيات الله في الإنسان، دمشق، دار المكتبي، ط ٣، ٢٠٠٥م، ص ١٥٩.

(٥) محمد عثمان نجاتي. الدراسات النفسية عند العلماء المسلمين، القاهرة، دار الشروق، ط ١، ١٩٩٣م، ص ٧.

إن ما أبدعته عقول العلماء المسلمين في مجال الدراسات النفسية بحاجة إلى مختصين لإبرازه بمصطلحات العصر ومفاهيمه النفسية الحديثة، فالناظر في مصنفات العلماء يجد لديهم دقة في العبارة وعمقاً في المعنى، وإحاطة بالبحث من جميع جوانبه.

وعلم نفس النمو كسائر الدراسات النفسية عند العلماء المسلمين، لم يحظ بعناية الباحثين مع أن المتأمل في مؤلفاتهم ومصنفاتهم يلحظ اهتماماً واضحاً بعلم نفس النمو، وهذا ما يحتاج إلى دراسات متخصصة للكشف عن الكنوز المعرفية التي تحويها تلك المصنفات وفيما يلي عرض موجز لأهم اهتمامات العلماء المسلمين بالنمو الإنساني^(١)

- فأين الجزار القيرواني في كتابه " سياية الصبيان وتدريبهم " رسم لنا مسيرة كاملة للطفل من لحظة ولادته حتى نهاية طفولته، وكتابه فيه إبداعات يجب التركيز عليها.

- واحمد حميد الكرمانى في كتابه " راحة العقل " يرسم صورة للنمو الإنساني ويتحدث عن النمو التراكمي، حيث لا ينتقل الطفل من مرحلة سابقة إلى مرحلة لاحقة إلا بعد أن تكتمل المرحلة السابقة. ويربط الكرمانى بين أطوار النمو وقوى النفس ومراحلها، فقد بدأ مقالته بالوراثة وسماها السلالة علماً بأن أي كتاب في علم نفس النمو لا يخلو من هذا المدخل، كما أن ربطه لمراحل النمو بقوى النفس يعطي هذا الافتراض نوعاً من العلمية والموضوعية والإبداع.

- وابن قيم الجوزية في كتابه " تحفة المولود بأحكام المولود " يفصل فيه أطوار بني آدم من كونه نطفة إلى استقراره في الجنة أو النار. فيعرض في الكتاب لموضوعات مختلفة منها بداية الخلق والتكوين وجنس الجنين وشبه الأولاد بأبائهم ومحددات ذلك الشبه والمراعاة والبلوغ وخصائصها وعلاماتها ثم الكهولة فالشيخوخة فالأجل فالبرزخ فالساعة.

- وابن الجوزي في كتابه " تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر " تحدث عن مراحل النمو الخمس، والعوامل المؤثرة في نمو الإنسان، إضافة إلى تحميله الوالدين مسؤولية تربية الأبناء.

- واحمد بن محمد البلدي في كتابه "تدبير الحبالى والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم "قسم مراحل النمو، وبين كيف يتكون الجنين في الرحم، والعوامل المؤثرة في نموه من الغذاء، والنظافة والبيئة.

فالعلماء الذين بحثوا في النمو الإنساني كثر ليس هذا مجال حصرهم وإنما يكفي الباحث ببعض الأمثلة التي تدل وتثبت الاهتمام ببحث النمو الإنساني عند العلماء المسلمين،

(١) نزار العاني. الشخصية الإنسانية في التراث الإسلامي، عمان، دار الفرقان، ط١، ١٩٩٨م، ص ١٢٩-١٣٣.

فهذا الموروث الفكري يجب أن يتحول إلى قوة تشدنا إلى الأمام وأن يصبح معيناً لنا في الدفع إلى المستقبل.

يقول الدكتور سعيد إسماعيل علي " إن موروث كل أمة ليس أمراً شغل فترة من حياتها مضت ولم يعد له وجود بل هو داخل في عناصر تكوين ذاتها الحضارية، ويصبح من الضروري التبصر بكيفية التعامل مع هذا الموروث باعتباره مصدراً من مصادر تربيتها بحيث يخضع لعمليات فحص وتقويم ونقد وانتقاء فلا يتحول إلى قوة جذب تشدنا إلى وراء وإنما يصبح معيناً على تفسير الحاضر ومساهمات قوياً في الدفع إلى المستقبل"^(١).

المطلب الرابع - الحواس والعقل والتجربة

يتضمن هذا المصدر ما وصلت إليه عقول العلماء وحواسهم وتجاربهم وغيرهم من العلماء من خلال بحثهم في النمو الإنساني، شريطة أن يكون الوحي المقياس الوحيد والمهيمن والمصوب والمقوم لما توصلت إليه الأبحاث الناشئة عن الحس والعقل والتجربة؛ وذلك لما فيه من حقائق ومبادئ ومسلمات وقواعد من خالق الإنسان والعالم بما يصلح له.

وقد يرفض بعض الدارسين أن يكون هذا الفكر مصدراً من مصادر دراسة النمو من المنظور الإسلامي ويمكن الرد عليهم إجمالاً بالآتي^(٢):

أ- النظريات الغربية في النمو الإنساني فرضت نفسها، فلم يعد الموقف قبولاً أو رفضاً، بل أصبح الموقف أكثر نضجاً وهو قبول هذه النظريات كما وردت أو العمل على تصحيح مسارها.

ب- الحكم بالرفض يعطي حجة لبعض الدارسين بأن يصفوا الإسلام بمعارضة العلم والبحث العلمي؛ لذا يجب أن تكون الدراسة تفصيلية بحيث يتم رفض نظريات، لأنها تتعارض مع مبادئ الإسلام، وقبول أخرى صحيحة تحتاج إلى صياغة جديدة لتتناسب البيئة الإسلامية.

ج- الدين لا يعارض العلم، فنظريات النمو قدمت حقائق ثابتة إسلامياً، وإذا ثبت أن النصوص الشرعية عارضت حقائق علمية فهذا لأحد سببين، الأول- أن ما يقال عنه حقيقة علمية ليست ثابتة، والثاني- أن النص الشرعي لم يفهم على حقيقته.

د- الإسلام لم يحظر على المسلمين الاطلاع على علوم الآخرين والآخذ منهم؛ لأنه سلحهم بالمنهج الصحيح، بحيث يكون المسلم قادراً على التمييز بين الغث والسمين، والإسلام لا

(١) سعيد إسماعيل علي، أصول التربية الإسلامية، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٥م، ص ٢٤٥.

(٢) محمد عز الدين توفيق، التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر، ط١، ١٩٩٨، ص ٣٢-٣٦.

ينصر بإنكار علوم الآخرين ونظرياتهم، لأن من قاموا بها غير مسلمين بل لأنها مخالفة للإسلام، وعندئذ ينبغي بيان ذلك والاستدلال به بالأدلة الشرعية والعقلية.

المبحث الرابع - التعريف بالمناحي النظرية للنمو الإنساني

يشمل هذا المبحث ثلاثة مطالب - المطلب الأول - أسباب القبول في النظريات الغربية، والمطلب الثاني - ما هي المناحي النظرية لتفسير النمو ونظرياتها، والمطلب الثالث - رؤية نقدية عامة لنظريات النمو.

المطلب الأول - أسباب القبول في النظريات الغربية

إن نظرة فاحصة ومتأملة في كتب علم نفس النمو التي تدرس في الجامعات والمعاهد الإسلامية والعربية تدل الباحث على أن كثيراً منها اعتمد أسلوب النقل والترجمة من المراجع الغربية باعتبارها الأسبق إلى الحقائق ذات الصلة بالنمو الإنساني. وكثيرة هي تلك المصادر تفصل بين العلم والدين، الأمر الذي ينطوي على العديد من المخاطر والأضرار، فالأساس المادي غير الأساس الديني، ونظراً لاختلاف الأساسين فإن أسس دراسة النمو وغاياتها ودلالاتها في البيئات الإسلامية ستختلف بالضرورة عما سواها.

كما أن النقل والترجمة كانا نقلاً مجرداً دون التعرض لما تزعمه النظريات من أباطيل أو حتى الإيماء بالتعليق والنقد والتصويب؛ فقد نقل الأستاذ محمد عثمان نجاتي آراء فرويد في النمو النفس - جنسي، دونما الإيماء برفضه للآراء الغربية التي تتعارض مع الذوق والطبيعة الإنسانية السوية^(١).

إن النقل العلمي الذي يحرص فيه على توثيق المعلومات إلى درجة نسيان إحقاق الحق وإنكار المنكر هو أخطر ما يمكن أن يؤثر في ثقافة الأمة والإسلام بخلاف سائر الأديان (والمعارف الوضعية بطبيعة الحال)، فليس اتجاه العقل اتجاهاً روحياً يمكن تقريبه من الأوضاع الثقافية المختلفة، بل هو فلك ثقافي مستقل ونظام اجتماعي واضح الحدود. فإذا امتدت مدينة أجنبية بشعاعها إلينا وأحدثت تغييراً في جهازنا الثقافي - كما هو الحال اليوم - وجب علينا أن نتبين لأنفسنا إذا كان هذا الأثر الأجنبي يجري في اتجاه إمكانياتنا الثقافية أو يعارضها، وما إذا كان يفعل في جسم الثقافة الإسلامية فعل المصل المجدد للقوى أو فعل السم^(٢).

(١) هشام خوجلي، علم نفس النمو. مرجع سابق، ص ٢٠

(٢) محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة د. عمر فروخ، بيروت، دار العلم للملايين، ط ١٦٦، ١٩٦٥م، ص ١٨.

والشيء الوحيد الذي لا يستطيع المسلمون أن يتمنوه هو أن ينظروا بعيون غربية ويروا الآراء الغربية، إنهم لا يستطيعون إذا أرادوا أن يظلوا مسلمين، أن يتبدلوا بحضارة الإسلام الروحية تجارب مادية من أوروبا^(١).

والأمر الذي يدعونا للنظر إلى تلك النظريات برؤية نقدية، أن كثيرا من نظريات علم النفس الغربي تتصادم مع رؤيتنا نحن المسلمين نحو الكون والحياة والإنسان والغاية من الحياة. وعليه فلا بد أن ننتقد ونمحص ونفرز، ثم نختر حتى نتجنب تناول السم الثقافي والانحلال الأخلاقي والشعور بالدونية تجاه معارف الآخرين.

وثمة أسباب عديدة جعلت المسلمين يقبلون هذه النظريات دون نقد أو تمحيص منها^(٢):

- معظم المسلمين هجروا إسلامهم وتهاونوا في تطبيق أحكامه وأخذوا إلى الدعة والراحة، بل تعلقوا بالدنيا وتفرقوا إلى أحزاب متصارعة أدى بهم إلى القبول بكل ما هو غربي.
- تقشي الجهل بين المسلمين وبعدهم عن العلم لا سيما في القرون المتأخرة، بعد القرون العلمية التي احتل فيها المسلمون قمة الحضارة، وكانوا هم قادة الركب الإنساني إلى تصحيح كل فكر منحرف.
- فتنة الأمة الإسلامية بالحضارة الغربية، وتطلعها بشغف إليها وإنبهارها بمنجزاتها، وهذا ما أوهم طلائع المتقنين والمتغربين من أن التقدم الحضاري المادي، هو مظهر للتقدم في كل ما يضمن سعادة الإنسان. وظل المتغربون يقومون بالدور السلبي في البيئات العربية والإسلامية، فنقلوا الاتجاهات الفكرية من الجامعات الغربية إلى الجامعات العربية والإسلامية، وأبقوا مؤلفات أساتذتهم تشكل سلطة مرجعية عليهم في التأليف، وانعكس ذلك على بحوثهم التي يقيمونها في العالم الإسلامي.
- تراكم النكبات التي تعرض لها المسلمون على مدى القرون الماضية، مع حالة الضعف النفسي التي وصلوا إليها، وأثناء هذه الحالة من اليأس والذهول تسلل كثير من النظريات والمذاهب إلى شعوب الأمة الإسلامية وقبلوا بها وعملوا على تطبيقها في مناهجهم التعليمية.
- فقدان الإدراك السليم الكامل الشامل للمفاهيم الإسلامية الذي يتولد عنه نتائج خطيرة لعل من أهمها:

- أ- الخلل في وحدة النظام الشمولي للمفاهيم الإسلامية التي تكمل بعضها بعضا.
- ب- تشتت وحدة المسلمين لأن لكل فريق صورة إسلامية خاصة به.

(١) المرجع السابق، ص ٧١.

(٢) عبد الرحمن حسن الميداني، كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، دمشق، سوريا، دار القلم، ط١، ١٩٨٥م،

- الإيهام بأن هذه النظريات والأفكار غدت من المسلمات العلمية والحقائق التي لا تقبل النقض ولا النقد، فتعرض على أنها أم المكتشفات العلمية، ويستشهد بها على أنها حقائق مقطوع بصحتها، ولتأصيلها في الأذهان بوجه النقد الشديد لمن يخالفها^(١).

المطلب الثاني- المناحي النظرية في علم نفس النمو.

يختلف الباحثون النفسيون في تصنيف المناحي النظرية في علم نفس النمو، فمنهم من يرى أن هناك ثلاثة نماذج رئيسة للتطوير في علم نفس النمو هي- النموذج التراكمي الآلي وهو نموذج المثير والاستجابة، والنموذج البنوي العضوي وهو نموذج البناء والوظيفة، والنموذج الجبري التكتفي وهو الكفاءة والأداء^(٢).

فمن أهم النظريات التي تتبع النموذج التراكمي الآلي، نظرية التعلم الاستجابي، والتعلم الإجرائي والتعلم بالملاحظة، وكلها تنظر إلى النمو الإنساني باعتباره مزيداً من الخبرات المتمثلة في وجود استجابات معينة.

أما النظريات التي تتبع النموذج البنوي العضوي، فهي نظرية التحليل النفسي (فرويد) ونظرية (اريكسون) في النمو الاجتماعي، ونظرية (بياجيه) في النمو المعرفي، ونظرية (كولبرج) في النمو الأخلاقي، ونظرية (هارلو) في التعلق الاجتماعي وكلها ترى بأن النمو يسير في مراحل، ينشأ في كل مرحلة تركيب معين يؤدي وظيفة معينة مرتبطة به وتشكل مجال التفاعل مع المحيط ووسيلته.

في حين أن النظريات التي تتبع النموذج البنوي التكتفي، هي نظرية (ارنولد جيزل) في النمو الإنساني، ونظرية (تشومسكي) في النمو اللغوي، وكلها تنظر إلى النمو باعتباره تكشف لقدرات سابقة التشكيل وان النمو في أساسه عملية تلقائية، وأن دور التدوين فيها محدود.

وثمة رأي آخر في دراسة علم نفس النمو، يرى أن هناك خمسة اتجاهات رئيسة هي: اتجاه التحليل النفسي، واتجاه التعلم، والاتجاه المعرفي، والاتجاه الايثولوجي، والاتجاه السياقي، وفيما يلي عرض موجز لكل منها^(٣):

• اتجاه التحليل النفسي:

يقصد بالتحليل النفسي إحدى طرق العلاج النفسي التي تستند إلى اعتقاد مفاده: أن جذور معظم الاضطرابات النفسية تكمن في الصراع اللاشعوري بين مكونات الشخصية. ومن

(١) عبد الرحمن الميداني، كواشف زيوف. مرجع سابق، ص ١١٧.

(٢) محمد عودة ومحمد رفيق عيسى. الطفولة والصبا، مرجع سابق، ص ١١٤-١١٥.

(٣) معاوية محمود أبو غزال، نظريات التطور الإنساني وتطبيقاتها التربوية. مرجع سابق، ص ٤٧-٥٧.

أبرز نظريات هذا الاتجاه النظرية النفسية الجنسية (لفرويد) والنظرية النفسية الاجتماعية (أريكسون).

• اتجاه التعلم:

يبحث هذا الاتجاه في السلوك القابل للملاحظة ويتم دراسته بمنهج موضوعي علمي تجريبي، وينظر هذا الاتجاه إلى أن النمو عملية تغير مستمرة، وليست مراحل متعددة، مركزاً على التغيرات الكمية في النمو. وهذا الاتجاه جعل دراسة النمو عملية والمصطلحات المستخدمة دقيقة.

ومن أشهر النظريات التي تمثل هذا الاتجاه، نظرية الإشراف الكلاسيكي للعالم الروسي (بافلوف) ونظرية الإشراف الإجرائي لعالم النفس الأمريكي (سكنر)، ونظرية التعلم الاجتماعي (الباندورا).

• الاتجاه المعرفي:

يبحث الاتجاه المعرفي في العمليات المعرفية (كالتذكر) والسلوكيات، فهو وجهة نظر تركز على عمليات التفكير والسلوكيات التي تعكسها هذه العمليات، ومن أشهر النظريات التي تمثل هذا الاتجاه نظرية (بياجيه) في المراحل المعرفية، ومنحى معالجة المعلومات، ونظريات البياجيون الجدد.

• الاتجاه الايثولوجي:

الايثولوجيا هي الدراسة العلمية لسلوك الحيوانات، ومن ضمنها الإنسان، في ظروفها الطبيعية، بهدف فهم الكيفية التي يتم بها تطوير أنماط سلوكية خاصة، ثم التعرف على وظائفها التكيفية، ومن أشهر نظريات هذا الاتجاه نظرية دارون، ونظرية التعلق (بولبي).

• الاتجاه السياقي:

ويبحث هذا الاتجاه في النمو من خلال السياق الاجتماعي الذي يحدث فيه، فالفرد ليس عنصراً مستقبلاً للمؤثرات، بل هو عنصر لا ينفصل عن بيئته ولا يمكن أن يكون مستقلاً عنها، ومن أشهر نظريات هذا الاتجاه النظرية الثقافية الاجتماعية (فايجوتسكي) ونظرية الأنظمة (برونفنبرغر).

سيتناول الباحث في هذا الفصل أشهر النظريات التي تمثل الاتجاهات السابقة بالبحث، ذكراً العناصر الأساسية للنظرية بشكل موجز، وموضحاً أهم الإيجابيات والسلبيات لكل نظرية من النظريات المدروسة، أي الرؤية النقدية التي تحدث عنها سابقاً. والرؤية النقدية لنظريات علم نفس النمو ضرورة ملحة لأسباب عدة منها:

- الواجب العلمي والأخلاقي المتمثل في الكشف عن مكامن الخلل في النظريات، وخاصة أن كثيراً من الباحثين يأخذون هذه النظريات، أخذ المسلمات العلمية التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها.

- الواجب الديني، المتمثل بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فعن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: " والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتتهونن عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونني فلا يستجاب لكم"^(١).

ففي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حراسة للمجتمع من الفساد والأفكار الضالة، وإضعاف لأهل الباطل وأقوالهم، وتمكين لأهل الحق والخير والفضيلة في المجتمع، وشيوع للأفكار والمبادئ السليمة، بل الحفاظ على سلامة النفوس من كل ما يؤدي بها إلى الضلال.

تمتطلب الثالث - رؤية نقدية عامة لنظريات النمو.

قبل البدء بنقد نظريات النمو نقداً تفصيلياً لكل نظرية على حدة، لا بد من نقد هذه النظريات نقداً عاماً يوضح الأسس التي تقوم عليها، وفي ضوء النقد العام يتبين قربها أو بعدها عن الإطار الإسلامي العام.

الفرع الأول - استبعاد الدين عن النظريات وقيامها على الأصول العلمانية.

يلحظ القارئ الجيد لنظريات النمو بخاصة للنظريات النفسية بعامة بوضوح أن هذه النظريات قد استبعدت الدين عن عناصرها بل إنها قامت على أصول وثنية ولفهم طبيعة هذه النظريات يجب تطبيق ما يسمى بمنهج علم اجتماع المعرفة Sociology of Knowledge وهذا المنهج يكشف عن الأبعاد العقديّة والسياسية التي تقف وراء النظريات؛ وبتطبيق هذا المنهج في النظريات السلوكية والنمائية فرويد، واطسون، سكرنر.... وبالرجوع إلى أصول الثقافة الغربية التي قامت على فكرة تعدد الآلهة واستمرار الصراع بين الآلهة بعضهم البعض، فإن المحللين يؤكدون أن التصور الوثني الإغريقي مؤثر في العديد من النظريات، ويتضح ذلك عند دراسة رؤية هذه النظريات للدين وللضوابط الدينية والأخلاقية والعقدية، فتصورت النظريات أن الدين أمر معارض لطبيعة الإنسان ومعوق لانطلاقته في الحياة^(٢).

ومن الأمثلة الدالة تأثر الفكر الفرويدي بشكل واضح بأسطورة أوديب^(٣) التي تتمثل في أن ابناً فقدّه أبوه، وعاش في مجتمع مختلف، وقاد جيشاً وحارب جيش والده وقتله دون أن

(١) رواه الترمذي، سنن الترمذي، ج٤، ص ٤٦٨، حديث رقم (٢١٦٩)، حسنه الألباني، انظر صحيح وضعيف الجامع الصغير، حديث رقم (٧٠٧٠).

(٢) نبيل محمد السمالوطي، الإسلام وقضايا علم النفس الحديث، جدة، السعودية، دار الشروق، ط٢، ١٩٨٤م، ص ٥٢.

(٣) عقدة أوديب، الرغبة الجنسية الموجودة عند الطفل الذكر تجاه أمه وللغيرة والخوف من العقاب الأبوي، وذلك حسب رأي فرويد انظر معاوية أبو غزال، مرجع سابق، ص ٧٣.

عقدة الكترا، الرغبة الجنسية عند الطفلة تجاه الأب، والخوف من عقاب أمها، ص ٧٤.

يعرفه، وتزوج أمه، وبذلك تحققت نبوءة عراف إغريقي لوالد أوديب، وفرويد قال بوجود عقدة أوديب لكل مولود فالابن يتوحد مع الأب من أجل الاستحواذ على الأم، والبنت تتوحد مع الأم من أجل الاستحواذ على الأب^(١).

وفرويد قصر الجانب الفطري على الدوافع الحيوانية وجعل العقائد والقيم أشياء خارجية مفروضة على الإنسان، وهي تتعارض مع نزعاته الفطرية وهذا خطأ لأن الإنسان يتميز عن الحيوان بجانب روحي هام هي نفخة الله تعالى فيه^(٢).

والمدرسة السلوكية تنكر وجود القيم والمعتقدات، وهذا ما يشير إلى نزعتها الإلحادية، فليس هناك نزعة فطرية للتدين، ولا يوجد تعلق فطري واضح بوجود الله تعالى، فهي تنكر وجود القدرات والاستعدادات الفطرية المسبقة، فليس هناك قدرات منحها الله سبحانه وتعالى للإنسان^(٣). فنظريات النمو (وعلم النفس بشكل عام) أسقطت أحد أهم المكونات الرئيسة للسلوك الإنساني وهو الدين رغم ازدياد الشواهد العلمية الحديثة على أهميته، فهي تكفي بالجوانب النفسية والبيولوجية والاجتماعية كمكونات وحيدة للسلوك الإنساني، لسهولة تحديدها بالنسبة للناحية الروحية أو لرفضها للجانب الروحي لأنه ينبثق من التصور الديني^(٤).

ومن الأمثلة الدالة على استبعاد الدين من نظريات علم نفس النمو الغربية وتأثر البيئة الإسلامية بذلك:

أولاً - غياب مصطلح النمو الديني ومفهومه

فالسمة البارزة والمميزة لظاهرة النمو لدى أفراد المجتمع المسلم هي النمو الديني، الذي يتصل بالمنهج القويم والعمل الصالح، والمتأمل في مؤلفات علم نفس النمو الغربية والعربية والإسلامية يلحظ غياب هذا المظهر الأساسي من مظاهر النمو.

إن تأثر النمو الديني بمظاهر النمو الأخرى الجسمية والنفسية والعقلية والاجتماعية بالغ الأهمية، لذا فمن الخطأ الفادح الفصل بين مظهر النمو الديني ومظاهر النمو الأخرى " ... ولا يمكن على الإطلاق تجاهل تأثيرات المظهر النمائي الديني في مظاهر النمو الأخرى، وليست العبرة في أن يسعى الفرد لتحقيق الصحة الجسمية والنفسية والعقلية والاجتماعية المثالية، بمعزل عن شكر الله على نعمة الصحة، واستخدامه لعقله السليم في معرفة الله تعالى، وتفعيل انتماؤه إلى الجماعة بما يحقق التكافل والتراحم والانسجام المطلوب ولهذا، فيمكن القول: بأن

(١) نبيل السالموطي، الإسلام وقضايا علم النفس الحديث، مرجع سابق، ص ٥٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٥٥.

(٣) المرجع السابق، ص ٥٧.

(٤) مالك بدري، علم النفس الحديث من منظور إسلامي في المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية، تحرير، الطيب زين العابدين.

فرجينيا، الولايات المتحدة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٩٩٢م، ج٣، ص٣٤٦.

مظاهر النمو جميعها بالنسبة للمسلم يمكن أن تُصَب في بحر السلوك الديني الراسخ، بما يضمن للفرد تحقيق السعادة، مما يعني أنه من الخطأ الفادح الفصل بين مظهر النمو الديني ومظاهر النمو الأخرى^(١).

ثانياً - غياب توظيف النصوص الدينية في الحقائق النمائية

نظريات النمو الغربية وانسجاماً مع مبدأ استبعاد الدين عن هذه النظريات، لم تحفل بالإفادة من أي نص ديني، حيث نلاحظ غياب توظيف نصوص القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في متن المؤلفات في علم نفس النمو المنتشرة في البيئات العربية والإسلامية وإن كان أصل المتن مأخوذاً عن الغرب.

يقول الدكتور إسماعيل الفاروقي داعياً - إلى عدم استبعاد الدين عن الحياة بكل مكوناتها - " لازم وحتمي لجميع الدراسات سواء كانت تتصل بالفرد أو الجماعة، بالإنسان أو الطبيعة، بالدين أو العلم، أن تعيد تنظيم نفسها تحت لواء مبدأ التوحيد، أي أن الله - سبحانه وتعالى - موجود وهو واحد وهو الخالق، الملك، الوهاب، الرزاق، وهو مسبب الأسباب، وهدف وغاية كل شيء في الوجود، وأن جميع المعرفة الموضوعية عن العالم تعد معرفة لإرادته وتدبيره وحكمته وأن جميع نوايا البشر ونضالهم تتقرر بإذنه وأمره، ويجب أن توجه جميعها للالتزام بأمره أي الالتزام بالنمط الإلهي الذي أوحى به، حتى تجلب السعادة والهناء للبشر"^(٢).

الفرع الثاني - الأخطاء المنهجية التي وقعت بها النظريات

تقوم النظريات الغربية والمتعلقة بالنمو الإنساني على جملة من الأخطاء التي يدهش القارئ تتوعها إلا أن أكثرها خطورة، الأخطاء المنهجية، وهنا يجد العالم المسلم أن من واجبه أن يكشف فساد أية وجهة نظر تبني على أخطاء منهجية، فالحق يستبعد ما عداه ولا يقبل أنصاف الحلول. ومن أهم الأخطاء المنهجية التي وقعت بها النظريات الغربية:

أولاً - العينات التي تجري عليها الدراسة

إن من بديهيات البحث العلمي أن تكون العينة التي يجري عليها البحث ممثلة تمثيلاً صادقاً للنوع أو الشيء المراد دراسته، ومعرفة خواصه وترتيب النتائج عليه، وهذا غير متحقق في بعض الدراسات والنظريات.

يقول الأستاذ محمد قطب " إننا نتعرض لخطأ علمي فادح حين نأخذ العينة البشرية التي ندرسها من جيل معين من أجيال البشر، ثم نستخرج منها نتائج عامة، ولو قمنا بإجراء

(١) هشام خوجلي، علم نفس النمو، مرجع سابق، ص ٢٦.

(٢) إسماعيل الفاروقي، صياغة العلوم الإجتماعية صياغة إسلامية، فرجينيا، الولايات المتحدة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي،

١٩٨٩م، ص ٢٠.

التجارب على كل أفراد الجيل، وهذا مستحيل بالطبع! ... لأن الجيل الذي نختاره للدراسة قد لا يكون ممثلاً للنوع البشري في جميع أحواله، وقد تكون هناك أجيال أخرى منه ذات خصائص مختلفة^(١) ففي نظرية فرويد كانت عينته المرضى النفسيين، وبنى نظريته على هذا الأساس، وبياجيه كانت عينته أبناء البيئة الغربية فقط.

ثانياً - تعميم الكشوف " إرغام الكشف المعرفي المحدود ليكون عقيدة شمولية"

عرفنا أن العينات التي تؤخذ لا يمكن أن تكون ممثلة لجيل أو للبشرية فهي لم تجر في أماكن مختلفة من الأرض ولم تطبق في بيئات مختلفة ولا على أناس من عقائد مختلفة ورواسب ثقافية مختلفة. ورغم ذلك كله تأتي المغالطة التعميمية التي هي من أخطر المغالطات الفكرية التي تقف عليها النظريات والمذاهب الفكرية في مختلف الميادين والمعارف التي اختلط فيها الحق بالباطل^(٢).

والأصل أن الجزم بالتعميم لا يكون إلا نتيجة استقراء تام لكل الجزئيات التي تدخل في العموم، فإذا اتحد الحكم في كل الوحدات الجزئية أو العينات في البيئات المختلفة أمكن عندئذ إصدار حكم كلي عام عليها جميعها^(٣).

وهنا لا بد لأصحاب النظريات أن يعلنوا في تواضع علمي، تمليه روح العلم ذاته أن النتيجة المعلنة هي: هذا ما وجدناه في تجاربنا على هذا الجيل أو الفئة في المجالات التي أجريت عليها التجارب، وأن نتائجها ذات دلالة ظنية لا يؤمن تعميمها في الواقع كله^(٤).

ويتساءل الإنسان ما الدافع أو الهدف من وراء هذا التعميم وإرغام الكشف المعرفي المحدود على أن يكون عقيدة شمولية؟ والإجابة أن بعداً نفسياً يكمن وراء إرغام الكشف المعرفي المحدود لأن يصبح عقيدة شمولية، فالعالم الذي اكتشف مفتاحاً ما من المفاتيح التي يمكن أن تكتشف شيئاً عن حقيقة الإنسان ووجوده يسعى بشكل دؤوب لمد اكتشافه ليغطي مساحات طويلة معقدة ومتشابكة ... فهو يريد أن يحتكر حق الكشف والتفسير والتحليل لنفسه، ويصادر من الآخرين حقهم في أن يكتشفوا ويبتكروا نظريات ونظم تنافس كشفه بطريقة ما... والعلم هنا يقول كلمته في أنه ليست ثمة حقيقة في أي ميدان من ميادين العلم المادي أو الحيوي يمكن أن يفسر بها العالم كله. أو الإنسان بجوانبه المختلفة، بل إنها تفسر جانباً من الجوانب ولكن ليس كل الجوانب بأي حال من الأحوال^(٥).

(١) محمد قطب، حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، مرجع سابق، ص ٨٦.

(٢) عبد الرحمن الميداني، كواشف زيوف، مرجع سابق، ص ١٢٥.

(٣) المرجع السابق، ص ١٢٦.

(٤) محمد قطب، حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، مرجع سابق، ص ١٦١.

(٥) عماد الدين خليل، العلم في مواجهة المادية قراء في كتاب حدود العلم لسوليفان، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٩٨٣م،

الفرع الثالث - الموضوعية المزعومة

إن من أهم الإشكالات في النظريات النفسية المتعلقة بالنمو خاصة، المفهوم المقدس عن الموضوعية المطلقة، وجريا وراء هذا العنوان نقلت هذه النظريات بكل ما تحمل من قيم وأخلاق.

يقول الأستاذ محمد قطب داحضا موضوعية النظريات النفسية الغربية: ومنها نظريات النمو - " تقوم دعوى الموضوعية في الدراسات النفسية على أساس أن معظم أبحاث علم النفس اليوم قد أصبحت تجريبية تجري في المعمل، ويقوم الباحثون بتحليل النتائج تحليلا علميا، فلا يكون فيها موقف ذاتي، إنما تفرض التجارب نتائجها بنفسها، ودور الباحث محصور في بيان النتائج المستخلصة بعد إجراء التحليلات العلمية على التجربة، وعمل الإحصائيات اللازمة التي تبين مدى مصداقيتها. وهذا المنهج في الدراسات النفسية على ما يقدم من معونة للدارسين، وخاصة في مجال التعليم، وفي مجال تعليم الصغار على الأخص - مملوء بالثغرات التي يجب أن يتجنبها التأصيل الإسلامي^(١).

إن هناك اختلافاً واضحاً بين النظريات المتصلة بالإنسان والعلوم الطبيعية، ومرد هذا الاختلاف إلى أن النظريات المتصلة بالإنسان ترتبط بمشاعره وعواطفه وهي حالات يصعب بل يستحيل إخضاعها للقوانين التي خضعت لها الظواهر الطبيعية، فالمفاهيم الإنسانية تتصل بأعماق النفس ويستحيل تحريرها من الأهواء والميول والمصالح كل هذا يجعلها متعذرة الخضوع لما تخضع له العلوم الطبيعية^(٢).

وخطأ الباحثين الغربيين في نظرياتهم المتصلة بالإنسان قياسه على المادة، وهذا خطأ فاحش فلتن كانت المنهجية العلمية المعتمدة على العقل والتجربة تصلح للتعامل مع الجانب المادي في كيان الإنسان فإنها لا تصلح للتعامل مع الجانب غير المادي^(٣).

فأمر العلم التجريبي أمر يستحق التأمل والتحقيق، فالعلم ما زال في طفولته، وكل يوم يرقى إلى آفاق جديدة، فيلغي المعلومات التي كان ينظر إليها على أنها حقائق نهائية لا تقبل الجدل، فالاكتشافات العلمية الجديدة في العلوم الطبيعية والبحثية، تثبت خطأ نظريات كان ينظر إليها على أنها حقائق أو نظريات علمية نهائية، وينظر إليها في هذا الوقت على أنها خرافات وأساطير؛ هذا في العلوم البحثية التي تخضع خضوعاً تاماً وكاملاً للتجربة العلمية، فالأولى أن

(١) محمد قطب، حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، مرجع سابق، ص ١٥٨.

(٢) أنور الجندي، مفاهيم العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق في ضوء الإسلام، مرجع سابق، ص ١٣.

(٣) مروان القيسي، المدخل إلى علم النفس في الإسلام. إريد، الأردن، مكتبة عمران، ط ١، ٢٠٠٦م، ص ١٢.

تكون أكثر نضجاً واحتراساً حين نتلقى النظريات المتصلة بالإنسان والتي تتصل بمجاهيل لم يتح للعلم التجريبي أن يصل إليها حتى اليوم^(١).

ومما يؤكد بطلان الموضوعية المطلقة ويؤكد وهم الحياد وحتمية التحيز في علم النفس بشكل عام، أن هذا العلم في الولايات المتحدة الأمريكية يركز على الذاتية والفردية وروح المنافسة، وفي الدول الاشتراكية يهدف إلى تأكيد الروح الجماعية وعدم تميز كل فرد عن الآخر، فكل مجتمع أهدافه وقيمه ومعايير الخاصة، لذا يركز هذا العلم في كل مجتمع على تأكيد القيم والمعايير الخاصة به. وعليه فنظهر خطورة استيراد العلم وهي أكثر خطورة من استيراد التكنولوجيا والأدوات والسلع الاستهلاكية، فعملية الاستيراد ليست محايدة، فاستيراد الفكر يؤدي إلى استيراد مشوه للقيم والمعايير.

الفرع الرابع - اضطراب النظريات في بحث موضوع التطور والإنسان بشكل عام وتقديمها
معلومات جزئية احتمالية

يخلص المتأمل في نظريات النمو إلى أنه لا يوجد ولو نظرية واحدة حازت على قبول الجميع، وكذلك ليس هناك نظرية واحدة استطاعت تفسير كل جوانب النمو عند الإنسان^(٢)، وهذه النظريات تعاملت مع الإنسان على أساس تصور فلسفي يراه صاحب النظرية حول طبيعة الإنسان ونموه، ففرويد ينظر إلى الإنسان على أساس الغريزة الجنسية وانه ذو طبيعة نزاعة للشر وأنه "فرد مكتمل الأعضاء يعيش تارة في عالم الحقيقة، وتارة في عالم الخيال، تعترضه صراعات وتناقضات داخلية، قادر على أداء الفكر والفعل العقلاني يتحرك بواسطة قوى لا يعلم عنها إلا الشيء اليسير، ووحى لا يمكنه الوصول إليه ويتسم بالحيرة ووضوح الفكر، الرضا والإحباط الأمل واليأس الأنانية والغيرية، وباختصار إنسان معقد"^(٣).
وبباجيه يتعامل مع الإنسان من جانب الوراثة، فالأطفال يقومون بالاكشاف، ولا تدعو الحاجة إلى وجود دوافع خارجية، فالأطفال مثارين داخليا ويستخدمون المخططات الموجودة لديهم فعلاً^(٤).

والمدرسة السلوكية (سكنر) تعاملت مع الإنسان على أساس أنه ذو طبيعة محايدة، وأن كل سلوك يسلكه هو سلوك متعلم يخضع لقوانين التعلم التي استنبطها الباحثون من تجاربهم على الحيوان في المختبرات وترك هؤلاء الإنسان وعقله ومشاعره جانباً^(٥) فمنطلق سكنر

(١) محمد قطب، الإنسان بين المادية والإسلام. بيروت، لبنان، دار الشروق، ط٧، ١٩٨٢م، ص٢.

(٢) معاوية أبو غزال. نظريات التطور الإنساني، مرجع سابق، ص ٤٧.

(٣) باتريشيا هب، ميلر، نظريات النمو، ترجمة محمد عوض الله سالم وآخرين، عمان، الأردن، دار الفكر، ط١، ٢٠٠٥م، ص١٣٥.

(٤) للمرجع السابق، ص ٧٢.

(٥) محمد محروس الشناوي، بحث في التوجيه الإسلامي للإرشاد والعلاج النفسي، مرجع سابق، ص ٣٠٧.

بيولوجي ولا يرى أن يشغل علم النفس بالشخصية والوعي والنفس وإنما بأجهزة الجسم العضوية، فالإنسان في جانب بيولوجي ولا خيار له في آرائه إلا في مستوى خياراته في الهضم الذي يجري في بطنه^(١).

فهذه النظريات أحدثت اضطراباً في نظرتها إلى الإنسان فهي تخلط خطأً معيياً بسبب نظرتها إلى الإنسان، وإصرارها على تفسير الكل الإنساني بالجزء الذي تهتدي إليه، ولا يقف خطؤها بإعطاء صورة مشوهة ومزورة عن الإنسان بل تضع كذلك الاستفادة من الحقائق الجزئية في مكانها الصحيح، ويزيد الخطأ حين تنشأ على أساس هذه النظرة الجزئية نظريات في الاقتصاد والاجتماع والأخلاق والسلوك وينتهي الأمر إلى تدمير الإنسان بسبب جهلنا المطبق بحقيقته^(٢). ثم إن المعلومات الجزئية التي كشفتها نظريات النمو لن تكون في أرقى حالاتها إلا علماً احتمالياً، فعلماء النفس الذين نظروا إليها ينقضون بنيانهم وينكثون غزلهم، فلم يعد التحليل النفسي الفرويدي، ولا معطيات بافلوف واقتناناته الشرطية وغيرها من النظريات حقاً متقدراً مطلقاً، إذ يرد بعضها الآخر، الأمر الذي يؤكد أن هناك خطأ ما.

إن نظريات النمو على نقيض العلوم الطبيعية، فتبدو أشد قصوراً وأقل كفاية لأنها بنيت على مفاهيم غير محددة إلى درجة لا يمكن وصفها بأنها مفاهيم علمية، فمفهوم "الدافع الجنسي" عند فرويد مثلاً أريد به تفسير أشياء كثيرة جداً إلى درجة أنه لم يفسر شيئاً محدد^(٣).

الفرع الخامس - عدم وضوح غاية الخلق في النظريات

نظريات النمو لم تحدد الغاية من دراسة النمو؛ فالنمو هو وصول الأمر إلى غايته، والنمو الإنساني عملية تغيير مستمرة متسلسلة منتظمة تهدف إلى إكمال الإنسان، والسؤال الذي يطرح هو: ما الكمال الذي تسعى إليه نظريات النمو؟^(٤) هل هو القدرة على القيام بالتفكير الرمزي أم رضی الفرد عن الطريقة التي تم إشباع رغباته من خلالها؟ أم أن يصل الإنسان إلى نتيجة أنه تطور وترقى من أصل حيواني إلى أن أصبح إنساناً؟ أم أن يرى الإنسان نفسه أنه فاقد الإرادة ولا خيار له في آرائه أم أنه إنسان معقد لا يستطيع أحد أن يفهم حقيقته؟ ومن جهة أخرى فإن هدف النمو والكمال وغايته التي يسعى إليه، واضح في المنظور الإسلامي ومتمثل في أن يحقق الإنسان مهمته في إعمار الأرض بمنهج الله، ويجتهد في تحقيق العبودية لله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾^(٥).

(١) محمد عز الدين توفيق، التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، مرجع سابق، ص ١٢٥.

(٢) محمد قطب، دراسات في النفس الإنسانية، بيروت، لبنان، دار الشروق، ط٦، ١٩٨٣م، ص ٢٣.

(٣) ج. سوليفان، حدود العلم، مرجع سابق، ص ١٠.

(٤) محمد عودة، الطفولة والصبا، مرجع سابق، ص ١٠٧.

(٥) سورة الذاريات، آية ٥٦.

الفصل الثاني

مراحل النمو في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة

المبحث الأول - الخلق الذي خرج عن السنة النبوية الجارية المعروفة للإنسان

المبحث الثاني - مرحلة الاختيار وبناء الأسرة وأثرها في النمو الإنساني

المبحث الثاني - مرحلة الجنين

المبحث الرابع - مرحلة ما قبل التمييز

المبحث الخامس - مرحلة التمييز

المبحث السادس - مرحلة المراهقة والبلوغ

المبحث السابع - مرحلة الشباب "الرشد والأشد"

المبحث الثامن - مرحلة الكهولة

المبحث التاسع - مرحلة الشيخوخة

المبحث الأول- الخلق الذي خرج عن السنة الجارية المعروفة للإنسان.

يشمل المبحث أربعة مطالب، المطلب الأول- خلق آدم ﷺ، والمطلب الثاني- خلق حواء عليها السلام، والمطلب الثالث- خلق عيسى ﷺ، والمطلب الرابع- تصنيف مراحل النمو من منظور إسلامي.

المطلب الأول- خلق آدم ﷺ

تعدّ سنة التزاوج إحدى السنن التي وضعها الله - سبحانه وتعالى - ليسيّر على أساسها الكون، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْقَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَرْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ۗ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ۗ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝ (١) ﴾، فهذه هي السنة السائدة في جميع الكائنات الحية على مر العصور، وهي سبب لاستمرار الحياة في الكون، ولم نجد خروجاً عن القاعدة إلا في حالات نادرة، كخلق آدم، وحواء، وعيسى ابن مريم عليهم الصلاة والسلام، ولم يجعل الله سبحانه وتعالى هذه الحالات خروجاً عن سنة التزاوج إلا لتكون معجزة تلفت الأذهان إلى إرادة الله تعالى وقدرته ورداً حاضراً على الماديين في كل زمان ومكان (٢).

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَلَائِكُونَ ۗ (٣) ﴾ إن الله - سبحانه وتعالى - يقول في هذه الآية: أنا وحدي القادر على خلق المخلوقات، لأنني على كل شيء قدير فكل ما تروونه ما هو إلا جزء مما خلقت بيدي، ومنها خلق آدم ﷺ وذريته، فقد خلق آدم ﷺ من تراب ولم يخلقه وليدا من أبوين حتى نقول: إنهما الأصل في وجوده.

إن آدم ﷺ وجد رجلاً فيه كل مقومات الرجولة، رجلاً له عقل وفكر، رجلاً تسجد له الملائكة، رجلاً حينما أسكنه الله الجنة وجاءه الشيطان فأوقعه في الخطيئة فتاب عليه الله وهداه إلى الصراط المستقيم (٤).

فقصة خلق آدم ﷺ هي القضية الأساسية في حياة الإنسانية، فهي تعطي الإنسان التصور الصحيح الذي يصله بمنبعه الإنساني، وسر وجوده على هذه الأرض، وموقعه بين

(١) سورة فاطر، آية ١١.

(٢) حمد الرقي، خلق الإنسان بين العلم والقرآن، ليبيا، الدار الجماهيرية، ط١، ١٤٢٥هـ، ص ٣٧-٣٨.

(٣) سورة يس، آية ٧١.

(٤) عيسى العرابوي، كيف بدأ الخلق، دعوة الحق، مكة المكرمة، رابطة العالم الإسلامي، عدد ٨١، ١٩٨٨م، ص ٨٢٠.

مخلوقات هذا الكون وعلاقته بمن حوله، فهي تعرفه بمنبوعه وأصله وتخبره عن نفسه ومن أين جاء؟ ولماذا جاء؟

وقد انفرد القرآن الكريم بالحديث عن نشأة الإنسان الأول آدم عليه السلام، في حين تغفل كتب علم النفس ونظريات النمو المختلفة الحديث عن هذه المرحلة من خلق الإنسان، مع أن تناولها يلقي الضوء على الأصل التكويني للإنسان، مما يساعد على فهم طبيعته. والمنتبج لآيات القرآن الكريم في خلق آدم عليه السلام يجد أن الحق سبحانه وتعالى قد تحدث عن هذه القصة بغير واحدة من الآيات، فتارة يخبر أنه عليه السلام خلق من تراب وتارة أخرى يخبر أنه خلق من ماء وثلاثة يخبر أنه من طين ورابعة من حمأ مسنون وصلصال كالفخار، وهذا ما دعا المستشرقين إلى الاعتراض على أسلوب القرآن، والتساؤل من أي هذه الأشياء خلق آدم عليه السلام.

إن هذا الاعتراض ناشئ من عدم فهم لغة القرآن، فالتراب والماء والطين والحمأ المسنون والصلصال مراحل متعددة للشيء الواحد، فإذا وضع الماء على التراب صار طيناً، وإذا ترك الطين حتى يتخمر ويتداخل بعضه في بعض وتتغير رائحته يكون هو الحمأ المسنون، فإن جف فهو صلصال كالفخار، ومنه خلق الله الإنسان وصوره ثم نفخ فيه من روحه، فهذه مراحل للشيء الواحد ومرور الشيء الواحد بمراحل مختلفة لا يغيره^(١). فقد شاء الحق سبحانه وتعالى أن يجعل آدم عليه السلام من طين الأرض وصلصالها، ويخلطه بمائها ثم يسويه على الصورة التي يريد، وما أن يلفحه الهواء وتشويه حرارة الشمس حتى يتماسك جسده ويشتد، فينفخ فيه من روحه فيستوي بشراً حياً ليضرب في بقاع الأرض، فيشرب من مائها ويأكل من أرزاقها وينشئ ما طاب له من المنشآت هو وذريته ليعمر الأرض بخلافته فيها^(٢). فالتأمل في النصوص الواردة يخلص إلى أن آدم عليه السلام مرّ بمراحل نمو وخلق رئيسة هي:

المرحلة الأولى- مرحلة التخليق

يقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾^(٣). أشارت الآية الكريمة إلى المرحلة الأولى من مراحل خلق آدم عليه السلام وأطواره وهي مرحلة التخليق، وهذه المرحلة لها مراحل فرعية أخرى هي:

(١) محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، القاهرة، مصر، أخبار اليوم، قطاع الثقافة ١٦/١٦٠٣-٩٧٠٣.

(٢) سميح عاطف الزين، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، لبنان، دار الكتاب اللبناني، ط١، ١٩٩١م، ٧/١٠٠٠.

(٣) سورة الأعراف، آية ١١.

مرحلة التراب يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١) والتراب موات لا حياة فيه وهو بارد يابس، والحياة تتطلب حرارة ورطوبة، فمن ذلك اليابس ينشأ المخلوق الحي المدرك^(٢).

وهذه النقلة الضخمة من التراب الساكن إلى الإنسان الحي المتحرك، نقلة تثير التأمل في صنيع الله، وتحرك القلب لتحميد الصانع^(٣)، ومما يثبت أصل خلق الإنسان من تراب، أن الناس يعلمون أن النطفة أصل الخلقة، وإذا تأملوا وجدوا أن النطفة تتكون من الغذاء، والغذاء يتكون من نبات الأرض، والنبات مشتمل على الأجزاء الترابية التي أنتجته وهذا ما يؤكد خلق الإنسان من تراب^(٤). وعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ " أن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب"^(٥).

مرحلة الطين يقول سبحانه: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ﴾^(٦) والطين ناتج عن مزج حفنة التراب المأخوذة من الأرض بالماء^(٧). كما يشير القرآن الكريم إلى أن مرحلة الطين تمر بأوصاف متعددة، منها أنه الطين اللازب يقول سبحانه: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنِ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ﴾^(٨) وخالصة الطين أصبحت جزئيات ملتصقة بعضها ببعض وتحولت إلى طين لازب الذي هو الطين الرخو الذي لا قوة فيه^(٩). أي تحويل الطين الرخو إلى طين لازب شديد التماسك، كثيف غليظ، وذلك تمهيداً لتجميده وتبييسه ليصنع منه تمثال آدم عليه الصلاة والسلام^(١٠). وهنا لا بد من الإشارة إلى أن القرآن بين أن الإنسان لم يخلق من كامل الطين بل من سلالة من طين يقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ﴾^(١١).

(١) سورة ال عمران، آية ٥٩.

(٢) محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج ٢١، ص ٢١.

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٢٧٦٣/٥.

(٤) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٣١/٢١.

(٥) رواه الترمذي، سنن الترمذي، ج ٥، ص ٢٠٤، حديث ٢٩٥٥، صححه الألباني انظر: السلسلة الصحيحة، حديث رقم (١٦٣٠).

(٦) سورة ص، آية ٧١.

(٧) صلاح الخالدي، للقصص القرآني، عرض وقائع وتحليل أحداث، دمشق، سوريا، دار القلم، ط ١، ١٩٩٨م، ص ٩١/١.

(٨) سورة الصافات، آية ١١.

(٩) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، بيروت، لبنان، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ٢٩/٣.

(١٠) صلاح الخالدي، القصص القرآني، مرجع سابق، ٩٢/١.

(١١) سورة المؤمنون، آية ١٢.

السلالة أجود ما في الشيء، وقد خلق الله الإنسان الأول من أجود عناصر الطين وأنواعه، وهي زبد الطين، فلو أخذت قبضة من الطين وضغط عليه لتقلت منه الزبد وهو أجود ما في الطين ويبقى رمال وأشياء خشنة، والسلالة تطلق على الشيء الجيد، فيقولون فلان من سلالة كذا وفلان سليل المجد. وقد أثبت العلم الحديث بالتحليل المعملّي التجريبي، أن العناصر المكونة للإنسان هي نفسها عناصر الطين، تبدأ بالأكسجين وتنتهي بالمنغنيز^(١).

فما هي السلالة التي يخلق منها الإنسان في هذا الوقت؟ إنها ما يفرزه جهاز الهضم من الغذاء حين يصير دما؛ فدم الذكر حين يمر على غدّي التناسل الانثيين، تفرز منه الأنثيان مادة دهنية شحمية وهي التي تتحول إلى مني أثناء حركة الجماع، فتلك السلالة مخرجه من الطين لأنها من الأغذية التي أصلها من الأرض. ودم المرأة إذا مر على قناة الرحم ترك فيها بويضات دقيقة هي بذر الأجنة، ومن اجتماع المادة الدهنية التي هي من غدّي التناسل الانثيين مع بويضة من البويضات في قناة الرحم يتكون الجنين^(٢).

مرحلة الحمأ المسنون. يقول سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلِقُ بَشَرًا مِّنْ صَلَّصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾^(٣) ويقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلَّصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾^(٤). فالحمأ هو الطين الأسود، والمسنون هو المتغير، وهذا ناتج عن اجتماع التراب والماء لمدة طويلة.

مرحلة الصلصال يقول سبحانه: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلَّصَلٍ كَالْفَخَّارِ﴾^(٥).

وسمي الطين اليابس صلصالا لأنه إذا نقر عليه "يصك" أي يخرج الصوت، وشبه هذا الطين اليابس الصلصال بالفخار، والفخار هو الأتية والجرار المصنوعة من الطين والمحروقة بالنار^(٦). فالصلصال هو الطين الذي يترك حتى يتيبس، فإذا يبس فهو صلصال وهو شبه الفخار إلا أن الفخار هو ما يبس بالطبخ في النار^(٧).

(١) محمد متولي شعراوي، تفسير الشعراوي، مرجع سابق، ٩٩٧٨/١٧.

(٢) محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج ١٨/ص ١٩.

(٣) سورة الحجر، آية ٢٨.

(٤) سورة الحجر، آية ٢٦.

(٥) سورة الرحمن، آية ١٤.

(٦) صلاح الخالدي، القصص القرآني، مرجع سابق، ٩٤/١.

(٧) محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ١٣/ص ٣٤.

لعل القارئ لكتاب الله سبحانه وتعالى يتساءل ما المقصود من ذكر أطوار مرت على خلق الإنسان؟ والإجابة تكمن في أن القرآن يهدف إلى التنبية على عجيب صنع الله تعالى إذ أخرج من هذه المادة المهينة سيد أنواع عالم المادة ذات الحياة^(١).

المرحلة الثانية- مرحلة التصوير - التسوية -

يقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾^(٢).

يقول أبو السعود في تفسير الآية الكريمة "أي خلقنا أباكم آدم طيناً غير مصور، ثم صورنا أبداع تصوير، وأحسن تقويم سار إليكم جميعاً. وفي الآية تذكير لنعمة عظيمة فائقة على آدم عليه السلام سارية إلى نريته لشكرهم كافة إلى أن لهم حظاً من خلقه وتصويره، إذ الكل مخلوق في ضمن خلقه مصنوع على شاكلته.."^(٣).

فمن خلال الآية الكريمة نلاحظ أن مرحلة التصوير مرحلة ثانية بعد الخلق، فبعد أن خلقه الله سبحانه وتعالى من الطين صورته وسواه أي جعله تمثلاً مجسماً على صورة الإنسان، وهذا قبل أن ينفخ فيه الروح^(٤). يقول سبحانه: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾^(٥). فالتسوية إحسان خلقه وإكمال صنعه بحيث يكون مهيباً لأداء وظيفته وبلوغ كماله وإعداده بما به صلاحه وبقاؤه، وجعله مستويًا متناسبًا للأجزاء بحيث لا يحدث تفاوت يخل بالمقصود، فافتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن تكون التسوية بترتيب ونظام وحساب وإتقان، بحيث تكون متلائمة مع مكانه الذي خلق له ومع طرق معيشته، وبحيث يكون هناك تناسق وانسجام مع غيره من المخلوقات^(٦)، يقول سبحانه: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾^(٧).

(١) محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، المرجع السابق، ١٣/ص ٣٤.

(٢) سورة الأعراف، آية ١١.

(٣) محمد بن محمد العمادي أبو السعود (ت ٩٥١هـ) تفسير أبي السعود، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي، ٢١٥/٣.

(٤) منى رفعت ادعيس، مراحل خلق الإنسان في آيات القرآن الكريم، رسالة ماجستير غير منشورة، فلسطين، جامعة النجاح

الوطنية، كلية الدراسات العليا، ٢٠٠٣م، ص ٢٢.

(٥) سورة الحجر، آية ٢٩.

(٦) عيسى العربي، كيف بدأ الخلق، مرجع سابق، ص ١٠٤ - ١٠٥.

(٧) سورة طه، آية ٥٠.

المرحلة الثالثة- مرحلة نفخ الروح

يقول سبحانه: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾^(١). هذا يدل

على العناية الربانية بهذا الكائن، وإيداعه نفخة من روح الله تعالى تلك التي تدل على عظم شأن الإنسان، علو منزلته، فجاءت النفخة الروحية بعد أن صورّه الحق سبحانه وتعالى في أحسن تقويم. فحياة آدم عليه السلام ليست حياة حيوانية بحتة، بل فيها سر النفخة الإلهية التي منحها الله سبحانه وتعالى آدم، وحققت ما يرجع إليه الفضل في تقييم الإنسان بصفات الحق والقيم والمثل والمعارف والقدرات التي تتكافأ مع ما اسند إليه كخليفة في الأرض^(٢).

فنفخ الروح يدل على سريان قوة التأثير دفعة واحدة، وإضافة الروح إلى الخالق فيه إيماء بأن حقائق العناصر لا تتفاضل عند الله إلا بتفاضل آثارها وأعمالها^(٣) والنفخة من روح الله سبحانه وتعالى نفخة غيبية خاصة تليق بجلال الله وعظمته وهنا لا بد من الإشارة إلى أمرين^(٤):

أولهما - أن الحرف (من) ليس للتبعيض لأن روح الله تعالى لا تتجزأ ولا تنقسم لتذهب أجزاء وإنما هي هنا لبيان الجهة، أي أن هذه النفخة من عند الله تعالى. ثانيهما - أن إضافة الروح إلى الله تعالى لتكريمها وتشريفها، كما أضيفت الناقة إلى الله: ﴿ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ ﴾^(٥) كما أضيف البيت إلى الله تعالى.

يقول صاحب الظلال معلقاً على نفخ الروح مبيناً قدرة الله سبحانه وتعالى: "قأما كيف ارتقى هذا الطين من طبيعته العنصرية المعروفة إلى أفق الحياة العضوية أولاً، وإلى أفق الحياة الإنسانية أخيراً؟ فهذا السر الذي يعجز عن تعليقه البشر أجمعون، وما يزال سر الحياة في الخلية الأولى خافياً لا يزعم أحد أنه اهتدى إليه^(٦).
المرحلة الرابعة- مرحلة التعليم.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي

بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^(٧).

(١) سورة ص، آية ٧٢.

(٢) عبد الرحمن المطرودي، الإنسان وجوده وخلاقته في الأرض في ضوء القرآن الكريم، القاهرة، مصر، مكتبة وهبة، ط١، ١٩٩٠م، ص ١٦.

(٣) محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتوير. مرجع سابق، ٣٦/١٣.

(٤) منى رفعت ادعيس، مراحل خلق الإنسان في آيات القرآن الكريم، مرجع سابق ص ٢٣.

(٥) سورة الأعراف، آية ٧٣.

(٦) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٢١٣٨/٤.

(٧) سورة البقرة، آية ٣١.

ذكرت الآية الكريمة آخر مرحلة من مراحل خلق آدم ﷺ، لأنها مرحلة التفكير والتعبير وهذا يعني أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم خلقاً مباشراً، وكان يوم خلقه عاقلاً ناطقاً مزوداً بأعضاء النطق وملكة يستطيع فيها تحويل الأصوات إلى حروف وكلمات وعبارات تترجم عنه وتعبّر عن أفكاره وخاصة أن اللغة ليست غريزية أو تلقينية ولكنها كلام ذو معنى وراء وعي وفكر^(١).

ولغة آدم عليه الصلاة والسلام لغة إنسانية فيها مفردات جميع الأشياء وليست لغة إشارية غامضة تطورت من بعد، فقد أشارت الأحاديث النبوية المطهرة إلى الكلمات الأولى التي تحدث بها آدم ﷺ، فعن أبي هريرة روى عن النبي ﷺ قال: "خلق الله آدم على صورته، طوله ستون ذراعاً، فلما خلقه قال: اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة فاستمع ما يجيبونك، فإنها تحيتك وتحيّة ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا- السلام عليك ورحمة الله، فزادوه - ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن"^(٢). وبعد التعليم جاء التكريم من الله سبحانه وتعالى لآدم وذريته من بعده، يقول سبحانه:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(٣)

هذا تكريم في أعلى صورته للمخلوق الذي يفسد في الأرض ويسفك الدماء، فهو سجد امتثال للأمر العلوي الجليل^(٤). ثم أمر الله سبحانه وتعالى آدم بالإيواء والاستقرار في الجنة، يقول سبحانه: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٥).

ثم وسوس إبليس لآدم وحواء بالأكل من الشجرة التي نهيا عن الأكل منها، وسماها لهما شجرة الخلد، وصاحب هذه الوسوسة نسيان آدم ﷺ أن إبليس عدوه فأكلا من الشجرة. قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْيَأُ﴾^(٦).

وقد ندم آدم وحواء عليهما السلام على فعلهما اشد الندم، فما كان أمامها إلا التضرع إلى الله سبحانه وتعالى أن يقبل توبتهما، وتقبل الله هذه التوبة وأمرهما بالهبوط من الجنة التي

(١) محمد عز الدين توفيق، التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، مرجع سابق، ص ١٤١.

(٢) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج٤، ص ٢١٨٣، حديث ٢٨٤١.

(٣) سورة البقرة، آية ٣٤.

(٤) سيد قطب، في ظلال القرآن. مرجع سابق، ج١/ص٥٦.

(٥) سورة البقرة، آية ٣٥.

(٦) سورة طه، آية ١٢٠-١٢١.

كانا يعيشان فيها قال تعالى: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾^(١). وقال سبحانه: ﴿ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾^(٢).

إن قصة آدم عليه السلام تبين القيمة الكبرى التي يعطيها التصور الإسلامي للإنسان، ودوره في الحياة، وتتبدى هذه القيمة، في كون هذا المخلوق خليفة الله في الأرض، كما تتبدى في أمر الملائكة بالسجود له وطرد إبليس الذي استكبر وأبى... فالإنسان هو سيد الأرض ومن أجله خلق كل شيء فيها... وله الدور الأول فهو الذي يغير ويبدل من أشكالها^(٣).

فقصة خلق آدم عليه السلام جاءت لتبين استقلالية الخلق الإنساني، وهذا رد على أصحاب النظرية الداروينية الذين يقولون بالتطور الإنساني "وعلى أية حال فإن مجموع النصوص القرآنية في خلق آدم عليه السلام وفي نشأة الجنس البشري ترجح أن إعطاء هذا الكائن خصائصه الإنسانية، ووظائفه المستقلة كان مصاحباً لخلقه، وأن الترقى في تاريخ الإنسان كان ترقياً في بروز هذه الخصائص ونموها وتدريبها واكتسابها الخبرة العالية، ولم يكن ترقياً في "وجود" الإنسان من تطور الأنواع حتى انتهى إلى الإنسان كما تقول الداروينية"^(٤).

المطلب الثاني - خلق حواء عليها السلام

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبُّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾^(٥) ويقول سبحانه: ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنْ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيةً أَزْوَاجًا تَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾^(٦).

- إن النفس الواحدة المذكورة في قوله "خلقكم من نفس واحدة" هي آدم عليه السلام والمقصود بقوله "خلق منها زوجها" حواء عليها السلام وهو معطوف على الخلق الأول، أي إن النفس الواحدة (آدم) خلقت أولاً، ثم خلق منها زوجها حواء يؤيد هذا:

(١) سورة الأعراف، آية ٢٣.

(٢) سورة البقرة، آية ٣٧.

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج ١/ ص ٦٠.

(٤) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج ٢/ ص ١٢٦٤-١٢٦٥.

(٥) سورة النساء، آية ١.

(٦) سورة الزمر، آية ٦.

- أن الحق سبحانه وتعالى لو خلق آدم وحواء في وقت واحد لذكر ذلك واضحاً في القرآن الكريم دون لبس.

- أن تكرار الحديث عن موضوع خلق آدم وحواء في كتاب الله بالطريقة نفسها مما يؤيد المعنى السابق.

أن قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾^(١) يؤيد هذا الرأي.

كيفية خلق حواء عليها السلام:

اختلف العلماء في كيفية خلق حواء عليها السلام على عدة آراء منها^(٢):

الأول- أن حواء خلقت من آدم عليه الصلاة والسلام، وذهبوا إلى أن حرف العطف (من) هو للتبعيض أي أن حواء مخلوقة من بعض جسم آدم. وقد اختلفوا في الجزء الذي خلقت منه حواء على أقوال:

أ- من ضلع آدم

يقول صاحب التحرير والتنوير- النفس الواحدة هي آدم عليه السلام، والزوج هو حواء، إن حواء أخرجت من ضلع آدم^(٣)، ويقول ابن كثير- إن حواء عليها الصلاة والسلام خلقت من ضلعه الأيسر من خلقه وهو نائم فاستيقظ فرأها فأعجبته فأنس إليها وأنست إليه^(٤).

واستدل أصحاب هذا القول بحديث النبي صلى الله عليه وسلم: " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فإذا شهد أمراً، فليتكلم بخير أو ليسكت واستوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج استوصوا بالنساء خيراً"^(٥).

ب- أنها خلقت من بقية الطين التي خلق منه آدم عليه الصلاة والسلام^(٦).

ج- أن حواء خلقت من الكروموسوم الجنسي المؤنث الموجود عند آدم عليه السلام^(٧).

الثاني- يرى أصحاب الرأي الثاني أن تفسير قوله تعالى "وخلق منها زوجها" أي من جنسها، إذ إنه إنسان وهي إنسان لا حيوان، وهذا معناه أن الرجل نفس إنسانية سوية، له روح إنسانية ومن هذه النفس الإنسانية خلق الله المرأة^(٨).

(١) سورة الزمر، آية ٦.

(٢) صلاح الخالدي، القصص القرآني، مرجع سابق، ص ١٢٠ - ١٢٣.

(٣) محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ٤/ص ٩.

(٤) إسماعيل بن كثير القرشي، تفسير القرآن العظيم، بيروت - لبنان، مؤسسة الكتب الثقافية، ط ١، ١٩٩٣م.

(٥) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ٢، ص ١٠٩١، حديث ١٤٦٨.

(٦) محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج ٤/ص ٩.

(٧) داود السعدي، أسرار خلق الإنسان، العجائب في الصلب والترائب، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٠هـ، ص ٩٩-١٠١.

(٨) صلاح الخالدي، القصص القرآني، مرجع سابق، ١٢٣/١ - ١٢٥.

والذي يخلص إليه الباحث من الآراء السابقة أن خلق حواء لم يمر بمراحل كخلق آدم ﷺ تراب، وطين، ...، ولم تمر كذلك بمراحل حمل، بل كانت كلمة الله سبحانه وتعالى، فخلق حواء أيضا يتجاوز كل النظريات التي بحثها العلماء ولا يملك الإنسان إلا أن يسلم لله سبحانه وتعالى بهذا الخلق.

يدل هذا قوله ﷺ: "استوصوا بالنساء فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء"^(١).

المطلب الثالث - خلق عيسى ﷺ

عيسى عليه الصلاة والسلام هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم عليها السلام، وقد ذكره الله سبحانه وتعالى في ثلاث عشرة سورة في القرآن الكريم، يقول سبحانه: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٢).

إن حادثة ولادة عيسى ابن مريم من أعجب ما شهدته البشرية في تاريخها، وكان حدثا لا نظير له من قبله ولا من بعده، فالبشرية لم تشهد خلق نفسها وهو الحادث العجيب الضخم في تاريخها، ومضت قرون عدة بعد ذلك الحادث، فشاعت الحكمة الإلهية أن تبرز العجيب الثانية في مولد عيسى ﷺ من غير أب على غير السنة التي جرت منذ وجد الإنسان على الأرض، لتظل هذه العجيب في سجل الحياة الإنسانية بارزه فذة تلفت إليها الأجيال، فسنة امتداد الحياة الإنسانية بالتناسل من ذكر وأنثى، جرت أحقابا طويلة حتى استقر في تصور البشر أن هذه هي الطريقة الوحيدة، فأراد الله سبحانه وتعالى أن يضرب مثلا بعيسى ابن مريم ﷺ ليذكرهم بحرية القدرة وطلاقة الإرادة، ولم تكرر هذه الحادثة لأن سنة الله أن تجري السنة التي وضعها الله وينفذ ناموسه سبحانه وتعالى^(٣). فشأن ولادة عيسى عليه الصلاة والسلام، إذ خلقه الله سبحانه وتعالى بلا أب هو في بابه غريب كشأن خلق آدم عليه الصلاة والسلام من غير أب ولا أم^(٤).

فولادة عيسى عجيبه حقا بالقياس إلى مألوف البشر، ولكن أية غرابة فيها حين تقاس إلى خلق آدم أبي البشرية، فأهل الكتاب جادلوا حول ولادة عيسى بسبب أنه نشأ من غير أب وفي نفس الوقت يقرون بنشأة آدم من التراب، فالنفخة من روح الله تعالى هي التي جعلت منه هذا الكائن الإنساني... إنها كلمة "كن" تتشئ ما تراد له النشأة "فيكون" وبهذا تتجلى حقيقة.

(١) رواه البخاري، صحيح البخاري، ج ٣، ص ١٢١٢، حديث رقم (٣١٥٣).

(٢) سورة ال عمران، آية ٥٩.

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٤ / ص ٢٣٠٥.

(٤) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، مرجع سابق، ١ / ص ٢٠٦.

عيسى عليه السلام وحقيقة الخلق كله^(١). يقول سبحانه وتعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾^(٢).

فوصف الحق سبحانه وتعالى عيسى عليه السلام بالكلمة وهذه الكلمة خاصة مخالفة للمعتاد في تكوين الجنين أي بدون الأسباب المعتادة^(٣). وهذا الأمر كان صعباً على السيدة مريم عليها السلام فحاولت مراجعة الله في الأمر لأنه أمر غير مألوف، يقول سبحانه:

﴿ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَبَدَّتْ مِّنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦٦﴾ فَأَتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٦٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٦٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٦٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿١٧٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾^(٤).

إن المتأمل في الآيات الكريمة يلحظ أن مريم عليها السلام تحاور الملك محاولةً صرفه عما جاء لأجله، لأنها علمت أن الملك مرسل من عند الله سبحانه وتعالى فأرادت مراجعة ربها في أمر لم تطقه، فهذا يجر عليها ضراً عظيماً فهي مخطوبة لرجل لم يبين بها فكيف يتلقى الناس منها الإتيان بولد غير معروف الأب^(٥).
المظاهر التي خالف فيها خلق عيسى عليه السلام ما تم التعارف عليه.

أولاً - غياب الحيوان المنوي الذكري

السيدة مريم عليها السلام وهبها الله طفلاً من غير أب لتظل آثار القدرة الربانية ماثلة أمام الأبصار لعظمة الواحد القهار، فالأصل أن لا تحمل المرأة إلا بالتقاء الحيوان المنوي الذكري مع البويضة الأنثوية، وهذا ما لم يحدث مع السيدة مريم عليها السلام لأن إرادة الله سبحانه وتعالى قضت بالأمر.

لعل ما يدل على هذا الأمر حوار السيدة العذراء مع يوسف النجار خطيبها، حيث كان يساعدها في كناسة المسجد وتطهيره، فكان إذا أراد أن يتهمها تذكر صلاحها، وإذا أراد أن يبرئها رأى تغير لونها وكبر بطنها، واشتد عليه ذلك، فقال معرضاً لها- "هل يكون زرع من

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ١ / ٤٠٤ - ٤٠٥.

(٢) سورة ال عمران، آية ٤٥.

(٣) محمد الطاهر ابن عاشور، للتحرير والتتوير، مرجع سابق، ٩٦/٣.

(٤) سورة مريم، آية ١٦-٢١.

(٥) محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتتوير، مرجع سابق، ج ١٦ / ص ٢٢.

غير بذرة"؟ قالت: نعم"، قال: وكيف يكون ذلك؟ قالت إن الله خلق البذر الأول من غير نبات، وانبثت الزرع الأول من بذرة، ولعلك تقول: لم يقدر أن يخلق الزرع الأول إلا بالبذر، ولعلك تقول: لو أن الله تعالى استعان عليه بالبذرة لغلبه حتى لا يقدر أن يخلقه ولا ينبت؟

قال يوسف: أعوذ بالله أن أقول ذلك! قد صدقت، ولكن أخبريني هل ينبت الشجر من غير ماء ولا مطر؟ قالت: تعلم أن للبذر والماء والشجر خالقاً واحداً. فلعلك تقول: لولا المطر والماء لم يقدر على أن ينبت الشجر؟ قال: أعوذ بالله أن أقول ذلك، قد صدقت....^(١).

ثانياً - النمو اللغوي المبكر

أشارت الآيات القرآنية الكريمة إلى أن سيدنا عيسى عليه السلام قد تحدث مع قومه حديثاً من عدة جمل واضحة ومفهوماً، قال تعالى على لسان عيسى عليه السلام: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۗ ﴾^(٢).

المطلب الرابع - تصنيف مراحل النمو من المنظور الإسلامي.

يمكن تصنيف مراحل النمو من المنظور الإسلامي إلى التصنيفات الآتية:

الفرع الأول - التصنيف الثنائي

تقسيم المراحل النمائية التي يمر بها الإنسان إلى مرحلتين هما مرحلة الطفولة ومرحلة الرجولة.

المرحلة الأولى - الطفولة وتكون من الميلاد لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾^(٣) إلى البلوغ لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَضِئُوا كَمَا اسْتَضَاءَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۗ ﴾^(٤).

المرحلة الثانية - الرجولة، وتكون من البلوغ إلى الوفاة لحديث ابن عمر رضي الله عنهما، قال عرضت على النبي ﷺ وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يقبلني، فعرضت عليه وأنا ابن خمس عشرة سنة فقبلني^(٥).

(١) محمد بن جرير الطبري أبو جعفر (ت-٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي، ط٣، ١٩٦٨م، ٦٤/١٦.

(٢) سورة مريم، آية ٣٠.

(٣) سورة الحج، آية ٥.

(٤) سورة النور، آية ٥٩.

(٥) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ٣ / ص ١٤٩٠، حديث ١٨٦٨.

الفرع الثاني - التصنيف الثلاثي

تقسيم المراحل النمائية التي يمر بها الإنسان إلى ثلاث مراحل هي الضعف الأول، والقوة والضعف الثاني؛ يقول سبحانه: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾^(١).

المرحلة الأولى- الضعف الأول (الطفولة)، وتمتد من الميلاد إلى سن البلوغ، وهذه مرحلة لها خصائصها الملازمة لها، فيوصف الإنسان بالضعف وأنه مكفول بغيره ومشاركته غيره تكون معدومة وهي مرحلة نمو دائم وتغير ملحوظ.

المرحلة الثانية- مرحلة القوة (الأشد) وهي مرحلة الشباب والرجولة، وهي مدة تبدأ بظهور علامات البلوغ ويصبح الفرد قادراً على الكسب والمشاركة والتعارف مع غيره، ومن سماتها اكتمال القوة البدنية والنفسية ونضج القوى العقلية إلى حد كبير، وظهور بعض الرغبات في تحقيق الغرائز وإشباعها مثل الرغبة في الزواج، وتنتهي هذه المرحلة في سن الأربعين "حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً"

المرحلة الثالثة- الضعف الثاني (الشيخوخة)

وفي هذه المرحلة يمتاز الإنسان بالضعف عن القيام بما كان يقوم به في المرحلة السابقة ويبقى الضعف والوهن مستمراً حتى يصل إلى نهاية الحياة أي الوفاة.

الفرع الثالث - التصنيف الرباعي

تقسم المراحل النمائية التي يمر بها الإنسان إلى أربع مراحل هي الأجنة، والطفولة، والشباب، الشيخوخة.

المرحلة الأولى- مرحلة الأجنة، هو النسل ما دام في رحم الأم^(٢)، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُرْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾^(٣).

المرحلة الثانية- مرحلة الطفولة التي تمتد من الميلاد إلى البلوغ، يقول سبحانه: ﴿ثُمَّ خَرَّجْنَاكُمْ طِفْلًا﴾^(٤) وهي مرحلة الضعف الأول.

(١) سورة الروم، آية ٥٤.

(٢) محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ٢٧ / ١٢٧.

(٣) سورة النجم، آية ٣٢.

(٤) سورة الحج، آية ٥.

المرحلة الثالثة- مرحلة الشباب وهي مرحلة القوة والأشد، وهي مرحلة تبدأ بظهور علامات البلوغ إلى أن يبلغ الإنسان سن الأربعين وهي مرحلة أوج القوة والشدة: ﴿ثُمَّ لَتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَن يُتَوَفَّى﴾^(١).

المرحلة الرابعة- مرحلة الشيخوخة وهي مرحلة الضعف الثاني حيث يمتاز الإنسان بالضعف عن القيام بما كان يقوم به في المراحل السابقة.

الفرع الرابع - التصنيف التفصيلي وهو التصنيف الذي اعتمد في هذه الدراسة

يمكن تقسيم المراحل النمائية التي يمر بها الإنسان إلى المراحل الآتية:

المرحلة الأولى- مرحلة ما قبل الزواج - مرحلة الاختيار - وهذه المرحلة تشمل القواعد والأسس التي ينبغي على الزوجين أن يلتزما بها في اختيار شريك الحياة، وهذه المرحلة تؤثر تأثيراً بالغاً في النمو الإنساني للطفل ويبقى تأثيرها طوال حياته.

المرحلة الثانية- مرحلة الأجنة، والجنين هو المادة التي تتكون من عنصري الحيوان المنوي والبويضة وهو الولد ما دام في بطن أمه لاستتاره فيه^(٢).

المرحلة الثالثة- مرحلة ما قبل التمييز يكون الصبي في هذه المرحلة غير عارف بما يدور حوله في هذه الحياة، وما يضره وما ينفعه منها، وأطلق عليه، علماء الأصول عدم التمييز ويمكن تقسيم هذه المرحلة إلى مرحلتين هما:

أ- مرحلة الرضاع- تبدأ هذه المرحلة من ميلاد الطفل حتى نهاية السنة الثانية من عمره، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْمِطَ الرِّضَاعَةَ﴾^(٣).

ب- مرحلة الحضانة- يتم في هذه المرحلة حفظ من لا يميز عما يؤذيه، وهي نوع من الولاية على الصغير، وتبدأ هذه المرحلة من نهاية السنة الثانية وتنتهي في سن السابعة أي بداية مرحلة التمييز على ما هو غالب.

المرحلة الرابعة- مرحلة التمييز، والمميز هو الذي يفهم الخطاب ويردّ الجواب، ولا ينضب بسن معينة وغالباً ما تبدأ بسن السابعة وتنتهي بالبلوغ، وللطفل المميز أهلية أداء ناقصة تؤهل من وجدت فيه لممارسة بعض التصرفات مثل العبادات^(٤).

(١) سورة الحج، آية ٥.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة جن.

(٣) سورة البقرة، آية ٢٣٣.

(٤) مصطفى البغا، أصول الفقه الإسلامي، مرجع سابق، ص ٢١٣.

المرحلة الخامسة - مرحلة المراهقة والبلوغ، وهي آخر مرحلة يتم فيها إعداد الأبناء وتأهيلهم للقيام بمسؤولياتهم، وقد اختلف في تحديد سن البلوغ.

المرحلة السادسة - مرحلة الشباب " الرشد والأشد " تُعدُّ هذه المرحلة المرآة الصادقة التي تعكس واقع الأمة وحقيقتها ومدى نهضتها وتقدمها، تبدأ من نهاية مرحلة البلوغ وتستمر حتى سن الأربعين وهو السن الذي تكتمل فيه جميع القوى والطاقات فيه ويتهيأ الإنسان للتدبير والتفكير في هذه الحياة.

المرحلة السابعة - مرحلة الكهولة وهو الذي دخل في عشرة الأربعين وفارق مرحلة الشباب.

وقبل أنها تبدأ من سن ثلاثاً وثلاثين.

المرحلة الثامنة - مرحلة الشيخوخة، تبدأ هذه المرحلة من سن الخمسين تقريباً إلى نهاية العمر، ويلزم هذه المرحلة ضعف تدريجي في النمو الجسدي والنفسي والجنسي وأحياناً رفع بعض التكاليف الشرعية لعدم القدرة.

المبحث الثاني - مرحلة الاختيار وبناء الأسرة وأثرها في النمو الإنساني

يشمل هذا المبحث: التمهيد، وقواعد اختيار كلا الزوجين للآخر وأسسها، وعلاقة ذلك بالنمو.

التمهيد:

يحتاج الإنسان إلى الأنيس، مثل الزوج والصاحب والرفيق والجليس. ولكن هؤلاء كلهم لا يشبعون حاجته للأنس بالولد... فالإنسان يحتاج إلى نموذج من نفسه يرى فيه كل نفسه ويكمل فيه ذاته وأماله وغاياته، فإذا لم يأت الولد استوحشت نفسه وحشة لا يذهبها كل من حوله من البشر... حب الولد والعيش معه هو رحيق السعادة ومعناها وبه بهجة الحياة، وهذا ما يؤكد الرسول ﷺ فهو يعبر عن ذلك بما يرويه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما إذ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: "هما ريحانتي من الدنيا" أي الحسن والحسين^{(١)(٢)}.

فالولد هو سبب سعادة الآباء وقد اهتم الإسلام به قبل أن يأتي ويوجد، واشترط شروطاً في الزوجين حتى يتوافر للطفل الحب والحنان والرعاية والدفء والطمأنينة والنمو السليم المتكامل في بيئة صالحة، فيضمن الإسلام سلامة الأساس وسلامة الأبناء، فالأساس إيجاد الأسرة المترابطة التي تمد الأمة بأجيال مسلمة قوية تحمل الأمانة وتنتشر نور الإسلام^(٣).

(١) رواه البخاري، صحيح البخاري، ج ٥، ص ٢٢٣٤، حديث ٥٦٤٨.

(٢) محمد حسين، العشرة الطيبة، الإسكندرية، مصر، دار الدعوة، ط ٣، ٢٠٠٤م، ص ٢٠٢.

(٣) أسامة كمال بنوي، رعاية الإسلام للطفولة جسدياً ونفسياً، رسالة ماجستير، غير منشورة، جمهورية السودان. جامعة القرآن الكريم، ٢٠٠٠م، ص ٤٨.

وعليه فقد حدد الإسلام أسس الاختيار، يقول سبحانه: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يُبْدِلَهُهُٗٓ أَرْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَنَّ مُسَلِّمَتٍ مُّؤْمِنَةٍ قَلْبَتْ تَبَيَّنَتْ عِبْدَاتٍ سَتِيحَتْ تَبَيَّنَتْ وَأَبْكَارًا﴾^(١).

فهذه الآية جمعت الصفات التي يجب على الخاطب أن يضعها نصب عينيه وأن يتحرى المتصفة بها في اختيار الزوجة، فهي أساس البيت الهادئ الآمن المستقر.

هذه الصفات وإن كانت تتصل بالعقيدة والنظر في آيات الله إلا أن آثارها تعود على الحياة الإنسانية وإن أعمال الإنسان اليومية رجلا كان أو امرأة لتصطبغ بها^(٢). فقد بين الرسول ﷺ الصفات التي تتكح لها المرأة، وأكد فضل هذه الصفات ودوامها وجعلها القاعدة الأساسية في اختيار الزوجة^(٣). فعن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال: تتكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك^(٤). وأسس الاختيار ليست أمراً خاصاً باختيار المرأة، بل هو أمر لاختيار الزوج، يقول ﷺ: "إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض..."^(٥).

المطلب الأول - قواعد اختيار كلا الزوجين للآخر.

الفرع الأول - العلاقة الشرعية بين الزوجين وأثره بالنمو النفسي والاجتماعي والأخلاقي للطفل

حتى ينمو الطفل نمواً نفسياً واجتماعياً وأخلاقياً سليماً، اشترط الإسلام أن يأتي هذا الطفل من علاقة شرعية بين الزوجين فينشأ سليم النفس والعقيدة؛ فالطفل الذي يولد من علاقة غير شرعية بين الزوجين يكون مضطرب النفس، يعاني من مشكلات اجتماعية، وبالتالي يتأثر نموه الأخلاقي والاجتماعي والنفسي والجسدي.

لذا حث الإسلام على الزواج الشرعي، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِٗ أَنْ خَلَقَ

لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾^(٦).

فالعلاقة الشرعية، عامل مؤثر في الاستقرار النفسي للأفراد وفي نموهم الاجتماعي والأخلاقي، فالأسرة تغرس في الإنسان الكثير من المعاني السامية كالإيثار والتضحية وحب الآخرين، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِٗ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا

(١) سورة التحريم، آية ٥.

(٢) محمد السيد الزعبلوي، الأمومة في القرآن الكريم والسنة النبوية، بيروت، لبنان، دار ابن حزم، ط١، ١٩٩٨م، ص ١٣١.

(٣) المرجع السابق، ص ١٣١.

(٤) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ٢ / ص ١٠٨٧، حديث ١٤٦٦.

(٥) رواه الترمذي، سنن الترمذي، ج ٣ / ص ٣٩٥، حديث ١٠٨٥، حسنه الألباني، انظر: السلسلة الواضحة، حديث رقم (١٠٢٢).

(٦) سورة الروم، آية ٢١.

وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ^(١). فالآية الكريمة تنطوي على عدد من المعاني المتعلقة بالزواج منها: أن الإسلام جعل ناموس التناسل للإنسان بالزواج، ولم يجعله كالنبات من نفسه وليس زواجا عنيفا أو مهلكا كزواج الضفدع، فهو زواج أنس بين الزوجين، فالزوجان يصبحان بعد الزواج متحابين بينهما عاطفة ورحمة^(٢).

وفي الزواج يتم إشباع الدافع الجنسي وتحقيق العفة بين الزوجين وبالتالي استقرارهم النفسي، يقول سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأُفْرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٦٠﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦١﴾ ﴾^(٣) وفي الزواج كذلك تحقيق لظرة الله التي فطر الناس عليها، قال تعالى: ﴿ فَأَقْرِبْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾^(٤). وأخيراً فإن في الزواج حفظاً للجنس البشري من الانقراض، فيتم إنجاب الولد، قال تعالى: ﴿ أَلْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً ﴿٥١﴾ ﴾^(٥)، وهذه المعاني لا تتحقق إلا بالزواج الشرعي.

وكما أن العلاقة الشرعية بين الزوجين تسهم في النمو النفسي والاجتماعي والأخلاقي للمولود، فإن الزواج الشرعي له أثر بالغ - كما تبين سابقاً - وعامل مؤثر في النمو النفسي والاجتماعي والأخلاقي والديني لكلا من الزوجين إذا تم بناء الزواج على أسس سليمة. الفرع الثاني - صلاح الوالدين وأثره في النمو الديني والنفسي والاجتماعي والأخلاقي والجسمي للطفل

حدد الحق سبحانه وتعالى الصفات التي يجب أن تتوافر في الزوجة الصالحة لنبيه محمد ﷺ وهو أمر للأمة كذلك، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَنَّ مُؤْمِنَاتٍ مِّنْتِ قَبْلِكَ قَنِيتٍ تَتَّبِعْتِ عَنِيدَاتٍ سَيِّحَتِ تَبِيَّتِ وَأُبْكَارًا ﴿٦١﴾ ﴾^(٦).

فصلاح الزوجة والأم له الأثر البالغ في النمو الديني للأطفال؛ فبين الله سبحانه وتعالى الصفات التي يجب أن تتحلى بها الزوجة الصالحة حتى يؤتي الزواج ثماره المباركة، ومن هذه

(١) سورة الروم، آية ٢١.

(٢) محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج ٢١/ ص ٣٢.

(٣) سورة المؤمنون، آية ٦.

(٤) سورة الروم، آية ٣٠.

(٥) سورة الكهف، آية ٤٦.

(٦) سورة التحريم، آية ٥.

الصفات والمزايا: الإسلام أي الاستسلام والخضوع والانقياد لله عز وجل، وذلك لما يعمر قلب هذه الزوجة من الإيمان بالله والتصديق بما جاء به رسول الله ﷺ فتطعت وتطيع وتستجيب لنداء الإيمان فتزيد من الطاعة والقرب من الله عز وجل، فتطبع حياة الأسرة التي ترعاها بهذه الصفات وينمو أفرادها ويتربوا على كمال الصفات^(١). فذات الدين ضرورة ملحة لبناء أسرة سوية، فالطفل يقضي مع أمه من الوقت أكثر مما يقضيه مع أبيه، فكان من حقه على أبيه أن يختار له رفيقة عمر صالحة تربية على مكارم الأخلاق ومحاسن الأقوال والأفعال. وحين يتخلف الدين فلا قيمة للحياة الأسرية، لأن الدين هو الذي يوجه نحو أجمل الأخلاق وأنبل السلوك، فإذا فقدت الدين فقدت الأخلاق والمروءة والكرامة^(٢).

يقول محمد سويد: "إن خير ما تتكح عليه المرأة دينها، وصلاحتها، وتقواها وإنابتها إلى ربها تبارك وتعالى؛ مثل هذه تقر العين بها، وتؤمن على نفسها ومال زوجها، وتربية أولاده، كي تغذيهم بالإيمان مع الطعام وتصب فيهم أحسن المبادئ مع اللبن، وتسمعهم من ذكر الله تعالى، ومن الصلاة على نبيه ﷺ ما يشربهم التقوى، ويركز فيهم حب الإسلام إلى أن يموتوا، والمرء يشيب على ما شبّ عليه، وإن صفات الوالدين تتحدر إلى الأولاد، وكثيرا ما تظهر ملكة التقوى في الولد تبعة لأبويه، أو لأحدهما، أو للعلم؛ أو الخال، وقد ورد الإرشاد النبوي منها على هذا.... عن عائشة رضي الله عنها، عن سيدنا رسول الله ﷺ قال: "تخيروا لنطفكم؛ فانكحوا الأكفاء وانكحوا إليهم"^{(٣)(٤)}.

فوجود أبوين صالحين يعرفان وظيفتهما الكبرى في تكوين شخصية طفلها، وغرس العقيدة السليمة في قلبه، ويعملان على بناء فكره وتشكيل سلوكه في الحياة، ضرورة دينية وأخلاقية للطفل، وقيامهما بفرائض الدين وبعدهما عن المعاصي والآثام، وتحليهم بحسن الخلق والآداب الفاضلة بالإضافة إلى تطبيقهما إلى كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ، كل ذلك له الأثر العظيم في تنشئة الطفل على الإيمان، وتحصينه بحب الله وخشيته في السراء والضراء، فيشبه قادراً على خوض غمار الحياة، صحيح العقل والجسم والنفس، مجاهداً عاملاً في سبيل الله تعالى في شتى الميادين^(٥) وفي التاريخ الإسلامي ما يدل على أثر الأم الصالحة على أولادها، ومن ذلك قصة عمر بن الخطاب ﷺ وابنه عاصم، حيث زوجه ابنة بائعة اللين، التي سمعها

(١) مها عبد الله الأبرش، الأمومة ومكانتها في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة، مكة المكرمة، وزارة التعليم العالي، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث، ط١، ١٩٩٦م، ج١/ص١٣٠.
(٢) خليل الحنري، التربية الوقائية في الإسلام، مرجع سابق، ص ٣٣٦-٣٣٧.
(٣) رواه الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج٢/ص ١٧٧، حديث ٢٦٨٧، حسنه الألباني، انظر: السلسلة الصحيحة، حديث رقم (١٠٦٧).

(٤) محمد نور سويد، منهج التربية النبوية للطفل، مكة المكرمة، دار طيبة، ص ٣٦.

(٥) أسامة كمال بدوي، رعاية الإسلام للطفولة جسدياً دينياً، مرجع سابق، ص ٤٨.

ليلاً تتصح أمها بأن لا تغش اللبن لأن رب عمر يراها، والتي صدقت فراسة أمير المؤمنين حين قال، فما أراها أن تأتي بفارس أسود يسود العرب، وجاء هذا الفارس عمر بن عبد العزيز، وأمّه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، فأنجبت الحافظة لله عز وجل من يحفظ الله سبحانه وتعالى في الأمة كلها^(١).

ولكن قد نلاحظ خروجاً عن هذه القاعدة، لحكمة يعلمها الله سبحانه وتعالى، ولتبقى القلوب حذرة يقظة متنبهة تتضرع إلى الحق سبحانه وتعالى بأن يرزقها الولد الصالح. ولصلاح الوالدين الأثر البالغ في النمو النفسي السليم للطفل؛ فقد أثبت العلم أن انفعالات الأم تؤثر تأثيراً سلبياً على الجنين وغالباً ما تأتي هذه الانفعالات بسبب سوء العلاقة ما بين الزوجين، وصلاح الزوجين ودينهما يحول دون سوء العلاقة بين الزوجين فكل منهما يلتزم بكرم الخلق وطهر السلوك والتزام أدب الإسلام مما يوفر الأجواء السعيدة ويحول دون الجروح إلى الانفعالات.

فالدين يحفظ للزوجين أمنهم النفسي وأمن طفلهما النفسي ونموه، من خلال التزامهما بحقوقهما وواجباتهما، وبالتالي بعدهما عن الانفعالات الضارة، وإذا كانت الخلافات الزوجية شراً لا بد منه فقد جعل الدين انفعالات الزوجين بأدنى مستوى من خلال إرشادهما لقواعد حل الخلاف بينهما بموضوعية، والتزام كلاهما بأدب الخلاف والحوار واحترام الرأي والرأي الآخر، وتحكيم المحكمين، مما يحول دون استشرأب الخلافات وانعكاساتها السلبية على الأجنة والأطفال^(٢).

فصلاح الوالدين له أثر كبير على نفس الطفل، فبالإضافة إلى تقواهم لله سبحانه وتعالى وإتباعهم لمنهجه ومع شيء من الجهد، ينشأ الطفل سليم النفس وينشأ على الطاعة والانقياد لله سبحانه وتعالى يقول سبحانه: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٣).

وصلاح الوالدين يؤثر كذلك في النمو الجسدي للطفل؛ فالدين يلزم بالعفاف والطهر والنظافة الجسدية وحصر العلاقات الجنسية للوالدين، مما يمنع تلوث النطفتين بملوثات مرضية تهدد كيانها، وكذلك الدين يلزم الزوجين بالطعام الحلال بعيداً عن المحرمات، وبذلك ينمو الجنين والطفل والشباب قوي المقومات النفسية والجسدية، والدين يؤكد أهمية الصحة الجسدية والنظافة تلافياً للأمراض والتي تتسرب إلى الجنين والطفل^(٤).

(١) مها الأبرش، الأمومة ومكانتها في الإسلام، مرجع سابق، ١ / ص ١٣٤

(٢) أحمد رجب الأسمر، النبي المرابي، عمان، الأردن، دار الفرقان، ط١، ٢٠٠١م، ص ٨٨.

(٣) سورة آل عمران، آية ٣٤.

(٤) أحمد رجب الأسمر، النبي المرابي، مرجع سابق، ص ٨٧-٨٨.

وعليه فالاهتمام بالنمو الإنساني في الإسلام يبدأ من مرحلة بناء الأسرة، منذ أن يشعر الإنسان بحاجته إلى امرأة لتشاركه حياته وتحمل معه أعباء الحياة ومشاقها فحينئذ يبدأ الاختيار؛ فالاختيار خطوة خطيرة ومن العوامل المؤثرة في النمو الإنساني للأفراد، ومن أهم الأسس التي يقوم عليها الاختيار الصلاح يقول سبحانه: ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِنَّ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۙ ﴾^(١)، فإذا لم يراع الصلاح في هذه المرحلة فإن الفرد سيفسد ثم يفسد الجيل، ومن ثم الأمة بأسرها، فالآية الكريمة تحث على تزويج أهل التقى والصلاح، وفيها اهتمام بشأنهم وإحصان دينهم وإشارة إلى مكانة الأتقى والأصلح من الإنسان^(٢).

ومن الصلاح الذي يحث عليه الرسول ﷺ، اختيار الزوجة -أو الزوج- التي عرفت بالشرف الرفيع، والدين القويم، الخالية من الأمراض والعاهات الجسمية والشذوذ الأخلاقي والضعف العقلي والتخلف الفكري، لأن هذا يؤثر في مختلف مظاهر النمو الإنساني للطفل.

الفرع الثالث - اختيار البكر من النساء لتأثيرها في النمو الجسدي والنفسي للطفل

البكر أكثر إيجاباً للولد، وغالباً ما تكون صغيرة السن؛ وإيجاب الصغيرة غالباً يكون أكثر صحة وقوة من إيجاب كبيرة السن، وصغر سن الأمهات عامل مؤثر في نمو الأطفال الجسدي والنفسي، يقول ﷺ: " عليكم بالأبكار فإنهن أعذب أفواها وأنتق أرحاماً وأرضى باليسير"^(٣)، سيأتي هذا العامل في مبحث العوامل المؤثرة بالنمو الإنساني مفصلاً.

الفرع الرابع - التعريب في الاختيار لتأثيره في النمو الجسدي والاجتماعي والعقلي للطفل

خاطب سيدنا عمر بن الخطاب ؓ بني السائب حين لاحظ ضعف ذريتهم بقوله " يا بني السائب قد أضويتم فانكحوا في الغرائب"^(٤)، فقول سيدنا عمر بن الخطاب ؓ يدل على أن تجنب القريبات عند إرادة الزواج؛ فالزواج من القريبات لاسيما في الدائرة الأسرية الواحدة، يحيل أمر النسل إلى ضعف وأما إذا اغترب فإنه يحيل أمر النسل إلى قوة^(٥).

وجاءت أبحاث الوراثة لنقول "إن كل إنسان يحمل من أربعة إلى ثمانية جينات شريرة أو مشوهة، إلا أنها لا تشكل خطراً أنياً على صحتنا، لأنها توجد مختبئة، ولقد قدر أن كل

(١) سورة النور، آية ٣٢.

(٢) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، مرجع سابق، ٣٢٧/٢.

(٣) رواه البخاري، سبق تخريجه.

(٤) علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، كنز العمال، في سنن الأقوال والأفعال، حديث رقم (٤٥٦٢٦)، حديث موقوف

على عمر بن الخطاب ؓ.

(٥) سهام مهدي جبارة، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، بيروت، لبنان، المكتبة العصرية، ط١، ١٩٩٧م

واحد من ثلاثة أشخاص طبيعيين يحمل جينا مختبأ يؤدي في حال وجوده بشكل زوجي إلى قصور عقلي خطير. وعند زواج شخص بآخر من العشيرة نفسها فإن احتمال أن يكون الزوج حاملاً للجين الشرير نفسه كبير، ويرتفع ذلك الاحتمال عند الزواج من العائلة نفسها، مما يؤدي إلى زيادة مضطربة في احتمال ولادة أطفال مصابين بأحد الأمراض الوراثية. ويساوي احتمال ولادة طفل مصاب بمرض وراثي لأولاد العم أو الخال ٦-٨% في مقابل احتمال ٣-٤% لظهور مثل ذلك المرض في المجتمع ككل، لذلك لا ينصح بزواج أبناء العمومة، لاسيما عند وجود أمراض وراثية في العائلة...»^(١).

هذه هي بعض قواعد اختيار شريك الحياة وأسسها، والملاحظ أن الإسلام يحض في اختيار الشريك على أسس القيم الثابتة وعدم الإغترار بالقيم الزائلة لذا كانت العلاقة الشرعية بين الزوجين وصلاح الوالدين والبكورة والتغريب أسس هذا الاختيار، إضافة إلى ما سواها من الجمال والمال والحسب بعد توافر عنصرَي الدين والخلق، فهذان العنصران اللذان يحميان الحياة الزوجية من بوادر النشوز والإعراض ولهما الدور الفاعل في التغلب على ما قد يعترض الأسرة من مشكلات، فضلاً عن أنهما يهيئان الجو الصالح لتربية الأبناء التربية السليمة ونموهم في جميع المجالات النمو الصحيح^(٢).

ان مما يؤسف له حقا أن المسلمين، حذوا حذو الغربيين، فبهرتهم المادة، واتجهوا نحوها بسبل متعددة، غير ملتفتين إلى دعوة القرآن الكريم والسنة المطهرة من ضرورة اختيار الزوجة على أساس الدين والخلق والبيئات النظيفة الطاهرة، لتنتقل إلى أبنائها الصفات الحميدة التي تغذيها ينابيع الإيمان بالله سبحانه وتعالى وسنة رسوله الأمين ﷺ والتي تتجاوب مع الفطرة السوية التي فطر الله الناس عليها^(٣).

(١) عبد الغني عبود وحسن عبد العال، التربية الإسلامية وتحديات العصر، القاهرة، مصر، دار الفكر العربي، ط١، ١٩٩٠م، ص ٣٤٢-٣٤٣.

(٢) أمينة الجابر، التفكك الأسري، الأسباب والطول المطروحة، كتاب الأمة، الدوحة، قطر، وزارة الأوقاف، العدد ٨٣ ربيع الثاني ١٤٢٢هـ، ص ٤٣.

(٣) مها الأبرش، الأمومة ومكانتها في الإسلام، مرجع سابق، ١/١٣٣.

المبحث الثالث - مرحلة الجنين.

يشتمل المبحث التمهيد، وثلاثة مطالب، المطلب الأول - مراحل نمو الجنين، المطلب الثاني - الأحكام الشرعية التي تدل على مراعاة الإسلام لهذه المرحلة، المطلب الثالث - مظاهر نمو الجنين.

التمهيد:

الجنين في اللغة هو المادة التي تتكون في الرحم من عنصرين الحيوان المنوي والبويضة، وهو الولد ما دام في بطن أمه لاستناره فيه وجمعه أجنة^(١). فالجنين هو المستور في رحم أمه بين ظلمات ثلاث، يقول سبحانه: ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَنَزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمِينَةَ أَزْوَاجٍ مَخْلُوقَكُمْ فِي بُطُونِ الْأُمَّهَاتِكُمْ خَلَقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقِ فِي ظُلْمَةٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾^(٢).

لقد وردت كلمة الجنين والأجنة في غير آية من آيات القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾^(٣). فالجنين هو نسل الحيوان والإنسان ما دام في رحم الأم^(٤).

وقد اهتمت البشرية بالكشف عن أسرار التخلق البشري في مرحلة الأجنة، فكانت الدراسات الأولى تستخدم الوصف التخيلي نظراً لقلّة الوسائل وآلات التقنية المتقدمة، ولكن بعد اختراع المجهر والأجهزة الحديثة، اتسمت الدراسات بدقة أكبر وظلت تستخدم الوصف إلى جانب الأساليب التجريبية للكشف عن أسرار هذه المرحلة المهمة من مراحل النمو، ولم يتم التوصل إلى وصف شامل ودقيق للتخلق الجنيني إلا في القرن العشرين باستخدام الأجهزة الحديثة.

واللافت للنظر والتأمل أنه قبل توصل العلم التجريبي الحديث لمراحل التخلق الجنيني في رحم الأم، كانت آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية تتضمن وصفاً دقيقاً وشاملاً لمراحل التخلق الجنيني في الإنسان؛ فالمراحل الصحيحة موجودة ومتكاملة بألفاظ وعبارات وصفية دقيقة منذ أربعة عشر قرناً من الزمان ويزيد، وكان العلماء يتجهون إلى اعتناق نظريات تقوم على أسس واهية، فاعتنقوا النظرية الإغريقية التي تقول بأن الجنين يتخلق في دماء الحيض، وعند اختراع الميكروسكوب واكتشاف الحيوان المنوي، كان الاعتقاد السائد بين العلماء أن كل

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة جن.

(٢) سورة الزمر، آية ٦.

(٣) سورة النجم، آية ٣٢.

(٤) محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتوير، مرجع سابق، ٢٧/ص ١٢٧.

خلية منوية تحمل كائناً بشرياً كامل الخلق دقيق الحجم، وبذلك اتجهوا إلى تجاهل الإسهام الوراثي من الأم، ومن ثم اكتشفت البويضة وكان هناك اعتقاد سائد بأن كائناً بشرياً متكامل الخلق فيها وهكذا كانت الأفكار المتداولة^(١). وظلت متغيرات الجنين في بطن الأم خافية لسنين طويلة عن أعين العلماء، إلى أن رفع العلم حديثاً وقبله القرآن الكريم النقاب عن هذا العالم المزدحم بالأسرار، وأظهر أن النطفة عندما تستقر في الرحم تبدأ سيرها التكاملية في مراحل مختلفة ومتنوعة حتى تصبح على هيئة إنسان متكامل.

لذا تعد المرحلة الجنينية من أهم مراحل النمو في حياة الطفل، بل تمثل حجر الأساس في نمو الطفل وقد أكدت الأبحاث أن بيئة الجنين تؤثر في نمو الطفل في المراحل النمائية اللاحقة، فإذا كانت صحيحة ومواتية نما الطفل نمواً طبيعياً سليماً في حين أن اختلال البيئة يؤدي إلى اختلالات في مسارات النمو^(٢).

فعملية تخليق الجنين وتكوينه في رحم الأم عملية إعجازية تدل على سمو القدرة الإلهية، فعلى الرغم من أن هذه العملية متصلة ومستمرة فإن القرآن الكريم قسمها إلى عدد من

المراحل الفرعية المتدرجة. يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ

﴿٣١﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا

الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿٣٣﴾

ويقول سبحانه: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٥﴾ فَعَلَّ مِنْهُ

الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٤﴾

ومن اللافت للنظر أن القرآن الكريم أتى بحرفي العطف "الفاء وثم" للفصل بين

المراحل المختلفة؛ فإذا كانت المدة الزمنية التي يستغرقها الحدث طويلة كانت أداة العطف "ثم"

وإذا كان الحدث يحتاج إلى مدة زمنية قصيرة كان أداة العطف بالفاء^(٥).

وعليه فتعد النقلة من مرحلة الطين إلى مرحلة النطفة نقلة بعيدة في الزمان وبعيدة في

الأذهان، لذا جاء التعبير القرآني فاصلاً بينهما بـ "ثم" وكذلك في مرحلتي النطفة والعلقة

(١) محمد فياض، أعجاز آيات القرآن في بيان خلق الإنسان، القاهرة، مصر، دار الشروق، ط١، ١٩٩٩م، ص ٣٣-٤٢.

(٢) محمود عقل، النمو الإنساني، مرجع سابق، ص ١١٧.

(٣) سورة المؤمنون، آية ١٢-١٤.

(٤) سورة القيامة، آية ٣٧.

(٥) محمد فياض، أعجاز آيات القرآن، مرجع سابق، ص ١٢٥ - ١٢٩.

ومرحلة الكساء باللحم والخلق الآخر، وجاء حرف العطف الفاء ليدل على التسلسل بين مراحل العلقة والنطفة والمضغة والعظام واللحم^(١).

"فالعلقة والمضغة والعظام طور واحد، لذلك دخلت (فاء) بين مرحلته للدلالة على اتصالها، ودخلت (ثم) بين الأطوار الأخرى للدلالة على تباينها وشدة التفاوت بينها"^(٢).
ونكر تاج الدين الجاعوني هذا بقوله: "وقد اختلف العطف من 'فاء' إلى 'ثم' لأن ما عطف بـ 'ثم' له بينونة كاملة مع ما عطف عليه، وما لم يكن فيه بينونة عطف بالفاء"^(٣) كقوله: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَبَارَكُ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(٤).

ولعل سائلاً يسأل عن قوله تعالى في سورة الحج: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ آجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأُنبَتَتْ مِن كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٍ﴾^(٥). إن حرف العطف (ثم) دخل بين المضغة والعلقة وليس بين هاتين المرحتين تفاوت يستدعي حرف المباحة بينما في سورة (المؤمنون) دخلت الفاء بينهما؟ إن علة هذا هي اختلاف المخاطب، فالمخاطب في سورة (المؤمنون) هم المؤمنون الذين يستقبلون الخبر استقبال الموقن، بينما المخاطب في سورة (الحج) هو منكر البعث من العرب. فمقام الإنكار يستدعي تعدد الأطوار وإبراز مراحل الطور الواحد في أطوار متعددة بهدف إظهار عظمة قدرة الله تعالى، فكان العطف بالحرف (ثم) هو الأجدر بالاستعمال والتوضيح الذي يدعو إلى الإيمان بالبعث. في حين عطف بالفاء في سورة (المؤمنون) لأن هؤلاء لا ينكرون قدرة الله سبحانه وتعالى في البعث^(٦)، وفيما يلي عرض موجز لمراحل النمو الجنيني في رحم الأم.

(١) موسى علي الشراوي، نظريات تفسير الطبيعة الإنسانية، دراسة نقدية في ضوء مفهوم هذه الطبيعة في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه غير منشورة، مصر، جامعة الزقازيق، كلية التربية، ١٩٨٨م، ص ٥٧.

(٢) محمد الخضري، من أسرار العطف في الذكر الحكيم (الفاء وثم)، القاهرة، مصر، مكتبة وجيه، ط١، ١٩٩٣م، ص ٢٧٥.

(٣) تاج الدين الجاعوني، الإنسان هذا الكائن العجيب، أطوار خلقه وتصويره في الطب والقرآن، عمان، الأردن، ط١، دار عمان، ١٩٩٣م، ج١، ص ١١٢.

(٤) سورة المؤمنون، آية ١٤.

(٥) سورة الحج، آية ٥.

(٦) محمد الخضري، من أسرار العطف في الذكر الحكيم، مرجع سابق، ص ٢٧٥-٢٧٧.

المطلب الأول- مراحل نمو الجنين

الفرع الأول - مرحلة النطفة

النطفة في الاصطلاح لها معنيان:

أ- المني وهو ماء الرجل، غليظ دافق يخرج عند اشتداد الشهوة، وماء المرأة وهو الماء الرقيق الأصفر الذي يخرج عند اشتداد الشهوة كذلك^(١).

ب- مرحلة بداية خلق الإنسان وتتكون من التقاء الحيوان المنوي عند الذكر والبويضة الأنثوية عند المرأة، وهي الطور أو المرحلة الأولى في تخلق الجنين.

وقد أشار القرآن الكريم والسنة المطهرة إلى هذه المرحلة من مراحل تكون الجنين في العديد من النصوص، يقول سبحانه: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾^(٢). علماً بأن الحقيقة الخاصة بتكوين النطفة الأمشاج من نطفتي الرجل والمرأة كليهما لم يكتشفها العلم الحديث إلا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

فالنطفة هي خلاصة الخلاصة؛ إذ تحدث في الجسم عمليات الاحتراق والهدم والبناء بصفة مستمرة، وينتج عنها خروج الفضلات المختلفة، من بول وغائط وعرق ودموع، كلها فضلات ناتجة عن احتراق الطعام بداخل الجسم، حيث يمتص الجسم خلاصة الغذاء وينقلها إلى الدم، ومن هذه الخلاصة يستخلص مني الإنسان الذي تؤخذ منه النطفة، فإله سبحانه وتعالى صفى النطفة ونقاها لأنها ستكون أصلاً لأكرم مخلوقاته وهو الإنسان، وهذه النطفة لا تنزل إلا في جماع وهي ألد متعة في وجود الإنسان وهي لذة شاملة يهز لها الجسم كله ولا تستطيع أن تحدد فيها منطقة الإحساس، بل كل ذرة من ذرات الجسم تحسها^(٣).

وفي هذه النطفة تكمن جميع خصائص الإنسان المقبل؛ صفاته الجسدية من طول وقصر وضخامة وقبح ووسامة، كما تكمن الصفات العصبية والعقلية والنفسية من ميول ونزعات وطباع واتجاهات وانحرافات واستعدادات^(٤). ومن الملاحظ أن الانتقال من مرحلة النطفة إلى مرحلة العلقه جاء بحرف العطف "ثم" "إن أحدث ما في علم الأجنة قدر فترة زمنية تزيد على أسبوعين بين مرحلة النطفة ومرحلة العلقه، حيث يتباطأ فيها نمو الجنين؛ ففي هذه المرحلة تتغرز النطفة في جدار الرحم، والجنين في هذه المرحلة لا ينمو، ولكنه يوطد

(١) عبد الله بن أحمد ابن قدامه المقدسي (ت-٦٢٠هـ)، المغني، تحقيق د. عبدالله التركي و د. عبد الفتاح الحلو، السعودية، دار عالم الكتب، ط٤، ١٩٩٩م.

(٢) سورة الإنسان، آية ٢.

(٣) محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، مرجع سابق، ج ١٧ / ص ٩٧٠٤ - ٩٧٠٦.

(٤) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٤ / ٢٤١٠.

طرائق امتصاصه للغذاء من الرحم ... فهذا البطء في مرحلة نمو الجنين في الأسبوع الثاني والثالث من اللقاح عبر عنه بحرف " ثم " ...^(١).

الفرع الثاني - مرحلة العلقه

سميت النطفة علقه لأنها تعلق بالرحم، وهي البويضة المخصبة، فبعد أن كان للبويضة تعلق بالأم وللحيوان المنوي تعلق بالأب، اجتمعا في تعلق جديد، والتقىا ليتشبها بجدار الرحم وكأن فيها ذاتية تجعلها تعلق بنفسها^(٢).

ومن إعجاز القرآن العلمي تسمية هذا الكائن بالعلقه، فهي تسمية بديعة، ذلك لأنه ثبت في علم التشريح أن هذا الجزء الذي استحالت إليه النطفة له قوة امتصاص عالية من دم الأم بسبب التصاقه بعروق الرحم التي تدفع إليه قوة الدم، والعلقه قطعة من دم عاقد^(٣) ولفظ العلقه لفظ يستوعب المعاني التي تشير إلى التعلق والتشبث والامتصاص، كما يشير إلى الشبه مع بالدودة المسماة بالعلقه سواء في شكلها أو في امتصاصها للدم من الجسم البشري الذي تتشبث فيه^(٤) وهناك شرطان لتعلق البويضة في الرحم^(٥).

أ- أن تتطور النطفة الملقحة إلى مرحلة تصبح معها قادرة على العلق في جدار الرحم بوساطة الخلايا المغذية.

ب- أن يكون غشاء الرحم المخاطي قد تهيأ لاستقبال النطفة الملقحة وذلك بتكاثر الغدد وزيادة المفرزات وبادخار مولد السكر في خلاياه، وهذا يتحقق بتأثير هرمون البروجسترون الذي يفرزه الجسم الأصفر، الذي هو محور الخلايا التي بقيت في المبيض بعد الإباضة.

الفرع الثالث - مرحلة المضغه

مرحلة تمتد من نهاية مرحلة العلقه إلى بداية تكون العظام والعضلات وهي كتلة من الخلايا التي سيبدأ فيها التخصص أو مجموعة من الكتل اللحمية في صورة بدائية لمختلف الأعضاء^(٦). وتعبير القرآن الكريم عنها بالمضغه دقيق، لأن الجنين في هذه المرحلة يشبه قطعة اللحم الممضوغة بالأسنان فتظهر عليها البروزات والتجاويف التي ستكون فيما بعد أجهزة الجسم وأعضاؤه^(٧).

(١) محمد راتب النابلسي، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، مرجع سابق، ص ١٥٥ - ١٥٦.

(٢) محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، مرجع سابق، ١٧ / ٩٧٠٦.

(٣) محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج ١٨ / ص ٢٠.

(٤) محمد عز الدين توفيق، دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، مرجع سابق، ص ٣٥١.

(٥) محمد محمود عبد الله، الطب القرآني بين الغذاء والدواء، مصر، مؤسسة شباب الجامعة، ٢٠٠١م، ص ٢١٠.

(٦) محمد عز الدين توفيق، دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، مرجع سابق، ص ٣٥٢.

(٧) محمود عقل، النمو الإنساني، الطفولة والمراهقة، الرياض - السعودية، دار الخريجي، ط٥، ١٤١٨هـ، ص ١٢٥.

يرى بعض الباحثين أن المضغ ليس لحمياً وإنما هي خلايا مثلاصفة وظيفتها تكوين اللحم والعظم والجلد وغيرها، وذلك لسببين: الأول - عدم وجود نص من القرآن أو السنة يفسر المضغ بذلك. والثاني - لأن مرحلة اللحم مرحلة متأخرة تأتي بعد العظام^(١).

في حين يرى الباحث أن المضغ هي القطعة الصغيرة من اللحم بمقدار اللقمة التي تمضغ، وذلك بسبب الوصف الذي وصفت به، ويؤيد هذا الراي الطاهر ابن عاشور حيث يقول: فهي "مخلقة وغير مخلقة" والذي يشير إلى تطورات المضغ، ففي أول أمرها تكون غير مخلقة، أي أن شكل خلقها غير ظاهر، ثم تكون مخلقة والمراد تشكيل الوجه ثم الأطراف لذلك لم يُذكر هذان الوصفان عند ذكر النطفة والعلقة إذ ليس لهما مثل هذين الوصفين بخلاف المضغ^(٢). وقد يكون معنى "مخلقة الذي يصبح خلقاً تاماً كاملاً مصوراً" وغير مصوراً" وغير مخلقة" هي التي تدفعها الأرحام طاردة لها قبل أن تتخلق أو تمجها الأرحام دماً^(٣). وللضغ ثلاث طبقات تسهم في تخليق أعضاء الجسم المختلفة وهي^(٤):

أ- الطبقة الخارجية (إكتودرم)

تسهم في تخليق المخ - الحبل الشوكي، الأعصاب، الفص الأمامي والخلفي للغدة النخامية، الغدة الكظرية، شبكية العين، الأغشية المبطننة للأنف والفم، بشرة الجلد، الأظافر، الغدد تحت الجلدية، وغدد الثديين، جذور الأسنان، عدسة العين، الأذن الداخلية.

ب- الطبقة الوسطى (ميزودرم).

تسهم في تكوين العظام والعضلات والقلب والدم والطحال والسائل اللمفاوي، والكليتين والجهاز التناسلي، والغدة الكظرية (القشرة)، طبقة الأدمة من الجلد.

ج- الطبقة الداخلية (اندودرم).

الطبقة المبطننة للجهاز الهضمي والتنفسي، الكبد والبنكرياس، الغدة الدرقية والغدة جار الدرقية، الغشاء المبطن للحالب والمثانة وغيرها.

الفرع الرابع - مرحلة العظام

إن جزءاً من المضغ هو الذي يتحول أو يسهم في تكوين العظام وليس كما يظن بعضهم أن المضغ تتحول إلى عظام، وتشير الآيات الكريمة إلى أن تكوين العظام يسبق تكوين اللحم والعضلات وهذا ما كشفه علم الأجنة التشريحي لأن خلايا العظام غير خلايا

(١) منى ادعيس، مراحل خلق الإنسان في آيات القرآن، مرجع سابق، ص ٢٣٣.

(٢) محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتتوير، مرجع سابق، ١٧ / ١٤٤ - ١٤٥.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٣ / ٢٠١.

(٤) حامد احمد حامد، رحلة الإيمان في جسم الإنسان، دمشق، سوريا، دار القلم، ٣، ٢٠٠٢م، ص ١٠٧-١٠٨.

اللحم، وقد ثبت أن خلايا العظام هي التي تتكون أولاً في الجنين ولا تساهل خلية واحدة من خلايا اللحم إلا بعد ظهور خلايا العظام وتمام الهيكل العظمي للجنين^(١).

ومن الأمور التي يجب ذكرها هي أن العظام لا تتطور في آن واحد، بل إن العظام لا تتكون على نحو موحد في الجسم كله. فالأنسجة العظمية تظهر بالتعاقب ولا ينتهي نموها إلا في مرحلة متأخرة جداً ولذا لا يمكن الجزم بأن العظام تظهر في هيئتها النهائية في الأسبوع السابع ولكن الذي يحصل هو نموها غضروفياً^(٢) لهذه العظام يتخلق تدريجياً في الجسم كله ابتداءً من الأسبوع السادس وينشأ على هيئة هيكل عظمي في الجنين في الأسبوع السابع وبذلك يتكون العظام في جسد الجنين^(٣).

والمأمل في اللفظ القرآني " فكسونا العظام لحماً " يلحظ أن لفظ كسونا يصور بدقة فعل اللحم والعضلات بالعظام فهي تكسوها دون أن تكون تكونت منها كما يكسو اللباس جسم الإنسان دون أن يكون تكون منه، فالعضلات تشبه الألبسة التي تفصل على قدر أصحابها من طرف أمهر الخائطين مع تفوقها في التماسق والانسجام^(٤).

الفرع الخامس - مرحلة التصوير والتسوية والتعديل

بعد مرحلة تكوين العظام تأتي مرحلة جديدة هي مرحلة التصوير والتسوية والتعديل. يقول سبحانه: ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾^(٥).

فالآية الكريمة تتعلق بالنشأة الإنسانية النشأة المجهولة في ظلام الأرحام حيث لا علم للإنسان ولا قدرة، يخبر الحق بأنه " يصوركم " أي يمنحك الصورة التي يشاء، ويمنحك الخصائص المميزة لهذه الصورة، وهو وحده الذي يتولى التصوير بمحض إرادته ومطلق مشيئته^(٦). يقول سبحانه: ﴿ يَتَّيِّبُهَا لَإِنسَانٍ مَّا عَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾^(٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾^(٧).

والتسوية هي جعل الشيء سوياً قوياً سليماً، أي جعل قواه ومنافعه الذاتية متعادلة غير متفاوتة في قيامها بوظائفها، بحيث إذا اختل بعضها تطرق الخلل إلى سائر الأعضاء، أما

(١) محمد عبد الله، الطب القرآني بين الغذاء والدواء، مرجع سابق، ص ٢٢٥-٢٢٦.

(٢) يمكن تقسيم العظام في الجسد إلى نوعين، عظام غضروفية وهي التي تتكون من الغضاريف أولاً ثم تمتلئ بالعظام تدريجياً وعظام غشائية وهي التي كان نسيجاً من الغشاء ثم بني عليها العظم من دون أن تسبقه مرحلة نشوء الغضاريف، محمد عبد الله، الطب القرآني بين الغذاء والدواء، مرجع سابق، ص ٢٢٢-٢٢٣.

(٣) كريم نجيب الاغر، أعجاز القرآن فيما تخفيه الأرحام، بيروت، لبنان، دار المعرفة، ط١، ٢٠٠٥م، ص ٣٢٣.

(٤) محمد عز الدين توفيق، دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، مرجع سابق، ص ٢٥٧.

(٥) سورة آل عمران، آية ٦.

(٦) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ١ / ٣٦٨ - ٣٦٩.

(٧) سورة الانفطار، آية ٦-٨.

التعديل فهو التناسب بين أجزاء البدن مثل تناسب اليدين والرجلين والعينين وصورة الوجه فلا تفاوت، فخلق جسد الإنسان مقسمة أعضاؤه على جهتين لا تفاوت بين جهة وأخرى وجعل لكل جهة مثل ما في الأخرى من الأوردة والأعصاب^(١).

يؤيد هذا حديث حذيفة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول " إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظمها. ثم قال: يا رب أنكر أم أنثى؟ فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك، ثم يقول يا رب أرزقه؟ فيقضي ربك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يخرج الملك بالصفحة في يده فلا يزيد ولا ينقص"^(٢).

الفرع السادس - مرحلة الخلق الآخر "ونفخ الروح"

أي تم نفخ الروح فيه فتحرك وصار خلقا آخر ذا سمع وبصر وإدراك وحركة واضطراب هو الإنسان ذو الخصائص المتميزة^(٣) لأن الإنسان قبلها كان دون حياة فطرات عليه حالة أخرى وهي نفخ الروح فعبر عنه بالإنشاء^(٤).

والسؤال الذي يحتاج إلى إجابة بعد أن مر الجنين بالمراحل السابقة من نطفة وعلقة ومضغة ومن العظام والتسوية والتعديل والتصوير متى يكون نفخ الروح؟ هل هو بعد الأربعين الأولى على الرأي الذي يقول: إن النطفة والعلقة والمضغة تكون بعد الأربعين الأولى أم أن نفخ الروح يكون بعد الأربعين الثالثة؟ ويمكن الإجابة على السؤال في النقاط الآتية:

أولاً- يقول سبحانه: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُدْ سَاجِدِينَ﴾^(٥). فالروح أمر من الله سبحانه وتعالى ومهما أوتينا من العلم فلن نبلغ شيئا عنها لان علمنا قليل، قال الله تعالى: ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٦)، وهي المرحلة الأخيرة في خلق الإنسان والتي تحول الإنسان إلى خلق آخر قال تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(٧).

(١) محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ٣ / ١٥٦.

(٢) رواه الطبراني، المعجم الكبير، ج ٣ / ص ١٧٨، حديث ٣٠٤٤، صححه الألباني، انظر: صحيح وضعيف الجامع الصغير، حديث رقم (٧٩٧).

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٤ / ٢٤٥٩.

(٤) محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج ١٨ / ص ٢١.

(٥) سورة الحجر، آية ٢٩.

(٦) سورة الإسراء، آية ٨٥.

(٧) سورة المؤمنون، آية ١٤.

والنفخ في حقيقته إخراج الهواء مضغوطاً بين الشفتين واستعير هنا لوضع قوة لطيفة السريان قوية التأثير دفعة واحدة، وليس ثمة نفخ ولا منفوخ، وإسناد الروح إلى اسم الجلالة تنويه بأهمية هذا المخلوق وإن العناصر عند الله لا تتفاضل إلا بتفاضل أثارها وأعمالها^(١).

ثانياً- جمع تعارض الأحاديث التي رويت في تحديد وبيان مراحل نمو الجنين في بطن أمه وبيانها؛ فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق قال: إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقةً مثل ذلك، ثم يكون مضغةً مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه ملكاً يؤمر بأربع كلمات، ويقال له اكتب عمله ورزقه وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح، فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع فيسبق عليه كتابه، فيعمل بعمل أهل النار، ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة^(٢).

وعن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها، ما شاء ويكتب الملك، ثم يقول يا رب رزقه؟ فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده فلا يزيد على أمر ولا ينقص^(٣).

إن الناظر في الحديثين يلحظ ثمة تعارضاً بين حديث ابن مسعود وحديث حذيفة؛ ولكن هذا التعارض يزول إذا قلنا بأن حديث ابن مسعود لم يتعرض إلى وقت التصوير والتخليق، وإنما إلى بيان أطوار النطفة وتقلها وأن نفخ الروح يتم بعد الأربعين الثالثة، وهذا ما لم يتعرض له حديث حذيفة الذي اختص بأن التخليق والتصوير يكون بعد الأربعين الأولى. واختص ابن مسعود بأن النفخ يكون بعد الأربعين الثالثة، واشترك الحديثان باستئذان الملك^(٤).

ثالثاً- حديث ابن مسعود له رواية أخرى تدل على أن التخليق والتصوير يكون بعد الأربعين الأولى، فعنه قال: " إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون في ذلك علقةً مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغةً مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات- يكتب رزقه وعمله وشقي أم سعيد^(٥).

(١) محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتوير، مرجع سابق، ٣٦/١٣.

(٢) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج٤، ص ٢٠٣٦، حديث ٢٦٤٣.

(٣) رواه الطبراني، المعجم الكبير، ج٣، حديث رقم (٣٠٤٤)، صححه الألباني، انظر: صحيح وضعيف الجامع الصغير، حديث رقم (٧٩٧).

(٤) محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود، القاهرة، مصر، مكتبة ابن تيمية، ط١، ١٩٩٩م، ص ١٦٩.

(٥) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج٤، ص ٢٠٣٦، حديث ٢٦٤٣.

فحديث حذيفة وحديث ابن مسعود في الرواية الثانية يدلان على أن الأربعين الأولي تشمل نطفة فعلة فمضغة، وما أن تبدأ الأربعون الثانية حتى تتخلق المضغة وتتصور فيها الحواس والأطراف، وهذا ما أشارت إليه البحوث في علم الأجنة حيث يحدث تحول الكتل البدنية في المضغة إلى عظام وعضلات ثم كسوة العظام بالعضلات واللحم ويستمر التمايز والتخصص إلى نفخ الروح^(١).

رابعاً- لا يمكن للعلم التجريبي أن يرصد كيفية نفخ الروح، لأن الروح ليست هي البدن ولا جزءاً منه ولا صفة من صفاته وإنما هي أمر الله تعالى^(٢)، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَسْتَلُوْا نَفْسَ رُوحٍ مِّنْ رُّوْحٍ مِّنْ أَمْرِ رَبِّيْ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيْلًا﴾^(٣).

خامساً- نفخ الروح يتمثل في الحركات الإرادية التي يقوم بها الجنين، لذا فإن نفخ الروح يكون في نهاية الشهر الثالث أو بداية الرابع^(٤) وهذا ما قرره علم الأجنة الذي يذهب إلى أن حركة الجنين تبدأ من آخر الشهر الثالث وابتداء الشهر الرابع تقريباً^(٥)، والسؤال الذي يطرح ما الذي حصل للجنين من نمو قبل نهاية الشهر الثالث أو بداية الشهر الرابع؟ يقول ابن القيم " الجنين قبل نفخ الروح فيه هل كان فيه حركة وإحساس أم لا؟! قيل كان فيه حركة النمو، والاعتناء كالنبات ولم تكن حركة نموه واعتنائه بالإرادة فلما نفخت فيه الروح انضمت حركة حسية وإرادية إلى حركة نموه واعتنائه..."^(٦).

ويؤيد هذا ما أشار إليه القرآن الكريم بشأن المدة التي يصبح عندها أو بعدها يشخص الحمل يقينياً من خلال عدة المرأة التي توفي عنها زوجها، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فِإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(٧).

لقد جعل الله عدة المرأة المتوفى عنها زوجها منوطة بالأمد الذي يتحرك في مثله الجنين تحركاً بيناً، محافظة على أنساب الأموات. فما بين استقرار النطفة في الرحم إلى نفخ الروح أربعة أشهر، وإذا كان الجنين عقب نفخ الروح فيه يقوى تدريجياً جعلت العشر الليالي

(١) محمد عثمان نجاتي، الحديث وعلم النفس، القاهرة، مصر، دار الشروق، ط٤، ٢٠٠٠م، ص ٢٢٩.

(٢) محمد عز الدين توفيق، التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، مرجع سابق، ص ٢٣٥.

(٣) سورة الإسراء، آية ٨٥.

(٤) محمود عقل، النمو الإنساني، مرجع سابق، ص ١٢٦.

(٥) محمد عثمان نجاتي، الحديث النبوي وعلم النفس، مرجع سابق، ص ٢٣١.

(٦) محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، التبيين في أقسام القرآن، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠١م، ص ٢١٠.

(٧) سورة البقرة، آية ٢٣٤.

الزائدة على الأربعة الأشهر لتحقيق تحرك الجنين تحركاً بيناً، فإذا مضت المدة حصل اليقين بانتقاء الحمل إذ لو كان ثمة حمل تحرك لا محالة، وهو يتحرك لأربعة أشهر، وزيدت عليها العشر احتياطاً لاختلاف حركات الأجنة قوة وضعفاً باختلاف قوى الأمزجة^(١).

ويرى الدكتور شرف القضاة أن مرحلة نفخ الروح تتم قبل الأربعة أشهر، لأن حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ليس فيه تصريح بالأربعة أشهر، وقوله " ثم يكون علقة مثل ذلك" ليس المقصود به أربعين يوماً بل يحتمل غيره^(٢).

وبعد مرحلة نفخ الروح يبدأ التغير في حجم الأعضاء حتى يكتمل نموها، لتأخذ شكلاً انمياً فينمو الجهاز التناسلي وتشكل الأظافر وحفوف الأعين، ويحدث تغير في نسب الأعضاء بعضها إلى بعض فعلى سبيل المثال تتغير نسبة رأس الجنين إلى طول جسمه، ويصل الجنين إلى مرحلة قابلة للحياة في نهاية الشهر السابع فإذا قدر له أن يولد فإنه يستطيع العيش ولكن تحت إشراف طبي أو ما يسمى بطفل الخداج^(٣).

المطلب الثاني- جانب من الأحكام الشرعية التي تدل على مراعاة الإسلام للنمو الإنساني في هذه المرحلة.

بين الإسلام مجموعة من الأحكام الشرعية التي يجب الالتزام بها، كونها تؤثر في نمو الطفل وهو في رحم أمه، فيتأثر نموه الجسدي، والانفعالي، والعقلي وغيرها من مظاهر النمو. الفرع الأول - وجوب النفقة للزوجة ومعاشرتها بالمعروف حرصاً على النمو الجسدي والنفسي للجنين

أوجب الإسلام نفقة المرأة على الرجل، والمقصود بالنفقة توفير ما تحتاج إليه الزوجة من طعام ومسكن وخدمة ودواء وإن كانت غنية^(٤). يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَعَلَى الْوَالِدِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكَسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تَكْلَفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ﴾^(٥). ويقول سبحانه: ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِيُضَارَّوهُنَّ لِيُضَارَّوهُنَّ عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمَلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَنْتُمْ يُبَيِّنُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمُ فَسَرِّضْ لَهُنَّ أُخْرَى ﴾^(٦).

(١) محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ٢/ ٤٢١-٤٢٢

(٢) شرف القضاة، متى تنفخ الروح في الجنين، عمان، الأردن، دار الفرقان، ط١، ١٩٩٠م، ص ٤٥.

(٣) محمود عقل. النمو الإنساني، مرجع سابق، ص ١٢٧-١٣٠.

(٤) سيد سابق. فقه السنة، بيروت، لبنان، دار الفكر، ١٩٩٢م، ١٤٧/٢.

(٥) سورة البقرة، آية ٢٣٣.

(٦) سورة الطلاق، آية ٦.

وعن عائشة رضي الله عنها أن هنداً بنت عتبة قالت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني من النفقة ما يكفيني ويكفي بني إلا ما أخذت من مال بغير علمه فهل علي في ذلك من جناح؟ فقال رسول الله ﷺ خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك^(١). تدل النصوص السابقة على أن للمرأة حق النفقة على زوجها سواء أكانت هذه المرأة في بيت الزوجية أو أنها مطلقة؛ والتي تجب لها النفقة حتى تضع الحمل؛ ولا يخفى ما في إقرار هذا الحق من حقوق الزوجية على حالتها النفسية، فعلمها بأن الزوج ملزم شرعاً بإعالتها والإنفاق عليها وتوفير ما تحتاج إليه من طعام ومسكن وخدمة ودواء - يرفع العبء النفسي عنها لتحصيل الرزق، بل ويصبح شغلها الرئيسي هو رعاية زوجها وأبنائها وتوفير الجو العائلي المناسب لنمو الأبناء نمواً سليماً وتربيتهم تربية سليمة^(٢).

إن تأمين الغذاء والدواء والمسكن للمرأة الحامل يؤثر في نمو الجنين، فالنمو الجسدي للجنين يكون بأفضل حال لبعده عن سوء التغذية، فالأم التي تعاني من خلل في الغذاء قد تلد طفلاً يعاني نقصاً جسمياً أو عقلياً أو اضطراباً نفسياً... ولسوء التغذية تأثير مباشر على نمو دماغ الجنين، فيكون نموه العقلي عند الأمهات اللاتي لا يكثرن بنوع الغذاء أثناء فترة الحمل أقل منه عند أقرانهم ونظرائهم ممن يهتمن بنوعية الغذاء من الحوامل، وسوء التغذية يؤثر في تكاثر خلايا الدماغ، فقد وجد أنها تتكاثر في مرحلة ما قبل الولادة عن طريق الانقسام المباشر، وسوء التغذية لا يجعلها قادرة على هذا الانقسام مما يسبب كثيراً من الإعاقات^(٣).

وتعدُّ التغذية سبباً للولادة غير الناضجة أو الميتة أو ولادة أطفال يعانون من فقر الدم أو التشوهات الخلقية، وكذلك سوء التغذية للأم وجرمانها من الحديد والفيتامينات والعناصر الغذائية الأخرى ينعكس على قلة وزن الطفل، وبالتالي تعرضه للموت عقب الولادة، وقد يؤدي إلى إعاقة جسمية وعقلية أو متاعب أثناء النمو لديه^(٤).

وقد أجريت دراسة لمعرفة أثر التغذية في نمو الجنين في أمريكا الجنوبية وتمت المقارنة بين مجموعتين من الأمهات الحوامل، مجموعة تلقت الغذاء، والمجموعة الثانية عانت نقص الغذاء فاتضح أن أطفال الأمهات المحرومات من الغذاء أقل وزناً وذكاءً وأكثر عرضة للوفاة نتيجة سوء التغذية^(٥).

(١) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ٣ / ص ١٣٣٨، حديث ١٧١٤.

(٢) محمد ناجح أبو شوشة، المضامين التربوية في أهم مصادر المذهب الشافعي، رسالة دكتوراه، غير منشورة، جامعة جنوب الوادي، كلية التربية بسوهاج، مصر، ٢٠٠٢م، ص ٢٤٩.

(٣) شفيق علاونة، أساسيات علم النفس التطوري، مكتبة الرائد العلمية، ط١، ١٩٨٩م، ص ٦٦ - ٦٧.

(٤) محمود عقل، النمو الإنساني، مرجع سابق، ص ١٣٧.

(٥) فادية حمام وعلي مصطفى، علم نفس النمو، الرياض، السعودية، دار الزهراء، ط١، ٢٠٠٣م، ص ١١٢.

ومرض الأم الحامل وعدم علاجه يؤثر تأثيراً خطيراً في نمو الجنين، فإذا أصيبت الأم الحامل بمرض ما، فالمرض يؤثر على عملية التمثيل الغذائي والتركيب الكيميائي للدم الأمر الذي يؤثر في نمو الجنين، فمرض الزهري مثلاً يؤدي إلى الضعف العقلي أو الصمم أو العمى، والحصبة الألمانية للأم تؤدي بالطفل إلى الصمم أو البكم أو إصابات القلب أو الضعف العقلي^(١).

وقد فحصت طفلة أصيبت أمها بمرض الحصبة الألمانية فوجدت الطفلة الصغيرة عمياء مشوهة الوجه ضامرة الأطراف وأصبحت فيما بعد متخلفة عقلياً ومرض السكري - ارتفاع نسبة السكر في دم الأم الحامل - يؤدي إلى تشوهات وعيوب في القلب والأوعية الدموية وجهاز التنفس، لذا لا بد من معالجة الأم أثناء الحمل^(٢).

وتأمين النفقة للزوجة الحامل يحفظ لها الجانب الانفعالي والوجداني من الاضطراب والتوتر فقد وجد أن الحالة النفسية للأم تؤثر على نمو الجنين، فالخوف والاضطراب والغضب والتوتر والقلق عند الأم يستثير الجهاز العصبي الذاتي ويؤدي إلى اضطراب إفراز الغدد وتغيير التركيب الكيميائي للدم مما يؤثر بدوره على نمو الجنين^(٣). وقد وجد العلماء أن الأطفال الذين عانت أمهاتهم من مواقف انفعالية يتميزون بعدم انتظام الرضاعة واضطرابات في النوم، وبكاء غير عادي، وهم أقل وزناً من الأطفال الذين لا تتعرض أمهاتهم لمثل تلك الحالات^(٤).

وقد أمر الإسلام الزوج بحسن معاشرته زوجته، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(٥). مراعاة للجانب الوجداني والانفعالي عند الزوجة وإحسان العشرة من الزوج ليس خاصاً بكفاية الزوجة من الطعام والشراب وصنوف الزينة، كما أنه من الزوجة ليس خاصاً بإجابتها الزوج إذا دعاها، ولا أن تهئ له طعام الغداء والعشاء..... إنما هو معنى ينبثق من قلب أحدهما إلى قلب صاحبه مدفوعاً بروح المودة والمحبة وروح الإيمان بالمهمة المشتركة بينهما، والملقاة على عاتقها في تذليل سبل الحياة وتربية الأبناء وتدبير المنزل بما يضيفي على الجميع متعة المادة والروح^(٦).

(١) حامد زهران، علم نفس النمو، القاهرة، مصر، عالم الكتب، ط٥، ١٩٩٩م، ص ١١٣.

(٢) محمود عقل، النمو الإنساني، مرجع سابق، ص ١٣٤.

(٣) المرجع السابق، ص ١١٣.

(٤) فادية حمام، علم نفس النمو، مرجع سابق، ص ١١٢.

(٥) سورة النساء، آية ١٩.

(٦) زينب حسن، رعاية الطفولة في الفكر التربوي العربي الإسلامي، عون الشريف والحبيب الجنحاني (محرر) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والمجتمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية ومكتب التربية العربي لدول الخليج، تونس، ١٩٨٧م، ص

الفرع الثاني - التخفيف في العبادات عن الحامل والمرضع حرصاً على النمو الجسدي والنفسي للجنين

حرصاً على نمو الجنين نمواً سليماً في جميع مظاهر النمو الجسدي، والنفسي خفف الإسلام عن الحامل والمرضع بعض العبادات مثل الصوم والحج. فقد اتفق الفقهاء على أن الحامل والمرضع إذا خافتا على نفسيهما أو ولديهما أفطرتا لأن حكمهما حكم المريض، وقد سئل الحسن البصري عن الحامل والمرضع إذا خافتا على نفسيهما أو ولدهما فقال: أي مرض أشد من الحمل تظفر وتقضي. ولكن الفقهاء اختلفوا هل يجب عليها القضاء مع الفدية أم القضاء^(١)، وفي الحديث الشريف عن النبي ﷺ قال: "إن الله وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة، وعن الحبل والمرضع^(٢)".

أما الحج فإذا توافرت شروط وجوب الحج، يجب على المسلم الحج في العام الذي استطاع فيه، ولا يجوز له أن يؤخره إلى عام قادم ما دام مستطيعاً وليس لديه عذر يمنعه من الحج، فإذا أجز الحجاج عن عامه يكون أثماً^(٣).

والمرأة الحامل يجب عليها الحج على الفور إذا حصلت عندها الاستطاعة وانتفت الموانع، وإذا كان في حجبها مشقة فإن شرط الاستطاعة يسقط ويستمر العذر مدة حملها وتعافيتها من الولادة ثم يصبح حالها كغيرها^(٤). وأجاز الفقهاء الإنابة في الرمي لمن عجز عن الرمي كالمراة الحامل، فرمي الحامل قد يؤدي إلى الإجهاض وهذا ما لم يردده الشارع الكريم^(٥).

فهذه الأحكام تسهم في التخفيف عن المرأة الحامل حتى لا تصاب بالتعب والإرهاق اللذين يضران بالنمو الجسدي والعقلي والاجتماعي للمرأة الحامل وبالتالي يتأثر الجنين بما يصيب الأم من معاناة، لذا وجه الإسلام الإنسان إلى مراعاة قدرته عند القيام بالأعمال منعاً للمشقة، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾^(٦)، وقال ﷺ "عليكم من العمل بما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا"^(٧).

© Arabic Digital Library

(١) محمد علي الصابوني، روائع البيان تفسير آيات الأحكام، دمشق، سوريا، مكتبة الغزالي، ط٢، ١٩٨٠م، ص ٢٠٩.
(٢) رواه الطبراني، المعجم الكبير، ج ١، ص ٢٦٢، حديث (٧٦٤)، صححه الألباني، انظر: مشكاة المصابيح، حديث رقم (٢٠٢٥).
(٣) محمد عقله، أحكام الحج والعمرة، عمان، الأردن، مكتبة الرسالة الحديثة، ١٩٨١م، ص ١٦-١٧.
(٤) يحيى عبد الرحمن الخطيب، أحكام المرأة الحامل في الشريعة الإسلامية، عمان، الأردن، دار النفائس، ط٣، ١٩٩٩م، ص ٦٦.
(٥) المرجع السابق، ص ٧١.
(٦) سورة البقرة، آية ٢٨٦.
(٧) رواه الطبراني، المعجم الكبير، ج ١٨، ص ٢٢٨، حديث رقم (٥٦٨)، صححه الألباني، انظر: سنن النسائي، حديث رقم (٥٠٢٥).

الفرع الثالث - تأخير العقوبة بحق المرأة الحامل والمرضع، حرصاً على النمو الجسمي والنفسي للجنين

لا خلاف بين الفقهاء أنه لا يقام الحد على المرأة الحامل حتى تضع حملها سواء كان من زنا أو غيره، وسواء وجبت العقوبة قبل الحمل أو بعده ويشمل ذلك الحدود كلها كالرجم والجلد والقطع وعلة ذلك الحفاظ على حياة الجنين لئلا يهلك بتفويض الحد على أمه^(١).

يدل على هذا حديث رجم المرأة الغامدية التي زنت- " قالت يا رسول الله طهرني، فقال ويحك ارجعي فاستغفري الله وتوبي إليه، فقالت: "أراك أن تردني كما رددت ماعز بن مالك". قال: "وما ذاك" قالت: إنها حبلى من الزنا فقال: "أثيب" قالت: نعم فقال لها: "حتى تضعي ما في بطنك" قال: فكفلها رجل من الأنصار حتى وضعت، قال: فأتى النبي ﷺ فقال: قد وضعت الغامدية، فقال: إذا لا نرجمها وندع ولدها صغيراً، ليس له من يرضعه، فقام رجل من الأنصار فقال إليّ رضاعه يا نبي الله فرجمها^(٢).

ومن الأحكام الشرعية التي تدل على المحافظة على النمو السليم للجنين تحريم تعاطي المخدرات والكحول وتناولها عن طريق الأكل أو الشرب أو الشم، وسيأتي هذا مفصلاً في مبحث العوامل المؤثرة في النمو الإنساني.

المطلب الثالث - مظاهر النمو في هذه المرحلة.

قبل البدء ببيان المظاهر النمائية في هذه المرحلة لا بد من بيان أن الإسلام لم يتعرض للتفصيلات والجزئيات وليس هذا من شأنه بل ترك الباب مفتوحاً للبحث والدراسة والتقيب من قبل المختصين، كل وفق ميدانه واهتماماته، والإسلام يؤكد على القضايا والأسس الرئيسية التي تجعل العناية بالناشئين من أكثر الواجبات الإسلامية وأخصها تأكيداً.

ومن خلال التأمل في النصوص الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة تتبين لنا مجموعة من المظاهر النمائية في هذه المرحلة، لعل من أبرزها.

الفرع الأول - نمو الحواس

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾^(٣)، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾^(٤).

(١) يحيى الخطيب، أحكام المرأة الحامل في الشريعة الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٥.

(٢) رواه النسائي، السنن الكبرى، ج ٤، ص ٢٨٣، حديث رقم (٧١٨٦)، صححه الألباني، انظر: مشكاة المصابيح، حديث رقم (٣٥٦٢).

(٣) سورة المؤمنون، آية ٧٨.

(٤) سورة النحل، آية ٧٨.

وعن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها، ثم قال: يا رب أذكر أم أنثى؟ فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك، ثم يقول- يا رب أجله؟ فيقول ربك ما شاء ويكتب الملك، ثم يقول يا رب رزقه؟ فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك، ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده فلا يزيد على أمر ولا ينقص ^(١).

النصوص السابقة تدل بشكل واضح على أن الله سبحانه وتعالى يزود الإنسان بالحواس اللازمة وهو في رحم الأم، وقد دلت الأبحاث الفسيولوجية الحديثة على أن حاسة السمع تكتمل عند الجنين في الشهر الرابع، فالجنين يستطيع أن يسمع منذ ذلك الوقت المبكر بعض الأحداث الخارجية، كما أن الطفل الوليد يستطيع أن يسمع عقب الولادة مباشرة.

فجهاز السمع يبدأ في التطور مبكراً في حياة الجنين، مع بداية الأسبوع الثالث ويكتمل نموه تقريباً في الأسبوع العشرين من عمر الجنين أي الشهر الرابع، وقد لوحظ أن هناك استجابات منعكسة متوافقة مع الجنين عند فحص بطن الأم بالموجات فوق الصوتية، حتى إن الجنين يبدو متناغماً وراقصاً مع هذه الأصوات وهذا ما جعل الأطباء يفيدون من هذه الظاهرة في تشخيص حالات الصمم في مرحلة مبكرة من عمر الجنين، فضربات القلب تتضاعف عند الفحص بالموجات، فإذا كان الجنين لا يسمع فإن عدد ضربات عضلة القلب يبقى ثابتاً ^(٢).

بينما يحتاج إلى مدة زمنية كي يستطيع أن يرى الأشياء بوضوح، فحساسية شبكية العين تكون ضعيفة عند مولد الطفل وتتمو تدريجياً إلى أن تصل إلى كمال نضجها في نهاية العام الأول، ولكن الطفل منذ اليوم الثاني يستجيب للأضواء المختلفة ^(٣).
وعليه ندرك علة تقديم النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة السمع على البصر، حيث يتفق ذلك مع معطيات علم الأجنة التي تبين أن تكوين السمع يسبق تكوين البصر ^(٤).

الفرع الثاني - النمو الجنسي

في هذه المرحلة يتحدد جنس الجنين وهذا ما أشار إليه حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه السابق عندما يسأل الملك رب العزة ذكراً أم أنثى، والحقيقة أن جنس الجنين قد حدد بتقدير الله سبحانه وتعالى من قبل على مستوى الكروموسومات ولا يتعارض سؤال الملك وتحديد الجنس،

(١) رواه الطبراني، المعجم الكبير، ج ٣، ص ١٧٨، حديث (٣٠٤٤)، صححه الألباني، انظر: صحيح وضعيف الجامع الصغير، حديث رقم (٧٩٧).

(٢) حامد أحمد حامد، رحلة الإيمان في جسم الإنسان، مرجع سابق، ص ٢٤٤.

(٣) فؤاد البهي السيد، الأسس النفسية للنمو، مرجع سابق، دار الفكر العربي، ط ٤، ١٩٧٥م، ص ١٢١-١٢٤.

محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، القاهرة، مصر، دار الشروق، ط ٢، ٢٠٠٥م، ص ٢٦٢.

(٤) محمد عثمان نجاتي، الحديث النبوي وعلم النفس، مرجع سابق، ص ٢٣٢.

والتمييز في اللغة: يقال ماز الشيء إذا عزله وفرزه وفصله، وتميز القوم وامتازوا وصاروا في ناحية، واستماز عن الشيء تباعد منه، ويقال- امتاز القوم إذا تميز بعضهم من بعض، والمميز هو الذي يفصل الأشياء ويعزل بعضها من بعض^(١).

والتمييز في الاصطلاح: أن يصير للصغير وعي وإدراك يفهم به الخطاب إجمالاً، وتبدأ هذه المرحلة منذ قدرة الصغير على التمييز بين الأشياء، بمعنى أن يكون له إدراك يفرق به بين النفع والضرر^(٢).

والمميز في الاصطلاح هو " الذي يعرف الضار من النافع، والمصلحة من غيرها في الأمور العامة، ويفرق بين البيع والشراء، فيعرف أن البيع يخرج المبيع من الملك، وإن الشراء يترتب عليه دخول المبيع الملك"^(٣). والتمييز يختلف من شخص لآخر وعنوانه أن يأكل وحده ويشرب وحده ويستتجي وحده ويغلب أن يكون ذلك في سن السابعة وقد يكون قبله^(٤).

وعليه فإن مرحلة ما قبل التمييز هي المرحلة الممتدة من الولادة إلى سن السابعة غالباً، ويمكن تقسيم هذه المرحلة إلى مرحلتين فرعيتين هما- مرحلة الرضاع ومرحلة الحضانه وهذا التقسيم لأغراض الدراسة إذ من الصعوبة وضع حدود فاصلة بين المراحل فالتداخل واضح وبيّن في دراسة المراحل.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن مرحلة الطفولة^(٥) من أهم مراحل حياة الإنسان، بل من أكثر المراحل خطورة، فهي تتميز عن غيرها بالعديد من الصفات والخصائص والاستعدادات، منها أنها مرحلة التأسيس للمراحل اللاحقة في الحياة، ففيها تتحدد ميول الفرد واتجاهاته نحو الخير أو الشر، وتتفتح مواهبه، وتأخذ شخصيته بالتكون لتصبح مميزة عن غيرها من الشخصيات.

والإسلام هو التشريع الوحيد الذي عرف للطفولة قدرها وأعطاهما حقها من العناية والرعاية الصحية والنفسية والعقلية والروحية وكفل للجنين حقوقه قبل أن يولد^(٦).

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة ميز.

(٢) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الموسوعة الفقهية، الكويت، مطابع دار الصفوة. ط٢، ١٩٩٢م، ج٧، ص ٢١.

(٣) محمود الكبيسي، الصغير بين أهلية الوجوب وأهلية الأداء، مرجع سابق، ص ٣٣-٣٤.

(٤) مصطفى ديب البغا، تنوير المسالك بشرح وأدلة عمدة السالك، دمشق، سوريا، دار المصطفى، ط١، ٢٠٠٣م.

(٥) الطفل هو الصغير في كل شيء، وهو المولود من حين أن يولد إلى أن يحتلم أي أن الطفولة هي المرحلة الممتدة من الميلاد إلى البلوغ. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة طفل. وعليه فمرحلة الطفولة تشمل مرحلتي ما قبل التمييز ومرحلة التمييز، وقد ورد لفظ طفل في القرآن الكريم غير مرة ثم نخرجكم طفلاً (الحج / ٥)، وقوله " أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء" النور / ٣١.

(٦) عبد الغني الخطيب، الطفل المثالي في الإسلام، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٢م، ص٧.

المطلب الأول - مرحلة الرضاع.

الفرع الأول - مفهوم مرحلة الرضاع

تبدأ مرحلة الرضاع من تاريخ ميلاد الجنين حتى نهاية السنة الثانية من عمره لقوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّمَ الرِّضَاعَةَ﴾^(١)، فقد جعل الله مدة الرضاع حولين كاملين لكونهما أقصى مدة يحتاج فيها الطفل للرضاع، وأما بعد الحولين فليس في نمائه ما يصلح له الرضاع^(٢). وهي المدة اللازمة ليتغذى الطفل من حليب أمه ويكتسب المناعة الصحية والعافية البدنية.

تتميز مرحلة الرضاع بالضعف الجسدي للطفل وعدم قدرته على التعبير عن مشاعره بلغة التخاطب ويكون تعبيره بالصراخ يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٣).

الفرع الثاني - الرضاع الطبيعي وتأثيره في النمو الجسدي والنفسي والأخلاقي والديني للطفل

لبن الأم غذاء غني بجميع العناصر الغذائية المناسبة لنمو الطفل وسلامته وقوته، وهو صحيح خال من الجراثيم التي تسبب مختلف الأمراض للأطفال، وهو الغذاء الأمثل للنمو الجسدي للطفل، فهو يتمتع بتركيب متطور فخلال الأيام الأولى يكون غنيا بالبروتين والمعادن بما يناسب النمو فقيراً للسكر والمواد الدسمة ومجهزاً بأجسام مضادة تكسب الطفل المناعة ضد الأمراض، وهو مجهز بخمائر وأنزيمات تساعد المعدة على إفراز محتوياتها بعد أقل من ساعتين من الرضاع، ويساعد الأمعاء على الامتصاص بسهولة ويتمتع بدرجة حرارة ثابتة، وكذلك هو لبن معقم بطريقة ربانية تعجز أمامها جميع طرق التعقيم ويتمتع بالزيادة والنقصان غريزيا تبعا لحاجة الطفل^(٤). ولبن الأم يساعد في عملية بناء الطفل ونموه بصورة أسرع وأكمل من الذين يعطون حليب القارورة، لذا تكون أمراض الذين يعطون حليب الأم أقل ونسبة وفياتهم كذلك أقل.

" إن البحوث التي قام بها العلماء توضح بدقة أن أول رضعة يستقبلها الرضيع من ثدي أمه أثناء اليومين الأولين بعد ولادته تحتوي على تركيزات عالية من بروتينات خاصة مضادة

(١) سورة البقرة، آية ٢٣٣.

(٢) محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتوير، مرجع سابق، ٢ / ٤١٠.

(٣) سورة النحل، آية ٧٨.

(٤) حمدي شاكر محمود، مبادئ علم نفس النمو، حائل، السعودية، دار الأندلس للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٨م، ص ١٢٩.

لنمو الميكروبات التي تسبب الأمراض ... وهي ما يطلق عليها اسم الأجسام المضادة.. وهذه الأجسام من العوامل الهامة التي تقف بجوار الوليد وهو في أشد حالات ضعفه...^(١).

وقد ثبتت علمياً أهمية الرضاعة في النمو الجسدي السليم للطفل في حمايته من الإصابة بضغط الدم، فالطفل الذي يرضع طبيعياً أقل عرضة للإصابة بضغط الدم من الأطفال الذين يعتمدون في غذائهم على الألبان الصناعية نظراً لتناسب لبن الأم مع احتياجات الطفل وانخفاض نسبة أملاح الصوديوم في لبن الأم عنه في اللبن الصناعي^(٢). فغالبيتها أمراض سوء التغذية والنزلات المعدية والحساسية كالأكزيما والربو والإسهال والجفاف والتخلف العقلي سببها عدم الرضاعة الطبيعية من الأم.

وكما تسهم الرضاعة الطبيعية في النمو الجسدي للطفل فإنها تسهم وتؤثر في النمو النفسي له كذلك فهي تنمي عواطف الوليد وشخصيته، فالأم تقدم لطفلها عسارة قلبها وجسمها وأعصابها مع اللبن، فعندما تحتضنه تمنحه الطمأنينة والارتياح، فيتكامل بذلك النمو الجسدي البيولوجي مع النمو النفسي للطفل وينشأ خالياً من الاضطرابات^(٣).

فالرضاعة الطبيعية تشعر الرضيع بالعطف والحنان وتلبي حاجة الارتباط النفسي مع الأم، وتضمن له الاستقرار النفسي الذي يمكنه الحصول عليه بأي وقت، كما تقوي الرابطة العاطفية بين الأم وطفلها. هي ليست مجرد غذاء، وإنما علاقة نفسية بين الطفل والأم فلو افرغ اللبن من الثدي ووضع في زجاجة مثلاً وأعطى للطفل لفقد قيمته العاطفية التي تولد الشعور بالدفء والحنان، وهما من العوامل المؤثرة في شخصية الطفل وإقباله على الحياة، فقد لاحظ العلماء أن الطفل عند الرضاعة يسمع دقات قلب أمه مما يحدث له نوعاً من الاطمئنان والراحة ويتحول من طفل عصبي إلى طفل هادئ. أما الطفل الذي لا ترضعه أمه فإنه يكون عرضة لآثار نفسية غير طيبة على شخصيته، ففي إحدى الدراسات التي أجريت بدور الأيتام وجد أن الأطفال يموتون مبكراً مع أنهم يأخذون نصيبهم من الطعام، ولكنهم محرومون من المداعبة والملاطفة، وعندما تدخل علماء النفس أوصوا بضرورة مداعبة الأطفال وإحاطتهم بالحنو والحنان فانخفضت نسبة الموت إلى ١٠%^(٤) لذا تعد الرضاعة الطبيعية من أقوى الروابط النفسية بين الأم ووليدها وهذا له دور كبير في الوقاية من الأمراض النفسية للأم والطفل معاً.

(١) محمد كامل عبد الصمد، الإعجاز العلمي في الإسلام، القرآن الكريم، دمياط، مصر، الدار المصرية اللبنانية، ط٢، ١٩٩٣م، ص٢٣٥.

(٢) محمد كامل عبد الصمد، الإعجاز العلمي في الإسلام، القرآن الكريم، مرجع سابق، ص٢٣٦.

(٣) حمدي شاكر محمود، مبادئ علم نفس النمو في الإسلام، مرجع سابق، ص١٢٨.

(٤) محمد عقله، نظام الأسرة في الإسلام، عمان، الأردن، مكتبة الرسالة الحديثة، ط٢، ٣، ص٤٥٨ - ٤٧٠.

"والأم حيث ترضع ولدها لا ترضعه اللبن فحسب، بل ترضعه العطف والرحمة والحنان، فينشأ مجبولاً على الرحمة محبا للخير وعلى العكس حال أولئك الذين يحرمون عطف وحنان أمهاتهم يكونون معقدين، وتفنعل في نفوسهم نوازع القسوة والشر والانتقام، وقد فطن علماء التربية والتهديب عند بعض الأمم لهذا الأمر، حتى كان نساء القياصرة يرضعن أولادهن بأنفسهن ولا يرضين تسليمهم إلى المراضع... (١)".

والرضاعة الطبيعية تؤثر في النمو الأخلاقي للطفل؛ لذا ورد في الأثر: "لا تسترضعوا الورهاء (الحمقاء)" وفي رواية لا تسترضعوا الحمقاء فإن اللبن يشبهه (٢) وفي هذا جاء توجيه عمر بن الخطاب ؓ في بيان تأثير اللبن في صفات الإنسان وإن على الإنسان أن يختار لابنه المرضعة التي جمعت الخلق والدين، فكان يقول " فلا تسق من يهودية ولا نصرانية ولا زانية (٣)"، يقول الشيخ الصابوني "... فالولد قد تكون من دمها في أحشائها فلما برز إلى الوجود تحول الدم إلى لبن يتغذى منه، فهو اللبن الذي يلائمه ويناسبه لأنه قد انفصل من الأم. وقد قضت الحكمة الإلهية أن تكون حالة لبن الأم في التغذية ملائمة لحال الطفل بحسب درجات سنه، فإذا أرضعته مرضع لضرورة وجب التدقيق في صحتها، ومعرفة أخلاقها وطبائعها لأن لبنها يؤثر في جسم الطفل وأخلاقه وآدابه، إذ هو يخرج من دمها ويمتصه الولد فيكون دماً له ينمو به اللحم وينشز العظم، فيؤثر فيه جسمياً وخلقياً، وقد لوحظ أن تأثير انفعالاتها النفسية والعقلية أشد من تأثير صفاتها البدنية فيه، فما بالك بأثار عقلاها وشعورها وملكاتهما النفسية... (٤)".

وقد آمن فقهاء الإسلام بأن الغذاء المقدم للطفل يتناسب مع أخلاق الطفل وسجاياه الحميدة الفاضلة وكلما كان الغذاء نقياً طاهراً خالياً من المحرمات والخبائث، نما الطفل متمسكاً بالأخلاق الإسلامية الفاضلة، وكلما كان ممزوجاً بالأعراض السوداوية نما على خبث الأخلاق ومنحرفاً عن النهج القويم لذا كانت إشارة الفقهاء إلى أهمية اللبن المقدم للطفل (٥).

يقول صاحب المغني "كره أبو عبد الله الارتضاع بلبن الفجور والمشركات، وقال عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز اللبن يشبهه. فلا تسق من يهودية ولا نصرانية ولا زانية ولا

(١) محمد علي الصابوني، روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، مرجع سابق، ١ / ص ٣٥٨.

(٢) رواه الطبراني، المعجم الصغير، ١ / ١٠٠، حديث رقم (١٣٧).

رواه البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، ٧ / ٤٦٤، حديث رقم (١٥٤٦)، حديث موقوف على عمر بن الخطاب ؓ.

(٣) محمد رواس، موسوعة فقه عمر بن الخطاب، الكويت، مكتبة الفلاح، ط١، ١٩٨١م، ص ٣٢٧.

(٤) محمد علي الصابوني، روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، مرجع سابق، ١ / ص ٣٥٧.

(٥) رجا غازي العمرات، المضامين التربوية المتعلقة بعبادات الطفل ومعاملته في الفقه الإسلامي، رسالة دكتوراه غير منشوره،

جامعة اليرموك، كلية الشريعة، الأردن، ٢٠٠٦م، ص ٤٢.

يُؤبَل (١) أهل الذمة المسلمة، ولا يرون شعورهن. ولأن لبن الفاجرة ربما أفضى إلى شبه المرضعة في الفجور ويجعلها أمًا لولده، فيتغير بها، ويتضرر طبعاً وتعبيراً، والارتضاع من المشركة يجعلها أمًا لها حرمة الأم مع شركها، وربما مال إليها في محبة دينها، ويكره الارتضاع بلبن الحمقاء، كيلا يشبهها الولد في الحمق، فإنه يقال - إن الرضاع يغير الطباع (٢). واشترط كثير من الفقهاء أن تكون المرضع حسنة الخلق، هادئة الطبع والمزاج، ولا تأكل الحرام، شابة غير مسنة حسنة الوجه، مشهود لها بحسن الحليب وإدراره.

وللرضاعة الطبيعية كذلك علاقة بالقدرات العقلية للإنسان، فقد توصل الباحثون إلى أن الأطفال الذين رضعوا من أمهاتهم بشكل مباشر، يتفوقون من ناحية الذكاء على الذين رضعوا لبنا صناعياً، ووجدوا أنه كلما ازدادت مدة الرضاعة من ثدي الأم زاد معدل ذكاء الفرد (٣). وتنتهي مدة الرضاعة بعد أن يكمل الطفل عامين، وينبغي إنهاء هذه المرحلة تدريجياً، لأن عملية التدرج في الطعام له أهمية خاصة في الصحة النفسية للطفل، فينبغي تقليل عدد الرضعات واستبدالها بالمواد السائلة أولاً، ثم بالمواد الصلبة شيئاً فشيئاً حتى لا يؤدي الطعام إلى صدمة عاطفية تعرقل النمو الطبيعي للطفل.

وعملية الرضاع تسهم في النمو الديني للطفل؛ فعملية الرضاع التي تصاحبها النية الحسنة وابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى تؤتي أكلها في النمو الديني للطفل بإذن الله، فقد روي عن عمرو بن عبد الله لامرأته التي ترضع ابناً له قوله: "لا يكونن رضاعك لولدك كرضاع البهيمة ولدها، قد عطفت عليه من الرحمة بالرحم، ولكن أرضعيه تتوخين ابتغاء ثواب الله، وأن يحيا برضاعك خلق، عسى أن يوحد الله ويعبده" (٤).

وتتميز مرحلة الرضاع بنمو الحواس، يقول الله سبحانه: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٥)، ويقول سبحانه: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ (١)، فالآيات الكريمة تشير بوضوح إلى أن الإنسان يولد دون أن يعلم عن محيطه شيئاً، ثم تبدأ حواسه تدريجياً بأداء وظائفها، فيتأثر الطفل بما يقع عليه من مؤثرات حيث تكون الأساس فيما

(١) من القبالة وهي استقبال الولد عند الولادة.

(٢) عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠هـ)، المغني، تحقيق د. عبد الله التركي والدكتور عبد الفتاح الحلوة، السعودية، دار عالم الكتب، ط٤، ١٩٩٩م، ج ١٢ / ص ٣٤٦.

(٣) نبيل سليم علي، الطفولة ومسؤولية بناء المستقبل، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط١، ٢٠٠٣م، ص ٥٥.

(٤) علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت ٤٥٠هـ)، نصيحة الملوك، الكويت، مكتبة الفلاح، ط١، ١٩٨٣م، ص ١٦٦.

(٥) سورة النحل، آية ٧٨.

(٦) سورة المؤمنون، آية ٧٨.

بعد بإدراكه ومعرفته بالعالم الخارجي، فأول الحواس نمواً السمع ثم البصر ثم الأعضاء الحسية الأخرى من لمس وذوق، فالذوق حاسة تعتمد في جوهرها على تفاعل المواد المختلفة مع البراعم الموجودة على غشاء اللسان، ويستطيع الطفل أن يميز بين الأنواع الرئيسة تدريجياً وهي الحامض والملح والحلو والمر فيقبل على الأشياء الحلوة ويعزف عن المر والحامض، وحاسة الشم تكون ضعيفة ثم تقوى بعد ذلك ويستجيب للمنبهات الشمية في نومه ويقظته^(١).

كما تتميز هذه المرحلة بالضعف العام، يقول سبحانه: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ

ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً خَلَقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ

الْقَدِيرُ﴾^(٢). فالآية الكريمة تشير بوضوح إلى ضعف الإنسان حين يولد وهذا الضعف يشمل القوة الجسمية والعقلية والنفسية وغيرها ثم يكتسب القوة بكل صورها، فينمو الجسد في هذه المرحلة بسرعة ويزداد طول الطفل ووزنه وذلك بفعل الرضاعة^(٣) والجهاز الغدي والتنفسي ويزداد المخ حجماً وتزداد أجزاء الجهاز العصبي تعقيداً وتزداد سعة الجهاز التنفسي^(٤).

وقدرة العقل تزداد، فذكاء الطفل ينمو سريعاً في هذه المرحلة، حيث يمكن الاستدلال على ذكاء الطفل من خلال سلوكه ومن ملامح الذكاء محاولة الطفل اكتشاف الأشياء والتعرف عليها وفحصها وتمحيصها، ويبدأ الطفل في التعلم نتيجة الخبرات والنشاط والممارسة وتقليد الآخرين وهذا يساعد في تعلم اللغة والانفعالات والميول والنظام^(٥).

أما النمو الانفعالي، فتتميز انفعالات الطفل بأنها قصيرة المدى، وكثيرة، وغير مستقرة، حادة في شدتها فهو لا يميز بين الأمور التافهة والأمور المهمة، ويعبر الطفل عن انفعالاته بالبكاء والصياح وبحركات رجليه^(٦).

أما النمو الديني فإن الطفل يولد على التوحيد وعقيدة الإيمان بالله وعلى أصالة الطهر، فإذا ما نهيات له التربية البيئية المناسبة المؤمنة نشأ على الإيمان، يقول ﷺ: "كل مولود يولد على الفطرة"^(٧)، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿فَأَقْرَهُ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٨).

(١) فاديه حمام، علم نفس النمو، مرجع سابق، ص ١٢٤.

(٢) سورة الروم، آية ٥٤.

(٣) محمود عقل، النمو الإنساني، مرجع سابق، ص ١٥١.

(٤) حامد زهران، علم نفس النمو، مرجع سابق، ص ١٥٠.

(٥) المرجع السابق، ص ١٦٧.

(٦) فادية حمام، علم نفس النمو، مرجع سابق، ص ١٣١.

(٧) رواه البخاري، صحيح البخاري، ج ١ / ص ٤٦٥، حديث ١٣١٩.

(٨) سورة الروم، آية ٣٠.

المطلب الثاني- جانب من الأحكام الشرعية التي تدل على مراعاة الإسلام للنمو الإنساني في مرحلة الرضاع.

شرع الإسلام مجموعة من الأحكام الشرعية التي غالباً ما يتم تنفيذها والالتزام بتطبيقها في مرحلة ما قبل التمييز، - مرحلة الرضاع -، وهذه الأحكام تؤثر تأثيراً بالغاً في النمو الإنساني وبمختلف مظاهره الجسمية، والعقلية، والاجتماعية، والأخلاقية، والنفسية. وفيما يلي عرض موجز لبعض أحكام هذه المرحلة.

الفرع الأول - ثبوت نسب الطفل وأثره في النمو النفسي والاجتماعي لديه

أي انتماء الطفل إلى المجتمع الذي يعيش فيه، وذلك بثبوت نسبه لأبويه، فالتنسب من الأمور التي ترتبط بالمجتمع، إذ عليه يقوم بناء الأسرة التي هي نواة المجتمع، يقول سبحانه وتعالى أمراً بالمحافظة على هذا الحق: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾^(١). ولا شك أن عدم ثبوت نسب الأطفال يؤثر في نموهم الاجتماعي فيميلون دائماً إلى التخريب والاعتداء على ممتلكات الناس وسرقتها، وتغيب عنهم القيم الأخلاقية واحترام العادات والتقاليد، ويتأثر نموهم المعرفي نتيجة لغياب الاهتمام الأسري، ويتأثر نموهم الجسدي نتيجة لضعف مناعة الجسم لديهم وتدني مستوى التغذية وعدم توافر الرعاية الصحية، ويتميزون بسرعة الغضب وحدة المزاج والانفعال السريع الحاد ولا يتقنون بأحد ولا يحترمون الكبار بسهولة، ولديهم شعور بالدونية والضعف أو النقص على الظروف الحياتية والأسرية، ولديهم نظرة تشاؤمية إلى الحياة والناس، بالإضافة إلى ضعف تقدير الذات ومفهومهم سلبي تجاه الذات.

الفرع الثاني - نفقة الطفل وأثره في النمو الجسدي

أوجب الإسلام نفقة الطفل على والده منذ انفصاله عن أمه، حتى لو كان الطفل في حضانه أمه، وفي حالة وفاة الوالد تصبح نفقته على الوارث، يقول سبحانه: ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوهُمَا أُولَدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْعُرْفِ وَأَنْتُمْ وَاللَّهُ وَاعِلُونَ أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٢).

(١) سورة الأحزاب، آية ٥.

(٢) سورة البقرة، آية ٢٣٣.

فعلى الأب أن يتكفل بنفقات روضة الطفل وحضانهه وتعليمه، ومما ورد في الحث على النفقة على الأولاد، ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: (أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالصدقة، فقال رجل- يا رسول الله عندي دينار؟ فقال- تصدق به على نفسك. قال: عندي آخر؟ قال تصدق به على ولدك. قال عندي آخر؟ قال تصدق به على زوجتك..^(١)).

وعن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله..."^(٢)، وعن سهل بن سعد "أن علي بن أبي طالب، دخل على فاطمة وحسن وحسين وهما يبكيان، فقال ما يبكيهما؟ قالت: الجوع، فخرج علي فوجد ديناراً... فاشترى به دقيقاً..."^(٣).

إن تأمين النفقة للطفل في شتى مراحل نموه يؤثر في مختلف مظاهر النمو الإنساني، ومن أهم مظاهر النمو التي تتأثر بالنفقة النمو الجسمي، فسوء التغذية يؤثر في النمو الجسمي للطفل، ونقص الغذاء في مرحلة الحمل يؤدي إلى تعطيل انقسام الخلية ويؤثر سلباً على خلايا الدماغ التي تؤدي إلى التشوه الخلقي للجنين، وإذا حدث بعد الولادة مباشرة ترتب عليه بطء في نمو الجهاز العصبي والعيون والعضلات والعظام، والأطفال الذين يعانون من نقص البروتين تكون مهارتهم فقيرة، ونموهم الجسدي محدوداً مع اضطرابات جلدية، وقد أثبتت الدراسات أن نقص الغذاء يؤدي إلى عدم نمو أعضاء الجسم بطريقة سوية، كما يضعف مقاومة الجسد للأمراض المختلفة، فمعدل الوزن والطول لدى التلاميذ الذين يعانون من سوء التغذية كان دون المعدل الطبيعي، كما أن نقص الغذاء يؤثر في النمو العقلي والمعرفي، فقد دلت إحدى الدراسات على أن نقص الغذاء يؤدي إلى عدم قدرة الطلبة على التركيز والانتباه لفترات طويلة^(٤).

الفرع الثالث - تسمية المولود وأثرها في نمو الطفل النفسي والاجتماعي والأخلاقي

إن أول ما يتوجب على الأهل فعله عند قدوم المولود هو اختيار اسم جميل له يدعى به بين الناس يميزه عن غيره، وأن يكون هذا الاسم مثار إحياء للمعاني الخيرة التي يحملها هذا الاسم فنتطبع به آثار هذه المعاني الطيبة حتى تصبح خلقاً يتخلق بها.

وقد أولى الإسلام تسمية المولود اهتماماً خاصاً لما لها من أهمية في بناء شخصية الإنسان، فالاسم الجميل يسهم في النمو النفسي والأخلاقي والاجتماعي للطفل، فهو من العوامل التي تكون الشعور الحسن بالذات وتبعده عن سخرية الآخرين واستهزائهم، يقول سبحانه:

(١) رواه البخاري، الأدب المفرد، ج ١، ص ٧٩، حديث رقم (١٩٧٠).

(٢) رواه البخاري، الأدب المفرد، ج ١، ص ٢٦٢، حديث رقم (٧٤٨).

(٣) رواه أبو داود، سنن أبي داود، ج ٢، ص ١٣٨، حديث رقم (١٧١٦)، صححه الألباني.

(٤) محمود عقل، النمو الإنساني، مرجع سابق، ص ٨١-٨٢.

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُم الظَّالِمُونَ ﴾^(١).

وقد أوصى النبي ﷺ بحسن اختيار اسم المولود لأن اسم المولود قرين بآماله وطموحاته وسلوكه، وكان تعليم الرسول ﷺ لأصحابه في تسمية المولود نهجا تربويا سليماً^(٢)، فعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ " إن أحب أسمائكم إلى الله عبد الله وعبد الرحمن"^(٣). وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن ابنة لعمر كان يقال لها عاصية، فسمها رسول الله ﷺ جميلة^(٤).

وإذا أراد الإنسان أن يعرف تأثير الأسماء في مسمياتها فليتأمل حديث سعيد بن المسيب، عن أبيه، عن جده، قال: أتيت إلى النبي ﷺ فقال: "ما اسمك" قلت حزن، فقال: "أنت سهل؟" قال: لا أغير اسما سمانيه أبي، قال ابن المسيب، فما زالت الحزونة فينا بعد^(٥).

فالاسم الحسن للطفل له أثر في الاستقرار النفسي له، وكذلك يوحى بالمعاني الخيرة التي تتطبع في أخلاق من يحمله وصفاته، لذا نرى النبي ﷺ كان يغير الأسماء القبيحة إلى أسماء حسنة لتأثيرها النفسي والأخلاقي والاجتماعي على الشخص الذي يحملها، فالإنسان يفرح إذا ناديته باسم حسن ويزداد فرحاً إذا ناديته بأحب الأسماء إليه.

يقول ابن قيم الجوزية " والله بحكمته في قضائه وقدره يلهم النفوس أن تضع الأسماء على حسب مسمياتها لتتناسب حكمته تعالى بين اللفظ ومعناه، كما تناسب بين الأسباب ومسبباتها، وما سمي رسول الله ﷺ ومحمداً وأحمداً إلا لكثرة خصال الحمد فيه، ولهذا كان لواء الحمد بيده وأمه الحامدون وهو أعظم الخلق حمداً لربه تعالى، ولهذا أمر رسول الله ﷺ بتحسين الأسماء فقال " أحسنوا أسماءكم" فإن صاحب الاسم الحسن قد يستحي من اسمه، وقد يحمله اسمه على فعل يناسبه وترك ما يضاده، ولهذا ترى أكثر السلف أسماؤهم تناسبهم وأكثر العلية أسماؤهم تناسبهم..."^(٦).

فالأسماء قوالب المعاني، ودالة عليها، وثمة ارتباط بين الاسم والمسمى، فلأسماء تأثير في المسميات، وللمسميات تأثير في أسمائها في الحسن والقبح والخفة والثقل واللطافة وغيرها،

(١) سورة الحجرات، آية ١١.

(٢) سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٥٧.

(٣) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ٣ / ١٦٨٢، حديث رقم (٢١٣٢).

(٤) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ٣ / ١٦٨٧، حديث رقم (٢١٣٩).

(٥) رواه البخاري، صحيح البخاري، ج ٥ / ٢٢٨٨، حديث رقم (٥٨٣٦).

(٦) ابن قيم الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود، مرجع سابق، ص ١٥٨-١٥٩.

فالاسم الحسن يجعل الفرد يتحلى بأخلاقيات اسمه مما يؤدي إلى الشعور بالعزة والسمو والرفعة، وحسن التسمية هي في حقيقتها رسم صورة ذاتية عن الطفل محببة إلى نفسه وإلى أهله ووسطه الاجتماعي الذي يحتك به وينمو فيه، وبذلك تنمو شخصيته وتأخذ مكانها وأبعادها وأدوارها في الحياة^(١).

والاسم القبيح يمس كرامة الإنسان ويكون مدعاة للسخرية والاستهزاء بل وينمي شعور الذل والاحتقار والحقء، ويوتر العلاقة مع الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه الطفل مما يؤدي إلى عزلة الإنسان عن هذا المحيط بنفسه أو ابتعاد الناس عنه.

الفرع الرابع - الأذان وعلاقته بنمو الطفل الأخلاقي والديني

عن عبد الله بن أبي رافع عن أبيه قال: " رأيت رسول الله ﷺ أذن في أذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة بالصلاة "^(٢).

أثبتت الدراسات الفسيولوجية أن الوليد يستطيع أن يسمع عقب الولادة مباشرة، لذا حرص الإسلام أن يكون أول ما يسمعه الطفل كلمات التوحيد التي توافق الفطرة التي فطر الإنسان عليها، فالفطرة تقتضي البراءة الأصلية من الشرك وما يجره على صاحبه من انحراف وزيف وضلال في التفكير والتدبر، والأذان يكون في الرأس الذي هو مستودع الحواس التي تتحكم في كيان الإنسان نفسياً وجسدياً.

وحين يكون الأذان بما يتضمنه من التوحيد هو أول ما يطرق سمع الإنسان بالرغم من أن الوليد في تلك الفترة لا يدرك شيئاً، فإن واعيته تحتفظ بالنبرات، ويكون انسكابه كالماء الصافي الرقاق في الأذن يوافق الفطرة كل الموافقة ويسد على النفس كل ما يؤدي إلى الشرك^(٣).

والأذان في أذن الطفل يدل على اهتمام الإسلام بنمو الطفل الأخلاقي والديني، يقول ابن قيم الجوزية: "وسر التأذين - والله أعلم- أن يكون أول ما يقرع سمع الإنسان كلماته المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته، والشهادة التي أول ما يدخل بها في الإسلام، فكان ذلك كالتلقين له شعار الإسلام عند دخوله إلى الدنيا، كما يلحق كلمة التوحيد عند خروجه منها، وغير مستنكر وصول أثر التأذين إلى قلبه وتأثره به، وإن لم يشعر مع ما في ذلك من فائدة أخرى وهو هروب الشيطان من كلمات الأذان، وكان يرصد حتى يولد، فيقارنه للمحنة التي قدرها الله وشاءها فيستمع شيطانه ما يضعفه ويغيظه أول أوقات تعلقه به، وفيه معنى آخر - وهو أن

(١) محمود قمبر، دراسات تراثية في التربية الإسلامية الدوحة، قطر، دار الثقافة، ط١، ١٩٨٥م، ج١، ص ٣٤٤.

(٢) رواه الترمذي، سنن الترمذي، ج٤ / ٩٧، حديث ١٥١٤، قال أبو عيسى حديث حسن صحيح، حسنه الألباني.

(٣) محمد علي قطب، أولادنا في ضوء التربية الإسلامية دمشق، سوريا، مكتبة الغزالي، ١٤١٣هـ، ص ٤٢.

تُكون دعوته إلى الله وإلى دينه الإسلام وإلى عبادته سابقةً على دعوة الشيطان كما كانت فطرة الله التي فطر الناس عليها سابقةً على تغيير الشيطان لها ونقله عنها ...^(١).

الفرع الخامس - التحنيك وأثره في نمو الطفل الجسمي والأخلاقي

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: "ولد لي غلام فأتيت به النبي صلى الله عليه وسلم فسماه إبراهيم وحنكه بتمر"^(٢).

والتحنيك هو مضع التمرة وذلك حنك المولود بها، بوضع جزء من الممضوغ على الإصبع وإدخال الإصبع في فم المولود ثم تحريكه يميناً وشمالاً بحركة لطيفة حتى يبلغ الفم كله بالمادة الممضوغة^(٣).

يُعدُّ التحنيك بكل المقاييس معجزة نبوية مكثت البشرية أربعة عشر قرناً حتى عرفت الهدف والحكمة من ورائها، فقد تبين للأطباء أن التحنيك ينقذ حياة الأطفال، فكل الأطفال الصغار معرضون للموت لو حدث لهم أحد أمرين، إذا نقصت كمية السكر في الدم بالجوع أو انخفضت درجة حرارة الأجسام، وهذان ما يمنع التحنيك حدوثهما^(٤)، والتحنيك يقوي عضلات الفم بحركة اللسان مع الحنك والفكين بالتملظ حتى يتهيأ المولود للقمة الثدي وامتصاص اللبن بشكل قوي وطبيعي، إضافة إلى فائدة النمو في عملية الهضم الأمر الذي يسرع النمو الجسدي للطفل في هذه المرحلة.

كما أن التمر يؤثر - من غير شك - في غدد الفم، التي تستجيب له انسجماً مع الفطرة، وأثر هذا التدوق يختزن في عقل الطفل وواعيته، ويكون مع مرور الزمن مدعاة لإقبال الطفل على كل حلاوة، ونفوراً من كل قباحة، ويعدّه عن كل فحش واستمساكه وتقريبه من كل طيب^(٥). فالتحنيك ما هو إلا رمز ليكون الطفل في مستقبل حياته طيب القلب حلو الحديث مبارك الأعمال وموفق التصرفات^(٦).

الفرع السادس - خلق رأس المولود ونمو الطفل الديني والجسمي والاجتماعي

عن سمرة بن جندب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الغلام مرتين بعقيقته يعق عنه يوم السابع ويسمى ويحلق رأسه^(٧).

(١) ابن قيم الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود، مرجع سابق، ص ٤٨-٤٩.

(٢) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ٢ / ١٦٩٠، حديث ٢٢٤٥.

(٣) عبد الله ناصح علوان. تربية الأولاد في الإسلام، القاهرة- مصر. دار السلام للطباعة. ط ٣، ١٩٩٧م، ١ / ص ٦.

(٤) أسامة بدوي، رعاية الإسلام للطفولة جسدياً ونفسياً، مرجع سابق، ص ٦٥.

(٥) محمد علي قطب، أولادنا في ضوء التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ٤٣.

(٦) عبد الغني الخطيب، الطفل المثالي في الإسلام. بيروت، لبنان، المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٩٨٢م، ص ٨٠.

(٧) رواه الطبراني، المعجم الكبير، ج ٧، ص ٢٢٩، حديث رقم (٦٩٥٥)، صححه الألباني، انظر: صحيح وضعيف الجامع

الصغير، حديث رقم (٤١٨٤).

عن عائشة رضي الله عنها قالت: "عق رسول الله عن الحسن والحسين يوم السابع وسماهما وأمرنا أن يماط عن رؤوسهما الأذى"^(١).

وحلق رأس المولود فيه رمز إلى الخضوع والانقياد للخالق سبحانه وتعالى فالعرب كانوا يجزون ناصية الأسير حينما يريدون إطلاق سراحه رمزاً لليد التي قهرته وسيطرت عليه وأسرته، وحلاقة رأس المولود ليس فيه معنى العقاب وإنما فيه رمز الخضوع والعبودية لله تعالى، فالطفل الوليد قادم إلى حياة كلها خضوع للتكليف فلا بد من وسمه بشعار الخضوع عنواناً لطاعته لله تعالى^(٢).

وفي حلق رأس المولود إسهام في النمو الجسمي، فهو إمطة للأذى وإزالة للشعر الضعيف ليخلق شعر أقوى وأمكن منه وأنفع للرأس وفتح مسام الرأس ليخرج منها البخار بيسر وتقوية للحواس مثل البصر والشم والسمع^(٣).

وفي التصديق بوزن الشعر ذهباً أو فضة رمز لشكر الوالدين لمن وهبهم الغلام، فتعود دعوات الفقراء عليهم بالخير والبركة، فالتصدق بوزن الشعر يسهم في التكافل الاجتماعي والقضاء على الفقر، بل ويصبح موضع محبة من يحيطون به وتقديرهم، لأنه كان سبباً في سد حوائجهم، وبالتالي ينشأ في بيئة تحبه وتعطف عليه^(٤) فينمو الطفل ويكون اتجاهات سليمة نحو المؤسسات الاجتماعية بممارسات سليمة نحو المجتمع الذي يعيش فيه واحترام حقوقه والتعاون معه^(٥).

الفرع السابع - العقيقة ونمو الطفل الديني والاجتماعي

عن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ " الغلام مرتين بعقيقته يذبح عنه يوم السابع ويسمى، ويحلق رأسه"^(٦).

وتعدّ العقيقة إظهاراً للسرور والفرح بقدم هذا الغلام، وهذا السرور والفرح لا يقتصر على أهل البيت وإنما يتعدى ذلك إلى المجتمع المحيط بالطفل، فتتثبت روابط الألفة والمحبة بين أفراد المجتمع لاجتماعهم على موائد الطعام ابتهاجاً بقدم المولود الجديد^(٧)، فيتعامل مع هذا المولود بعطف وحنان ومودة وتراحم مما يسهم في نموه النفسي والاجتماعي، كما أن في

(١) رواه ابن حبان، صحيح ابن حبان، ج ١٢ / ص ١٢٨، حديث ٥٣١١، له شوهدها الألباني انظر: مشكاة المصابيح، حديث رقم (٤٦٥٨).

(٢) عبد الغني الخطيب، الطفل المثالي في الإسلام، مرجع سابق، ص ٨٢.

(٣) المرجع السابق، ص ٨٣.

(٤) عبد الله علوان، تربية الأولاد في الإسلام، مرجع سابق، ١ / ٦٢.

(٥) محمود عقل، النمو الإنساني، مرجع سابق، ص ١٦٧.

(٦) رواه الترمذي، سنن الترمذي، ج ٤ / ص ١٠٢، حديث ١٥٢٢، صححه الألباني.

(٧) عبد الله علوان، تربية الأولاد في الإسلام، مرجع سابق، ١ / ٧٣.

العقيقة إشاعة لنسب الولد إذ لا بد من إشاعة هذا النسب، حتى لا يقال في هذا المولود ما لا يحبه ولا يحسنه، مما يؤدي إلى استقراره النفسي والاجتماعي.

والعقيقة تؤثر في النمو الديني للطفل، فهي قربان عن المولود في أول خروجه إلى الدنيا وأنه جعلت سببا لفك رهانه من الشيطان الذي يعلق به من حين خروجه إلى الدنيا وطعنه بخاصرته، فهي تخلص له من حبس الشيطان له وسجنه ومنعه له^(١).

الفرع الثامن - الختان والنمو الجسمي والنفسي والديني

يقول ﷺ "الفطرة خمس: الختان، والاستحداد، وقص الشارب وتقليم الأظافر، ونتف الإبط"^(٢) والختان إزالة القطعة من الجلد التي تغطي رأس القضيب، وللختان العديد من الفوائد في مختلف مظاهر النمو، فهو يساعد على النمو الجسمي السليم، لأن فيه نظافة وبعداً عن الأمراض المختلفة التي تسببها بقايا البول والعرق وغيرها.

فالختان يؤدي إلى عدم تراكم المفرزات العرقية والدهنية ما بين الحشفة وجلد القضيب التي تؤدي إلى التهابات جلدية وتحسسية، وعدم تراكم آثار المفرزات المنوية وبالتالي عودتها من جديد إلى الإحليل مما يسبب التهابات إحليلية قد تسبب تضيقاً في مجرى البول أو التهابات تناسلية، وهذه الأمراض تعزى غير المختونين بينما لا تشاهد منها مطلقاً عند المختونين^(٣).

فالقلفة بتغطيتها لرأس القضيب تجعل درجة الحرارة حول رأس القضيب عالية جداً وكذلك الرطوبة، ومع ارتفاع درجة الحرارة أو الرطوبة حول رأس القضيب تزداد الالتهابات لاسيما الفطرية منها.

وعملياً الختان تجعل النمو الجنسي يسير باتجاه سليم، فهي نوع من التهذيب لهذه الغريزة فيتميز الإنسان عضوياً فيتأثر سلوكه بهذا التميز، وعدم الختان قد يؤدي إلى إثارة الكوامن الجنسية للطفل قبل مرحلة البلوغ، الأمر الذي يؤدي إلى كثير من الأضرار الجسدية والنفسية والاجتماعية^(٤)، إضافة إلى أن عملية الختان تترك رأس القضيب عارياً، ومن خلال احتكاك رأس القضيب العاري بالملابس يزداد سمك الجلد المغطي لها مما يقلل حساسيتها وبالتالي يؤخر عملية القذف عند الجماع بمعنى تعديل الشهوة التي تمتلك الإنسان فلا تطغى عليه فيصبح عبداً لها ولا يطغى هو على شهوته فيعطل الإنجاب لعدم الرغبة في النكاح^(٥).

(١) عبد الباسط السيد، المنهج النبوي في تربية الطفل، مصر، المكتبة الفا للتجارة والتوزيع، ط١، ٢٠٠٥م، ص ٥٩-٦٠.

(٢) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ١ / ٢٢٢، حديث ٢٥٧.

(٣) عبد الغني الخطيب، الطفل المثالي في الإسلام، مرجع سابق، ص ٦٩.

(٤) محمد علي قطب، أولادنا في ضوء التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ٤٥.

(٥) محمد داوود الجزائري، الإعجاز الطبي في القرآن والسنة، بيروت، لبنان، مكتبة الهلال، ط١، ١٩٩٣م، ص ٢٠.

وكذلك إن تأخير عملية الختان إلى سن متقدمة يسبب القلق والاضطرابات والآلام للطفل؛ وتكون إزالة مصدر هذه الاضطرابات وهذا القلق بالختان الذي يساعد على طمأنينة الطفل ونمو شعوره الاجتماعي والنفسي نحو الآخر الذي أزال مصدر هذا القلق^(١). وأخيراً إن الختان يسهم في النمو الديني للفرد، فالختان عملية تميز المسلم عن غيره، وهي التزام بالحنيفية السمحة التي شرعها الله سبحانه وتعالى على لسان إبراهيم الخليل عليه السلام^(٢)، وفي الختان إشارة إلى التزام الطفل عند البلوغ بمنهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، من حيث الخضوع والطاعة لله سبحانه وتعالى، وفيها دعوة إلى وجوب تميزه عن الآخرين - فكراً وسلوكاً^(٣).

المطلب الثالث - مرحلة الحضانة.

الحضانة في اللغة - مشتقة من مدلول الحضن وهي الضم والملازمة بالحنو والرعاية والصون والحماية والعطف والمحبة، فيقال حضنت الأم طفلها، أي ضمته إلى صدرها، أي شملته برعايتها وقربها^(٤).

والحضانة في الاصطلاح - هي القيام بحفظ من لا يميز ولا يستقل بأمره وتربيته بما يصلحه ووقايته عما يؤذيه، وهي نوع ولاية إلا أنها بالإنثاء أليق لأنهن أشفق وأهدى إلى التربية وأصبر على القيام بها وأشد ملازمة للأطفال^(٥).

فالحضانة هي رعاية الطفل وتربيته والقيام بكل ما يصلح أمره ووقايته مما يؤذيه في سن معينة ممن له الحق في ذلك، فهي تربية للطفل في أحضان والديه بحيث تهئ له كل أسباب النمو الصالح جسمياً وعقلياً وتعدّه نفسياً لاستقبال الحياة والنجاح فيها، وقد أثبتت التجارب والدراسات أن الطفل الذي لا يتربى في حضن أمه مهما يكن الغذاء صالحاً كاملاً ومهما تكن الرعاية الطبية دقيقة بعد السنة الأولى هو أقل نمواً في جسمه ممن يتربى في حضن أمه ولو كان دون غذاء ورعاية صحية كافية^(٦).

والحكمة من مشروعية الحضانة؛ أن الطفل عاجز عن تحقيق مصالحه بنفسه لذا لا بد من تعيين من يقوم عليه بالرعاية والحفظ حتى لا يضيع، والشريعة الإسلامية جاءت بوجوب حفظ النفس والعقل والعرض والدين والمال وصيانة ذلك كله، والطفل عاجز عما يحفظ حياته

(١) محمد لبيب النجيجي، الأسس الاجتماعية للتربية، بيروت، لبنان، دار النهضة العربية، ط٧، ١٩٧٨م، ص ١١٦.

(٢) يوسف خطار، التربية الإيمانية والنفسية للأولاد في ضوء علم النفس والشريعة الإسلامية، عمان، الأردن. دار النتج، ط، ٢٠٠٣، ص ١١٩.

(٣) رجا العمرات، المضامين التربوية المتعلقة بعبادات الطفل ومعاملته، مرجع سابق، ص ٣٩.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، مادة حضن.

(٥) عبد السلام الفتدي، تربية الطفل المسلم، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٢م، ص ١١.

(٦) سهام جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٦٤.

ويصلح شأنه وهو لا يستطيع الكسب والسعي، ولا إصلاح نفسه بالتربية والتعليم واللباس، لذا فهو بحاجة دائمة إلى التأدب بالأداب الكريمة والتخلق بالأخلاق الفاضلة وهذا هو الأليق بالأم لقدرتها على إشباع حاجاته البيولوجية والنفسية في هذه المرحلة العمرية، وقد أثبتت الدراسات أن الأب لو استطاع توفير الحاجات البيولوجية للطفل فإن غياب الأم سيترك أثراً كبيراً في النمو النفسي للطفل^(١).

فمن عبد الله بن عمرو أن امرأة قالت: يا رسول الله أن ابني هذا كانت بطني له وعاء وثديي له سقاء، وحجري له حواء، وإن أباه طلقني، وأراد أن ينزعه مني، فقال رسول الله ﷺ أنت أحق به منه ما لم تتكحي^(٢).

أما عن بداية هذه المرحلة ونهايتها، فبدايتها في نهاية السنة الثانية من عمر الطفل -أي نهاية مرحلة الرضاع- ونهايتها في سن السابعة بداية التمييز على ما هو غالب.

المطلب الرابع: مظاهر النمو في هذه المرحلة

تشهد هذه المرحلة العديد من مظاهر النمو الإنساني، الجسمي والديني والعقلي والاجتماعي والنفسي وغيرها، وفيما يلي عرض لأهم مظاهر النمو في هذه المرحلة:
الفرع الأول - النمو الجسدي

أولى الإسلام الجسد اهتماماً كبيراً خاصة في مرحلة الطفولة، لذا فقد وجه أنظار الوالدين والمربين إلى وجوب رعاية أطفالهم وحملهم مسؤولية التقصير بهذا الواجب^(٣)، يقول ﷺ: "كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول"^(٤).

وحتى يحدث النمو الجسدي المطلوب في هذه المرحلة لابد من رعاية الطفل وحمائته من جميع التقلبات، وتحصينه من جميع أنواع الأمراض السارية، وتقديم الغذاء المناسب الذي يحتاجه الجسم، وتدريبه على بعض القواعد الصحية التي تتعلق بالنظافة وقضاء الحاجة وتوجيه نشاطه وحيوته الوجهة الصحيحة^(٥).

(١) محمد أبو شوشه، المضامين التربوية في أهم مصادر المذهب الشافعي، مرجع سابق، ص ٢٨٩ - ٢٩٠.

(٢) رواه الحاكم المستدرک علی الصحیحین، ج ٢، ص ٢٢٦، حديث رقم (٢٨٣٠)، حسنه الألباني، انظر: السلسلة الصحيحة، حديث رقم (٣٣٧٨).

(٣) محمد محمود الشريعة، المتطلبات التربوية لمراحل النمو الإنساني في ضوء التربية الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، اربد، جامعة اليرموك، كلية الشريعة، ١٩٩٧م، ص ٨٠.

(٤) رواه أحمد (المسند) ج ٢، ص ٢٧٣، حديث رقم (٥٩٩)، حسنه الألباني، انظر صحيح الترغيب والترهيب، حديث رقم (١٩٦٥).

(٥) محمد الشريعة، المتطلبات التربوية لمراحل النمو الإنساني في ضوء التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ٨١.

يستمر حق الطفل بالنفقة عليه وذلك بتأمين المسكن والمأكل والكساء والدواء للصغير في هذه المرحلة يقول سبحانه: ﴿وَأَرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾^(١)، وقد حث النبي ﷺ المسلم على النفقة على بيته، فعن ثوبان أن النبي ﷺ قال: "أفضل دينار، دينار ينفقه الرجل على عياله، ودينار ينفقه الرجل على دابته في سبيل الله، ودينار ينفقه على أصحابه في سبيل الله"^(٢).

ومما لا شك فيه أن تأمين الغذاء والدواء والمسكن للصغير يسهم في النمو الجسدي السليم له، وقد أشارت الأبحاث إلى أن الرأس ينمو نمواً بطيئاً، وتتمو الأطراف نمواً سريعاً ويزداد حظ الأجهزة العظمية من النضج، وطول القامة يتضاعف على ما كان عليه وقت الولادة، ويصل الوزن إلى خمسة أضعاف وزنه عند الولادة، ويتأثر النمو الجسمي للطفل في هذه المرحلة بالغذاء المقدم له وبالحالة الصحية والنفسية، فالطفل الذي يعاني من المرض ونقص التغذية يتأثر نموه الجسمي سلبياً^(٣).

الفرع الثاني - النمو الديني واللغوي للطفل

يبدأ في هذه المرحلة تلقين الطفل حقائق الإيمان؛ وللوالدين والأسرة التأثير العظيم في أمور الدين لاسيما في هذه المرحلة، يقول ﷺ: "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء"^(٤). وأول حقائق النمو الديني التي يتعلمها الطفل، تلقينه كلمة التوحيد، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "افتحوا على صبيانكم أول كلمة بلا إله إلا الله ولقنوهم عند الموت لا إله إلا الله"^(٥).

كما يتجه التعبير اللغوي في هذه المرحلة نحو الدقة والوضوح، ويزداد فهم كلام الآخرين، وللمنو اللغوي قيمة كبيرة في التعبير عما في النفس، ففي العام الثالث يكون الطفل جُملاً قصيرة تتكون من ٣-٤ كلمات وفي العام الرابع يكون جمل تامة ومفيدة^(٦).

ولأن الطفل في هذه المرحلة يتعلم اللغة فينبغي عدم التلغظ أمامه بالكلمات النابية لقوله ﷺ: "ليس المؤمن بالطعان ولا باللعان ولا بالفاحش البذيء"^(٧)، فينبغي على الوالدين استخدام الكلمات الحسنة والقيام بالأفعال الحميدة أمام الأطفال، بل ويستحب سرد القصص

(١) سورة النساء، آية ٥.

(٢) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ٢، ص ٦٩٢، حديث رقم (٩٩٤).

(٣) حامد زهران، علم نفس النمو، مرجع سابق، ص ١٩٣-١٩٤.

(٤) رواه البخاري، صحيح البخاري، ج ١، ص ٤٦٥، حديث رقم (١٣١٩).

(٥) علاء الدين المتقي، كنز العمال، حديث رقم (٤٥٣٣٢)، حديث ضعيف.

(٦) حامد زهران، علم نفس النمو، مرجع سابق، ص ٢٠٩.

(٧) رواه البخاري (الأدب المفرد)، ج ١، ص ١١٧، حديث رقم (٣١٢).

النبوي وبطولات الصحابة أمام أطفالهم في هذه المرحلة^(١). وتلقين الطفل "لا إله إلا الله" هو غرس للإيمان والتوحيد في نفس الطفل، وتوجيهه على أساس المبادئ والقيم الإسلامية وتنشئته على حب الله تعالى.

الفرع الثالث - النمو الخلفي والاجتماعي

من سمات مرحلة الحضانة أن الطفل يميل إلى التقليد والمحاكاة، ولأن الأبوين من أكثر الناس التصاقاً بالطفل فهو يقلدهم ويتأثر بهم، والواجب على الآباء أن يكونوا قدوة لأبنائهم في أفعالهم وأقوالهم، يقول سبحانه: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا قَوْلًا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقَوْلُهَا النَّاسُ وَالْحَجَارَةُ﴾^(٢).

فسلوك الأبوين وتصرفاتهم تنعكس إيجاباً أو سلباً على سلوك الأطفال، فالسلوك الطيب الذي يتعامل به الآباء والأمهات مع أنفسهم ومع أبنائهم وغيرهم من أفراد المجتمع يؤثر في سلوك الأبناء الأخلاقي والاجتماعي وقد يسبب لهم القلق والاضطراب النفسي والتنشئة الذهني. لذا فقد حذر النبي ﷺ من تناقض أقوال الآباء وأفعالهم أمام أطفالهم فقد ورد عن عبدالله بن عامر أنه قال دعيتي أُمي يوماً ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا، فقالت ها تعال أعطيك، فقال لها رسول الله ﷺ وما أردت أن تعطيه؟ قالت أعطيه تمرأ، فقال رسول الله ﷺ أما إنك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة^(٣).

كما يزداد وعي الطفل ببيئته الاجتماعية، وتزداد مشاركته الاجتماعية وتتسع علاقاته ويتعلم بعض المعايير الاجتماعية ومبادئ السلوك السوي، ويميل نحو الاستقلال في تناوله لطعامه وشرابه^(٤)، لذا نرى النبي ﷺ حرص كل الحرص على تعليم الأطفال في هذه المرحلة الآداب الإسلامية المختلفة ومنها آداب الطعام والشراب، فعن عمرو بن سلمة ﷺ قال: "كنت غلاماً في حجر رسول الله وكان يدي تطيش في الصفحة، فقال لي رسول الله ﷺ: "يا غلام سم الله وكل بيمينك، وكل مما يليك فما زالت تلك طعمتي بعد"^(٥).

فالحديث يدل دلالة واضحة على أن الأطفال في هذه المرحلة، يحلون بالآداب الاجتماعية، ويميلون إلى فعل أشياء غير مناسبة، فعلى المربي أن يكون معهم على الدوام باستمرار، ولتعلم الأسرة أن سوء خلق الأطفال نابع في الأساس من عدم الاهتمام بتأديب

(١) شادية التل، النمو الإنساني في التراث الإسلامي، مجلة الثقافة النفسية، مركز الدراسات النفسية والجسدية، طرابلس، لبنان، عدد ٢٢، ١٩٩٥م، ص ٧٢.

(٢) سورة التحريم، آية ٦.

(٣) رواه أحمد (المستد)، ج ٣، ص ٤٤٧، حديث رقم (١٥٧٤٠)، صححه الألباني، انظر: السلسلة الصحيحة، حديث رقم (٧٤٨).

(٤) محمود عقل، النمو الإنساني، مرجع سابق، ص ١٨٨.

(٥) رواه مسلم (صحيح مسلم)، ج ٣، ص ١٥٩٩، حديث (٢٠٢٢).

الأطفال بالآداب الإسلامية وتعليمهم إياها، فينشأ الطفل على الأخلاق السنية فإذا انتقل إلى مراحل أخرى من حياته صعب على من يقوم بالتربية إصلاح هذه الأخلاق الذميمة.

الفرع الرابع - النمو النفسي والانفعالي

تلعب الأسرة دوراً مهماً في النمو النفسي والانفعالي للطفل في هذه المرحلة، فمعاملة الطفل بعطف وحنان وإظهار الحب له بالمداعبة والرعاية يسهم في نمو الطفل نمواً نفسياً سليماً، فقد كان رسول الله ﷺ يتعامل مع الأطفال بعطف وحنان، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله أحسن الناس خلقاً وكان لي أخ يقال له أبو عمير - وهو فطيم - كان إذا جاءنا قال: "يا أبا عمير ما فعل النغير؟! لنغير كان يلعب به"^(١).

إن مداعبة الطفل تصلح نفسه وتدخل السرور إلى قلبه وتشعره بالعطف والحنان والاستقرار النفسي وهذا ما فعله الرسول ﷺ، فعن يعلى بن مرة أنه قال: "خرجنا مع النبي ﷺ ودعينا إلى طعام، فإذا حسين يلعب في الطريق فأسرع النبي ﷺ أمام القوم ثم بسط يديه فجعل الغلام يفر ههنا وههنا، ويضحكه النبي ﷺ حتى إذا أخذه فجعل إحدى يديه في ذقنه، والأخرى في رأسه، ثم اعتنقه ثم قال حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسيناً، الحسين سبط من الأسباط"^(٢).

وتقول السيدة عائشة رضي الله عنها إن الرسول ﷺ قال: "يا عائشة إن الله يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على سواه"^(٣)، فهذا الحديث يمثل قاعدة عامة في التعامل مع الآخرين بعطف وحنان، والأطفال هم من يحتاجون ذلك العطف والحنان أكثر من غيرهم، وهذا لا يعني الإسراف والحماية الزائدة للطفل، الأمر الذي يعيق السلوك الاستقلالي الذي يسعى إليه الطفل، بل لابد من توازن بين الحب والعطف وبين الضرر المترتب على الحماية الزائدة^(٤).

والطفل في هذه المرحلة متقلب الوجدان متذبذب الانفعال، سرعان ما يفرح ويغضب، كثير الخوف شديد الغيرة غير مستقر على حال من الأحوال النفسية والانفعالية، فالطفل بحاجة إلى الأمن والطمأنينة حتى ينمو وجدانياً^(٥). وقد رأى الرسول ﷺ هذا الجانب الوجداني في

(١) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ٣، ص ١٦٩٢، حديث (٢١٥٠).

(٢) رواه البخاري، الأدب المفرد، ج ١، ص ١٢٣، حديث (٣٦٤).

(٣) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ٤، ص ٢٠٠٣، حديث (٢٥٩٣).

(٤) شادية التل، النمو في التراث الإسلامي، مجلة الثقافة النفسية، مركز الدراسات النفسية والجسدية، طرابلس، لبنان، عدد ٢، ١٩٩٥م، ص ٧٠.

(٥) عبد الحميد الزنتاني، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، مرجع سابق، ص ٦٨.

حياة الصغير، فجعل التعامل معه مبنياً على العطف والحنان والرحمة، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: "ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا...." (١).

تتميز انفعالات الطفل في هذه المرحلة بأنها شديدة ومبالغ فيها (حب شديد، غضب شديد)، ويتركز الحب كله حول الوالدين، ومن انفعالات الطفل الغضب، الخوف، الغيرة التي تتأجج عند ميلاد أخ جديد للطفل وتتخذ أشكالاً عديدة منها استخدام الزجاجة والتبرز والتبول في الفراش (٢).

وقد تقود الغيرة إلى الحسد والعدوان والحقد، وللآباء الدور البارز في التخلص من هذا السلوك الخاطيء عن طريق الالتزام بمبادئ الإسلام بمعاملة الطفل بعدل حتى لا تتجذر نتائج الغيرة في شخصية الأبناء، وقد أثبتت الدراسات أن الأبناء الذين يعانون من تفضيل الآباء لإخوانهم عليهم، سواء في المعاملة أو الرعاية أو العطفية، أقل نضجاً انفعالياً وشخصياً واجتماعياً وأكثر ميلاً للعدوان وأكثر حقدًا وحسدًا ونقمة على المجتمع (٣).

الفرع الخامس - اللعب وأثره في نمو الطفل الجسدي والأخلاقي والنفسي والاجتماعي

لعل أكثر ما يميز هذه المرحلة حب الأطفال للعب، وقد شرع الإسلام اللعب للكبار والصغار، لكن ميل الصغير للعب أكثر، لذا دعا الإسلام إلى إتاحة فرصة اللعب للطفل من أجل الترويح عن نفسه، فاللعب يخرج ما يشعر به الطفل من ضغط وكبت، ويفرغ طاقته ونشاطه، ويدخل الفرح والسرور إلى نفسه، وينمي خياله ويساعد على صقل مواهبه وعقله وبالتالي نموه جسمياً وعقلياً ونفسياً وأخلاقياً واجتماعياً.

ولنا في رسول الله ﷺ القدوة الحسنة، فقد كان ﷺ يلاعب الحسن والحسين، وأطفال المسلمين، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يصنعون اللعب لأطفالهم، ففي حديث الربيع بنت معوذ قالت: فكنا نصومه ونصوم صبياننا ونجعل لهم اللعبة من العهن فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذلك حتى يكون عند الإفطار (٤).

فاللعب من أهم وسائل الطفل في تفهمه للعالم من حوله وهو إحدى الوسائل التي يعبر بها عن نفسه، فاللعب يفيد في النمو العضلي ويطلق الطاقة العصبية التي إذا لم تصرف تجعله متوتراً ومتهيجاً، كما أنه يساعد في النمو الاجتماعي ويسهم في إشباع حاجات الطفل النفسية،

(١) رواه الترمذي، سنن الترمذي، ج٤، ص ٣٢٢، حديث (١٩٢١)، صححه الألباني، انظر: صحيح وضعيف الجامع الصغير، حديث رقم (٥٤٤٥).

(٢) محمود عقل، النمو الإنساني، مرجع سابق، ص ١٨٧.

(٣) شادية التل، النمو في التراث الإسلامي، مرجع سابق، ص ٧٢.

(٤) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج٢، ص ٧٩٩، حديث (١١٣٦).

وقد يعبر الطفل باللعب عن مشكلاته وإحباطاته، ويُعدُّ أداةً علاجيةً نفسيةً مهمةً للأطفال المصابين باضطرابات نفسية^(١)، ويمكن إيجاز وظائف اللعب في النقاط الآتية^(٢):

- ١- يساعد الأطفال على السيطرة على القلق والخوف والصراعات النفسية.
- ٢- يساعد الأطفال على تنمية المشاركة الاجتماعية والتفاعل مع الآخرين.
- ٣- يساعد الأطفال على تنمية المهارات الحركية والنمو الجسمي.
- ٤- يساعد الأطفال على استثارة القدرات العقلية وتنميتها.
- ٥- يساعد على تنمية مداركات الأطفال وتنمية تفكيرهم وحل مشكلاتهم.
- ٦- يساعد الأطفال على التعرف على أنفسهم وكشف إمكاناتهم.
- ٧- يساعد الأطفال على عمليات التعلم.

وللعب وظائف بيولوجية ونفسية واجتماعية وعقلية وعلاجية كثيرة جداً.

المطلب الخامس: جانب من الأحكام الشرعية التي تدل على مراعاة الإسلام للنمو الإنساني في مرحلة الحضانة

ثمة أحكام شرعية تتعلق بالسلوكيات التي تصدر عن الطفل في مرحلة الحضانة، وعند التأمل في حقيقة هذه الأحكام نجد أنها تراعي النمو الإنساني للطفل، وتعمل على أن يكون هذا النمو مكتملاً وناضجاً في كافة مظاهره، الجسمية، والعقلية، والنفسية، والأخلاقية، والدينية، والاجتماعية، وفيما يلي عرض لهذه الأحكام:

الفرع الأول - الولاية على الصغير مراعاة لجميع مظاهر النمو المختلفة لديه

"الولاية سلطة شرعية يتمكن بها صاحبها من القيام على شؤون الصغار الشخصية والمالية ... وتبدأ الولاية الشرعية على الصغير منذ ولادته إلى أن يبلغ رشيداً ومن هذا يتبين أن الولاية تكون على الصغير غير المميز وعلى الصغير المميز .."^(٣). ومن أحكام الولاية على الصغار سواء أكانوا مميزين أم غير مميزين التأديب والتعليم لذا يقال: "على الآباء والأمهات تعليم الصغار ما يلزمهم بعد البلوغ، فيعلم الصغير ما تصح به عقيدته وما تصح به عبادته وينبغي أنه يعلمه أيضاً من أمور الدنيا ما يحتاج إليه..."^(٤).

فالبداء بتعليم الصغير ما يحتاج إليه يساعد على نموه العقلي، فذكاء الصغير ينمو نمواً سريعاً حيث يمكن الاستدلال على ذكائه من خلال سلوكه ومحاولة اكتشاف الأشياء والتعرف عليها، وتعليم الطفل ضرورة؛ لأن قدرات الطفل تتطور فتزداد المقدره على التعلم والتذكر

(١) حامد زهران، علم نفس النمو، مرجع سابق، ص ٣٣.

(٢) محمود عقل، النمو الإنساني، مرجع سابق، ص ٢٧٥-٢٩٠.

(٣) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية، الموسوعة الفقهية، مرجع سابق، ج ٢٧، ص ٢٣.

(٤) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية، الموسوعة الفقهية، مرجع سابق، ج ١٣، ص ١١-١٢.

المباشر والتخيل^(١). والتعليم يسهم في النمو الديني للطفل وذلك بإكساب الطفل بعض المعايير الدينية من خلال عملية التنشئة الاجتماعية، فيتأثر الطفل بالبيئة الاجتماعية التي تربي فيها، فإن كانت تعلمه الدين وتنشئته على ذلك نشأ هو على ذلك.

ومن أحكام الولاية تطبيب الصغير الأمر الذي يؤثر في نموه النفسي والجسدي، وللولي على النفس ولاية علاج الصغير وتطبيبه وختانه، لأن هذه الأشياء من أهم الأمور اللازمة للصغار لتعلقها بصحتهم، ويتحقق هذا بالإذن للطبيب في تقديم العلاج اللازم للصغار والإذن في إجراء العمليات الجراحية...^(٢).

فالأعراض من العوامل التي تؤثر في النمو الإنساني، وتأخر النمو الجسدي للإنسان، وتأخر النمو العقلي والاجتماعي والانفعالي، لذا فلا بد من الاهتمام بعلاج الصغير وتطبيبه، وحتى لا يتأثر نمو الطفل يجب العمل على وقايته من الأمراض، كون المرض لا يؤثر على النمو الجسدي فقط، وإنما يتعداه إلى الحالة النفسية والاجتماعية والانفعالية للطفل.

الفرع الثاني - عبادات الطفل غير المميز وتأثيرها في النمو

"ما كان أصلاً للعبادات وهو الإيمان، وما كان منها عبادات خالصة سواء أكانت بدنية محضة: كالصلاة أو مالية محضة كالزكاة أو مركبة من بدنية ومالية كالحج لا يجب شيء من ذلك على الصبي"^(٣).

فالصبي غير المميز ليس بمكلف لضعف بنيته وقصور عقله عن فهم خطاب الشارع، فهو غير مكلف بالإيمان ولا بالعبادات لتتأثيرها مع صفة الصغر، ولعدم إدراكه لمعاني هذه الأمور، لأن الغرض من التكليف هو اختبار مدى طاعة الإنسان وامتناله لأمر الشارع أو مخالفته وعصيانه له، استدلالاً بقول الله تعالى: ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(٤).

فحكم الفقهاء مثلاً بعدم صحة صوم الطفل غير المميز يشير إلى أهمية تلبية حاجته إلى الغذاء في هذه المرحلة العمرية، كون الغذاء من الحاجات الجسمية الفسيولوجية الضرورية لنمو الطفل غير المميز وإكسابه كثيراً من السلوكيات والأنشطة المهمة في حياته، وأن إشباع هذه الحاجة بطريقة ناجحة وفعالة من أهم الضروريات لتكوين شخصيته تكويناً متكاملًا، كما أن طريقة تقديم الغذاء للطفل غير المميز وكميته ونوعه والفترات التي يقدم بها والعبادات الصحية التي يجب أن تتبع في تناوله لها دور مهم في نموه، فالغذاء يزود الجسم بالطاقة التي

(١) حامد زهران، علم نفس النمو، مرجع سابق، ص ٢٠٣-٢٠٥.

(٢) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية، الموسوعة الفقهية، مرجع سابق، ج ٢٧، ص ٢٤.

(٣) عبد الكريم زيدان، الوجيز في أصول الفقه، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، ط ٥، ١٩٦٦، ص ٩٦.

(٤) سورة هود، آية ٧.

يحتاج إليها للقيام بنشاطه ويساعده على إصلاح خلاياه التالفة وعلى زيادة مناعة جسمه ضد بعض الأمراض ووقايته منها^(١).

وقد أشار علماء النفس إلى أن نمو الطفل الجسمي في هذه المرحلة يكون سريعاً وإن بدا أقل سرعة من مرحلة المهد، ولكنه أسرع من مرحلة التمييز، فثمة زيادة واضحة وكبيرة في الطول والوزن، ونمو العظام حجماً وعدداً وصلابة، وينمو الجهاز العصبي بسرعة والنمو الحركي يتطور تدريجياً ويمتاز النمو العقلي في هذه المرحلة بحدوث تغيرات واسعة إذا ما قورنت بالمرحلة السابقة فيكتسب الطفل بعض المفاهيم، وتزداد قدرته على التخيل والتفكير والتذكر والانتباه، وتتمايز هذه المرحلة فتظهر لدى الطفل انفعالات الحب والكره والغيرة والخجل والزهو ولا شك أن سوء التغذية الذي قد يسببه الصيام عند بعض الاطفال يؤثر في كافة مظاهر النمو المختلفة^(٢).

أما الحج للصبي المميز وغير المميز فقد أجمع العلماء على أن الحج على الصغير غير واجب، لأنه عبادة محضة كالصلاة والصوم، القصد منها الأداء مع القصد والاختيار وهذا لا يتحقق في الصبي فهو قبل التمييز معدوم القصد والاختيار، وهما لا يكتملان عنده إلا بعد التمييز^(٣).

"واتفق الفقهاء على أن الحج غير واجب على الصبي، وأن كان مستطيعاً، إلا أنه يصح منه ويقع نفلاً ولا يجزئ عن حجة الإسلام..."^(٤)، وذلك لحديث ابن عباس قال: "رفعت امرأة صبياً لها فقالت: يا رسول الله لهذا حج؟ قال نعم ولك أجر"^(٥).

وهذا الحكم الشرعي يؤثر في نمو الطفل العقلي، فهو في الحج يشاهد عديداً من المثيرات العقلية التي ترسخ في ذهنه وتلبي عنده سلوك الاستطلاع والاستكشاف وتكوين المفاهيم مثل مفهوم الزمان والمكان^(٦)، وكذلك يؤثر في نمو الطفل الاجتماعي فيتعلم في الحج الضبط الاجتماعي والأخلاقي من خلال الالتزام بمحظورات الإحرام، كون الطفل في هذه المرحلة يكون بعض المعايير الاجتماعية بالإضافة إلى التأثير في نمو الفرد الديني فمن خلال الحج يكتسب الطفل معايير دينية كالحلال والحرام.

والزكاة تؤثر في النمو الإنساني وتسهم فيه، وقد اختلف الفقهاء في زكاة أموال الصبي بين الوجوب وعدمه، واستدل القائلون بعدم وجوب الزكاة على مال الصغير بقوله تعالى:

(١) رجا العمرات، المضامين التربوية المتعلقة بعبادات الطفل ومعاملته، مرجع سابق، ص ١٢٤.

(٢) محمود عقل، النمو الإنساني، مرجع سابق، ص ١٨٠-١٨٦.

(٣) ابن قدامة المقدسي، المعنى، مرجع سابق، ج ٥، ص ٤٤.

(٤) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية، الموسوعة الفقهية، مرجع سابق، ج ٢٧، ص ٢٨.

(٥) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ٢، ص ٩٧٤، حديث رقم (١٣٣٦).

(٦) حامد زهران، علم نفس النمو، مرجع سابق، ص ٢٠٣-٢٠٥.

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١). فوجوب الزكاة معلل بالنظهر، ولا يكون التطهر إلا لمن عليه ذنب، والصغير لا ذنب عليه، لأنه غير مكلف فلا يحتاج للتطهير. وأما القائلون بوجوب الزكاة على مال الصغير فقالوا: إن الآيات والأحاديث جاءت عامة شاملة لجميع المسلمين، وليس هناك دليل على إخراج الصبي من هذا العموم (٢).

بغض النظر عن الرأي الراجح فإن أداء الصغير للزكاة يساهم في النمو الديني والاجتماعي له، فينظر إليه الآخرون نظرة احترام وتقدير، لأنه ساهم في سد حاجة المحتاجين، حيث يوضع له القبول بين الناس، فالطفل يبدأ حياته كائناً بيولوجياً يقضي معظم وقته بين الأكل والنوم، فأول علاقاته الاجتماعية تبدأ مع أمه التي هي مصدر إشباع حاجاته الجسمية والنفسية، وتزداد علاقاته لتشمل الأب والإخوة والجيران، وأداء الطفل للزكاة يوسع علاقاته الاجتماعية، ويكون قادراً على تبادل العلاقات فتتمو الألفة وتزداد المشاركة الاجتماعية ويتعلم الطفل المعايير الاجتماعية والدينية.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أمر يتعلق بالنمو الاجتماعي للصغير كذلك، فقد انتقلت المذاهب الفقهية على أن نفقة الأقارب تحب على البالغ الغني كما تحب على الصبي الغني (٣). فالزكاة تسهم في نمو الطفل الاجتماعي ذلك لأن نفقة الصبي على أقاربه المحتاجين من زكاة أمواله تحببه إليهم، وتقربه منهم، فالنفوس مجبولة على حب من أحسن إليها، فيصبح الطفل محل رضا أقاربه من الفقراء والأغنياء وحبهم. الفرع الثالث - عدم تنفيذ الحدود والقصاص في الصبي غير المميز وضمناته المتلفات وعلاقتها بالنمو

وما كان من حقوق الله تعالى عقوبته كالحدود لم يجب على الصبي، كما لم يجب عليه ما هو عقوبة من حقوق العباد، كالقصاص، لعدم حكمه وهو المؤاخذه بالعقوبة.... (٤). إن المذاهب الفقهية تتفق على أن الصبي مؤاخذ بأفعاله فيضمن ما يتلف من مال، والمقصود بوجوب الضمان أداء مثل المتلف أو قيمته، ويتحقق المقصود بأداء ولي الصبي من مال الصبي، وللفقهاء كلام واستثناءات في هذا الأمر (٥).

(١) سورة التوبة، آية ١٠٣.

(٢) محمود الكبيسي، الصغير بين أهلية الوجوب وأهلية الأداء، مرجع سابق، ص ١٣٤.

(٣) محمود الكبيسي، الصغير بين أهلية الوجوب وأهلية الأداء، مرجع سابق، ص ١٧٦.

(٤) عبد الكريم زيدان، الوجيز في أصول الفقه، مرجع سابق، ص ٩٦.

(٥) محمود الكبيسي، الصغير بين أهلية الوجوب وأهلية الأداء، مرجع سابق، ص ١٦٨.

إن عدم تنفيذ العقوبات مثل الحدود والقصاص على الصبي آتٍ من كون الإسلام ينظر إليه على أنه غير مكتمل النمو الجسمي، فلا يحتمل هذه العقوبات التي قد تؤدي إلى وفاته، كما أنه يُعدُّ في نظر الإسلام غير مدرك لما قام به من تصرفات فهو غير مكتمل النمو العقلي، إضافة لما في ذلك تعليم الطفل لبعض المعايير الاجتماعية والدينية التي يكتسبها في هذه المرحلة، فإنه إذا تكرر ذلك منه فإنه يعاقب.

وكذلك ضمان المتلفات وإشعار الصغير بهذا يساهم بالضبط الاجتماعي لسلوكه بعدم الاعتداء على الآخرين، بل إزماءه بتقديم الاعتذار إزاء السلوك الذي صدر منه، فإن ذلك يساهم في نمو الطفل الاجتماعي والخلقي.

المبحث الخامس - مرحلة التمييز

يشمل المبحث، التمهيد ومطلبين، المطلب الأول - مظاهر النمو في هذه المرحلة، والمطلب الثاني - الأحكام الشرعية التي تراعي النمو في هذه المرحلة.

تمهيد

يتحدث الفقهاء عن سن التمييز ومرادهم بها تلك السن التي انتهى إليها الصغير، بحيث يعرف مضاره ومنافعه، وكأنه مأخوذ من ميزت الأشياء إذا فرقت بين خيرها وشرها بعد المعرفة بها^(١). وقيل إن التمييز هو قدرة الطفل على التفريق بين الأشياء بعضها من بعض حسب الأفضلية بل يقارن بينها ويعرف الصواب من الخطأ^(٢).

والمميز هو الذي يفهم الخطاب ويرد الجواب ولا ينضبط بسن معينة بل يختلف باختلاف الأحوال والأفهام، فالحنفية يرون أنه الذي يعرف أن البيع سالب للملك والشراء جالب له، ويعلم الغبن الفاحش من اليسير، ويقصد به تحصيل الربح والزيادة^(٣).

تبدأ هذه المرحلة بسن السابعة وتنتهي بالبلوغ، وتثبت للطفل المميز أهلية أداء ناقصة تؤهل من وجدت به لممارسة بعض التصرفات، وتصح منه بعض العبادات مثل الصلاة والصوم والحج^(٤)، وأهلية الأداء عند الصغير المميز ناقصة لأن إدراكه ناقص^(٥).

ويرى علماء النفس أن هذه المرحلة هي مرحلة المدرسة الابتدائية، إذ تعدّ مرحلة إتقان المهارات اللغوية والحركية، حيث يقضي الطفل وقته باللعب وتعلّم مهارات القراءة والكتابة

(١) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية، الموسوعة الفقهية، مرجع سابق، ج ١٤، ص ٣٢.

(٢) محمود الكبيسي، الصغير بين أهلية الوجوب وأهلية الأداء، مرجع ساب، ص ٣٤.

(٣) صبحي المحمصاني، النظرية العامة للموجبات والعقود في الشريعة الإسلامية، بحث مقارنة في المذاهب المختلفة والقوانين الحديثة، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين، ط ٣، ١٩٨٣، ص ٣٥٨.

(٤) مصطفى البغا، أصول الفقه الإسلامي، مرجع سابق، ص ٢١٣.

(٥) صبحي المحمصاني، النظرية العامة للموجبات والعقود، مرجع سابق، ص ٣٦٠.

والحساب، ويتميز الطفل بقدرته على الحفظ، وتظهر قدرته على التعميم، وتتمو قدرته على التذكر ويكون النضج العقلي قد أصبح مهيناً لعملية تعلم مقصود، وتتميز هذه المرحلة بالعديد من مظاهر النمو، منها:

المطلب الأول: مظاهر النمو في هذه المرحلة

الفرع الأول - النمو الديني

مسؤولية النمو الديني في هذه المرحلة وفي غيرها من المراحل على الوالدين، فيجب عليهم الحرص على تربية الطفل تربية إسلامية، حتى تحفظ للطفل فطرته السليمة ونموه الديني بشكل سليم، لذا قرر الإسلام في المراحل السابقة أن يكون أول ما يقرع سمع الطفل بعد الولادة الأذان، وأن يكون أول ما ينطق به الطفل هو لا إله إلا الله، يقول ﷺ: "افتحوا على صبيانكم أول كلمة بلا إله إلا الله"^(١).

ولما كان سلوك الطفل يتأثر بسلوكيات من يحيطون به سواء منها الخيرة أو الشريرة، فإن أول تأثيره يكون بسلوك والديه الديني، يقول ﷺ: "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"^(٢). لذا وجه النبي ﷺ المسلمين إلى البدء بتعليم الأبناء الصلاة وهم في السابعة يقول ﷺ: "مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع"^(٣).

ولقد كان النبي ﷺ يباشر بنفسه تعليم الأطفال ما يحتاجون إليه في الصلاة، فعن الحسن بن علي رضي الله عنه، قال: علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في الوتر: "اللهم أهديني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت..."^(٤). وقوله: "يا بني: إياك والالتفات في الصلاة فإن الالتفات في الصلاة هلكة، فإن كان ولا بد ففي التطوع لا في الفريضة"^(٥).

ولا بد من متابعة أمر تأدية الصلاة ومراقبة الطفل، فعن ابن عباس قال: بتُّ عند خالتي ميمونة، فجاء رسول الله ﷺ بعدما أمسى، فقال: أصلى الغلام؟^(٦)، قالوا: نعم، فاضطجع"^(٧).

(١) علاء الدين المنقي، كنز العمال، حديث رقم (٤٥٣٣٢).

(٢) رواه البخاري، صحيح البخاري، ج ١، ص ٤٦٥، حديث رقم (١٣١٩).

(٣) رواه أبو داود، سنن أبي داود، ج ١، ص ١٣٣، حديث رقم (٤٩٥)، قال الألباني حديث حسن صحيح.

(٤) رواه الدارمي، سنن الدرامي، ج ١، ص ٤٥١، حديث رقم (١٥٩١)، صححه الألباني، انظر: مشكاة المصابيح، حديث رقم (١٢٢٣).

(٥) رواه الترمذي، سنن الترمذي، ج ٢، ص ٤٨٤، حديث رقم (٥٨٩) قال أبو عيسى حديث حسن غريب، ضعفه الألباني، انظر: صحيح وضعيف الجامع الصغير، حديث رقم (٦٣٨٩).

(٦) الغلام الصبي حين يقارب البلوغ.

(٧) رواه أبو داود، سنن أبو داود، ج ٢، ص ٤٥، حديث رقم (١٣٥٦)، صححه الألباني.

وكان الصحابة يُعوِّدُونَ أولادهم على الصوم الذي هو عبادة روحية جسدية، يتعلم فيها الطفل الإخلاص لله سبحانه وتعالى ومراقبته في السر والعلن منذ صغرهم، فعن الربيع بنت معوذ أنها قالت: أرسل النبي ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار: من أصبح مفطراً فليتم صومه، ومن أصبح صائماً فليصم، قالت فكنا نصومه ونصوم صبياننا، ونجعل لهم اللعبة من العهن فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذلك حتى يكون عند الإفطار^(١).

وكذا الحج، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: جاء غلام إلى النبي ﷺ فقال: إنني أريد الحج فمشى النبي ﷺ فقال: يا غلام زدك الله التقوى، ووجهك إلى الخير وكفاك الهم. فلما رجع الغلام على النبي ﷺ فقال: يا غلام قبل الله حجك وغفر ذنبك وأخلف نفقتك^(٢). والحج مثل الصوم والصلاة يساهم في النمو الديني للإنسان، فتعويد الطفل على العبادات، ليعتاد الصلة بالله تعالى ومناجاته والاستجابة لأوامره، لتهيئاً للتكليف الذي ينتظره عند البلوغ فلا يجده صعباً ولا شاقاً وإنما مألوفاً لديه.

وقد شجع النبي ﷺ في موقف آخر على الحج، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لقي ركباً بالروحاء، فقال: من القوم، قالوا: المسلمون فقالوا: من أنت؟ قال: رسول الله فرفعت إليه امرأة صبياً فقالت: ألهذا حج؟ قال نعم، ذلك أجر^(٣).

وللتلقين دور مهم في نمو الطفل الديني^(٤)، وهذا ما كان يفعله النبي ﷺ من تلقين الأطفال مبادئ العقيدة بما يلائم عقولهم ويتفق مع إدراكهم، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال: "يا غلام! إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف"^(٥).

وقد أخذ النبي ﷺ البيعة من الأطفال في سن التمييز، فروي أن أسماء خرجت مهاجرة وهي حبلى فنفست بعبد الله في قباء، قالت أسماء رضي الله عنها فجاء عبدالله بن سبع سنين ليبيع النبي ﷺ فتبسم النبي ﷺ حين رآه مقبلاً ثم بايعه^(٦)، وكان النبي ﷺ يعلم الأطفال في مثل هذا العمر الأذان، قال أبو محذورة خرجت في عشرة فتيان مع النبي ﷺ وهو أبغض الناس إلينا، فأذنوا فقمنا نؤذن نستهزئ بهم، فقال النبي ﷺ: اتنوني بهؤلاء الفتيان. فقال أذنوا

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه الطبراني، المعجم الكبير، ج ١٢، ص ٢٩٢، حديث رقم (١٣١٥١).

(٣) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ٢، ص ٩٧٤، حديث رقم (١٣٣٦).

(٤) حامد زهران، علم نفس النمو، مرجع سابق، ص ٢٨٤.

(٥) رواه الترمذي، سنن الترمذي، ج ٤، ص ٦٦٧، حديث رقم (٢٥١٦)، قال أبو عيسى، حديث حسن صحيح، وصححه الألبان.

(٦) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ٣، ص ١٦٩٠، حديث (٢١٤٦).

فأذنوا فكنت أحدهم، فقال النبي ﷺ: نعم هذا الذي سمعت صوته اذهب فأذن لأهل مكة، فسمع على ناحيته وقال قل الله أكبر الله أكبر...^(١).

ولابد من التأكيد مرة أخرى أن الطفل في هذه المرحلة يتأثر بالبيئة الاجتماعية له، فإن كانت البيئة الاجتماعية متدينة نشأ على ذلك، وإن كانت غير متدينة نشأ على ذلك، ومن النمو الديني تعلم أحكام الحلال والحرام، فالطفل في هذه المرحلة يتعلم المهارات اللازمة للتعامل مع شؤون الحياة المختلفة، وعليه فلا بد من تزويد الأطفال بمجموعة من الأفكار والمهارات التي تعين على التفكير في معالجة شؤون الحياة اليومية^(٢).

ومن المهارات اللازمة للتعامل مع شؤون الحياة اليومية، تعلم أحكام الحلال والحرام، الأمر الذي يسهم في النمو الديني للفرد، لذا فقد ورد في الأثر: "اعملوا بطاعة الله، واتقوا معاصي الله، ومروا أولادكم بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، فذلك وقاية لهم ولكم من النار"^(٣).

والسر في هذا "حتى يفتح الولد عينيه منذ نشأته على أوامر الله، فيروض على امتثالها، وعلى اجتناب نواهيها، فيدرب على الابتعاد عنها... وحين يتفهم الولد منذ تعقله أحكام الحلال والحرام، ويرتبط منذ صغره بأحكام الشريعة، فإنه لا يعرف سوى الإسلام تشريعاً ومنهاجاً..."^(٤).

ومما يسهم في النمو الديني للطفل في هذه المرحلة اصطحاب الأطفال إلى المساجد بعد تعليمهم الآداب المطلوبة، وهذا ما يفهم من حديث رسول الله ﷺ حيث قال: "يا أيها الناس إن منكم منفرين فأيكّم أمّ فليوجز فإن وراءه الكبير والصغير وذا الحاجة"^(٥)، ففي الحديث إشارة إلى الصغير الذي لا يقوى على المكوث طويلاً خلف الإمام.

الفرع الثاني - النمو العقلي

النمو المعرفي والعقلي هو تنمية ذكاء الفرد وقدرته على التأمل والتفكير والنظر، وتنمية قدرته على التخيل، بالإضافة إلى تقوية ذاكرته، وقدرته على التحليل، وإدراك العلاقات بين الأشياء، وربط العلة بالمعلولات، والأسباب بالنتائج إلى جانب القدرة على التعبير والحفظ وبذلك تشمل جميع النشاط العقلي^(٦).

(١) رواه الطبراني، المعجم الكبير، ج٧، ص ١٧٣، حديث رقم (٦٧٣٤)، صححه الألباني.

(٢) محمود عقل، النمو الإنساني، مرجع سابق، ص ١٩٧.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص ٣٩١.

(٤) عبدالله علوان، تربية الأولاد في الإسلام، مرجع سابق، ١/١١٨.

(٥) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج١، ص ٣٤١، حديث رقم (٤٦٦).

(٦) لؤي محمد عبابنة، التربية المعرفية للأطفال في التربية الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، اربد،

الأردن، ٢٠٠١م، ص ١.

وقد حدد النبي ﷺ سن التعليم بسن السابعة، وأول ما يجب أن يتعلمه الأطفال الصلاة، فيتعلمون أركانها وواجباتها وسننها ومفسداتها، ويعرف الأمور التي تسبق الصلاة من طهارة ولباس، يقول ﷺ: "مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع"^(١).

فالنبي ﷺ استخدم الأسلوب المباشر لتنمية العقل في حديث ابن عباس "احفظ الله يحفظك"، ولا يفهم من الحديث الشريف الاهتمام بتعليم الأطفال أمور الدين فقط، بل يقتضي كذلك تعليم الأطفال علوم عصرهم، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالرسول ﷺ علم ابن عباس بكلمات مختصرة مفيدة تتناسب مع طبيعة الطفل الفكرية، التي تتطلب هذه الكلمات الموجزة المختصرة، فالطفل لا يريد الشرح الواسع، لذلك كان خطاب النبي ﷺ مباشراً، فرتب له المعلومات ليحفظها، مما جعل الطفل أكثر قبولاً، وأكثر استعداداً للتلقي، فكان الدخول في الموضوع الذي يريده بشكل مباشر وبخطاب يثير مشاعر الطفل^(٢).

ومن الوسائل التي تسهم في النمو العقلي تعليم الأطفال في هذا الوقت القراءة والكتابة؛ فالقراءة والكتابة تساعدان على تنمية مظاهر النمو العقلي كالإدراك والتذكر والتفكير والتخيل، كما تساعدان على تعلم مختلف العلوم، والنبي ﷺ رغب في تعليم القراءة والكتابة لأبناء المسلمين، ومما يدل على هذا أنه كان يقبل فداء أسرى بدر بتعليمهم القراءة والكتابة لأطفال المسلمين، فكان كل أسير يفدي نفسه بتعليم عشرة من صبيان الصحابة القراءة والكتابة^(٣).

ومما يساعد الطفل على الإدراك والتفكير اللذين هما من مظاهر النمو العقلي حضور مجالس الكبار، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يدخل ابنه عبدالله مجلس النبي ﷺ ويدخل عبدالله بن عباس مجالس الصحابة، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ أتى بجُمَار نخلة فقال النبي ﷺ: إن من الشجر شجرة مثل الرجل المسلم لا يسقط ورقها أخبروني ما هي؟ فوقع الناس في شجر البوادي، فوقع في نفسي أنها النخلة، فأردت أن أقول: هي النخلة، ثم نظرت فإذا أنا أصغر القوم سناً، فسكت، فقال رسول الله ﷺ، فنكرت ذلك لعمر، فقال، لأن قلتها أحب إلي من كذا وكذا"^(٤).

والحوار الهادئ مع الطفل في هذه المرحلة له دور في توسيع مدارك الطفل، فالحوار يمكنه من التعبير عن نفسه، فالواجب إقامة هذا الحوار الهادئ وتدريب الأطفال عليه، بشرط احترام رأي الطفل وحسن الاستماع إليه، وطلب المشورة من الأطفال فيما يتناسب مع مراحلهم

(١) رواه أبو داود، سنن أبي داود، ج ١، ص ١٣٣، حديث رقم (٤٩٥)، قال الألباني حديث حسن صحيح.

(٢) محمد نور سويد، منهج التربية النبوية للطفل، مرجع سابق، ص ١١٦-١١٧.

(٣) محمد نور سويد، منهج التربية النبوية للطفل، مرجع سابق، ص ٣٦٧.

(٤) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ٤، ص ٢١٦٥، حديث (٢٨١١).

العمرية، وقد تجلت صورة هذا الحوار في قصة سيدنا إبراهيم مع ولده إسماعيل عليهما الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا بَلَّغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَتَأْتِيَ أَفْعَلٌ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٢٧﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٢٨﴾﴾ (١).

وكذلك كان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يدخل مجلس عمر بن الخطاب مع أشياخ بدر رغم صغر سنه، فسلك عمر بن الخطاب ﷺ إحياء للأولاد باهتمامه بهم وتشجيعهم على الإقدام وتنمية ذكائهم وإدراكهم وعدم استصغارهم لقلّة خبرتهم، بل طرح المسائل عليهم وشحذ عقولهم نحو التفكير العميق وتوسيع مداركهم وتنمية ذكائهم (٢).

ومما يسهم في النمو العقلي للطفل والذي اتبعه الصحابة رضوان الله عليهم تعليم الأطفال القرآن الكريم وتحفيظهم إياه، فعن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال كنا نعلم أولادنا المغازي والقرآن الكريم (٣). فعملية الحفظ من أهم خصائص النمو العقلي، وهي قدرة عقلية ترتبط بعمليات أخرى، كالنذكر والاسترجاع التي تؤدي إلى تثبيت عملية التعلم وعدم نسيان المعارف والمعلومات، والطفل يمتاز في طفولته بقدرة فائقة على الحفظ لصفاء ذهنه وسرعة نمو ذكائه، فالتعلم والحفظ في الصغر يكونان أسرع وأشد رسوخاً من أي وقت آخر (٤).

ولنا في السلف الصالح القدوة الحسنة في حفظ كتاب الله سبحانه وتعالى، فقد حفظ الشافعي القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين، وابن سينا أتقن القرآن الكريم في سن العاشرة، أما النووي فقد ختم القرآن وقد ناهز الحلم (٥).

ومن المظاهر العقلية التي تنمو في هذه المرحلة التخيل، حيث يتجه خيال الطفل نحو الواقعية والإبداعية وينمو اهتمامه بالواقع، وقد يطغى الخيال على الحقيقة ويختلط الواقع بالخيال (٦).

وقد أكد الرسول ﷺ أهمية تنمية التخيل عند الطفل، لكونه يساعد على التفكير السليم والإبداع، فعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك، وفي سهوتها ستر فهبت ريح، فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة - لعب - فقال ما هذا يا

(١) سورة الصافات، آية ١٠٢.

(٢) لؤي عباينة، التربية المعرفية للأطفال في التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ٦٧.

(٣) حديث موقوف على سعد بن أبي وقاص.

(٤) لؤي عباينة، التربية المعرفية للأطفال في التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ٧١.

(٥) حنان عبد الحميد العناني، تربية الطفل في الإسلام، عمان، الأردن: دار صفاء للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠١م، ص ٦٥.

(٦) محمود عقل، النمو الإنساني، مرجع سابق، ص ٢٠٨.

عائشة؟ قالت بناتي، وأن بينهن فرساً له جناحان، قال: فرس له جناحان" قالت: أما سمعت أن سليمان خيلاً لها أجنحة؟ قالت: فضحك حتى رأيت نواجذه...^(١).

ومما يزيد في قدرة الطفل على تركيز الحواس والنشاط حول موضوع معين (الانتباه) الذي هو أحد مظاهر النمو العقلي القصة، فلها دور كبير في شد انتباه الطفل، ويقظته الفكرية والعقلية، وتعدّ من الأساليب الفكرية المؤثرة في عقل الطفل لما لها من متعة ولذة^(٢)، لذا يجب استغلال شغف الطفل بسماع القصص والحكايات لتعليم الطفل ما يسهم في تنمية قدراته العقلية، كالإدراك والتفكير والتخيل.

وقد كان السلف الصالح رضوان الله عليهم يهتمون بالنمو المعرفي والعقلي لأبنائهم، ومن ذلك ما قاله عروة بن الزبير لبيه "يا بني إن أزهّد الناس في عالم أهله، فهلموا إلي فتعلموا مني، فإنكم توشكون أن تكونوا كبار قوم، إني كنت صغيراً لا ينظر إلي، فلما أدركت من السن ما أدركت جعل الناس يسألونني وما شيء أشد على امرئ من أن يسأل عن شيء من أمر دينه فيجهله"^(٣).

وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: "مثل الذي يتعلم في صغره، كالنقش في الحجر، ومثل الذي يتعلم في كبره كالذي يكتب على الماء"^(٤).

الفرع الثالث - النمو الاجتماعي والأخلاقي

الإنسان محتاج إلى القدوة التي ترسم أخلاقه وأفعاله وأقواله، إذ يرى فيها النموذج الأفضل في حياته، ووجودها يؤدي إلى موافقة النموذج طبعاً وسلوكاً ومنهجاً، فتربية الأبناء على الفضائل الخلقية والسلوكية بالقدوة فيهم لأنها تؤثر عليهم وتعينهم على التزام الفضائل، مخالفة القدوة للفضائل تكفي لهدم الفضيلة في نفس الطفل وتدمير نموه الاجتماعي والأخلاقي، والطفل في هذه المرحلة يبدأ بتكوين معايير أخلاقية واجتماعية وأنماط سلوكية مرغوب بها وللأسرة دورها الواضح في تأكيد السلوكيات الأخلاقية في نفوس الأطفال، وهذا ما فعلته أم أنس رضي الله عنها، فعن أنس بن مالك ﷺ قال: "قدم النبي ﷺ المدينة وأنا ابن سبع سنين فانطلقت بي أم سليم إلى النبي ﷺ فقالت يا رسول الله: هذا ابني استخدمه. فخدمت النبي ﷺ تسع سنين فما قال لي شيء فعلته لم فعلت كذا؟ وما قال لي شيء لم أفعله إلا فعلت كذا وكذا، وأتاني ذات يوم، وأنا ألعب مع الغلمان أو قال مع الصبيان فسلم علينا ودعاني فأرسلني، فلما

(١) رواه أبو داود، سنن أبو داود، ج ٤، ص ٢٨٤، حديث رقم (٤٩٣٢)، صححه الألباني.

(٢) محمد سويد، منهج التربية النبوية للطفل، مرجع سابق، ص ١١٠.

(٣) يوسف بن عبد البر أبو عمر (ت ٤٦٣)، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق أبي الأشبال الزهري، جدة، السعودية: دار ابن الجوزي، ط ٤، ١٩٩٨، ٣٦/١.

(٤) عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الدرر المنتشرة، ط ٢، مكتبة دار العروبة، الصفاء، ١٩٨٩، ص ٩٨-٩٩، له شواهد صحيحة.

رجعت قال لا تخبرن أحداً، واحتبست على أمي فلما أتيتها قالت يا بني ما حبسك؟ قلت أرسلني رسول الله ﷺ في حاجة له، قالت وما هي؟ قلت: إنه قال: لا تخبرن بها أحداً، قالت أي بني فإتكم على رسول الله ﷺ سره^(١)، فهذه الأم الصالحة لم يشغلها حب معرفة الأسرار فتستدرج ابنها لإباحة السر، فتفسد أخلاقه وتعوده خيانة الأمانة وسوء الأخلاق.

لقد حث الإسلام الوالدين على تأديب الأبناء ببعض الآداب والسلوكات الاجتماعية في مثل هذه السن، منها تأديب الطفل الاستئذان، يقول سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

لِيَسْتَعِذْنَ مِنْكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَفُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَعِذُوا كَمَا اسْتَعِذَ الَّذِينَ

الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٧﴾، والاستئذان في هذه الأوقات الثلاثة تعليم للولد الأدب مع الأهل حتى لا يُفجأ الولد إذا دخل باطلاعه على حالة لا يحسن أن يرى أهله فيها فيفسد نموه الأخلاقي والاجتماعي.

وتتسع دائرة العلاقات الاجتماعية للطفل في هذه المرحلة، ويصبح له كثير من الأصدقاء، وتتراوح علاقته مع أشقائه بين التنافس والصراع من ناحية المحبة من ناحية أخرى، ويتوحد الطفل مع جنسه فالذكور يميلون إلى التشبه بالرجال والإناث يملن إلى التشبه بالسيدات^(٣).

وقد دعا الإسلام إلى تنمية الطفل اجتماعياً، وهذا ما كان يفعله السلف الصالح في ترتيبهم لأولادهم، حيث اصطحبوهم إلى مجالس الكبار لتعليمهم المعايير الاجتماعية في السلوك والمعايشة الصحيحة للناس، فما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ أتى بجُمَار نخلة، فقال النبي ﷺ "إن من الشجر شجرة مثل...".

وكذا حث النبي ﷺ على الاهتمام بمظهر الطفل في هذه المرحلة لأنها أساس نموه الأخلاقي والاجتماعي، فصاحب المنظر القبيح مرفوض اجتماعياً لا يجب أحد أن يختلط به، أما صاحب الهيئة الجميلة والمنظر الحسن يحبه الناس ويداعبونه ويلتفون حوله، فعن ابن عمر

(١) رواه أحمد، المسند، ج٣، ص ١٧٤، حديث (١٢٨٠٧)، صححه الألباني، انظر: الأدب المفرد، حديث رقم (١١٢٩).

(٢) سورة النور، آية ٥٨-٥٩.

(٣) محمود عقل، النمو الإنساني، مرجع سابق، ص ٢٠٦-٢١١.

رضي الله عنهما قال: رأى رسول الله ﷺ صبياً قد حلق بعض شعر رأسه، وترك بعضه الآخر فنهاهم عن ذلك وقال: احلقوه كله أو اتركوه كله^(١).

وكان النبي ﷺ يعلم الأطفال السلوك الحسن والآداب الطيبة، فعن عكراش بن دؤيب قال: أتينا بجفنة كثيرة الثريد والوذر فخبطت يدي في نواحيها، وأكل رسول الله ﷺ من بين يديه، فقبض بيده اليسرى على يدي اليمنى ثم قال: "يا عكراش كل من موضع واحد فإنه طعام واحد"، ثم أتينا بطبق فيه ألوان من التمر فجعلت أكل من بين يدي ومالت يد رسول الله ﷺ في الطبق، فقال يا عكراش كل من حيث شئت فإنه غير لون واحد، ثم أتينا بماء فغسل رسول الله ﷺ يديه ومسح ببلل كفيه ووجهه وذراعيه ورأسه وقال: يا عكراش هذا الوضوء مما غيرت النار^(٢)، فالنبي ﷺ يعلم الصبي آداب تناول الطعام والشراب التي لها أثر بالغ في قبوله ونموه اجتماعياً وأخلاقياً.

الفرع الرابع - النمو الجنسي

يجب أن يتعلم الطفل في هذه المرحلة الدور الذي يليق بالجنس الذي ينتمي إليه وينبغي أن يتعلم الأدوار المطلوبة من كل جنس فيتوحد مع أبناء جنسه، حيث تعد هذه المرحلة تهيئة لسن البلوغ، فيجب على الأسرة القيام ببعض الإجراءات حتى يتحقق المطلوب منها:

أ- التفريق بين الأبناء في المضاجع

يقول ﷺ: "مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع"^(٣)، إن التفريق في المضاجع أمر ضروري، أرشدنا إليه الرسول ﷺ لسد سبل الفساد قبل وقوعها؛ ففي هذه المرحلة تكون الغريزة الجنسية في طريقها للنمو بشكل متزايد، ونوم الأولاد في فراش واحد قد يؤدي إلى الانحراف والشذوذ الجنسي.

ب- تعليم الطفل آداب الاستئذان

يقول سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَعِذْنَ كُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ

يَبْلُغُوا أَحْلَمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾^(٤) هذه اللفتة القرآنية تدل على عناية الإسلام بالنمو الجنسي السليم للطفل بعيداً عن سبل الانحراف، كما تدل على عناية الإسلام بتربية الأبناء على الحياء والأدب الإسلامي الرفيع، حتى يكون الواحد منهم إذا بلغ سن الشباب أنموذجاً في أفعاله

(١) رواه أبو داود، سنن أبو داود، ج ٤، ص ٨٤، حديث (٤١٩٥)، صححه الألباني، انظر: السلسلة الصحيحة، حديث رقم (١١٢٣).

(٢) رواه الطبراني، المعجم الأوسط، ج ٦، ص ١٨١.

(٣) رواه أبو داود، سنن أبي داود، ج ١، ص ١٣٣، حديث رقم (٤٩٥)، صححه الألباني.

(٤) سورة النور، آية ٥٨.

وأخلاقه، فالطفل قد ينحرف إذا تحسس الميل للجنس الآخر، بسبب ما يقع عليه بصره من اتصال جنسي بين والديه^(١).

فلا تُفجأ من تقرير علماء النفس بأن إصابة كثير من المصابين بالأمراض العصبية تعود إلى ما وقعت عليه أنظارهم وهم في مرحلة الطفولة من مشاهد جنسية لآبائهم وأمهاتهم^(٢)، وقد يكون هذا سبباً في الانحراف الجنسي الذي يصيب الشباب، لذا لا بد من تربية الأطفال وتعليمهم آداب النظر لأن فيها صلاح أخلاقهم، حتى إذا شارف الطفل على البلوغ، وبلغ سن التكليف تميزت أخلاقه، ونما بعيداً عن الاستثارة المستمرة التي تجعل منه إنساناً مضطرباً نفسياً وعقلياً واجتماعياً وجنسياً.

الفرع الخامس - النمو النفسي والانفعالي

تكثر المظاهر الانفعالية للطفل في هذه المرحلة بحيث يصعب حصرها، ففي هذه المرحلة يقلل الطفل من تعلقه بوالديه ويسعى نحو أصدقائه، ويظهر محبة شديدة للعب بأنواعه المختلفة، ويحاول الطفل أن يرضي رغبات الآخرين إضافة إلى رغباته، كما يسعى إلى تحقيق القبول الاجتماعي والحصول على المدح والثناء، فالحب والحنان من الحاجات الأساسية التي يحتاجها الطفل لينمو نمواً سليماً، فإذا تحقق له ذلك شعر بسعادة غامرة تنعكس على علاقته مع والديه وإخوانه والمحيطين به، وإذا حرم منه فإنه يصبح قلقاً خائفاً لا يشعر بالاستقرار، بل يصاحبه شعوره بالارتباك لأنه غير محبوب أو غير مرغوب في التعامل معه، وعليه فلا بد للوالدين والأسرة من أن يظهر الأبناء كباراً وصغاراً الحب والتقدير في تعاملهم اليومي^(٣).

فعن جابر رضي الله عنه قال: صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الأولى ثم خرجت معه فاستقبله ولدان، فجعل يمسح خدي أحدهم واحداً واحداً، قال وأما أنا فمسح خدي، قال فوجدت يده برداً أو ريحاً كأنما أخرجها من جؤنة عطار^(٤).

إن الاهتمام بالطفل الصغير والانتباه إلى ما يؤثر في نفسه ومعاملته معاملة كريمة فيها تقديره واحترامه أمر على درجة من الأهمية في النمو النفسي والوجداني له، لأن الطفل في هذه المرحلة شديد الحساسية، مرهف الشعور حيال كثير من الأمور التي يغفل عنها الكبار، فغرس ثقة الطفل بنفسه ضرورة ملحة، لأنها تحميه من كل ما يشعره بالنقص أو يكون سبباً أو دافعاً للآخرين للسخرية منه والاستهزاء به.

(١) عبدالله علوان، تربية الأولاد الإسلام، مرجع سابق، ج، ص ٣٨٩.

(٢) شادية التل، النمو في التراث الإسلامي، مرجع سابق، ص ٧٦.

(٣) أسامة بدوي، رعاية الإسلام للطفولة جنسياً ونفسياً، مرجع سابق، ص ٢٤٧.

(٤) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج٤، ص ١٨١٤، حديث (٢٣٢٩).

ويعلم الأطفال في هذه المرحلة اللعب؛ إذ يُعدُّ حاجة نفسية لهم، لأنه يساعدهم على اكتساب المهارات، وتنمية القدرات وصقل المواهب، وتصريف الطاقات، يقول ﷺ: "حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية وأن لا يرزقه إلا طيباً"^(١).

المطلب الثاني: جانب من الأحكام الشرعية التي تدل على مراعاة الإسلام للنمو

الإنساني في مرحلة التمييز

ثمة أحكام شرعية تناولت ما يصدر عن الصبي المميز من سلوكات، وهذه الأحكام في حقيقتها تراعي جوانب النمو الإنساني للصبي المميز، وتعمل على أن يكون النمو مكملاً وناضجاً في كافة مظاهره الجسمية والعقلية والنفسية والأخلاقية والدينية والاجتماعية، وفيما يلي عرض لبعض الأحكام الشرعية المتعلقة بما يصدر عن الطفل من سلوكات.

الفرع الأول - إسلام المميز وردته وعلاقتها بالنمو العقلي

"ذهب جمهور الفقهاء من الحنفية والمالكية والحنابلة وبعض الشافعية إلى أن إسلام المميز يصح استقلالاً من غير افتقار إلى حكم حاكم، أو تبعية لأحد أبويه، لأن النبي ﷺ دعا علياً ﷺ إلى الإسلام، وهو ما زال في صباه فأسلم، وكان أول من أسلم من الصبيان، والإسلام عبادة محضة فصحت من الصبي العاقل كالصلاة والصوم والحج وغيرها من العبادات، أما رده فذهب الجمهور إلى أنها معتبرة إلا أنه لا يقام عليه الحد حتى يبلغ فإن تاب وإلا قتل..."^(٢).

وهذا الحكم الشرعي له علاقة بالنمو العقلي، إذ يعدُّ النمو العقلي من المظاهر البارزة في مرحلة التمييز، فتحدث تغيرات واسعة في العمليات العقلية، ومن أهم مظاهر النمو العقلي الإدراك، حيث تزداد قدرة الطفل على وصف الأشياء وإدراك العلاقات بينها، وتنمو عنده المفاهيم والذاكرة، كما يحل التذكر القائم على الفهم محل التذكر الآلي المجرد، وينمو التفكير، فيأخذ تفكير الطفل منحى التفكير الاستدلالي ويتجه خياله نحو الواقعية والإبداعية^(٣).

الفرع الثاني - عبادات الطفل المميز مراعاة لجميع مظاهر النمو المختلفة

سيعرض الباحث للعبادات الرئيسية التي يمكن للطفل القيام بها:

أولاً - الصلاة

أول العبادات التي يؤديها الصبي المميز هي الصلاة، يقول ﷺ: "مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع"^(٤)، فقد ذهب

(١) رواه البيهقي، سنن البيهقي، ج ١٠، ص ١٥.

(٢) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية، الموسوعة الفقهية، ج ١٤، ص ٣٢.

(٣) محمود عقل، النمو الإنساني، مرجع سابق، ص ٢٠٤-٢٠٨.

(٤) رواه أبو داود، سنن أبي داود، ج ١، ص ١٣٣، حديث رقم (٤٩٥)، صححه الألباني.

الأئمة الحنفية والمالكية والشافعية إلى أن الصلاة والصوم لا يجبان على الصبي حتى يبلغ ولكنه إذا أداها يصحان منه، وثوابها وغيرهما من أعمال البر تذهب له^(١).

إن عبادة الصلاة تؤثر في النمو العقلي للإنسان، فأداء الصلاة وقراءة القرآن يساهمان في صياغة عقلية رصينة لكل مسلم، وهذه العقلية تقوم على الحقائق وتطرد الأوهام، فالصلاة تحافظ على الاعتقادات العقلية والقلبية، وتوجه العقل وفق منهج راشد لإصلاح دنياه وآخرته، يقوم على تحديد الهدف والغاية من كل عمل يقوم به، فمن أراد أن يؤدي الصلاة لابد له من النية، وهذا ما يجعل الفرد يتعلم تحديد الهدف والغاية من كل عمل^(٢).

وإذا كان النمو العقلي من أهم المظاهر البارزة في هذه المرحلة، فمن أهم مظاهر هذا النمو الإدراك الذي يجعل الطفل قادراً على وصف الأشياء، ومعرفة العلاقات القائمة بينها، والنمو هو قدرة الطفل على تركيز الحواس والنشاط الذهني حول موضوع معين إضافة إلى التذكر والتفكير والتخيل^(٣).

والصلاة تزود الطفل المميز بالعديد من المهارات العقلية السابقة التي تؤدي إلى النمو العقلي السليم للطفل^(٤)، ومن أهم هذه المهارات:

أ- مهارة حصر الذهن (الانتباه):

إن التركيز الذهني على هدف واحد يعدُّ من مظاهر النمو العقلي، فالعقل إذا ركز تركيزاً قوياً يصبح أداة مدهشة، وعبادة الصلاة من أهم الوسائل التي تعين على تحقيق مهارة حصر الذهن عند الطفل، فالصلاة تعين دائماً على تحديد الهدف والغاية بما فيها من خشوع وتكرار، فتتمى عند الطفل هذه المهارة التي تقوده إلى التميز العقلي.

ب- مهارة التحصيل العلمي:

تتمى الصلاة عند الطفل مهارة الحفظ فهو يحتاج بشكل دائم إلى حفظ القرآن الكريم من أجل التمكن من أداء الصلاة، ومهارة الاستماع، فالصلاة تربي في الطفل المميز مهارة الاستماع، فمن مبطلات الصلاة التحدث بالكلام العادي، ومهارة الاستماع تقتضي الإنصات مما يسهم في نمو الطفل المميز عقلياً ومعرفياً.

والصلاة تتمى عند الطفل المميز مهارة الانتباه الذي يعني القدرة على تركيز الحواس والنشاط الذهني حول موضوع معين، لاسيما أن قدرة الطفل على الاحتفاظ بالانتباه الإرادي

(١) محمود الكبيسي، للصغير بين أهلية الوجوب وأهلية الأداء، مرجع سابق، ص ٢١٢-٢١٦.

(٢) صلاح الدين سلطان، الآثار التربوية للعبادات في العقل والجسد، القاهرة، مصر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م، ص ٩-١٣.

(٣) محمود عقل، النمو الإنساني، مرجع سابق، ص ٢٠٤-٢٠٨.

(٤) رجا العمرات، المضامين التربوية المتعلقة بعبادات الطفل ومعاملته، مرجع سابق، ص ١٠٦-١٠٩.

حول موضوع معين تزداد بسرعة من سن السابعة حتى الحادية عشرة^(١)، وكذلك تنمو مهارة التفكير في هذه المرحلة حيث يتدرج التفكير من التفكير الحسي المادي إلى التفكير المجرد^(٢)، فما يُطلب من الإنسان في الصلاة أن يتأمل ويتفكر فيما يُقرأ له من الآيات الكريمة.

تصوغ الصلاة العقل المسلم صياغة منهجية، بحيث تضع كل أمر في مكانه وموضعه، فأركانها وسننها تؤدي كما وردت، فلا تضخم السنن على حساب الأركان والواجبات، ولا تكبر الصغائر على حساب عظام الأمور^(٣). وتسهم في النمو اللغوي والتعبيري للطفل المميز، وتنمي مهارة القراءة عند الطفل، فتدربه على نوعين من القراءة؛ القراءة الصامتة والقراءة الجهرية، كما تنمي حصيلة الطفل اللغوية من خلال قراءة القرآن الكريم وحفظه، وكذلك توفر له فرص الاحتكاك بالبالغين في صلاة الجماعة ويكون الطفل في هذه الفترة يميل إلى تقليد الكبار فيكتسب منهم حصيلة لغوية، ويقوم بتقليد قراءة الإمام^(٤).

ولابد من الإشارة إلى أن مهارة القراءة تعد جزءاً من النمو العقلي للطفل، كما يُعدُّ التأخر في القراءة مظهراً من مظاهر عدم النضج، فاللغة التي يستعملها الطفل دليل على نضجه العقلي، وهي وسيلة اتصال بين الأفراد^(٥)، وتؤثر الصلاة في النمو الاجتماعي والأخلاقي للطفل المميز؛ فالطفل في هذه المرحلة يميل لمقاومة تدخل الكبار في الشؤون الخاصة، ويميل إلى وضع دستور خاص به وتنظيمات وقواعد محددة، لذا فهو يتبع بشغف ما يحصل في أوساط الكبار^(٦)، وتزود الصلاة الطفل بقواعد ومبادئ الدستور الأخلاقي والاجتماعي الذي يرغب به، فهي تعمل على:

أ- تنظيم الوقت، فأداء الطفل المميز الصلاة يساعده على تنظيم وقته وترتيب دراسته" فالصلاة بمواعيدها المحددة وأسلوب أدائها المتميز بحركاته وأفعاله وأقواله يدرّب الطفل المميز على حب النظام والالتزام به في جميع شؤون حياته، وينمي عنده مهارة احترام القوانين والقواعد والعمل بها.."^(٧)

ب- التزام النظام، يقول علماء النفس إن الطفل في هذه المرحلة يميل إلى الضبط الذاتي للسلوك والإحساس بالمسؤولية تجاه أفعاله وأفعال الآخرين، وتتميز هذه المرحلة بثبات

(١) محمد مصطفى زيدان، النمو النفسي للطفل والمراهق ونظريات الشخصية، جدة، السعودية: دار الشروق، ط٤، ١٩٩٤م، ص ١٣٩.

(٢) محمود عقل، النمو الإنساني، مرجع سابق، ص ٢٠٧.

(٣) صلاح الدين سلطان، الآثار التربوية للعبادات في العقل والجسد، مرجع سابق، ص ١٣.

(٤) حمدي شاكر محمود، مبادئ علم نفس النمو في الإسلام، مرجع سابق، ص ١٧٠.

(٥) محمد مصطفى زيدان، النمو النفسي للطفل والمراهق ونظريات الشخصية، مرجع سابق، ص ١٣٣.

(٦) المرجع السابق، ص ١٤١.

(٧) رجا العمرات، المضامين التربوية المتعلقة بعبادات الطفل، مرجع سابق، ص ١١٢.

الانفعالات والقدرة على التحكم بها نتيجة النظام الذي يلتزم به الطفل^(١)، وعبادة الصلاة تشكل نشاطاً منظماً متسلسلاً مترابط العناصر، فالصلاة بمواعيدها وأسلوب أدائها تدرّب الطفل المميز على حب النظام والالتزام في جميع شؤون حياته وتتميّح عنده مهارة احترام القوانين، والعمل بها^(٢).

وتعود الصلاة الإنسان على ضبط النفس، لأنه اعتاد على متابعة الإمام بدقة متناهية فهو لا يكبر قبله ولا يتقدم أو يتأخر عنه بل يتابعه ويوافقه بكل حركة وهذا ما يعود ضبط النفس^(٣).

والطفل في هذه المرحلة بحاجة إلى الانتماء إلى الجماعة، بصفتها سناً له ومجالاً يشبع من خلاله حاجاته الأخرى كالأمن والتقدير والمكانة^(٤)، كما أن الطفل في هذه المرحلة يميل إلى الاندماج مع مجموعة ولاسيما الأقران، ويميل إلى الولاء للمجموعة والتعاون معها^(٥).

وأداء الطفل المميز الصلاة يجعل منه عنصراً مرحباً به ومقبولاً اجتماعياً، ويحقق له الانتماء إلى الجماعة والاندماج معها، كون الصلاة شكلت انطباعاتاً إيجابياً عنه، وعكست مدى اتزانة عند الجماعة المحيطة به، الأمر الذي يؤدي إلى القبول الاجتماعي وإعداد شخصية متوازنة للطفل.

أما النمو الأخلاقي، ففي هذه المرحلة تظهر عند الطفل مبادئ أخلاقية مثل المساواة، والإخلاص والصدقة وتنمو عنده سائر القيم الأخلاقية، وكذلك ينمو عنده الضمير ومفاهيم الصدق والأمانة^(٦)، وأداء الطفل المميز للصلاة يربي فيه كثيراً من المبادئ والقيم الأخلاقية والسلوكية، مثل خلق الطاعة، احترام النظام، حسن المظهر والهيئة، آداب المشي والجلوس والإنصات وأدب اللقاء والحديث، واحترام الكبير وتوقيره.

إن عبادة الصلاة تلبّي حاجات^(٧) النمو الاجتماعي والروحي والانفعالي للطفل في هذه المرحلة، ومن أهم حاجات النمو الاجتماعي والروحي التي تلبّيها الصلاة:

(١) فادية حمام، علم نفس النمو، مرجع سابق، ص ١٦٨.

(٢) رجا العميرات، المضامين التربوية المتعلقة بعبادات الطفل، مرجع سابق، ص ١١٢.

(٣) مصطفى البغا، مضامين تربوية إسلامية في الفقه الإسلامي، أريد، الأردن، عالم الكتب الحديث، ط ١، ٢٠٠٧م، ص ٣٣٠.

(٤) محمود عقل، النمو الإنساني، مرجع سابق، ص ٢٤٥.

(٥) محمد زيدان، النمو النفسي للطفل والمراهق، مرجع سابق، ص ١٤١.

(٦) فادية حمام، علم نفس النمو، مرجع سابق، ص ١٥٧، ص ١٦٩.

(٧) الحاجة: افتقار الفرد إلى شيء ما يترتب عليه توتر وقلق أي وتال، وتدفع الفرد إلى نشاط معين لإشباع هذه الحاجة، وهذا يعني أن الحاجة تمثل العناصر الآتية: افتقار الإنسان لشيء ما مادي أو معنوي، حدوث حالة من التوتر والإثارة تدفع نحو إشباع تلك الحاجة، انظر. محمود عقل، النمو الإنساني، ص ٢٤٤.

أ- الحاجة إلى التدين:

يقول سبحانه: ﴿ فَأَوْرَثَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَنِينُ وَلَنَكْرَهُ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(١). فالإنسان يشعر في أعماق نفسه بدافع كبير لمعرفة خالقه وإلى عبادته والالتجاء إليه طالباً العون كلما اشتدت عليه مصائب الحياة حيث يجد في الالتجاء إليه الأمن والطمأنينة، فحاجة التدين لها أساس فطري في طبيعة تكوين الإنسان، فهو يشعر في أعماق نفسه بدافع يدفعه إلى البحث والتفكير لمعرفة خالقه وخالق الكون، ونجد ذلك واضحاً في سلوك الإنسان في جميع العصور وفي مختلف المجتمعات^(٢)، ولا شك أن تعويد الطفل المميز الصلاة يلبي حاجة التدين التي هي موجودة في أعماق نفسه وكوامن فطرته، فالصلاة اعتراف بالوهمية الله تعالى الواحد القهار، وبربوبيته، وشهادة برسالة محمد ﷺ.

ب- الحاجة إلى تعلم النماذج السلوكية المرغوب فيها

الطفل بهذه المرحلة بحاجة ماسة إلى تعلم الممارسات المقبولة عند الأشخاص، فيعرف ما هو مقبول وما هو غير مقبول، وهو في نموه الاجتماعي يحتاج إلى سلطة موجهة ترسم له الحدود، فتبين له مواطن الخطأ والصواب، وتعلمه الأنظمة والقوانين، كما أنه بحاجة إلى سلطة ضابطة تحد من رغباته وشهواته^(٣).

والصلاة يمكن أن تكون سلطة موجهة للطفل المميز فتبين له مواطن الخطأ التي لا تتفق مع أداء الصلاة ومواطن الصواب التي تتفق مع الصلاة وأركانها وشروطها، وعندما يرغب الطفل بأداء الصلاة فانه - بلا شك - سيسمع من الآخرين عن السلف الصالح ونماذجهم السلوكية المرغوب فيها، فيتمثل الطفل ما يسمع عن هذه النماذج ويرغب في أن يسلك سلوكيات هذه النماذج.

ج- الحاجة إلى الأمن النفسي

إن عدم شعور الطفل بالأمن والطمأنينة يؤدي إلى سوء توافقه النفسي والاجتماعي، وقد أوضحت دراسات علم النفس السريري أن العصائين والجانحين يكونون مدفوعين بدرجة كبيرة للبحث عن حاجاتهم إلى الأمن، والصلاة تبعث في الإنسان الشعور بالصفاء الروحي، والاطمئنان القلبي والأمن النفسي، فهي تحدث الاسترخاء والهدوء النفسي وتخفف حدة التوترات العصبية الناشئة عن الضغوط^(٤)، وهي تؤثر في نمو الفرد النفسي ففيها صفاء للنفس،

(١) سور الروم، آية ٣٠.

(٢) محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، مرجع سابق، ص ٥٠.

(٣) محمود عقل، النمو الإنساني، مرجع سابق، ص ٢٥٥.

(٤) محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، مرجع سابق، ص ٢٨٦.

الأمر الذي يؤدي إلى نقاء العقل ونماء العلم، كما أنها تشرح الصدر وتريح القلب وتفرغ العقل للتفكير العميق، فالمسلم يخرج من الصلاة وقد امتلأ يقيناً واتشرح صدره واطمأنت نفسه، وارتاح من كل عناء وكره، وأحس بالأمن والسلام^(١).

د- الحاجة إلى الانتماء والولاء

إن من حاجات الطفل الانفعالية الحاجة إلى الولاء والانتماء لجماعته ومجتمعه، فهو يشعر بقرارة نفسه بحاجته إلى التوحد بالجماعة والانتماء إليها بصفتها سنداً ومجالاً يشبع من خلاله حاجات أخرى كالأمن والتقدير والمكانة^(٢).

تتيح صلاة الجماعة للطفل المميز التعرف على الآخرين، وتُساعده على التفاعل وتكوين العلاقات الاجتماعية وعلاقات الصداقة والمودة، وتشبع حاجته إلى الانتماء الاجتماعي والتقبل الاجتماعي مما يؤدي إلى وقاينته من القلق الذي يعانیه بعضهم جراء شعورهم بالوحدة والعزلة وعدم الانتماء إلى الجماعة^(٣)، وتحمي الإنسان من العزلة وتسهم في نموه النفسي والانفعالي، فلا يكون عرضة سريعة لأي انفعال أو عرضة للإصابة بالاكئاب النفسي جراء الانفعالات التي يتعرض لها نتيجة ولوجه في الحياة الاجتماعية، وفي صلاة الجماعة علاج وافي لهذا الداء^(٤).

وهنا نذكر مسألة يثيرها الفقهاء حول جواز إمامة الصبي المميز بالصلاة^(٥)، وعلاقتها بالنمو الاجتماعي له.

إن تكليف الصبي المميز بالإمامة بالآخرين يسهم في تحقيق حاجته إلى الانتماء والولاء كما يسهم في نموه الاجتماعي فتتسع دائرة علاقاته الاجتماعية، ويصبح له كثير من الأصدقاء، وتزداد قدرته على تحمل المسؤولية.

ثانياً - الصوم

ثاني العبادات التي يؤديها الصبي المميز هي الصوم، فقد كان السلف الصالح يعودون أبناءهم على الصوم في مثل هذه السن، فعن الربيع بنت معوذ أنها قالت: أرسل النبي ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار من أصبح مفطراً فليتّم صومه، ومن أصبح صائماً فليصم، فكنّا

(١) مصطفى البغا، مضامين تربوية إسلامية في الفقه الإسلامي، مرجع سابق، ص ٢٣٠.

(٢) محمود عقل، النمو الإنساني، مرجع سابق، ص ٢٥٤.

(٣) محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، مرجع سابق، ص ٢٩١.

(٤) مصطفى البغا، مضامين تربوية إسلامية في الفقه الإسلامي، مرجع سابق، ص ٣٣١.

(٥) يرى الشافعية والحسن البصري وغيرهم أن إمامة الصبي المميز للبالغ صحيحة في الفرض والنفل، لمعوم قوله ﷺ: "يوم القوم أقرؤهم لكتاب الله" وكما روي عن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وهم دون سن البلوغ وهم أبناء سبع سنين أو ثمان سنين فثبت أن عمرو بن سلمة كان يوم قومه وهو ابن ست أو سبع سنين..... وأما إمامته في النفل فالجمهور على صححتها لأن النافلة يدخل فيها التخفيف*.

نصومه ونصوم صبياننا ونجعل لهم اللعبة من العهن فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذلك حتى يكون عند الإفطار»^(١).

يسهم الصوم في النمو العقلي والمعرفي، فالطفل في هذه المرحلة تنمو لديه المفاهيم - إحدى مظاهر النمو العقلي - وتدرج من البسيط إلى المعقد ومن المحسوس إلى المجرد، ومن المفاهيم المبهمة إلى الواضحة، ومن حالة التمرکز حول الذات إلى الموضوعية^(٢)، وفي عبادة الصوم يتعرف الطفل إلى مفهوم الصوم وأنه مفروض على كل مسلم ومسلمة، وأن المسلم مطالب بصوم الفريضة، ويتعرف الطفل إلى سنن الصوم ومفطراته، وهذه المفاهيم جديدة يفهمها الطفل المميز لأول مرة.

يجعل الصوم عقل الإنسان أكثر نشاطاً وإدراكاً لأن البطن إذا امتلأت تذهب الفطنة لذا فمن أراد أن يحصل على أسباب العلم عليه البعد عن الشبع، لأن الشبع يؤدي إلى الكسل ويدعو إلى النوم الطويل، والصيام يحفظ للعقل فاعليته، وقدرته على التفكير^(٣).

ويسهم الصوم في نمو الطفل المميز انفعالياً، لأن الصوم هو القدرة على ضبط النفس والانفعالات لمدة زمنية محدودة، دون أن يصاحب فترة الانتظار أي انفعالات سلبية أو سلوك عدواني لقوله ﷺ: "إذا أصبح أحدكم يوماً صائماً فلا يرفث ولا يجهل، فإن امرؤ شاتمته أو قاتله فليقل إني صائم"^(٤)، فبالصوم تربي إرادة الطفل بالبعد عن الطعام والشراب، ثم الجوع والعطش، فيتدرب على التحكم في إشباع الدوافع والغرائز من غير إفراط ولا تفريط، وهذا ما يتناسب مع طبيعة النمو في هذه المرحلة، فنتميز هذه المرحلة من حياة الطفل بالقدرة على التحكم، وضبط الانفعالات بعد أن كان يثور لأتفه الأسباب، فالثبات الانفعالي هو الصفة المميزة لهذه المرحلة^(٥).

والصوم يؤثر في نمو الطفل الأخلاقي، ففي هذه المرحلة تظهر عند الطفل بعض المبادئ والقيم الأخلاقية، فمدرسة الصوم التي يدخلها الطفل في هذه المرحلة من حياته تطبع الطفل بطابع من النظم والقواعد الأخلاقية، وأول الأخلاق التي يتعلمها الطفل في مدرسة الصوم خلق الصبر والجلد، وخروجه من دائرة الأنانية والتمحور حول الذات إلى دائرة الإيثار وحب الآخرين، ويولد الصوم في نفس الطفل أصدق العواطف والمواقف الإيجابية من التعاون والإيثار والرحمة والعفو، ويغرس القيم والمثل العليا ويكون الاتجاهات الإيجابية عنده^(٦).

(١) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية، الموسوعة الفقهية، مرجع سابق، ص ١٤، ص ٣٣-٣٥.

(٢) حامد زهران، علم نفس النمو، مرجع سابق، ص.

(٣) صلاح الدين سلطان، الآثار التربوية للعبادات في العقل والجسد، مرجع سابق، ص ٢١.

(٤) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ٢، ص ٨٠٦، حديث (١١٥١).

(٥) فانية حمام، علم نفس النمو، مرجع سابق، ص ١٦٨.

(٦) رجا العمرات، المضامين التربوية المتعلقة بعبادات الطفل، مرجع سابق، ص ١٣٨-١٢٤.

ثالثاً - الحج

ثالث العبادات التي من الممكن أن يؤديها الطفل المميز الحج؛ الذي يؤثر في النمو العقلي والمعرفي للطفل المميز، فتتعدد المفاهيم التي يتعلمها الطفل المميز من أداء شعائر الحج، ويضفي الحج على عقل الطفل السعة والمرونة والتيسير على الناس، وعدم حملهم إلى ما يؤدي إلى الحرج ويفضي إلى المشقة، من خلال تعرفه إلى كثير من المباحات في الإحرام، وحرية ترتيب مناسك الحج يوم العيد وغيرها^(١).

وتسهم عبادة الحج في النمو الجسمي للطفل المميز؛ فالطفل في هذه المرحلة يكون نشاطه الحركي واضحاً وعنيفاً، وثمة تآزر بين نشاطه الحركي وأجهزة الحس، وتنمو القدرة العضلية لديه ويمارس الأعمال الحركية المعقدة التي تعتمد على قوة العضلات^(٢)، فالطفل في هذه المرحلة يحمل الكثير من القوى والطاقات الكامنة، وعبادة الحج تحتاج في المقام الأول إلى طاقة جسمية كبيرة للقيام بشعائر الحج، مما يشكل عند الطفل مثيرات منظمة تثير قوى الطفل وطاقاته الكامنة الأمر الذي ينمي هذه القوى والطاقات ويجعلها أكثر قوة وصلابة.

ويسهم الحج كذلك في النمو الاجتماعي للطفل المميز فهو يهيء للطفل البيئة الاجتماعية الصالحة التي يستطيع من خلالها أن يكتسب المعايير الاجتماعية والأخلاقية، ويعرف ما هو مقبول وما هو غير مقبول، كما يتعلم الضبط الاجتماعي والأخلاقي من خلال التزامه بأعمال الحج كاملة.

رابعاً - الزكاة

رابع العبادات التي يمكن أن يؤديها الصبي المميز هي عبادة الزكاة، فالزكاة تؤثر في النمو العقلي والمعرفي للطفل، فتتعدد المفاهيم التي يتعلمها الطفل المميز من أداء عبادة الزكاة، فيتعلم مفهوم الزكاة وأنها عبادة مالية تجب في أموال الأغنياء وتدفع للفقراء، ويتعلم مفهوم النصاب والأصناف التي تجب فيها الزكاة وغير ذلك من المفاهيم المتعلقة بالزكاة.

وتكليف الطفل المميز بإخراج الزكاة بنفسه يعود عليه بفوائد جمّة تسهم في نموه الاجتماعي والأخلاقي، فيتخلص الطفل من الأنانية ويهتم بمصالح الآخرين ورغباتهم، إضافة إلى أن الزكاة تنمي مشاعر الإخوة الإسلامية واحترام كرامة الآخرين والشعور معهم، يقول سبحانه: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾^(٣)، ويتعلم الطفل أن وجود المال لأخيه المسلم الذي تربطه به رابطة الإخوة في الله بنفسه راضية وبدون تطلع إلى مجازاة^(٤).

(١) صلاح الدين سلطان، الآثار التربوية للعبادات في العقل والجسد، مرجع سابق، ص.

(٢) فادية حمام، علم نفس النمو، مرجع سابق، ص ١٦٥.

(٣) سورة الحجرات، آية ١٠.

(٤) حسن أيوب، السلوك الاجتماعي في الإسلام، مصر، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٩٩٦م، ص ٤٣٦.

الفرع الثالث - مباشرة الصبي المميز المعاملات المالية بنفسه وتوكيله للقيام ببعض الأعمال ونموه الاجتماعي

"يجوز للولي أن يأذن للصغير بأعمال التجارة متى أنس منه القدرة على ذلك، وفي هذه الحالة تكون تصرفات الصغير التجارية، وكذا كل ما هو من أعمال التجارة ولوازمها من التصرفات الصحيحة النافذة..."^(١).

"واتفق الفقهاء على اختبار المميز في التصرفات لمعرفة رشده لقوله تعالى: "وابتلوا اليتامى" أي اختبروهم، واختباره بتفويض التصرفات التي يتصرف فيها أمثاله، فإن كان من أولاد التجار اختبر في البيع والشراء، وإن كان من أولاد الزراع اختبر بالزراعة..."^(٢).

إن إجازة الفقهاء للطفل المميز مباشرة المعاملات المالية وسيلة من وسائل النمو الاجتماعي، حيث يكتسب الفرد الخصائص الأساسية للمجتمع الذي يعيش فيه ممثلة في القيم والاتجاهات والأعراف السائدة، كما أن تكليف الطفل المميز ببعض الأعمال يسهم في نموه الاجتماعي حيث يميل الطفل في هذه المرحلة إلى تحقيق رغبته في الزعامة، والاستقلال النسبي عن الوالدين وتكليفه بالمهام يحق له ذلك، كما أن تكليفه ببعض المهام يجعله يضبط انفعالاته، ويحدث عنده تغيرات واسعة في العمليات العقلية والمعرفية، نتيجة المعاملات المالية التي يباشرها.

الفرع الرابع - طهارة الصبي المميز، غسل اليدين بعد الاستيقاظ من النوم وأثره في النمو العقلي والجسدي والاجتماعي

اختلف الفقهاء في حكم غسل الطفل المميز يديه بعد الاستيقاظ من النوم فمنهم من رأى أنه يجب عليه الغسل كالبالغ، وآخرون ندبوا إلى ذلك لأنه غير مكلف، وغسل اليدين أمر تعبدي، والطفل غير مكلف، يقول ابن قدامة: "فإن كان القائم من النوم صبياً ففيه وجهان: أحدهما أنه كالمسلم البالغ العاقل؛ لأنه لا يدري أين باتت يده، والثاني: أنه لا يؤثر غمسه شيئاً، لأن المنع من الغمس إنما يثبت بالخطاب، ولا خطاب في حقه، ولأن وجوب الغسل هنا هنا تعبد ولا تعبد في حقه..."^(٣).

إن القول بوجوب غسل اليدين بعد الاستيقاظ من النوم للصبي المميز يؤثر في النمو الديني للصبي لأن الطهارة والنظافة من الأدناس هي الخطوة الأولى التي تؤهله لأن يكون

(١) عبد الكريم زيدان، الوجيز في أصول الفقه، مرجع سابق، ص ٩٨.

(٢) وزارة الأوقاف، الموسوعة الفقهية، مرجع سابق، ج ٢٧، ص ٣٠.

(٣) ابن قدامة المقدسي، المغني، ج ١، ص ١٤٣.

قريباً من خالقه ورازقه ومدبر أمره، وبها يكون أهلاً لأن يقف بين يدي الحق سبحانه فتجابه دعوته، وتتحقق طلبته عاجلاً أو آجلاً كما يشاء الحق سبحانه^(١).

كما ان التزام الطفل المميز بسلوك الطهارة في حياته يسهم في نمو الاجتماعي ويجعله عنصراً مرحباً به ومقبولاً اجتماعياً كون طهارته شكلت انطباعاً إيجابياً عنه، بل عكست مدى اتزانه عند الجماعة المحيطة به، الأمر الذي يؤدي حتماً إلى القبول الاجتماعي، وإلى إعداد شخصية سليمة متوازنة للطفل المميز^(٢).

فالطفل في هذه المرحلة كما يقول علماء النفس يعدّ نفسه ليصبح كبيراً، ويشعر بفرديته وتميزه، ولا شك أن التزام الصبي المميز بسلوك الطهارة يعزز لديه هذا الشعور^(٣).

والالتزام بالطهارة يسهم في النمو الجسمي، فمن أهم مطالب النمو في هذه المرحلة "بناء اتجاهات سليمة نحو الذات ككائن عضوي تام، ويتضمن ذلك تكوين عادات العناية بالجسم والنظافة وتكوين نظم واقعية سليمة نحو الجسم"^(٤)، ويمكن تعزيز هذا المطلب عند الطفل بتربيته على أساسيات الطهارة مثل: آداب الاستنجاء وقضاء الحاجة والغسل، وبتعليمه الطهارة سيصل الصبي إلى مبتغاه من القوة الجسدية المطلوبة، وأن الالتزام بالطهارة والمحافظة على إدامتها هو الذي يحقق للصبي النمو السليم ويبعده عن الأمراض، فتعزيز سلوك الطهارة هو تعليم للطفل المهارات اللازمة في التعامل مع شؤون الحياة اليومية التي هي من أهم مطالب الطفل في هذه المرحلة.

يؤثر سلوك الطهارة في النمو العقلي للصبي؛ فالطفل في مرحلة سابقة يبدأ بتكوين بعض المفاهيم البسيطة عن العالم الطبيعي والاجتماعي، ويستمر بتكوين المفاهيم في مرحلة التمييز، ومن المفاهيم التي تتكون في هذه المرحلة تلك المتعلقة بالطهارة مثل نظافة الجسم والثوب والمكان ومفهوم الحواس الخمس، وأعضاء الجسم وغير ذلك من المفاهيم.

الفرع الخامس - قبول شهادة الصبي المميز وأثره في النمو الأخلاقي والنفسي والاجتماعي
ذهب بعض الفقهاء إلى عدم قبول شهادة الصبي في حين اشترط آخرون شروطاً لقبولها كأن تكون شهادتهم لصبي على صبي، فلا تقبل لكبير ولا على كبير وشروطاً كثيرة: ليس هذا مجال حصرها^(٥).

(١) مصطفى البغا، مضامين تربوية إسلامية في الفقه الإسلامي، اربد، الأردن عالم الكتب الحديث، ١٦، ٢٠٠٧، ص ١١.

(٢) رجا العمرات، المضامين التربوية المتعلقة بعبادات الطفل ومعاملته، مرجع سابق، ص ٤٩.

(٣) محمد زيدان، النمو النفسي للطفل والمراهق ونظريات الشخصية، مرجع سابق، ص ١٤١.

(٤) محمود عقل، النمو الإنساني، مرجع سابق، ص ١٩٦.

(٥) محمود الكبيسي، الصغیر بين أهلية الوجوب وأهلية الأداء، مرجع سابق، ص ٣٧٢.

إن قبول شهادة الصغير بشروطها التي فصلها الفقهاء يساهم في النمو الأخلاقي للطفل. لأن الطفل في هذه السن بصدد تكوين معايير الأخلاقية والاجتماعية - والقاضي عند سماعه لشهادة الصبي سوف يحذره من الكذب، ويبين له مضر الكذب، وعقوبته عند الله تعالى، فيلتزم الطفل المميز بالصدق في جميع مجالات حياته، وفي قوله الحقيقة ونشرها راحة لنفسه وطمأنينة لها، خاصة إذا أدت شهادته إلى إحقاق حق، أو إبطال باطل، أما نموه الاجتماعي فيتعرف الطفل إلى بيئتين من الناس: بيئة تحب الصدق وتتشأ عليه، وبيئة أخرى تكره الصدق وتتشأ على الكذب.

الفرع السادس - أدب الاستئذان والنظر وعلاقته بالنمو الجنسي والنفسي للطفل المميز ذهب جمهور الفقهاء إلى وجوب أمر الصغير المميز بالاستئذان قبل الدخول في الأوقات الثلاثة التي هي مظنة كشف العورات، لأن العادة جرت بتخفيف الناس فيها الثياب، ولا حرج عليه في ترك الاستئذان في غير الأوقات الثلاثة لما في ذلك من الحرج في الاستئذان عند كل خروج ودخول^(١).

"اتفق الفقهاء على أن المميز لا ينظر من الأجنبية أو المحارم إلى ما بين السرة والركبة، ثم اختلفوا في نظر المميز إلى الأجنبية فيما عدا ما بين السرة والركبة... فذهب الشافعية والمالكية إلى أنه إذا راهق قبل البلوغ فحكمه حكم البالغ في وجوب الاستئذان منه وتحريم نظره إلى الأجنبية"^(٢).

إن دخول الصغير المميز على والديه في حال تكشف العورات يترك عنده أثراً نفسياً واضطراباً داخلياً، بل تختل معاييره الاجتماعية، وحيث أن الطفل في مرحلة يميل فيها إلى التقليد، لذا قد تكون هذه المشاهدات سبباً في انحرافه الجنسي، فهذا الحكم الشرعي هو في حقيقته للحفاظ على نمو الصبي المميز جنسياً ونفسياً، فالصبي في هذه المرحلة لم يبلغ البلوغ الشرعي المعتد به، ولكنه يكون في مرحلة تؤهله للبلوغ في المراحل اللاحقة، لذا فالحكم الشرعي - النظر إلى الأجنبية - يدل على اهتمام الفقهاء بالنمو الجنسي للطفل نظراً لطبيعة المرحلة.

(١) وزارة الأوقاف، الموسوعة الفقهية، مرجع سابق، ج ٢٧، ص ٢٨-٢٩.

(٢) المرجع السابق، ج ١٤، ص ٣٥.

المبحث السادس - مرحلة المراهقة والبلوغ.

يشمل المبحث ثلاثة مطالب: المطلب الأول - التعريفات، والمطلب الثاني - مظاهر النمو في هذه المرحلة، والمطلب الثالث - الأحكام التي تراعي النمو في هذه المرحلة.

المطلب الأول - التعريفات

الفرع الأول - المراهقة في اللغة والاصطلاح

المراهقة في اللغة:

راهق الغلام، فهو مراهق إذا قارب الاحتلام، والمراهق: الغلام الذي قارب الخلم ويقال جاربية راهقة وغلام راهق وذلك ابن العشر إلى إحدى عشرة. وفي الحديث أراهقوا القبلة أي ادنوا منها ومنه قولهم غلام مراهق: أي مقارب للحلم^(١).

يلاحظ أن كلمة المراهقة على وزن المفاعلة، والمفاعلة تحمل في طياتها معنى الحركة العنيفة بين طرفين، والمراهقة تفاعل لا يلبث أن تظهر آثاره على الكيان البشري، جسماً ونفسياً وعقلياً وجنسياً.

المراهقة في الاصطلاح:

التعريف الأول:

مصطلح يطلق على مرحلة الانتقال من الطفولة إلى الرشد والنضج، وهي مشتقة من الفعل اللاتيني (Adolescero) الذي يعني التدرج نحو النضج الجسمي والعقلي والاجتماعي والجنسي، وفي هذه المرحلة يتحقق لدى الولد أو البنت النضج الجسمي والعقلي والانفعالي والاجتماعي، وتقع بين مرحلة الطفولة غير الناضجة، ومرحلة الرجولة والأنوثة، فهي المرحلة التي يكتمل فيها النضج من جميع جوانبه^(٢).

التعريف الثاني:

مرحلة نمائية يمر بها الإنسان في حياته من الطفولة إلى الشيخوخة، وهي تتوسط بين الصبا والشباب وتتميز بالنمو السريع في جميع اتجاهات النمو البدني والنفسي والعقلي والاجتماعي^(٣).

التعريف الثالث:

مرحلة تبدأ من البلوغ حيث تنتهي باستقرار النمو العضوي عند الفرد، وهذا يقع عادة بين سن الثانية عشرة والتاسعة عشرة، وعلى تفاوت بين الجنسين، وهي فترة نمو شاملة ينتقل

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة رهاق.

(٢) حمدي شاكر محمود، مبادئ علم النفس النمو في الإسلام، مرجع سابق، ص ٢٣٨.

(٣) محمد السيد الزعبلاوي، تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، الرياض، السعودية: الكتب الثقافية، ط ٢، ١٩٩٦، ص ١٦.

بها الإنسان من مرحلة الطفولة والاعتماد على الغير إلى مرحلة الرشد والاستقرار، وهي مرحلة تجمع بين مظاهر البلوغ المتعددة وبين مظاهر الاضطراب وعدم الاتزان^(١).

إن المتأمل في التعريفات السابقة لمصطلح المراهقة يجدها جميعها أكدت الآتي:

- أن مرحلة المراهقة مرحلة تكون بين مرحلة الطفولة ومرحلة الشباب والرجولة.
- أن مرحلة المراهقة تحدث تغيرات جذرية في جميع مظاهر النمو المختلفة حيث تصل إلى غايتها المحددة ويكون النمو فيها سريعاً.
- أن التعريف الثالث ربط بين المراهقة والبلوغ.

الفرع الثاني: البلوغ في اللغة والاصطلاح

البلوغ في اللغة:

الوصول، ويقال: بلغ الشيء يبلغ بلوغاً وبلاغاً: وصل وانتهى، وبلغ الصبي: احتلم وأدرك وقت التكليف، وكذلك بلغت الفتاة^(٢).

البلوغ في الاصطلاح:

التعريف الأول: "انتهاء حد الصغر في الإنسان ليكون أهلاً للتكليف الشرعية، أو هو: قوة تحدث في الصبي يخرج بها عن حالة الطفولة إلى غيرها"^(٣).

التعريف الثاني: "قوة تحدث في الصبي يخرج بها عن حالة الطفولة إلى حالة الرجولة"^(٤).

التعريف الثالث: "تضج الغدد التناسلية، واكتساب معالم جنسية جديدة تنتقل الطفل إلى الرشد فالبلوغ، ناتج عن تطور عملية النمو في الطفل، والغدد هي أهم عامل مؤثر في هذه العملية"^(٥).

يلحظ المتأمل في التعريفات السابقة لمصطلح البلوغ أنها ركزت على أن البلوغ هو النقطة التي ينتقل فيها الطفل من عالم الطفولة إلى عالم الرجولة أو الأنوثة - بحسب جنسه - بسبب القوة التي تحدث عنده والتي هي ناتجة عن عمل الغدد.

الفرع الثالث - العلاقة بين البلوغ والمراهقة

(١) عبد العزيز النغيشي، المراهقون دراسة نفسية إسلامية للأباء والمعلمين والسادات، الرياض، السعودية: دار المسلم، ط٢، ١٤١٤هـ، ص ٩.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة بلغ.

(٣) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية، الموسوعة الفقهية، مرجع سابق، ج ٨، ص ١٨٦.

(٤) محمود الكبيسي، الصغير بين أهلية الوجوب وأهلية الأداء، مرجع سابق، ص ٣٨.

(٥) أكرم رضا، بلوغ بلا خجل، مصر: دار النشر والتوزيع الإسلامية، ط٣، ٢٠٠٣م، ص ٥١.

هناك عدد من الأسئلة تُطرح حول العلاقة بين البلوغ والمراهقة، فهل البلوغ والمراهقة شيء واحد؟ وأيهما يسبق الآخر البلوغ أم المراهقة؟ يمكن إجابة السؤالين الآتيين في النقاط الآتية:

أولاً - أشار عدد من الباحثين إلى أن البلوغ يسبق المراهقة؛ وأن البلوغ مرحلة من مراحل النمو الفسيولوجي العضوي التي تسبق المراهقة وتحدد نشأتها، وفيها يتحول الفرد من كائن لا جنسي إلى كائن جنسي قادر على أن يحافظ على نوعه واستمرار سلالته^(١).
والحق أنه من خلال المعاني اللغوية لمصطلح المراهقة نخلص إلى أن المراهقة مرحلة تسبق البلوغ، وهذا ما أكدته الموسوعة الفقهية الإسلامية، حيث تقول: "والصلة بين المراهقة والبلوغ أن المراهقة تسبق البلوغ"^(٢)، والذي يؤكد هذا أن النبي ﷺ أكد على ضرورة التفريق بين الأبناء في سن العاشرة وهذه المرحلة لا يكون فيها الغلام قد بلغ ولكنه بدأ بالمراهقة.

ثانياً - أن علماء النفس يختلفون في نظرهم إلى المراهقة، فمنهم من ذهب إلى التفريق بينها وبين البلوغ وأن المراهقة تبدأ بظهور علامات البلوغ، والبلوغ لا يشمل جميع جوانب النمو، وإنما يختص بالنمو الجنسي فقط، ومنهم من يعد المراهقة والبلوغ مترادفين فلا يهتم بالتفريق بينهما لا من حيث المظاهر، ولا من حيث الوقت الزمني لبداية كل منهما ونهايتها^(٣).

نلاحظ أن بعض العلماء المسلمين استخدم البلوغ والمراهقة بمعنى واحد؛ فابن الجوزي يقول: "فإذا راهق الصبي فينبغي أن يزوجه..." وفي عبارة أخرى يقول: "فإذا بلغ الصبي فيه في أن يزوجه...."^(٤).

ثالثاً - إن مصطلح المراهقة يدل بمضمونه على مرحلة البلوغ التي تعد مرحلة بدء التكليف الشرعي للإنسان المسلم وتحمل المسؤولية.

رابعاً - إن مصطلح المراهقة لم يرد في نصوص شرعية وإنما الذي ورد مصطلح البلوغ وقد درج مصطلح البلوغ على السنة الفقهاء والعلماء دون مصطلح المراهقة.

خامساً - تنازع المعنيين بدراسة مصطلح المراهقة حول أصله، أ تعود هذه الكلمة إلى الأصل العربي بكونها مستنبطة من الفعل الثلاثي رهق حيث وردت في القرآن الكريم والسنة

(١) فؤاد البهي السيد. الأسس النفسية للنمو، مرجع سابق، ص ٢٤٥.

حنان عطية الجهني، الدور التربوي للوالدين في تنشئة الفتاة المسلمة، الرياض، السعودية، ط١، ٢٠١١م، ١١/٢.

(٢) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية، الموسوعة الفقهية، مرجع سابق، ص ٣٦، ص ٣٣٩.

(٣) محمد السيد الزعلاوي، تربية المراهقة بين الإسلام وعلم النفس، مرجع سابق، ص ١٩.

(٤) عبد الرحمن بن الجوزي أبو الفرج (ت ٥٩٧هـ)، تبيين النائم الغمر على مواسم العمر، القاهرة، مصر: دار الحديث، ص ٦٩.

المطهرة، وكتب المعاجم أم تعود إلى الأصل اليوناني (Adolscers) الذي يعني التدرج في النضوج البدني والجنسي والعقلي والانفعالي؟^(١).

وعليه يرى الباحث أن المراهقة والبلوغ مرحلة واحدة، وأنها سميت بأهم ما يميزها وهو البلوغ ولا يعني هذا أنه لا يرافق البلوغ مظاهر أخرى للنمو من النمو الجسمي والعقلي والنفسي والاجتماعي، بل إن تعريفات المراهقة تدل على أنها مرحلة تقع ما بين الطفولة والشباب وهي مرحلة تحدث فيها تغيرات جذرية في جميع مظاهر النمو، وهذا هو ما يحدث في مرحلة البلوغ.

وتعدّ مرحلة البلوغ آخر مرحلة يتم فيها إعداد الأبناء وتأهيلهم للقيام بمسؤولياتهم وواجباتهم، فعندما يبلغ الإنسان يكون المسؤول الأول والأخير عن نفسه وأقواله وأفعاله، ويجب عليه استخدام قدراته وخبراته في اختيار السلوك السليم والمناسب، لأن جميع جوانب شخصيته تكون في حالة من النضج تؤهله لاختيار السلوك المناسب، ولا عذر له بعد البلوغ من الناحية الشرعية في سلوكه غير السوي، إلا في الحالات الناتجة عن الخطأ أو النسيان أو فقد الذاكرة أو الجنون، وكل الأعمال اللاإرادية^(٢).

الفرع الرابع - علامات البلوغ

يعدُّ البلوغ الطبيعي حداً للبلوغ الشرعي، وتأتي أهميته من جهة أنه تترتب عليه أحكام دينوية وأخروية، إذ البلوغ هو الحد الفاصل بين سن الطفولة وسن التكليف الشرعي، وللبلوغ علامات كثيرة تدل عليه منها:

الاحتلام: وهو خروج المنى بقظة أو مناماً بجماع أو غيره^(٣)، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ﴾^(٤).

الإنبات: وهو ظهور شعر العانة الذي يحتاج في إزالته إلى نمو حلق وهو دون الزعب الذي ينبت للصغير^(٥)، ويدل على هذا أن النبي ﷺ حين حكم سعد في بني قريظة، حكم سعد بأن تقتل مقاتلتهم، وأن تسبي ذراريهم، فكان الصحابة إذا شكوا أنه بلغ أو لم يبلغ كشفوا عنه، فإن رأوه أنبت قتلوه، قال عطية القرظي "كنت من سبي بني قريظة فكانوا ينظرون فيمن أنبت الشعر قتل، ومن لم ينبت لم يقتل...."^(٦).

(١) خليل الحديري، التربية الوقائية في الإسلام، مرجع سابق، ص ٥٧٦-٥٧٧.

(٢) مسعد النجار، نحو نظرية إسلامية في الشخصية، مرجع سابق، ص ٥٦.

(٣) محمود الكبيسي، الصغير بين أهلية الوجوب وأهلية الأداء، مرجع سابق، ص ٣٩.

(٤) سورة النور، آية ٥٩.

(٥) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية، الموسوعة الفقهية، مرجع سابق، ج ٨، ص ١٨٨.

(٦) رواه الترمذي، سنن الترمذي، ج ٤، ص ١٤٦، حديث (١٥٨٤)، صححه الألباني.

الحيض والحمل للمرأة: فالحيض علامة على بلوغ المرأة لحديث "لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار...."^(١)، وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما أن أسماء بنت أبي بكر الصديق دخلت على النبي ﷺ وعليها ثياب رفاق فأعرض عنها وقال: يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا وأشار إلى وجهه وكفيه"^(٢). والحمل علامة على بلوغ الأنثى، لأن الله تعالى أجرى العادة أن الولد يخلق من ماء الرجل وماء المرأة، ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۖ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾^(٣).

البلوغ بالسن: ويكون عند عدم وجود علامة من علامات البلوغ قبل ذلك، وقد اختلف فيه^(٤). فيرى الشافعية والحنابلة وغيرهم، أن البلوغ بالسن يكون بتمام خمس عشرة سنة قمرية للذكر والأنثى لما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "عرضت على النبي ﷺ يوم أحد وأنا ابن أربع عشر سنة فلم يجزني، ولم يرني بلغت، وعرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازني ورآني بلغت"^(٥). في حين يرى المالكية أن البلوغ يكون في ثماني عشرة سنة وقيل الدخول فيها، أما أبو حنيفة فيرى أن البلوغ للغلام ثماني عشرة سنة والجارية سبع عشرة سنة لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾^(٦)، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "الأشد ثماني عشرة سنة وهي أقل ما قيل فيه، فيأخذ احتياطاً هذا أشد الصبي، والأنثى أسرع بلوغاً فنقصت سنة. ويرى الباحث أنه إذا لم تظهر العلامات الدالة على البلوغ كالاختلام والإنبات والحيض والحمل فإن السن الذي يحكم فيه بالبلوغ هو خمس عشرة سنة لوجود النص الدال والمبين لذلك، وهو حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(١) رواه الترمذي، سنن الترمذي، ج ٢، ص ٢١٧، حديث (٣٧٧)، صححه الألباني، انظر: صحيح وضعيف الجامع، حديث رقم (٧٧٤٧).

(٢) رواه أبو داود، سنن أبي داود، ج ٤، ص ٦٢، حديث (٤١٠٢٤)، صححه الألباني، انظر: صحيح وضعيف الجامع، حديث رقم (٧٨٤٧).

(٣) سورة الطارق، آية ٥-٧.

(٤) وزارة الأوقاف، الموسوعة الفقهية، مرجع سابق، ج ٨، ص ١٩٢-١٩٣.

(٥) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ٣، ص ١٤٩٠، حديث رقم (١٨٦٨).

(٦) سورة الأنعام، آية ٥٢.

مع الإشارة إلى أن للمناخ دوراً بالغاً في سرعة البلوغ، فبلوغ سكان المناطق الحارة يسبق المناطق الباردة، وكمية ونوع الغذاء تؤثر في البلوغ، فكثرة البروتين تُبكر البلوغ وكثرة الكربوهيدرات تؤخر البلوغ، وكذلك نقص الغذاء يؤخر البلوغ^(١).

وظهور علامات البلوغ قد يسبب للصبوي والفتاة الاضطراب، وهنا لابد للوالدين أن يشعر الغلام والفتاة بأن الحيض والقنف المنوي أمور طبيعية، ووظيفة عادية من وظائف الإنسان تأخرت لهذه السن من حياته، وأن ينمو لدى الغلام والفتاة الاعتزاز بجنسهم وبيان دور كل فرد في الحياة نكراً كان أو أنثى، وعدم تكريس الصراع بينهما، وأن مرحلة البلوغ هي طريق الرجولة الكاملة والأنوثة الكاملة الفعالة في المجتمع^(٢).

ويجدر التنبيه إلى أن تحديد سن البلوغ لا يعني نهاية المرحلة، فالمرحلة تبدأ قبل البلوغ البيولوجي وتنتهي بعده، وتسميتها بمرحلة البلوغ أت من كون الحدث الأبرز فيها هو البلوغ البيولوجي، وعليه يرى الباحث أن بداية مرحلة البلوغ تكون بعد سن العاشرة، لأن النبي ﷺ أمر بالتفريق بين الأبناء في المضاجع لحكمة أشار الباحث إليها سابقاً، وأما نهاية مرحلة البلوغ فهي سن السابعة أو الثامنة عشرة والتي هي بداية مرحلة الرشد كما أشار أهل اللغة والفقه.

المطلب الثاني - مظاهر النمو في مرحلة المراهقة والبلوغ:

تتعدد مظاهر النمو في مرحلة المراهقة والبلوغ، حيث يتميز النمو في هذه المرحلة بأن يأخذ وضع الاستقرار، ومن أهم مظاهر النمو في هذه المرحلة:

الفرع الأول - النمو الجسدي

تمتاز هذه المرحلة في بدايتها بتغيرات جسمية سريعة، فثمة زيادة واضحة في الطول بالإضافة إلى زيادة الوزن ونمو الهيكل العظمي، حيث تنمو عظام الحوض عند الفتاة، وكذلك عظام الساقين، والرجلين وتحدث تغيرات في ملامح الوجه، ثم يتباطأ النمو، حيث تكون ملامح الفرد وشكله العام قد أخذت بالوضوح والاستقرار^(٣).

فجسد الصبوي في هذه المرحلة يواجه عملية تحول كاملة في وزنه وحجمه وشكله في الأنسجة والأجهزة الداخلية، وفي الهيكل والأعضاء الخارجية، ويعدّ هذا التحول الجسدي من أبرز معالم المرحلة، وتتسبب التغيرات العضوية والمظاهر الجسدية بالمضايقة الشديدة للشخص وتشعره بالخجل والحرج، ومن ذلك ظهور بثور الشباب والإفرازات المنوية غير

(١) فؤاد البهي السيد، الأسس النفسية للنمو، مرجع سابق، ص ٢٥٥-٢٥٧.

(٢) أكرم رضا، بلوغ بلا خجل، مرجع سابق، ص ٨١.

(٣) حامد زهران، علم نفس النمو، مرجع سابق، ص ٣٤٣-٣٤٤.

المعهودة وعدم التناسق في الأجزاء المختلفة للجسم، وقد يحصل الاختلال الحركي عند من يمر بهذه المرحلة، ويفقد الاتزان في المشي والجري وحمل الأشياء والعمل اليدوي^(١).

وقد راعى الإسلام النمو الجسدي وحث عليه فقال ﷺ: «إن لجسدك عليك حقاً»^(٢)، ويبلغ اهتمام الإسلام بالجسد أن يبين للمسلم كل ما يخص مطعمه ومشربه وملبسه ومنكحه وما فيه قوام جسده، يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوًا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^(٣). ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلًا حَلِيَّةً تُلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَرِزْقًا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ فِي آجَالٍ مُّيَّضَةٍ﴾^(٤)، فنمو الجسم يتأثر بنوع الغذاء الذي يتناوله الإنسان وكميته، فهو الذي يزود الجسم بالطاقة، ويساعد على إصلاح الخلايا التالفة ويعطي الجسم مناعة طبيعية ضد الأمراض المختلفة التي يتعرض لها^(٥)، فتتميز المرحلة بالنمو الجسدي الكامل والمتوازن الذي أمر للقيام بواجبات الحياة، يقول سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾^(٦).

وأخيراً لابد من الإشارة إلى أنه تظهر الفروق الجسدية بين الجنسين في هذه المرحلة فيتميز الولد بعضلات قوية، ويتغير الصوت من صوت الطفولة إلى الصوت الخشن الجاف المرتفع، وتتمو حنجرته بشكل واضح بالإضافة إلى عرض الكتفين واتساع الصدر وبزور العضلات، أما المرأة فلا تبرز لها عضلات، وإنما يتغير صوتها من الصوت الطفولي إلى الصوت الخفيف الناعم العميق ويستدير ثدياها ويبرزان، ويتسع حوضها، ويكبر رفاها وتستدير فخاذها لترسب الدهون بهما^(٧).

ونتيجة للنمو الجسدي المتكامل الذي ظهر في المرحلة، يكلف الفرد بارتداء اللباس الخاص به فلا يرتدي الولد لباس البنات ولا ترتدي البنات لباس الرجل، يقول سبحانه وتعالى:

(١) عبد العزيز النغنيشي، المراهقون دراسة نفسية إسلامية، مرجع سابق، ص ١١-١٣.

(٢) رواه ابن حبان، صحيح ابن حبان، ج ٢، ص ٢٥، حديث رقم (٣٢٠)، صححه الألباني، انظر: صحيح وضعيف الجامع الصغير، حديث رقم (٧٩٤٢).

(٣) سورة البقرة، آية ١٦٨.

(٤) سورة النحل، آية ١٤.

(٥) محمد السيد الزعلاوي، تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، مرجع سابق، ص ٢٧.

(٦) سورة الروم، آية ٥٤.

(٧) أكرم رضا، بلوغ بلا خجل، مرجع سابق، ص ٦٠.

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌّ لِأَزْوَاجِكِ وَنَعَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْرِكُنَّ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابِهِنَّ ذَلِكَ أَذَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَنُ لَهُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾^(١)، وقد لعن الرسول ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال^(٢).

الفرع الثاني - النمو الجنسي

في هذه المرحلة تضرر غدتا الطفولة وتنشط الغدة النخامية، وتبدأ بإفراز هرمونات جنسية، فيصبح البالغ قادراً على إفراز الحيوانات المنوية^(٣)، ويجب أن يتقبل المراهق هذه التغيرات على أنها مظهر طبيعي في حياته دون أن تستحوذ على تفكيره أو تثير قلقه.

وتظهر عند المراهق الرغبة بالاتصال الجنسي مع الجنس الآخر، والإسلام هذب هذه الرغبة حتى ينمو هذا الدافع وهذه الرغبة بشكل هادئ دون تهيجات؛ فشرع الاستئذان وغطى البصر اللذان هما أساس في التوتر الجنسي في هذه المرحلة، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذَا بَلَغَ

الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَعِذُوا كَمَا اسْتَعِذَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾^(٤)، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها ﴾^(٥).

كما حرّم الخلوة التي هي من أهم أسباب الإثارة الجنسية، يقول ﷺ: "لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم"^(٦). ودعا إلى الزواج الذي هو من أسس تهذيب الغريزة الجنسية يقول ﷺ: "من استطاع الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء"^(٧).

وهنا لابد من الإشارة إلى أهمية التعليم والثقافة الجنسية في النمو الجنسي السليم في هذه المرحلة، حيث اهتم القرآن الكريم والسنة المطهرة بهذا الموضوع وأولياها عناية خاصة، ففي سورة النور يوجد البناء الخلفي والتهذيب الجنسي والتحذير من الوقوع في الفاحشة، وبكتب الفقه في باب الغسل عرض لا يخرج موضوعات الجنس عن جديتها ويجعله قريباً إلى

(١) سورة الأحزاب، آية ٥٩.

(٢) رواه البخاري، صحيح البخاري، ج ٥، ص ٢٢٠٧، حديث رقم (٥٥٤٦).

(٣) شادية التل، علم النفس التربوي في الإسلام، عمان، الأردن، دار النفائس، ط ١، ٢٠٠٥، ص ١٣٦.

(٤) سورة النور، آية ٥٩.

(٥) سورة النور، آية ٣١.

(٦) رواه البخاري، صحيح البخاري، ج ٥، ص ٢٠٠٦، حديث ٤٩٣٥.

(٧) رواه البخاري، صحيح البخاري، ج ٢، ص ٦٧٤، حديث ١٨٠٦.

المتعلم، ويستخدم مصطلحات شرعية لما يتعلق بالأجزاء الجنسية، ويضع الأمور في نطاق العمليات الحيوية العادية للإنسان، ويدخلها في باب النظافة البدنية والطهارة الجسمية^(١).

الفرع الثالث - النمو العقلي

تحدث للعقل في هذه المرحلة نقلة هائلة، إذ ينمو في هذه المرحلة نمواً سريعاً في التفكير والإدراك والملاحظة والقياس والربط والتحليل والتركيب والتقويم، ويستطيع الشخص في هذه المرحلة أن يميز ما لم يميزه ويدركه في مرحلة الطفولة^(٢).

ويذهب علماء النفس إلى أن النمو العقلي في هذه المرحلة يمتاز بتغيرات كمية وكيفية، أما الكمية فيصبح المراهق أكثر قدرة على القيام بمهام عقلية بسرعة وسهولة، أما الكيفية فتتضح بظهور عدد من القدرات العقلية فيطرد نمو الذكاء، وينمو التذكر وتزداد مدة الانتباه وتزداد القدرة على التخيل^(٣)، فمثلاً يستمر الإدراك المعنوي في الزيادة مع تقدم عجلة النمو، فإدراك البالغ يتميز عن إدراك الصبي في جميع مظاهر الحياة، فإدراك الطفل لظاهرة الزواج يتركز حول المشاهد التي تخضع لحواسه، فينحصر الإدراك في عقد القران والزفاف والزينات التي تقام بهذه المناسبة، ثم يتطور الإدراك إلى أن يتأكد أن نظام الزوجية عامل أساسي في استمرار الوجود الإنساني، وأن نظام الزوجية عامل مشترك بين الكائنات الحية ويدرك سبب التجاذب بين الذكر والأنثى، ثم يدرك أن العلاقة بين الزوجين رباط مقدس يربط أحد الزوجين بصاحبه في الحياة بأمال وآلام مشتركة^(٤).

لقد تفاعل الإسلام مع هذه المرحلة فحث على التعلم، حيث ورد في الأثر "حفظ الغلام الصغير كالنقش في الحجر، وحفظ الرجل بعدما يكبر كالكتاب على الماء"^(٥). ولم يمانع النبي ﷺ من تنمية المواهب بما يخدم الفرد والجماعة ولا يتعارض مع مبادئ الإسلام، يقول ﷺ: "إن من الشعر حكمة"^(٦).

ودعا إلى استخدام العقل للتمييز بين الحق والباطل، وبين الخير والشر، كما حذر من أخطاء التفكير يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾^(٧)، ولعل من أهم الدلالات على النمو العقلي للإنسان

(١) أكرم رضا، بلوغ بلا خجل، مرجع سابق، ص ٨١.

(٢) خليل الحديري، التربية الوقائية في الإسلام، مرجع سابق، ص ٥٦٩.

(٣) محمود عقل، النمو الإنساني، مرجع سابق، ص ٣٨٩-٣٩٢.

(٤) محمد السيد الزعبلوي، تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، مرجع سابق، ص ٧٣.

(٥) علاء الدين المتقي (ت ٩٧٥هـ)، كنز العمال، في سنن الأقوال والأفعال، طرف الحديث (٢٧٥٩).

(٦) رواه البخاري، صحيح البخاري، ج ٥، ص ٢٢٧٦، حديث رقم (١٥٧٩٣).

(٧) سورة الإسراء، آية ٣٦.

في مرحلة البلوغ، أن الإسلام جعل الإنسان مسؤولاً عن أعماله من الناحية الشرعية يقول ﷺ: "رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يشب، وعن المجنون حتى يعقل"^(١).

إن نضج العقل وقدرته على التفكير المستقل والإدراك والتخيل تُعدُّ من أهم ما يتميز به الفرد في هذه المرحلة، وقد أمدَّ الله سبحانه وتعالى الإنسان بمواهب كثيرة لاستخدامها والإفادة منها في دعم إيمانه وبقينه وتمكينه من الرقي في العلوم والمعارف والقيام بوظائف الخلافة في الأرض، فالعقل الناضج دعامة أساسية تعين على فهم الشخص دينه وتركيب روحه وتهذيب سلوكه، كما يعين على تحقيق مستوى أفضل من التكيف مع بيئته الاجتماعية حيث تبدو مسؤوليته عن أعماله وأقواله مع بداية هذه المرحلة النمائية، ونضج العقل يؤكد أهلية الشخص للمسؤولية الشخصية عن كل ما يأتي وما يدع، كما يكون إيداناً برفع الوصاية المباشرة عنه^(٢). لذا يجب أن تقوم التربية أساساً في هذه المرحلة على الوعي العقلي، لا مجرد المحاكاة والتقليد كما في مرحلة الطفولة، فأكثر الانحرافات التي تحدث هي نتيجة عدم إقناع المراهق فكرياً بضرورة الالتزام بالقواعد الأخلاقية^(٣)، فيجب الاهتمام بالقدرات العقلية للصبي في هذه المرحلة وأن تستغل الأساليب التربوية الإسلامية التي تسهم في الإقناع أكثر من أية قوة أخرى لأنها تستطيع تجنب الشاب الصراع الذي يحدث بين الهوى والعقل، حيث يحكم العقل في كل ما ينفعه في عاجل الأمر وأجله وهنا تكمن سعادة الدنيا والآخرة^(٤).

ثمة أمر آخر يتعلق بنضج العقل، وهو النمو اللغوي وقدرة الفرد في هذه المرحلة على التخاطب والتفاهم والاتصال مع غيره من بني جنسه، حيث يمتلك الفرد في هذه المرحلة ملكة تعبيرية قوية، وسعة خيال، وثروة لغوية، وثقافة عربية، الأصل أن تكون تابعة من القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ.

الفرع الرابع - النمو الاجتماعي

يميل الفرد في بداية هذه المرحلة إلى الاستقلال عن والديه، ويحب الاعتماد على النفس، وتتسع علاقاته لتكون أكثر شمولاً وتنوعاً، وتظهر المنافسة والمقارنة بينه وبين الآخرين، ويميل نحو الجنس الآخر، وتتمو لديه القدرة على التصرف في المواقف الاجتماعية، ويميل الفرد في هذه المرحلة إلى نقد الآخرين والرغبة في الإصلاح^(٥).

(١) رواه الترمذي، سنن الترمذي، ج ٤، ص ٣٢، حديث رقم (١٤٢٣)، صححه الألباني.

(٢) محمد السيد الزعلوي، تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، مرجع سابق، ص ٨٥.

(٣) مقداد يالجن، علم النفس التربوي في الإسلام، الرياض، السعودية، عالم الكتب، ط ٢، ١٩٩٧، ص ١١٦-١١٨.

(٤) خليل الحدري، التربية الوقائية في الإسلام، مرجع سابق، ص ٥٧٢.

(٥) محمود عقل، النمو الإنساني، مرجع سابق، ص ٤٠٨.

ومن العوامل المؤثرة في النمو الاجتماعي اتجاهات الوالدين، بالإضافة إلى الأسرة ومستواها الاجتماعي والاقتصادي، والنضج الجنسي للفرد^(١)، فإذا كان الجو المنزلي يسوده الحب والعطف والهدوء فإن الفرد في هذه المرحلة يشعر بالأطمئنان والثقة في نفسه، فيبدو عليه مظهر الاستقرار والثبات، وإذا كان الجو المنزلي مشحوناً بالمنازعات واضطراب العلاقات بين أفرادها، انعكس ذلك في سلوك الشخص، فيبدو عليه الاضطراب وعدم الثبات في سلوكه ويسوء مع نفسه ومع أفراد المجتمع^(٢).

والإسلام إذ يحث الفرد على النمو الاجتماعي السليم في هذه المرحلة، فإنه يدعو إلى التعاون والتآخي والاعتصام بحبل الله سبحانه وتعالى في تعامله مع أفراد مجتمعه، يقول سبحانه: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾^(٣). وقد حث الإسلام على إصلاح ذات البين لأن العلاقات بين أفراد المجتمع هي علاقات أخوة، والعلاقات تمنع الفرد من توسيع علاقاته الاجتماعية، ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾^(٤).

هذا وقد أسس الإسلام أسساً وقواعد في تكوين الأصدقاء، فحث على الجليس الصالح، يقول ﷺ: "مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحاً خبيثة"^(٥). وقد شجعت السنة النبوية المطهرة على مشاركة الفرد الآخرين مشاعرهم، فعن النعمان بن بشير ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.." ^(٦). ويقول ﷺ: "فكوا العاني، وأطعموا الجائع وعودوا المريض"^(٧).

كما عززت السنة المطهرة الانتماء إلى الجماعة عن طريق التشجيع على أداء صلاة الجماعة وحضور الجمع والعيد، يقول ﷺ: "صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين

(١) حامد زهران، علم النفس التربوي، مرجع سابق، ص ٣٥٨.

(٢) محمد السيد الزعلوي، تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، مرجع سابق، ص ١٦٢.

(٣) سورة التوبة، آية ٧١.

(٤) سورة الحجرات، آية ١٠.

(٥) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ٤، ص ٢٠-٢٧، حديث ٢٦٢٨.

(٦) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٩٩٩، حديث ٢٥٨٦.

(٧) رواه البخاري، صحيح البخاري، ج ٢، ص ١١١٠، حديث ٢٨٨١.

درجة^(١)، ويقول سبحانه وتعالى ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَكَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٢).

والإسلام اشبع حاجة المراهق إلى التقدير، والإعلاء من شأنه اجتماعياً، وهذا ما كان يفعله النبي ﷺ حيث علم الأمة والصحابة كيف يقدرون الشباب في هذه المرحلة، وينزلونهم منازلهم، ولا أدل على ذلك من تأميره لأسامة بن زيد على الجيش وهو من أصغر القوم، فالقبول مطلب نفسي اجتماعي لا يستغني عنه الإنسان، وفي هذه المرحلة يكون أشد حاجة، فالفرد في وسط البيئة الأسرية والاجتماعية يسعى للحصول على الرضا والمحبة والتقدير من الآخرين، ويكره أن يستهين به الأفراد، فقبول الفرد عند الآخرين في هذه المرحلة ركيزة أساسية لتقبله لهم، لذا يجب فهم الفرد في هذه المرحلة فهماً جيداً من حيث تكوينه الجسمي وقدراته العقلية، والتحويلات الوجدانية والاجتماعية، وهذا ما كان يفعله الرسول ﷺ، وكذلك تقديره حسب ما تقتضيه مرحلته، فالاحترام والاعتبار ضروريان لإشعاره بالقبول^(٣).

الفرع الخامس - النمو الديني

يمكن ملاحظة اليقظة الدينية العامة في هذه المرحلة، حيث يسود النشاط الديني، وقد يشاهد الشك والإلحاد بسبب عدم التخطيط للتعليم الديني، كما يشاهد كذلك الحماس الديني الذي يتلون بسمات شخصية المراهق ويشاهد كذلك الالتجاء إلى الله والدعاء^(٤).

إن كل مولود يولد على الفطرة، وللأسرة دور كبير في إيقاظ الفطرة وتوجيهها نحو الخير أو الشر، وفي مرحلة البلوغ يصبح الفرد مسؤولاً عن تصرفاته، بل مطلوباً منه أن يؤدي العبادات المختلفة التي لم يكن مكلفاً بها، يقول ﷺ: "رفع القلم عن ثلاث ... وعن الصبي حتى يحتلم"، وتأدية العبادات من أهم العوامل التي تسهم في النمو الديني للفرد.

وفي هذه المرحلة يحدث تطور وتغير في النمو الديني بسبب النضج العقلي مما يدفع الشخص في هذه المرحلة إلى التفكير في العالم المحيط، ومنه التفكير في الدين، مثل قضايا التوحيد والغاية من خلق الإنسان وأصل النشأة وقضايا البعث والحشر والحساب والصراف والجنة والنار وحكمة التشريعات والتكليف بالعبادات، ولما كانت العقول متفاوتة في قدرتها على الفهم والإدراك والتفكير، فإن القرآن الكريم قد اشتمل على آيات كونية ونفسية واجتماعية

(١) رواه البخاري، صحيح البخاري، ج ١، ص ٢٣١، حيث ٦١٩.

(٢) سورة الجمعة، آية ٩.

(٣) عبد العزيز النخيشي، المراهقون، دراسة نفسية إسلامية، مرجع سابق، ص ٦٠.

(٤) حامد زهران، علم نفس النمو، مرجع سابق، ص ٤٢٣.

تناسب مع قدرات كل طائفة من البشر حسب استعداداتها، وإمكاناتها العقلية والعلمية والثقافية وتجربتها الميدانية"^(١).

فمن أمثلة قضايا التوحيد قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءِالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ﴿٣١﴾ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾^(٢).

يقول صاحب الظلال: هذا الناموس الواحد من صنع إرادة إله واحد، فلو تعددت الذوات لتعددت الإرادات، ولتعددت النواميس تبعاً لهما، فالإرادة مظهر الذات المريدة، هذا التناسق الملحوظ الذي لا ينكره أشد الملحدين لأنه واقع محسوس"^(٣).

ومن أمثلة النصوص التي يهتم بها البالغ قضايا البعث والنشور وأطوار خلق الإنسان ومرحل تكوينه، يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ؕ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً ؕ وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأُنبَتَتْ مِن كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٍ ؕ﴾^(٤)، وهكذا يلعب النمو العقلي دوراً بالغاً في النمو الديني للفرد في هذه المرحلة المهمة من حياته.

الفرع السادس - النمو الانفعالي

تتصف انفعالات الفرد بداية هذه المرحلة بالتأثر السريع بالمشورات المختلفة، وتكون استجابات حادة فيثور لأنفه الأسباب، ويعجز عن التصرف حيال أي موقف معقد، ويتسم سلوكه الانفعالي بالحساسية الشديدة، بالإضافة إلى تقلب الفرد من انفعال إلى آخر، ثم تزداد قدرة الفرد في هذه المرحلة على الضبط الانفعالي، ويتحرر من كل المخاوف التي كانت تلازمه وتتبلور بعض العواطف الشخصية مثل الاعتداد بالنفس والعناية بالمظهر وطريقة الكلام^(٥).

وتمتاز انفعالات البالغ بأنها كثيرة ومتنوعة وهذا شيء طبيعي للطور النمائي الذي يمر به ولما ينشأ عنه من طاقات واستعدادات جسيمة وعقلية، فانفعال الطفولة يتميز بالوحدة أي

(١) محمد السيد الزعبلوي، تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، مرجع سابق، ص ٩٠-٩١.

(٢) سورة الأنبياء، آية ٢٢.

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٢٣٧٣/٤.

(٤) سورة الحج، آية ٥.

(٥) محمود عقل، النمو الإنساني، مرجع سابق، ص ٣٩٢-٣٩٤. حامد زهران، علم نفس النمو، مرجع سابق، ص ٤٠٦.

بالموقف الواحد الذي أثار الانفعال، بينما المثير الواحد في المراهقة قد يثير أكثر من انفعال، أي انفعالين أو أكثر وهذا ما يسمى بالانفعال المركب، كما أن انفعالات الطفولة تكون مثيراتها مادية محسوسة بينما مرحلة البلوغ تكون مثيراتها مادية ومعنوية أو مادية معنوية في آن واحد.

إن نمو الفرد الجسمي والنفسي والعقلي والجنسي في هذه المرحلة قد يسبب بعض المخاطر منها^(١):

١. فقدان التآزر الحركي: النمو المفاجئ السريع للأطراف يجعلها تصدر حركات عشوائية، مما يترتب عليها عدم قدرة الفرد على التحكم في أطرافه فلا يستطيع تقدير قوته ولا المسافات تقديراً سليماً، فيفقد السيطرة أحياناً على التآزر الحركي للأطراف.
٢. عدم القدرة على ضبط الصوت: في هذه المرحلة يفقد الفرد القدرة على ضبط صوته الجديد مما يؤدي إلى الخجل أحياناً من الكلام أمام الآخرين وبالتالي اضطراب الشخصية.
٣. فقدان الانسجام الوجداني: في هذه المرحلة يفقد الفرد الانسجام الوجداني وتظهر عليه أحياناً اضطرابات وجدانية بسبب النمو السريع للجهاز الهرموني، فتتشأ عنه أحاسيس متضاربة وغير منسجمة، وقد يولد هذا الإحساس بالفرد بسبب زيادة الحجم والقوة.
٤. ظهور الانحرافات الجنسية: بسبب نمو الجهاز التناسلي وتدفق الهرمونات الجنسية ونمو الرغبة في الجنس تظهر بعض الانحرافات الجنسية، ولكن بالتوجيه والضبط الأخلاقي والديني يمكن ضبط هذا الأمر.
٥. ظهور الانحرافات الأخلاقية والسلوكية: وذلك بسبب عدم التوازن في النمو الجسمي السريع مع النمو العقلي والانفعالي والاجتماعي، مثل الكذب، والشجار الدائم مع غيره.

المطلب الثالث: جانب من الأحكام الشرعية المتعلقة بمرحلة البلوغ:

يصدر عن الفرد قبل البلوغ وبعده تصرفات وسلوكات، فما هو الحكم الشرعي لهذه السلوكات والتصرفات وما علاقتها بالنمو الإنساني.

الفرع الأول - نظر المراهق إلى الأجنبية، وعلاقته بالنمو الجنسي والنفسي
"نص الشافعية على أن المراهق في نظره للأجنبية، كالبالغ فليزِم الولي منعه منه، ويلزمها الاحتجاب منه لظهوره على العورات، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ (٢)(٣).

(١) أكرم رضا، بلوغ بلا خجل، مرجع سابق، ص ١٦٤-١٦٥.

(٢) سورة النور، آية ٣١.

(٣) وزارة الأوقاف، الموسوعة الفقهية، مرجع سابق، ج ٣٦، ص ٣٣٩.

يكون المراهق في هذه المرحلة على استعداد للنمو الجنسي والبلوغ الطبيعي، ولاشك أن النظر يعمل على الإثارة الجنسية التي قد تسبب الانحرافات الجنسية والخلقية للفرد، وقد تسبب للفرد الاضطراب النفسي والانفعالي، لأن المراهق في هذه الفترة في طور التأثر السريع بالمتغيرات المختلفة، وتكون استجاباته حادة لأتفه الأسباب.

الفرع الثاني - شهادة المراهق وعلاقتها بالنمو العقلي والنفسي الأخلاقي

"ذهب بعض الفقهاء -ابن قدامة المقدسي- إلى أن شهادة المراهقين ينعقد بها عقد النكاح^(١) إن الأخذ بشهادة المراهق في العقود يدعو له لأن يتحمل مسؤولياته لما يشهد عليه، شهادته تؤثر بكافة مظاهر النمو المختلفة لديه العقلية والنفسية والاجتماعية والأخلاقية، فهي تجعل العقل يقوم بمهام عقلية بسرعة وتزيد في ظهور عدد من القدرات العقلية.

الفرع الثالث - المراهق محرماً للمرأة وعلاقته بنمو الشخصية

"ذهب الحنفية والشافعية وبعض المالكية إلى عدّ المراهق كالبالغ الذي لا يجوز للمرأة السفر إلا برفقته إن كان من محارمها"^(٢). إن هذا الحكم له علاقة بنمو الشخصية للفرد، فيتحمل المسؤولية، وهذا ما أشار إليه علم النفس من ضرورة تكليف المراهق بالأعمال المختلفة ليتحمل المسؤولية تجاه الآخرين وتكليفه بإنجاز المهام المطلوبة منه، ولاشك أن تحمل المسؤولية من قبل الفرد يؤثر في نموه العقلي والنفسي والأخلاقي.

الفرع الرابع - التكليف بالفرائض دليل اكتمال مظاهر النمو

اشترط الفقهاء للقيام بكثير من الأعمال البلوغ، "التكليف بالفرائض والواجبات وترك المحرمات يشترط له البلوغ، ولا تجب على غير البالغ، يقول ﷺ: "رفع القلم عن ثلاثة: عن الصبي حتى يشب"^(٣)، والبلوغ شرط صحة في كل ما يشترط له تمام الأهلية، ومن ذلك: "الولايات كلها، كالإمارة، والقضاء، والولاية على النفس، والتصرفات المتمخضة للضرر كالهبة، والعارية، والوقف، والكفالة، والطلاق وما في معناه كالظهار، والخلع، والعنق وكذلك النذر..."^(٤).

إن تكليف البالغ بالصلاة والصوم دليل على نموه الجسدي، وتكليفه بالزكاة والصدقات دليل على نموه الاجتماعي، وتكليفه بالابتعاد عن المحرمات والموبقات دليل على نموه النفسي والجنسي والأخلاقي.

(١) وزارة الأوقاف، الموسوعة الفقهية، مرجع سابق، ج٣٦، ص ٣٤٠.

(٢) وزارة الأوقاف، الموسوعة الفقهية، مرجع سابق، ج٣٦، ص .

(٣) رواه الترمذي، سنن الترمذي، ج٤، ص ٣٢، حديث رقم (١٤٢٣)، صححه الألباني.

(٤) وزارة الأوقاف، الموسوعة الفقهية، مرجع سابق، ج٨، ص ١٩٦-١٩٧.

الفرع الخامس - وسائل الوقاية من مشكلات مرحلة البلوغ

يكتف مرحلة البلوغ كثير من القلق والضلال والحيرة، وهذا ما لم يكن عند سلفنا الصالح رضوان الله عليهم لأن الشباب والشابات في عهد السلف لم يكونوا في العموم أهل طيش أو خفة أو ركوب للشرور، والسؤال الذي يطرح كيف تعامل السلف الصالح مع أبنائهم في مثل هذه المرحلة؟ وما هي سبل الوقاية ووسائلها من مشاكل المرحلة التي تظهر بين الحين والآخر؟

إن عملية التربية عند السلف تبدأ من اختيار الزوجة ثم بناء البيت على تقوى من الله ورضوان، فصلاح الأبوين يؤثر في صلاح الأبناء، وما أن يخرج الجنين إلى الحياة حتى يتعهده الوالدان بالتربية خطوة خطوة ومرحلة مرحلة، فيدخل عليه مرحلة البلوغ دون أن تخرجه عن أصول تربيته أو تثير عنده التحولات المنحرفة فتخرجه عن صلاحه واستقامته، بمعنى أن السلف كانوا يربطون الأبناء بتوجيهات القرآن الكريم، والسنة المطهرة وكانوا يربون الأولاد على خلق الاستعلاء بالإيمان، وهو أعلى ما يملكه الإنسان، ثم إنهم لم يكونوا عاطلين عن العمل أو فارغين من المهمات، حيث كان العمل يستلزم جهودهم للإسلام، فهذا أسامة بن زيد رضي الله عنه يقود الجيش المسلم وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما يعرض نفسه على الجهاد وهو في الرابعة عشرة من عمره، فكانت توكل إليهم المهام الجسام، كتعليم الناس ودعوتهم إلى الله تعالى والجلوس في حلق الذكر، ومجالس العلم وإمامة الناس في الصلاة^(١).

أما سبل الوقاية من مشكلات مرحلة المراهقة والبلوغ فيمكن عرضها في النقاط الآتية:
أولاً: العلاقة الإيجابية مع الفرد في هذه المرحلة:

إن الدراسات والإحصائيات تشير إلى أن عدداً قليلاً من مراهقي العالم هم الذين يتلقون القدر المناسب من التفاهم والحب من أسرهم، فمعظم المراهقين يعترفون بصراحة ووضوح بأنهم يتعلمون كل أسرار الحياة من الأصدقاء، ومن قراءة الكتب ومن الخبرة المباشرة^(٢).

ثانياً: تحديد هوية المراهق ومرجعياته:

بمعنى غرس الإيمان والحب والولاء لله سبحانه وتعالى وللرسول صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين في نفسه.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً^ط وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾^(٣) وتعليمه أن الحياة كلها بجميع تفصيلاتها محكومة بحكم الله تعالى، وأن بين أيدينا مرجعاً أساسياً

(١) خليل الحديري، التربية الوقائية في الإسلام، مرجع سابقين ص ٥٧٨-٥٨٠.

(٢) سيوك، حديث إلى الأمهات، مشاكل الآباء في تربية الأبناء، ترجمة منير عامر، بيروت، لبنان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٨٦، ص ٢٩٥.

(٣) سورة البقرة، آية ١٣٨.

نرجع إليه عندما نختلف وهو القرآن الكريم والسنة المطهرة، يقول سبحانه وتعالى ﴿ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (١).

وبهذا تتحدد للفرد غايته من خلقه في هذا الكون، وهي عبادة الله سبحانه وتعالى يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٢) (٣).

ثالثاً: تعليم الفرد اختيار الصحبة والأصدقاء:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعْزُضُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَلْبِغَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ (٤) ﴿ يَتَوَلَّىٰ لِيَتَنِي لَمْ أَخَذْ فَلَانًا حَلِيلًا ﴾ (٥) ﴿ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾ (٦) في الآيات إحياء بشأن الخلّة الثقة بالخليل، وحمل مشورته على النصيح، وعليه فلا ينبغي أن يضع المرء خلته إلا حيث يوقن بالسلامة من إشارات سوء (٥)، وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مثل الجلّيس الصالح والسوء كحامل المسك، ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك... (٦)". رابعاً: ضبط الشهوات:

تعليم المراهق كيفية ضبط الشهوات التي تتازعه في مختلف المجالات كشهوة الفرج، والبطن، واللسان، فتضبط شهوة الفرج عن طريق تقوية علاقة الإنسان بالخالق سبحانه وتعالى، واختيار الصحبة الصالحة، وتعليمه آداب الاستئذان والنظر - وهذا يفترض أن يكون في مرحلة سابقة من حياة الإنسان - ولنا في يوسف عليه السلام الأسوة والقُدوة، قال تعالى: ﴿ وَرَوَدَتْهُ الْمَتَىٰ هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۗ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۗ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٧).

وتضبط شهوة البطن بالتقيد بآداب الطعام والشراب التي حث عليها الإسلام في العديد من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، كما تكون ضبط شهوة اللسان عن طريق الالتزام بآداب الحديث مثل أن

(١) سورة النساء، آية ٥٩.

(٢) سورة الذاريات، آية ٥٦.

(٣) أكرم رضا، مراعاة بلا أزمة، مصر، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط١، ٢٠٠٠، ص ٧٢.

(٤) سورة الفرقان، آية ٢٧-٢٩.

(٥) محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج ١٩، ص ٤٠.

(٦) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ٤، ص ٢٠٢٦، حديث رقم (٢٦٢٨).

(٧) سورة يوسف، آية ٢٣.

يلتزم الصمت عند عدم الحاجة إلى الحديث، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال، قال رسول الله ﷺ: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت"^(١).

خامساً: بيان خصوصية كل جنس:

تتعدد أشكال التشبه بين الرجال والنساء، فقد يكون عن طريق الكلام ووتيرة الصوت والحركة المثيرة، واللبس والشعر واللعب، لذا فقد حرم الإسلام أي مجال فيه تشبه بين الرجال والنساء، وعلى كل جنس أن يلتزم بخصوصيته، فعن ابن عباس قال: لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال^(٢).

"والحقيقة أن المرأة تختلف اختلافاً كبيراً عن الرجل.....، فكل خلية من خلايا جسمها تحمل طابع جنسها....، والأمر صحيح بالنسبة لأعضائها، وفوق كل شيء بالنسبة لجهازها العصبي، فالقوانين الفسيولوجية غير قابلة للين مثل قوانين العالم الكوكبي....، فليس في الإمكان إحلال الرغبات الإنسانية محلها.....، ومن ثم فنحن مضطرون إلى قبولها كما هي، فعلى النساء أن ينمين أهليتهن تبعاً لطبيعتهن دون أن يحاولن تقليد الذكور، فإن دورهن في تقدم الحضارة أسمى من دور الرجال، فيجب عليهن ألا يتخلين عن وظائفهن المحددة"^(٣).

فمن المسخ والانحراف أن يتعدى أحد الجنسين على وظيفة الآخر، ومتى حدث ذلك في مجتمع فإنه يدل على عدم الاستقرار والتماسك فيه، ومتى حاول الرجل انتزاع خصائص المرأة أو وظائفها فهو فاقد للرجولة الحقة والحياة السوية، وكذلك المرأة متى حاولت انتزاع بعض خصائص الرجل أو وظائفه فهي مسرفة وخارجة عن طبيعتها وأتوتها^(٤).

المبحث السابع - مرحلة الشباب "الرشد والأشد"

يمثل المبحث ثلاثة مطالب: المطلب الأول- التعريفات. والمطلب الثاني - مظاهر النمو في هذه المرحلة. والمطلب الثالث - دلالة التكليف في النمو الإنساني.

المطلب الأول- التعريفات

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَمِنْكُمْ مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾^(١)، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ

(١) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ١، ص ٦٨، حديث رقم (٤٧).

(٢) أكرم رضا، مراجعة بلا أزمة، مرجع سابق، ص ٧٦-٧٧.

(٣) رواه البخاري، صحيح البخاري، ج ٥، ص ٢٢٠٧، حديث رقم (٥٥٤٦).

(٤) ألكيس كاريل، الإنسان تلك المجهول، تعريب شفيق فريد، بيروت، لبنان، مكتبة المعارف، ط ١، ٢٠٠٣، ص ١٠٩.

(٥) ناصر العقل، التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة، الرياض، السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٣٩٤هـ،

ص ٩٢-٩٣.

(٦) سورة الحج، آية ٥.

ثُمَّ مِنْ نَظْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مَخْرَجِكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِيَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِيََكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِيَبْلُغُوا أَجْلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١﴾، ويقول سبحانه وتعالى:

﴿ وَأَبْتَلُوا أَلْيَتَمَتَّى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ ﴿٢﴾.

اختلف الفقهاء المفسرون في تحديد معاني الرشد والأشد، وفيما يلي تعريف موجز للمصطلحين كلاً على حدة ثم بيان العلاقة بينهما (الرشد والأشد) وعلاقتها بمصطلح الشباب.

الفرع الأول - تعريف الرشد في اللغة والاصطلاح

الرشد في اللغة: الهداية إلى صواب الأمر سواء أكان ذلك دنيوياً أو أخروياً، بمعنى أن يبلغ الصبي حد التكليف صالحاً في دينه مصلحاً لماله^(١)، وقيل هو الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه.

أما الرشد في الاصطلاح، فقد اختلف فيه الأئمة الأربعة على قولين، الأول: هو حفظ المال وحسن التصرف فيه، والثاني: حفظ المال وحسن التصرف فيه حسب المصلحة، والصلاح في الدين أي أن يكون عدلاً ممن تقبل شهادته^(٢).

قال سعيد بن جبير يعني صلاحاً في دينهم وحفظاً لأموالهم، وكذا روي عن ابن عباس والحسن البصري وغير واحد من الأئمة، قال الفقهاء: إذا بلغ الغلام مصلحاً لدينه وماله انفك الحجر عنه فيسلم إليه ماله الذي تحت يد وليه^(٣).

وقال الطبري: اختلف أهل التأويل في معنى الرشد، فقال بعضهم: العقل والصلاح في الدين، وقال آخرون صلاحاً في دينهم وإصلاحاً لأموالهم، وقال آخرون: العقل خاصة، وقالوا: الصلاح والعلم بما يصلحه، وأولى الأقوال العقل وإصلاح المال لإجماع الجميع على أنه إذا كان كذلك لم يكن ممن يستحق الحجر عليه^(٤).

(١) سورة غافر، آية ٦٧.

(٢) سورة النساء، آية ٦.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة رشد.

(٤) محمود الكبيسي، الصغير بين أهلية الوجوب وأهلية الأداء، مرجع سابق، ص ٣٥١-٣٥٢، وزارة الأوقاف، الموسوعة الفقهية، مرجع سابق، ج ٨، ص ١٨٧.

(٥) ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، ج ١، ص ٤٢٩.

(٦) محمد بن جرير الطبري، أبو جعفر (٣١٠هـ) جامع البيان عن تأويل أي القرآن، تحقيق محمود محمد شاكر، مصر: دار المعارف، ج ٧، ص ٥٧٥-٥٧٨.

وقال الشوكاني: جمهور العلماء على أن الرشد لا يكون إلا بعد البلوغ، وعلى أنه إن لم يرشد بعد البلوغ لا يزول عنه الحجر^(١).

وذهب أكثر الفقهاء إلى أن الرشد المعتد به لتسليم مال اليتيم لا يكون إلا بعد البلوغ، فإن لم يرشد ببلوغه استمر الحجر عليه حتى ولو صار شيخاً عند جمهور الفقهاء، وهذا الرشد قد يأتي مع البلوغ وقد يتأخر عنه قليلاً أو كثيراً تبعاً لتربية الشخص، واستعداده وتعميد الحياة الاجتماعية أو بساطتها^(٢).

ويرى الباحث أن الرشد يأتي بعد البلوغ ويستدل عليه بالعقل وإصلاح المال أي حسن التصرف بالمال لأن من لم يستطع أن يحسن التصرف بالمال وحفظه يبقى الحجر عليه.

الفرع الثاني - تعريف الأشد في اللغة والاصطلاح

الأشد في اللغة: المفرد من الأشد شدة، والشدة: القوة والجلادة، والشديد الرجل القوي، وقال الزجاج هو من نحو سبع عشر إلا أربعين، وقال مرة هو ما بين الثلاثين والأربعين^(٣).
الأشد في الاصطلاح: القوة، لتبلغوا تمام القوة والعقل، أي تكامل القوة البدنية والعقلية حتى يصل الإنسان إلى حد الكمال في عنفوان الشباب^(٤)، والأشد أن يصير الإنسان قادراً على إنجاب مثله وهو ما نسميه البلوغ ويكون قادراً على حسن التصرف في الأعمال وفي كل شيء^(٥).

وقيل الأشد المرحلة التي تمتد من نهاية الطفولة إلى بداية الشيخوخة وهي فترة يتمتع فيها الإنسان عادة بكامل قواه، ومع بدايتها يبدأ التكليف الشرعي^(٦).
وقيل الأشد "طور يبتدئ بعد انتهاء حد الصغر، أي من وقت بلوغ الإنسان مبلغ الرجال إلى سن الأربعين وقد يطلق الأشد على الإدراك والبلوغ، وقيل: أن يؤنس منه الرشد مع أن يكون بالغاً فالأشد مساوٍ للبلوغ في بعض إطلاقاته^(٧).
فمرحلة الأشد هي أشد أطوار الإنسان، وأجلى مظاهر مواهبه في الجسم والعقل وهي سن الفتوة واستجماع القوى^(٨).

(١) محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الهداية والدراية من علم التفسير، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ج١٥، ت ١٢٥-٢٠٠٣، ٣٤٧/١.

(٢) وزارة الأوقاف، الموسوعة الفقهية، مرجع سابق، ج٢٢، ص ٢١٤.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة سدد.

(٤) عبد الله شحاته، تفسير القرآن الكريم، القاهرة، مصر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ج٩، ص ٢١٤٩-٣٣٥٠.

(٥) محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، مرجع سابق، ج٧، ص ٣٩٩٤.

(٦) محمد عز الدين توفيق، دليل الأنفس في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص ١٥٨.

(٧) وزارة الأوقاف، الموسوعة الفقهية، مرجع سابق، ج٨، ص ١٨٧.

(٨) محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج١٧، ص ١٤٦.

وقال صاحب الظلال في تفسير قوله: ﴿ تُمْرًا لِيَتَّبِعُوا أَشَدُّكُمْ ﴾ (١)، أي ائسسؤفوا

نموكم العضلي ونموكم العقلي، ونموكم النفسي، وكم بين الطفل الوليد والإنسان الشديد من مسافات في المميزات، ولكن الله أودع الطفل الوليد كل خصائص الإنسان الرشيد، وكل الاستعدادات الكامنة التي تبدي فيه وتتكشف في وقتها كما أودع النطفة العالقة في الرحم كل خصائص الإنسان الوليد (٢).

وعليه فيرى الباحث أن هذه المرحلة من حياة الإنسان تمثل قمة مظاهر النمو العقلية والنفسية والجسمية والاجتماعية والأخلاقية، وهذه المرحلة تبدأ من البلوغ وتصل إلى سن الأربعين، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٣). فالآية تشير إلى معالم أساسية في القوة الجسمية والنضج

الجسمي والبلوغ العقلي، والسؤال الذي يطرح: ما العلاقة بين الرشد والأشد؟
إن علاقة الرشد بالأشد علاقة متداخلة مترابطة معنى ومقصداً، فقد ربط الله سبحانه وتعالى إعطاء اليتيم أمواله مرة ببلوغه النكاح والرشد، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَبْتَلُوا أَلْيَتَمَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ ءَانْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾ (٤).

وربطهما مرة أخرى ببلوغ الأشد، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾ (٥).

يقول الإمام القرطبي في تفسير قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾ (٦). أشد يعني قوته، وقد تكون القوة في البدن أو المعرفة بعد التجربة، ولا بد من حصول الوجهين فالأشد وقعت هنا مطلقة في مال اليتيم، وجاء بيان مال اليتيم مقيداً في سورة النساء. قال تعالى: ﴿ وَأَبْتَلُوا أَلْيَتَمَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ ءَانْتُمْ

(١) سورة الحج، آية ٥.

(٢) خالد الحازمي، مراحل النمو في ضوء التربية الإسلامية، الرياض، السعودية، دار عالم للكتب، ص ٤٤.

(٣) سورة الأحقاف، آية ١٥.

(٤) سورة النساء، آية ٦.

(٥) سورة الأنعام، آية ١٥٢.

(٦) سورة الأنعام، آية ١٥٢.

مَتَّهِمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴿١﴾. فجمع بين قوة البدن التي في البلوغ وبين قوة المعرفة وإيناس الرشد^(٢).

وعليه فإن الأشد هي القوة البدنية، والقوة المعرفية، وحسن التصرف بالمال، وأن الرشد هو حسن التصرف بالمال أي القوة المعرفية، والبلوغ هو القوة البدنية فأصبح الرشد جزءاً من الأشد، وهذا يعني أن الأشد والرشد ليسا مرحلتين وإنما مرحلة واحدة^(٣). وأن مدة هذه المرحلة تبدأ من البلوغ حتى سن الأربعين الذي هو أوج القوة في هذه المرحلة، وهذه هي مرحلة الشباب التي عرفت بأنها الفترة الممتدة من البلوغ حتى سن الأربعين كما سيأتي لاحقاً.

الفرع الثالث - تعريف الشباب في اللغة والاصطلاح

- الشباب في اللغة: يقال شبَّ الغلام شاباً وشبواً وشبياً، والشباب جميع شاب وشباب الشيء أوله، ويقال لقيت فلاناً في شباب النهار أي في أوله^(٤).

- الشباب في الاصطلاح:

حتى نحدد معنى الشباب اصطلاحاً لا بد من بيان بداية مرحلة الشباب ونهايتها، فبداية هذه المرحلة تتبين من خلال قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَعِذُوا كَمَا أَسْتَعِذَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۗ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۗ ﴾^(٥)، وقوله ﷺ: "رفع القلم عن ثلاثة، عن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يشب وعن المعتوه حتى يعقل"^(٦).

إذا تأملنا النصوص الواردة أعلاه نجد أن الحق سبحانه وتعالى سمي الإنسان قبل الاحتلام وقبل أن يبلغ أشده طفلاً، وفي حديثه ﷺ جعل الشباب بداية تكليف الإنسان وعلى هذا فإن مرحلة الشباب تبدأ بالبلوغ^(٧).

أما نهاية مرحلة الشباب فهي موضع خلاف بين أهل العلم، فقال بعضهم: الشباب من بلغ سبع عشرة سنة إلى أن يتم إحدى وخمسين سنة، وقيل الشباب: هو البالغ إلى أن يتم الثلاثين، وقيل: ابن ست عشرة إلى اثنين وثلاثين ثم هو كهل^(٨). وعد بعضهم الشباب إلى سن

(١) سورة النساء، آية ٦.

(٢) محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، الرياض، دار عالم الكتب، ٢٠٠٣م، مرجع سابق، ١٣٤/٤-١٣٥.

(٣) خالد الحازمي، مراحل النمو في ضوء التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ٤٥.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، مادة شبَّ.

(٥) سورة النور، آية ٥٩.

(٦) رواه الترمذي، سنن الترمذي، ج ٤، ص ٣٢، حديث رقم (١٤٢٣)، صححه الألباني.

(٧) سليمان العبد، المنهاج النبوي في دعوة الشباب، الرياض، السعودية، دار العاصمة، ط ١، ١٩٩٥، ص ٢٦.

(٨) محمد بن محمد الزبيدي، تاج العروس، بيروت، لبنان، مكتبة الحياة، ط ١، ١٣٠٦هـ، ص ٣٠٧.

الأربعين^(١)، والصحيح أن مرحلة الشباب هي من البلوغ حتى بلوغ أربعين سنة، لأن الأصل اللغوي للشباب يدل على أمرين: النماء والقوة، وفي القرآن الكريم أن سن الأربعين داخلة في هذا المعنى، وأنها نهاية للنماء والقوة^(٢)، كما في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾^(٣). أي بلغ الأشد ووصل إلى أكمله في الأربعين^(٤)، وفي الأربعين تكتمل جميع القوى والطاقات، ويتهيأ الإنسان للتدبير والتفكير، وفي هذه السن نتجبه الفطرة المستقيمة السليمة إلى ما وراء الحياة^(٥).

المطلب الثاني: مظاهر النمو في هذه المرحلة:

يُعدُّ الشباب المرأة الصادقة التي تعكس واقع الأمة وحقيقتها ومدى نهضتها وتقدمها، وهم يمثلون مستقبلها وآمالها، وهم مصدر التجديد والتغيير، وعن طريقهم تتم التحولات الكبرى في المجتمع هم أمل الحاضر، وجيل المستقبل، فهم القادرون على أن يبدلوا وجه الكون ويقودوا البشرية إلى رحاب الله الواسعة، وعبادته الحقّة، وهذه المرحلة من مراحل النمو الإنساني تتميز بالعديد من مظاهر النمو بل هي مرحلة اكتمال جميع مظاهر النمو:

الفرع الأول - النمو الجسدي

في هذه المرحلة تبلغ أعضاء جسم الإنسان درجة التكامل في الطول والحجم والنضج، فغالباً ما يكون الفرد في هذه المرحلة سليماً في أعضائه، قوياً في بدنه، لذا ينبغي توجيه الإنسان في هذه المرحلة نحو توظيف طاقاته الجسدية بما يعود عليه وعلى المجتمع بالفائدة^(٦). ويتميز النمو الجسمي بالقوة البدنية والجسدية للفرد حيث يزداد الوزن والطول وتنمو العضلات مما يسبب قوة البدن، يقول سبحانه: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً مَخْلُوقًا مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾^(٧).

ومما يدل على أن مرحلة الشباب هي مرحلة القوة البدنية ما رواه حمزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: إني صاحب ظهر أعالجه، وأسافر عليه، وأكرهه، وإنه ربما صادفني هذا الشهر يعني رمضان وأنا أجد القوة، وأنا شاب وأجد بأن أصوم يا رسول الله أهون علي من أن

(١) عبد الملك بن محمد الثعالبي، فقه اللغة، بيروت، لبنان دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٤، ص ٩٢.

(٢) سليمان العيد، المنهاج النبوي في دعوة الشباب، مرجع سابق، ص ٢٧.

(٣) سورة الاحقاف، آية ١٥.

(٤) محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص ٢٨، ج ٢٦.

(٥) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج ٦، ص ٣٢٦٢.

(٦) عبد الرحمن الزيد، التوجيه الإسلامي للنمو الإنساني، مرجع سابق، ص ٥٣١-٥٣٣.

(٧) سورة الروم، آية ٥٤.

أؤخره فيكون ديناً، أفأصوم يا رسول الله أعظم لأجري أو أفطر؟، قال: أي ذلك شئت يا حمزة^(١).

لذا فقد وجه الإسلام الشباب في هذه المرحلة إلى الاهتمام بمختلف أنواع الرياضات التي تعزز هذا النمو، فحث على سباق المشي، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: إنها كانت مع النبي ﷺ في سفر، قالت فسابقته إلى المدينة على رجلي، فسبقته، فلما حملت اللحم سابقته فسبقني فقال: هذه بتلك السبقة^(٢).

وكذلك تعلم السباحة، فعن عطاء بن أبي رباح، قال: رأيت جابر بن عبد الله وجابر بن عمير الأنصاري يرتيمان فمل أحدهما فجلس، فقال الآخر: كسلت، لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهو وسهو، إلا أربع خصال: مشي الرجل بين الغرضين وتأديبه فرسه وملاعبته أهله، وتعلم السباحة^(٣).

الفرع الثاني - النمو الجنسي

يبلغ النمو الجنسي نروته في هذه المرحلة، حيث يكون الشاب في كامل قوته الجنسية، ومؤهلاً لأداء الوظيفة الجنسية المطلوبة، وقد كان النبي ﷺ مدركاً لطبيعة هذه المرحلة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً جاء وسأل النبي ﷺ عن القبلة فرخص له، وجاءه آخر فنهاه فإذا الذي رخص له شيخ والذي نهاه شاب^(٤)، ويقول ﷺ من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فليصوم فإنه له وجاء^(٥).

وعن أبي سعيد الخدري قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ ونحن عنده، فقالت: يا رسول الله، إن زوجي صفوان بن المعطل، يضربني إذا صليت، ويفطرنني إذا صمت، ولا يصلي صلاة الفجر حتى تطلع الشمس قال: وصفوان عنده، قال: فسأله عما قالت: فقال: يا رسول الله أما قولها يضربني إذا صليت، فإنها تقرأ بسورتين وقد نهيتها قال: لو كانت بسورة واحدة لكفت الناس، وأما قولها يفطرنني إذا صمت، فإنها تتطلق فتصوم، وأنا رجل شاب فلا أصبر، فقال رسول الله ﷺ يومئذ لا تصوم امرأة إلا بإذن زوجها، وأما قولها إني لا أصلي حتى تطلع الشمس، فإن أهل بيتي قد عرف لنا ذلك لا تكاد نستيقظ حتى تطلع الشمس، قال: إذا استيقظت فصل^(٦).

(١) رواه أبو داود، سنن أبو داود، ج٢، ص ٣١٦، حديث ٢٤٠٣.

(٢) رواه أحمد، المسند، ج١، ص ١٢٨، حديث رقم (٢٦١) صححه الألباني، انظر: مشكاة المصابيح، حديث رقم (١٣١).

(٣) رواه النسائي، السنن الكبرى، ج٥، ص ٣٠٢، حديث رقم (٨٩٣٩)، صححه الألباني، انظر: صحيح الترغيب والترهيب، حديث رقم (١٢٨٢).

(٤) رواه البيهقي، سنن البيهقي، ج٤، ص ٢٣١، حديث رقم (٧٨٧٢)، صححه الألباني.

(٥) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج٢، ص ١٠١٨، حديث رقم (١٤٠٠).

(٦) رواه الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ج١، ص ٦٠٢، حديث رقم (١٥٩٤)، صححه الشيخ الأرنؤوط.

الفرع الثالث - النمو الاجتماعي

يتميز النمو الاجتماعي للشباب بعدد من الخصائص والمميزات التي تميزه عن مراحل الحياة المختلفة، حيث يقوم بعدد من المسؤوليات تجاه أسرته أو اتجاه البيئة الاجتماعية له وينمو لديه الإحساس الوالدي، ويأخذ النمو الاجتماعي صوراً عديدة منها:
أ. الاهتمام بالنظافة وحسن المظهر:

من الصور التي تدل على النمو الاجتماعي للفرد في هذه المرحلة الاهتمام بالنظافة، وحسن المظهر، لذا نلاحظ أن اهتمام الشاب بمظهره وهيئته يأخذ منه وقتاً كبيراً، حتى إنه يمكث أمام المرآة وقتاً طويلاً يرتب شعره وملابسه، وقد وجه النبي ﷺ الشباب إلى الاهتمام بالنظافة، وحسن المظهر، فعن سمرة بن فانك الأسدي أن رسول الله ﷺ قال: نعم الفتى سمرة، لو أخذ من لمتة (شعر الرأس) وشمر عن مئزره، ففعل ذلك سمرة، أخذ من لمتة وشمر من مئزره^(١).

ب. الرغبة في إنشاء أسرة:

الزواج فطرة الله التي فطر الناس عليها، فهو يغرس في الإنسان المعاني الخلقية النبيلة التي منها الإيثار والشعور بالمسؤولية، ويحفظ الأسر من أن يندب فيها الانحلال الخلقي، فهو يحمي الأنساب من الاختلاط ويقوي ترابط الأسر بأواصر المحبة لذا فمن الواجب أن تلبي رغبة الشاب في الزواج، وتكوين أسرة.

لذا فمن واجب المجتمع أن يلبي رغبة الشباب في الزواج، فعن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض"^(٢). فالزواج هو وسيلة إنجاب الذرية، واستمرار الحياة مع المحافظة على حياة الإنسان التي بوليها الإسلام عناية فائقة.

بالإضافة إلى الصور السابقة فإن الشاب يتمتع بإقامة علاقات اجتماعية طيبة مع أهله وأصدقائه فهو يحترم والديه، يقول سبحانه: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۗ إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا تَنْهَرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۗ ﴾^(٣) ويصل الرحم يقول ﷺ: "من أحب أن يمد له في عمره وأن يزداد له

(١) رواه أحمد، المسند، ج٤، ص ٢٠٠، حديث رقم (١٧٨٢٣)، حسنه شعيب الأرنؤوط.

(٢) رواه الترمذي، سنن الترمذي، ج٣، ص ٣٩٤، حديث رقم (١٠٨٤)، حسنه الألباني.

(٣) سورة الإسراء، آية ٢٣.

في رزقه، فليبر والديه وليصل رحمه^(١). ويحترم الجيران ويحسن إليهم، يقول ﷺ خبر الجيران عند الله خيرهم لجاره^(٢).

- النمو النفسي:

تتميز هذه المرحلة باتزان انفعالي ملحوظ مقارنة بمرحلتى الطفولة والمراهقة، فالنضج الانفعالي يبرز لدى الفرد من خلال مقدرته الواضحة على المشاركة الانفعالية والمناقشة بنوع من التفهم والدراية^(٣)، وهذا لا يعني أن هذه الفترة لا تخرج عن الاتزان الانفعالي فمن أهم المميزات والخصائص التي تتميز بها^(٤):

أ. سرعة الاستجابة والاندفاع:

الشباب على مدار التاريخ هم الأكثر تأثراً والأسرع استجابة للدعوات، بخلاف غيرهم من فئات المجتمع، وقد كان أكثر أتباع النبي ﷺ من الشباب وكذلك أتباع موسى ﷺ، يقول سبحانه: ﴿فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾^(٥)، فالذين أظهرُوا إيمانهم وانضمامهم لموسى من بني إسرائيل كانوا هم الفتیان، وكان هؤلاء الفتیان يخشى من فتنتهم وردهم عن إتباع موسى^(٦).

وقد وجه النبي ﷺ إلى التعقل وعدم التسرع والانفعال، بل دعا الشباب إلى ضبط أنفسهم عند ثورة الغضب، يقول ﷺ، "ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب"^(٧).

ب. الحماس والجرأة:

يتصف الشباب بالحماس الذي يحل مكان التقليد الذي كان سائراً عليه في فترة الطفولة وقد يأخذ الحماس أشكالاً مختلفة، منها الفردية ومنها الجماعية^(٨)، فمن أمثلة حماس الشباب الجماعي ما يرويه أنس بن مالك ﷺ، قال: كان شباب من الأنصار سبعون رجلاً يقال لهم

(١) رواه أحمد، المسند، ج ١، ص ١٤٣، حديث رقم (١٢١٢)، صححه شعيب الأرنؤوط.
(٢) رواه الترمذي، سنن الترمذي، ج ٤، ص ١٣٣، حديث رقم (١٩٤٤) صححه الألباني، انظر: السلسلة الصحيحة، حديث رقم (١٠٣).
(٣) عبد الرحمن الزيد، التوجيه الإسلامي للنمو الإنساني، مرجع سابق، ص ٥٣٧-٥٤١.
(٤) فيصل العمري، الأحاديث النبوية الواردة في غاية الشباب رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة آل البيت، المفرق، الأردن، ١٩٩٩، ص ٢٩-٣٣.
(٥) سورة يونس، آية ٨٣.
(٦) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج ٣، ص ١٨١٥.
(٧) رواه البخاري، صحيح البخاري، ج ٥، ص ٢٢٦٧، حديث رقم (٥٧٦٥٣).
(٨) سليمان العيد، المنهاج النبوي في دعوة الشباب، مرجع سابق، ص ٨٨.

القراء، كانوا يكونون في المسجد، فإذا أمسوا انتحوا ناحية من المدينة، فيتدارسون ويصلون، يحسبهم أهلهم أنهم في المسجد، ويحسبهم أهل المسجد أنهم في أهلهم حتى إذا كانوا في وجه الصبح استعذبوا من الماء واحتطبوا من الحطب وأسندوه إلى حجرة رسول الله ﷺ جميعاً فأصيبوا يوم بئر معونة، فدعا ﷺ على قتلهم خمسة عشرة يوماً في صلاة الغداة^(١).

ومن أمثلة الحماس الفردي ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: جمعت القرآن كله في ليلة، قال ﷺ: إني أخشى أن يطول عليك الزمان، وأن تمل فاقراه في شهر، فقلت دعني استمتع من قوتي وشبابي، قال: فاقراه في عشرة، قلت دعني استمتع من قوتي وشبابي، قال: فاقراه في سبع، قلت: دعني أستمتع من قوتي وشبابي، فأبى^(٢).

ولا بد من إشعار الشباب بأهميتهم وفضلهم وتقديرهم حتى يبقى الشباب بعيداً عن الاضطراب النفسي والقلق، وهذا ما كان يفعله النبي ﷺ، فعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن فقلت: يا رسول الله اتبعني وأنا شاب أقضي بينهم، ولا أدري ما القضاء، قال: فضرب بيده في صدري ثم قال: "اللهم اهدي قلبه، وثبت لسانه"، قال: فما شككت بعد في قضاء بين اثنين^(٣)، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ بعث بعثاً وأمر عليهم أسامة بن زيد فطعن الناس في إمارته، فقام رسول الله ﷺ، فقال: إن طعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إماره أبيه من قبل، وأيم الله إن كان لخليقاً للإمارة وإن أباه كان أحب الناس إليّ وإن هذا لمن أحب الناس إليّ بعده^(٤).

فالأحاديث السابقة تبين اهتمام النبي ﷺ بالشباب حيث كان يوليهم الأمور العظام والمهام الجسام، ويشعرهم بقدرهم وعظيم فائدتهم، ويحث الناس على ذلك، وهذا الاهتمام يجعل الشباب مستقر النفس، مطمئن البال، بعيداً عن القلق والاضطراب والبحث عن المكانة.

الفرع الخامس - النمو العقلي

القدرات العقلية عند الإنسان في هذه المرحلة إلى ذروتها، ويتميز فيها بقدرته على الإنتاج العقلي، فقد أكدت الأبحاث النفسية أن ذروة الإنتاج العقلي في نواحي النشاط المختلفة تظهر في المرحلة الزمنية التي تمتد ما بين ٢٠-٤٠ سنة^(٥).

كما تتميز هذه المرحلة من حيث النمو العقلي ب بروز القدرات الخاصة أكثر من ذي قبل من المراحل السابقة، فتبرز القدرة اللغوية بوضوح، والقدرة الرياضية والقدرة الأدبية والعلمية

(١) رواه أحمد، المسند، ج٣، ص ٢٣٥، حديث رقم (١٣٤٨٧)، صححه شعيب الأرنؤوط.

(٢) رواه أحمد، المسند، ج٢، ص ١٦٣، حديث رقم (٦٥١٦)، صححه الألباني.

(٣) رواه ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ج٢، ص ٧٧٤، حديث رقم (٢٣١٠)، صححه الألباني.

(٤) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج٤، ص ١٨٨٤، حديث رقم (٢٤٢٦).

(٥) فؤاد البيهقي السيد، الأسس النفسية للنمو، مرجع سابق، ص ٤١٧.

بالإضافة إلى زيادة المقدرة الاستيعابية في ميدان التحصيل العلمي^(١)، فالعمليات العقلية تتكامل في هذه المرحلة، لذا فقد عني الإسلام بالتربية العقلية وكسب العلوم والمعرفة^(٢). وحث القرآن الكريم على التأمل والتفكير وإدراك الحقائق، يقول سبحانه: ﴿أُولَٰئِكَ يَنْظُرُونَ فِي مَلَكَوتِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٣)، وشجّع على العلم يقول سبحانه: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(٤)، ويقول: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَٰئِكَ الْأَلْبَابِ﴾^(٥)، ويقول ﷺ: "إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع"^(٦).

ففي هذه المرحلة تتسع قدرات الشباب المعرفية، وتزداد عنده القدرة على القراءة والتحصيل، وتزداد قدرات: التذكر، والتركيز الواعي، كما تزداد القدرة على التفكير الاستدلالي والتفكير الابتكاري الإبداعي^(٧). وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يقبلون على التعليم في مثل هذه السن، فعن مالك بن الحويرث رضي الله عنه، قال: أتينا رسول الله ﷺ ونحن شببة متقاربون فأقمنا عنده عشرين يوماً وليلة وكان رسول الله ﷺ رحيماً رقيقاً، فلما ظن أنا اشتهدنا أهلنا، سألنا عما تركنا بعدنا فأخبرنا، قال: ارجعوا إلى أهليكم، فأقيموا فيهم، وعلموهم، ومروهم وذكر أشياء أحفظها ولا أحفظها، وصلوا كما رأيتموني أصلي، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم"^(٨).

ففي الحديث الشريف دلالة على أن إقامة الصحابة عند النبي ﷺ حتى يعلمهم تعاليم الإسلام وكذلك أمرهم بأن يعلموا قومهم إذا رجعوا، وهذه إشارة إلى أن سن الشباب هي سن التعلم والتعليم.

وفي هذه المرحلة تظهر الميول التعليمية فقد يختار الشباب الدراسات الأدبية أو العلمية أو التجارية وهذا التمايز والاختيار يعدُّ أساساً للتوجيه العلمي للشباب وكذلك تزداد قدرات التحصيل فيصبح الشباب أكثر سرعة في الفهم والاستيعاب ويميل إلى القراءة المتخصصة أكثر من القراءة العامة^(٩).

(١) عبد الرحمن الزيد، التوجيه الإسلامي للنمو الإنساني، مرجع سابق، ص ٥٣٤-٥٣٥.

(٢) شادية التل، النمو الإنساني في التراث الإسلامي، مرجع سابق، ص ٧٩.

(٣) سورة الأعراف، آية ١٨٥.

(٤) سورة طه، آية ١١٤.

(٥) سورة الزمر، آية ٩.

(٦) رواه ابن حبان، صحيح ابن حبان، ج ٤، ص ١٤٧، حديث رقم (١٣١٩)، صححه الألباني، انظر صحيح وضعيف الجامع الصغير، حديث رقم (٦٢٩٧).

(٧) فادية حمام، علم نفس النمو، مرجع سابق، ص ١٨٢-١٨٣.

(٨) رواه البخاري، صحيح البخاري، ج ١، ص ٢٢٦، حديث رقم (٦٠٥).

(٩) محمود عقل، النمو الإنساني، مرجع سابق، ص ٤٥.

كان النبي ﷺ يوجه الصحابة كلاً حسب كفاءته، فقال: أعلمكم بالحلال والحرام معاذ، وأفرضكم زيد، ووجه بعض الصحابة إلى تعلم لغات أخرى لما رأى فيهم من قدرة في تعلم اللغات.

ومما يدل على تميز الشباب العقلي ما رواه عامر بن ربيعة، قال: عطس شاب من الأنصار خلف رسول الله ﷺ وهو في الصلاة، فقال الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه حتى يرضى ربنا وبعد ما يرضى، ومن أمر الدنيا والآخرة، فلما انصرف رسول الله ﷺ قال: من القائل الكلمة، قال: فسكت الشاب، ثم قال: من القائل الكلمة، فإنه لم يقل بأساً، فقال يا رسول الله أنا قلتها ولم أرد بها إلا خيراً، قال: ما تنأهت دون عرش الرحمن تبارك وتعالى^(١).
فالعقل الإنساني مركز التفكير والتأمل والتدبر، يستطيع أن يميز به بين الحق والباطل والخير والشر، وهو جوهرة ثمينة، لا بد أن يرعى حق الرعاية، لأن الشاب في هذه المرحلة تزداد قدرته على التعليل والتحليل، فلم يعد يقبل بسهولة ما يعرض عليه من أفكار، بل تزداد قدرة الشاب على التفكير المستقل، واتخاذ القرارات، وتطرد قدرته على التخيل، فيصبح أكثر واقعية.

المطلب الثالث - دلالة التكليف في النمو الإنساني:

يقول ﷺ: "رفع القلم عن ثلاثة، عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يشب وعن المعتوه حتى يعقل"^(٢). فالحديث يدل على أن مرحلة الشباب هي مرحلة التكليف الشرعي، لأن الشاب في هذه المرحلة يصل إلى مستوى متقدم يصبح فيه عاقلاً راشداً مدركاً لأقواله وأفعاله، وكل ما يصدر عنه من سلوكيات، والتكليف يدل دلالة واضحة على أن النمو العقلي والجسمي والنفسي والجنسي والاجتماعي، بدأ بالاكتمال وأن الشاب قادر على القيام بجميع العبادات المطلوبة منه والتي يراد لها قدرات عقلية وجسمية ونفسية، وكذلك هو قادر على تحمّل ما يصدر عنه من سلوكيات، وبتعبير علماء أصول الفقه تثبت له أهلية أداء كاملة تؤهل من وجدت فيه لممارسة كل التصرفات المشروعة ويترتب عليها أثارها الاعتبارية شرعاً وهي تثبت للإنسان ببلوغه عاقلاً راشداً^(٣).

فالتكليف يدل على أن هذه المرحلة مرحلة القوة البدنية، يقول سبحانه: ﴿اللَّهُ الَّذِي

خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا

(١) رواه أبو داود، سنن أبو داود، ج ١، ص ٢٠٥، حديث رقم (٧٧٩)، حسن لغيره.

(٢) رواه الترمذي، سنن الترمذي، ج ٤، ص ٣٢، حديث رقم (١٤٢٣)، صححه الألباني.

(٣) مصطفى البغا، أصول الفقه الإسلامي، مرجع سابق، ص ٢١٣.

يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ»^(١). أي يخرج من بطن أمه ضعيفاً نحيفاً، واهن القوى ثم يشب قليلاً قليلاً حتى يكون صغيراً، ثم حدثاً ثم مراهقاً ثم شاباً وهو القوة بعد الضعف ثم يشرع في النقص، فيكتهل ثم يشيخ ثم يهرم وهو الضعف بعد القوة^(٢)، والشباب مرحلة قوة العقل والحس والإدراك، يقول سبحانه: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٣).

يقول ابن تيمية: "الأمر والنهي الذي يسميه بعض العلماء التكليف الشرعي، وهو مشروط بالممكن من العلم والقدرة، فلا تجب الشريعة على من لا يمكنه العلم كالمجنون والطفل، ولا تجب على من يعجز كالأعمى والأعرج، والمريض في الجهاد، كما لا تجب الطهارة بالماء والصلاة قائماً والصوم، وغير ذلك على من يعجز عنه.

فإنه لا خلاف أن تكليف العاجز الذي لا قدرة له على الفعل بحال غير واقع في الشريعة، بل قد تسقط الشريعة التكليف عن من لم تكتمل فيه أداة العلم والقدرة تخفيفاً عنه، وضبطاً لمناطق التكليف، وإن كان تكليفه ممكناً، كما رفع القلم عن الصبي حتى يحتلم، وإن كان له فهم وتمييز ولكن ذلك لأنه لم يتم فهمه ولأن العقل يظهر في الناس شيئاً، وهم يختلفون فيه، فلما كانت الحكمة خفية ومستترة قيدت بالبلوغ^(٤).

فمرحلة الشباب تمثل مرحلة القوة والحركة والنشاط وكمال الحواس، والقدرة على العمل والكسب والتعلم والتعليم، وهي مرحلة وسط بين الطفولة والشيخوخة، والتكليف يراد له القوة والحركة والنشاط لذا تناسب أن يكون التكليف في هذه المرحلة.

المبحث الثامن - مرحلة الكهولة.

يشمل هذا المبحث مطلبين : المطالب الأول - التعريفات، والمطلب الثاني - مظاهر النمو في هذه المرحلة.

المطلب الأول - تعريف الكهل في اللغة والاصطلاح

تعريف الكهل لغة: من وخطه الشيب أو ما جاوز الثلاثين أو أربعاً وثلاثين إلى إحدى وخمسين^(٥). والקהل من الأربعين إلى أن يستوفي الستين^(٦).

(١) سورة الروم، آية ٥٤.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ٤٢٤/٣.

(٣) سورة النحل، آية ٧٨.

(٤) عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، السعودية، ٣٤٤-٤٤٣/١٠.

(٥) محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ت٨١٧هـ، القاموس المحيط، بيروت، لبنان، ط٤، ١٩٩٤، ص ١٣٦٣.

(٦) عبد الملك بن محمد الثعالبي أبو منصور، ت٤٢٩هـ، فقه اللغة، جمال طلبة، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٤.

والكهل في الاصطلاح: من دخل في عشرة الأربعين وهو الذي فارق عصر الشباب، والمرأة شهلة بالشين ولا يقال كهلة كما لا يقال شهل للرجل^(١).

المطلب الثاني - مظاهر النمو في مرحلة الكهولة

تعدّ هذه المرحلة امتداد لمرحلة الشباب في كافة المظاهر النمائية والعلامة البارزة فيها كما يشير ابن الجوزي هو ظهور الشيب والقدرة على ضبط الذات، حيث يقول: "هذا الزمان فيه بقية من الشباب، وللنفس فيه ميل إلى الشهوات وفيه جهاد حسن، وإن كانت طاقات الشيب تززع وتطعج عن مهاد اللهو... وليكتف الكهل بنور الشيب الذي أضاء له سبيل الرحيل، وليعامل بالبقية المائلة إلى الهوى يريح ولكن لا كريح الشباب..."^(٢).

والمتمأل في حديث ابن الجوزي يخلص إلى أمرين الأول: يتعلق بالنمو الأخلاقي الاجتماعي والمتمثل بقدرة الكهل على الضبط الذاتي غالباً، والثاني: يتعلق بإحدى أمارات ضعف الجسد الذي غالباً ما يظهر بعد تراجع القوة الجسدية للإنسان.

المبحث التاسع - مرحلة الشيخوخة.

يشمل هذا المبحث مطلبين: المطلب الأول - التعريفات، والمطلب الثاني - مظاهر النمو في هذه المرحلة.

المطلب الأول - تعريف الشيخوخة

تعريف الشيخ لغة: من استبانته فيه السن أو من خمسين أو إحدى وخمسين إلى آخر عمره أو إلى الثمانين^(٣)، ويؤكد هذا ابن منظور فيقول عن الشيخ: هو الذي استبانته فيه السن وظهر عليه الشيب، وقيل: هو شيخ من خمسين إلى آخر عمره، وقيل: هو من إحدى وخمسين إلى آخر عمره، وقيل: من الخمسين إلى الثمانين^(٤) وقيل استبانته فيه السن أو من خمسين أو إحدى وخمسين إلى آخر عمره أو إلى الثمانين^(٥).

الشيخوخة في الاصطلاح: "مرحلة نمو تتسم بالانحدار الواضح الدائم المستمر في القدرات الوظيفية والبدنية والعقلية ويمكن قياس مستوياتها ونوعيتها وأشكال تأثيراتها على العمليات التوافقية"^(٦).

(١) محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ٩٨/٣.

(٢) عبد الرحمن بن الجوزي، تنبيه للنائم الغمر على مواسم العمر، القاهرة، مصر، دار الحديث، ص ١٠٨.

(٣) الفيروزبادي.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، مادة شيخ.

(٥) الفيروزبادي، القاموس المحيط، مرجع سابق، ص ٣٢٥.

(٦) محمد شريم، للشيخوخة، عمان، الأردن، جمعية عمال المطابع التعاونية، ١٩٩٢م ص ١٢٢.

وقيل: "طور من أطوار الحياة وظاهرة من ظواهرها إذا بدأت فهي مستمرة وبطريقة غير ملحوظة مثل الزمن، وهي إذا بدأت لا تنتظر إلى الوراء ولا تعود إلى الشباب. وهي ليست مرضاً وإنما هي فترة يتغير فيها الإنسان تغيراً فسيولوجياً إلى صورة أخرى ليست بأفضل من سابقتها، لأن الصورة الجديدة يصاحبها ضمور في كثير من الأعضاء، وفقدان ملموس للقوة الحيوية تزول معه ظواهر الفتوة والعنفوان، ثم تنتهي كما ينتهي كل شيء^(١).

والشيخ هو من بلغ من الخمسين إلى الثمانين^(٢)، وقيل هو من جاوز الأربعين سنة. فالشيخوخة فترة من العمر لا مفر منها حيث تتحدر فيها القدرات الجسدية والعقلية والحسية والجنسية للإنسان وقد تضاهي هذه المرحلة مرحلة الطفولة من حيث الصعوبة والضعف والانتكالية فهي مرحلة حرجة في حياة الإنسان.

"والشيخوخة نكسة إلى الطفولة، بغير ملاحاة الطفولة وبراعتها المحبوبة، وما يزال الشيخ يتراجع وينسى ما علم وتضعف أعصابه، ويضعف فكره، ويضعف احتمالته، حتى يرتد طفلاً، ولكن الطفل محبوب اللذعة تبسم له القلوب، والوجوه عند كل حماقة، والشيخ مجتوى لا تقال له عثرة إلا من عطف ورحمة، وهو مثار للسخرية، وكلما بدت عليه مخايل الطفولة، وهو عجوز، استحمق، وقد قوست ظهره السنوات^(٣). والشيخوخة في آخرها يمكن أن تصل إلى مرحلة الهرم وأرذل العمر، فقد سأل النبي ﷺ الأعراب، فقالوا يا رسول الله ألا نتداوى؟ قال: نعم يا عباد الله تداووا، فإن الله لم يضع داءً إلا وضع له دواء (شفاء) إلا داءً واحداً، قالوا يا رسول الله ما هو؟ قال: الهرم^(٤).

وكان النبي ﷺ يستعيز بالله من أرذل العمر، فعن أنس ؓ أن رسول الله ﷺ كان يقول في دعائه "اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك بأن أورد إلى أرذل العمر"^(٥).

وقد حث الإسلام على مراعاة الوالدين والاهتمام بهما، وخاصة عند الكبر، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ

أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَمًّا أَوْ كِبَرًا ۚ إِنَّ أَوْلَىٰ بِكُلِّ وَالِدٍ لِّكَ إِلَهُهُمَا ۚ وَأَخْفَضْ

لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ۗ ﴾^(٦).

(١) فاطمة الغرابوي، الشيخوخة هل هي مرض، عالم الفكر، الكويت، وزارة الأعلام، ١٩٧٥، ص ١٠٩-١١٠.

(٢) محمد الظاهر ابن عاشور، التحرير والتلوين، مرجع سابق، ٢٤/٢٤١.

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٥/٢٩٧٣.

(٤) رواه الترمذي، سنن الترمذي، ج ٤، ص ٢٨٢، حديث رقم (٢٠٣٨)، قال أبو عيسى حديث حسن صحيح، صححه الألباني.

(٥) رواه البخاري، صحيح البخاري، ج ٥، ص ٢٣٤١، حديث رقم (٦٠٠٤).

(٦) سورة الإسراء، آية ٢٣-٢٤.

فعدم قول أفٍ لهما هي أول مرتبة من مراتب الرعاية والأدب وألا يظهر من الولد ما يدل على الإهانة وسوء الأدب، وأن يكون كلامه للوالدين بشيء من الإكرام والاحترام^(١)، ثم ارتقى بالوصاية بالوالدين إلى أمر الولد بالتواضع لهما تواضعاً يبلغ حد النذل لإزالة وحشة ما في نفسيهما أن أصبحا في حاجة إلى معونة الولد، فالأبوين يبغيان أن يكونا هما النافعين لولدهما^(٢). ويقول ﷺ: "ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا"^(٣)، ويقول "إن من إجلال الله إكرام ذي الشببة المسلم"^(٤).

المطلب الثاني - مظاهر النمو في مرحلة الشيخوخة

الفرع الأول - النمو الجسمي

تتميز مرحلة الشيخوخة بالانحدار العام في النمو الجسدي بعد ما وصل إلى أوج قوته في المرحلة السابقة من العمر، وقد عبّر القرآن الكريم عن هذا الضعف العام في البنية الجسدية، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾^(٥). ويدل على هذا كذلك قوله تعالى في الحوار الذي دار بين موسى عليه السلام والمرأتين عند ماء مدين: ﴿ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾^(٦).

فإسناد الوهن إلى العظم دون غيره من سائر الجسم أوجز في الدلالة على عموم الوهن، فالعظم قوام البدن وهو أصلب شيء فيه فلا يبلغه الوهن إلا وقد بلغ ما فوقه^(٧). وقد ثبت علمياً أن صلابة العظام وحجمها يتأثران بتقدم السن، حيث تقل فيها نسبة العناصر اللازمة لصلابتها، وأهمها عنصر الكالسيوم، ويزداد عدد الخلايا الآكلة للعظام وهذا يؤدي إلى ترقيقها بحيث يصبح الفرد عرضة للكسور^(٨).

فالوهن والضعف الجسمي العام وتدنّي الطاقة الجسمية ونقص القوة العضلية وقلة الإنتاج وتقرع الظهر واختلال الأعصاب، وبطء الحركة وضعف السيطرة على الأعضاء، وتدنّي مقاومة الجسم للأمراض كلها تدل دلالة واضحة على تراجع النمو الجسمي للإنسان في

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٢٢٢١/٤.

(٢) محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتوير، مرجع سابق، ١٤، ص ٥٧.

(٣) رواه الترمذي، سنن الترمذي، ج ٤، ص ٣٢٣، حديث رقم (١٩٢١)، صححه الألباني، انظر صحيح وضعيف الجامع الصغير، حديث رقم (٥٤٤٥).

(٤) رواه البخاري، الأدب المفرد، ج ١، ص ١٣٠، حديث رقم (٣٥٧)، حسنه الألباني، انظر: صحيح وضعيف الجامع الصغير، حديث رقم (٢١٩).

(٥) سورة مريم، آية ٤.

(٦) سورة القصص، آية ٢٣.

(٧) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٢٣٠٢/٤.

(٨) عبد الله البكري، الغذاء وصحة المجتمع، السعودية، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط ١، ١٩٩٤، ص ١٣٩٨.

هذه المرحلة، والسؤال الذي يطرح هو: ما السبب في هذا الضعف الجسمي العام؟ والإجابة عليه هي:

أن الكبار لا يقبلون على الغذاء مثل الشباب كون احتياجاتهم للسعرات الحرارية تقل نسبياً عنها في الشباب، فهم لا يهتمون بالطعام الذي يغذيهم ويفيدهم صحياً بقدر ما يهتمون بالأطعمة التي يعجبهم طعمها، لذا يقعون فريسة لنقص الكالسيوم والفيتامينات المختلفة، التي هي المكوّن الأساسي للعظام وللجسم بشكل عام، كما أن كمية ضخ الدم في القلب تختلف اختلافاً كبيراً حسب نشاط الجسم، فعمر الشخص وحجم الجسم يؤثران في كمية ضخ الدم، فإذا كان معدل ضخ الدم لشخص في سن العاشرة ٤ لتر لكل دقيقة فإنها تصل في سن الثمانين إلى ٢,٤ لتر لكل دقيقة، وهذا يعني اضمحلال نشاط الجسم مع تقدّم في العمر^(١).

وتدل الدراسات على أن قدرة القلب على ضخ الدم تتخفض بعد سن البلوغ بمقدار ١% وتقل أكثر في سن الشيخوخة، حيث تضعف عضلة القلب ويصغر حجمه، مما يؤدي إلى انخفاض نتاج القلب من الدم، كما ينجم عن ضعف عضلة القلب انخفاض درجة تدفق الدم إلى الرجلين وكذلك تصلب الشرايين الذي يؤدي إلى ارتفاع ضغط الدم وتصلب شرايين المخ^(٢).

وفي هذه المرحلة تتدنى كفاءة الحواس إذ تضعف حاسة التذوق على طرفي اللسان، وتتدنى استجابة الجلد الحسية وتضعف قوة استجابة البصر لأن حدة العين تفقد جزءاً من مرونتها، يقول سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾^(٣).

وقد دلت الدراسات على أن الإنسان في هذه المرحلة يصاب باضمحلال الإبصار وضعفه، وانخفاض دقة الرؤية، وكذلك تحدث اضطرابات سمعية تنجم عن خلل يحدث في مسار انتقال الموجات الصوتية من الأذن الخارجية حتى المركز السمعي في الدماغ^(٤).

الفرع الثاني - النمو العقلي

يميز النمو العقلي عند البعض في هذه المرحلة ضياع كثير من المعلومات لضعف الترابط بين الخلايا العصبية، فبعد العلم والرشد والوعي، والاكتمال يرتد الإنسان طفلاً في كل شيء: في حافظته وذاكرته، فلا تمسك بشيء ولا يستحضر أمراً ولا يربط بين الأحداث

(١) عبد العزيز محمد عبد الحميد، الإنسان بين الحقائق القرآنية والمعارف الطبية، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٩٥، ص ١٤٦.

(٢) عبد الله اليكري، الغذاء وصحة المجتمع، مرجع سابق، ص ١٣٨.

(٣) سورة الروم، آية ٥٤.

(٤) محمد شريم، الشيخوخة، مرجع سابق، ص ١٢٥-١٢٩.

والتجارب برابط ولا تؤدي في حسه ووعيه إلى نتيجة^(١)، يقول سبحانه: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمْرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾^(٢).

فعدد خلايا المخ يقل بتقدم العمر وتضعف القدرات الذهنية، فيفقد المسن القدرة على تذكر الأحداث القريبة بينما يظل محتفظاً إلى حد ما بالأحداث البعيدة مدة أطول، ثم يبطؤ التفكير وتقل القدرة على الإنجاز^(٣).

فالدماع في عمله على العكس من الآلة الميكانيكية تماماً، فهو أشبه ما يكون بالعضلة البدنية، فالعضلة تنمو وتقوى بالممارسة، وتضعف وتضمحل عند عدم الاستعمال، وكذلك الحال في العقل الإنساني فإنه يبقى محتفظاً بحيويته وشبابه إذا تم استخدامه في أنشطة جديدة ومناسبة ومنسجمة، وبالعكس فإن عدم استخدام الدماغ في عمليات عقلية مناسبة يؤدي إلى الهرم والشيخوخة، وبالرغم من أن القوى العقلية للإنسان تضعف في مرحلة الشيخوخة، إلا أن اعتياد الإنسان على ممارسة الأعمال والتمارين الرياضية المناسبة يمكنه من البقاء فترة أطول يتمتع بحيوية الشباب ونشاطه^(٤).

وفي هذه المرحلة يتدنى التفكير وتقل حدة الذاكرة ويضعف الانتباه، ويتدنى التحصيل ويصعب التعليم، ويقول سبحانه: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمْرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾^(٥).

فالأرذل هو الرداءة في صفات الأشياء، فأرذل العمر هو حال البدن، وضعف العقل، فيصير غير قابل لعلم ما لم يعلمه لأنه بطيء التعلم أو أنه يتعلم ثم يسرع في النسيان^(٦). وهي حالة الهرم التي تعود النبي ﷺ منها يقول ﷺ: "اللهم إني أعوذ بك من الكسل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك من الهرم وأعوذ بك من البخل"^(٧). يقول الحافظ القرطبي: "والهرم المتعوز منه: هو المعبر عنه في الحديث الآخر: بأرذل العمر، وهو ضعف القوى، واختلال الحواس، والعقل الذي يعود الكبير بسببه إلى أسوأ من حال الصغير...."^(٨).

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٤/٢٤١٠.

(٢) سورة النحل، آية ٧٠.

(٣) عبد العزيز محمد عبد الحميد، الإنسان بين الحقائق القرآنية والمعارف الطبية، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٩٥، ص ١٤٩.

(٤) محسن الدلفي، الإنسان عبر الحياة وفي مواجهة الموت، عمان، الأردن، دار الفرقان، ط١، ٢٠٠١، ص ٢١٧.

(٥) سورة الحج، آية ٥.

(٦) محمد الظاهر، ابن عاشور، التحرير والتوير، مرجع سابق، ١٣/١٧٠.

(٧) رواه البخاري صحيح البخاري، ج ٥، ص ٢٣٤٣، حديث رقم (٦٠١٠).

(٨) أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، أبو العباس (٦٥٦هـ)، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، بيروت، دار ابن كثير،

ط٢، ١٩٩٩م، ج ٧، ص ٣٤.

يقول صاحب الظلال: "وأما من يرد إلى أرذل العمر فهو صفحة مفتوحة للتدبير، ما تزال، فبعد العلم وبعد الرشد، وبعد الوعي وبعد الاكتمال....، إذا هو يرتد طفلاً، طفلاً في عواطفه وانفعالاته، طفلاً في وعيه ومعلوماته، طفلاً في تقديره وتبويره، وطفلاً أقل شيء يرضيه، وأقل شيء يبكيه، طفلاً في حافظته فلا تمسك شيئاً، طفلاً في أخذه الأحداث والتجارب فرادى لا يربط بينها رابط ولا تؤدي إلى حسه ووعيه نتيجة لأنه ينسى أولهما قبل أن يأتي آخرهما....^(١).

وضعف العقل يكون بمراتب بحسب توغله في أرذل العمر فمن نسيان الأشياء ثم اختلاط المعلومات بعضها ببعض وأخيراً انعدام قبول شيء من العلم^(٢)، فأرذل العمر هو أذله وأدونه وهي حالة الهرم وفي مقداره من السنين ثلاثة أقوال، أحدهما خمس وسبعون، والثاني تسعون، والثالث ثمانون^(٣)، وقيل الذي ينقص قوته وعقله ويصير إلى الخرف، وقال ابن عباس أسفل العمر يصير كالصبي الذي لا عقل له وقيل هذا لا يكون للمؤمن^(٤) وروى ابن أبي حاتم من طريق السري قال: أرذل العمر هو الخرف^(٥).

وقد تكون هذه المرحلة هي فترة نضوج علمي، نتيجة الممارسة والخبرة وأن الفرد خلالها يملك محصلة خبرات كثيرة، إضافة إلى الاتزان العقلي الذي يتمتع به، وقد ثبت أن هذه الفترة من العمر هي قمة الإنتاج العلمي والإبداع، وهي مرحلة القيادات في شتى مجالات الحياة العلمية والسياسية والعسكرية، لأنها تمثل أوجه ما يمكن أن يصل إليه الفرد في العلم والخبرة والحكمة. لذا نرى أن ابن الجوزي يدعو في هذه السن إلى ممارسة التعليم والاهتمام بالتصنيف والتأليف والتعليم والتعلم خلال هذه الفترة^(٦).

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٢٤١/٤.

(٢) محمد الطاهر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ١٤٧/١٧.

(٣) عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، بيروت، لبنان، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٩٨٤، ٤٦٧/٤.

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ١٤٠/٥-١٤١.

(٥) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢هـ، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٤.

(٦) حسن إبراهيم عبد العال، التربية والشيخوخة دراسة لأبعاد التربية لظاهرة الشيخوخة في فكر الإمام ابن الجوزي، رسالة الخليج العربي، عدد ٤٨، ١٩٩٣، ص ٤٥.

الفرع الثالث - النمو الجنسي

تتميز هذه المرحلة بضعف الشعور بالقوة الجنسية وما يتصل به قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنِي يَكُونُ لِي غُلْمٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾ (١) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا (١)، ويقول سبحانه: ﴿ وَأَمْرَأَتُهُ قَابِئَةُ فَضَحِكْتُمْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ (٢) قَالَتْ يَتُوبَلَىٰ أَأُلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (٢). ويستطيع الشيخ أن يملك نفسه في أوقات الإثارة بينما لا يستطيع الشاب ذلك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن المباشرة للصائم فرخص له، وأتاه آخر فسأله عنها، فإذا الذي رخص له شيخ والذي نهاه شاب (٣).
ففي هذه المرحلة تضعف قدرة الفرد على ممارسة الجنس إذا ما قورنت بسن الشباب لذا ينصح ابن الجوزي في هذه السن بترك النكاح، يقول: "أما الشيخ فترك النكاح لازم له، خصوصاً إذا زاد علو السن، لأنه ينفق من الجوهر الذي لا يحصل مثله أبداً" (٤).

وابن الجوزي لا يمنع من الاتصال الجنسي البتة، فيرى أنه إذا شعر الشيخ بالميل الشديد إلى الوقاع وأحس بالقدرة عليه، فإن عليه أن يواقع حتى لا يؤذيه احتباس المني، يقول: "للنفس ذخائر في البدن، منها: الدم والمني، وأشياء تتقوى بها فإذا فقدت الذخائر ولم يبق منها شيء ذهبت.... فاجتهد في حفظ ذخائرها وخصوصاً الشيخ، فإنه لا ينبغي له أن يفرح بإخراج الدم، ولا إخراج المني وإن وجد شيئاً، إلا أن يكون الشبق زائداً في الحد، فيخرج المؤذي في كل حين، وعلامة أن يكون مؤذياً وجود الراحة عند خروجه، فمتى وجد ضعفاً فقد أذى خروجه" (٥).

ويؤكد ابن الجوزي أن ضعف النشاط الجنسي في هذه المرحلة ليس بالضرورة أن يصحبه ضعف في الرغبة أو الميل، ويستدل على ذلك ببعض الأسئلة والشكاوي التي وجهت إليه لجيب عنها، يقول: "شكا لي بعض الأشياخ: قد علت سني، وضعفت قوتي، ونفسي تطلب مني شراء الجوارى الصغار، ومعلوم أنهم يردن النكاح، وليس في، ولا تقنع مني النفس بربة البيت إذا كبرت...." (٦).

(١) سورة مريم، آية ٨-٩.

(٢) سورة هود، آية ٧١-٧٢.

(٣) رواه النسائي، السنن الكبرى، ج ٥، ص ٣٠٢، حديث رقم (٨٩٣٩)، صححه الألباني، انظر: صحيح الترغيب والترهيب، حديث رقم (١٢٨٢).

(٤) عبد الرحمن ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، صيد الخاطر، عمان، الأردن: دار الإساءة، ط ١، ٢٠٠٥م، ص ١٧٤.

(٥) عبد الرحمن ابن الجوزي، صيد الخاطر، مرجع سابق، ص ٢٦٢.

(٦) المرجع السابق، ص ٢٣٧.

الفرع الرابع - النمو الديني

تسقط بعض التكاليف الشرعية عن الإنسان في هذه المرحلة أو يجوز له توكيل غيره أو لبعضها بدائل بها، يدل على هذا ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما، قال: جاءت امرأة من خثعم فقالت: يا رسول الله، إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يثبت على الراحلة، أفأحج عنه، قال: نعم، وذلك في حجة الوداع^(١). وفي الصوم روى البخاري عن عطاء أنه سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقرأ: وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين، قال ابن عباس ليست بمنسوخة، هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما، فيطعمان مكان كل يوم مسكيناً^(٢).

يصف ابن الجوزي هذه المرحلة بأنها مرحلة اليقظة الدينية والالتجاء إلى الله عزوجل، فهو يجد في الالتجاء إلى الله عزوجل سكينه النفس ورضى يعمر القلب، خصوصاً إذا شعر بانصراف الناس عنه في شيخوخته فنراه يحدث نفسه: "أقبل على شأنك متوكلاً على خالقك، فإنه لا يجلب الخير سواه، ولا يعرف سوء إلا إياه، فليكن أنيسك وجليسك وموضع توكلك وشكواك" والشيخ في هذه المرحلة "يسمع المواعظ وتذكر له الآخرة فيعلم صدق القائل، فيبكي وينزعج على تفريطه ويعزم على الاستدراك"^(٣).

وينصح ابن الجوزي الشيخ في هذه المرحلة أن يهئ نفسه للرحيل عن الدنيا، يقول: "من علم قرب الرحيل عن مكة استكثر من الطواف، خصوصاً إن كان لا يؤمل العود لكبر سنه، وضعف قوته، فكذاك ينبغي لمن قاربه ساحل الأجل بعلو سنه أن يبادر اللحظات، وينتظر الهاجم بما يصلح له، فقد كان في قوس الأجل منزع زمان الشباب، واسترخى الوتر في المشيب عن سية القوس، فانهدر إلى القاب، وضعفت القوى، وما بقي إلا الاستلام لمحارب التلّف، والبدار البدار إلى التنظيف ليكون القدوم على طهارة...."^(٤).

ويرى ابن الجوزي أن الاستمرار في الذنب في هذه المرحلة يدل على خلل في الإيمان يقول: "فالويل لمن لم ينهه شيبه عن عيبه، وما ذاك إلا لخلل في إيمانه..."^(٥). ويحذر من عدم عمل العالم بعلمه، وأن هذا سيكون سبب خزيه وعاره يوم القيامة يقول: "وقد يقول الشيخ العالم: علمي يدفع عني، وينس أن علمه حجة عليه..."^(٦).

(١) رواه البخاري، صحيح البخاري، ج٢، ص ٦٥٧، حديث ١٧٥٥.

(٢) رواه البخاري، صحيح البخاري، ج٤، ص ١٦٣٨، حديث ٤٢٣٥.

(٣) حسن إبراهيم عبد العال، للتربية والشيخوخة، مرجع سابق، ص ٣٨.

(٤) عبد الرحمن بن الجوزي، صيد الخاطر، مرجع سابق، ص ٢١٠.

(٥) عبد الرحمن بن الجوزي، تنبيه النائم الغمر، مرجع سابق، ص ١١٦.

(٦) المرجع السابق، ص ١١٦.

وأخيراً يلحظ الباحث قلة الدراسات التي توجهت نحو مرحلة الشيخوخة للوقوف على خصائصها ومتطلباتها في الدراسات التربوية الحديثة، وأقل منها وأندر تلك التي حاولت سبر أغوارها في تراثنا الإسلامي بحثاً عن أبعاد هذه المرحلة، وكأن الخوف من ليل الشيخوخة البارد وما تنذر به هذه المرحلة من انحدار وضعف وقصور وعجز قد دفع الباحثين إلى تناسيها^(١).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

(١) حسن إبراهيم عبد العال، التربية والشيخوخة، مرجع سابق، ص ١٥.

الفصل الثالث

توجيهات النمو الإنساني ومبادئه وخصائصه

والعوامل المؤثرة فيه من منظور إسلامي

المبحث الأول - توجيهات النمو الإنساني من منظور إسلامي

المبحث الثاني - مبادئ النمو الإنساني وخصائصه من منظور إسلامي

المبحث الثالث - العوامل المؤثرة في النمو الإنساني من منظور إسلامي

المبحث الأول- توجيهات النمو الإنساني من منظور إسلامي

يشمل المبحث خمسة مطالب: المطلب الأول- توجيهات النمو السديني، والمطلب الثاني- توجيهات النمو الجسدي، والمطلب الثالث- توجيهات النمو العقلي، والمطلب الرابع- توجيهات النمو النفسي، والمطلب الخامس- توجيهات النمو الأخلاقي والاجتماعي

تمهيد

المقصود بتوجيهات النمو الإنساني، الأصول التي يُستند إليها لإحداث التغييرات في الجوانب الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية والأخلاقية والاجتماعية، خلال مراحل النمو التي يمر بها الإنسان.

المطلب الأول- توجيهات النمو الديني

النمو الديني هو غرس الإيمان والتوحيد في نفس الإنسان والسمو به وتوجيهه على أساس من المبادئ والقيم الإسلامية، وتنشئته على حب الله تعالى وحب رسوله، ولوالدين الدور البالغ والفاصل في النمو الديني للفرد، بدلالة قوله ﷺ: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه...." (١).

فها هي أم مريم عليها السلام تتاجي ربه داعية إياه بحفظ نريتها من شر الشيطان، يقول سبحانه: ﴿ إِذْ قَالَتْ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَدَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١٢٨﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَنْمَرُمُ أَيُّ لِكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٢٩﴾

فالطفل الذي ينشأ في بيت تتفتح فيه أذناه وعينه من صغره على أبيوين وأهل يعظمون دينهم ويحافظون على الصلاة، ويعظم فيه كتاب الله، ويسمع ويقرأ كل يوم، وتحترم فيه آداب الإسلام وتعاليمه ويحافظ فيه على سنة الرسول ﷺ في كل أمر، لهو من أعظم البيوت التي تؤسس النمو الديني لأفرادها، وهنا لابد من الإشارة إلى أمرين: الأول- أن تربية الطفل على

(١) رواه البخاري، صحيح البخاري، ج ١، ص ٤٥٧، حديث (١٢٩٣).

(٢) سورة آل عمران، آية ٣٥.

احترام القيم الدينية تشكل له وقاية وحماية في مراحل عمره المختلفة من الانزلاقات الفكرية الحادة، وذلك لأن ضعف الجانب الديني وهشاشة التربية الإسلامية في نفس الإنسان تجعله متقبلاً لكل ما يأتي من هنا وهناك، والثاني - أن رب الأسرة إذا أراد أن يربي أسرته على الدين فما عليه إلا أن يبدأ بنفسه، لأن لرب الأسرة المكانة الأولى في نفوس أهل بيته، وفيما يلي عرض لبعض توجيهات النمو الديني للأفراد:

١ - إيقاظ فطرة التدين:

إن الله سبحانه وتعالى زود الإنسان بالفطرة الصافية النقية منذ مولده، يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١).

فالفطرة "بصيرة طبيعية ثابتة في جوهرها، يولد المرء مزوداً بها لتتزعج به نحو الخير في صورته الكلية المجملة (توحيد الله عزوجل) ويمثل جوانبها الروحية والعقلية والنفسية نظام متكامل الحلقات"^(٢).

فعلى الوالدين والمربين استغلال كل فرصة ومناسبة كما كان يفعل النبي ﷺ من أجل إيقاظ الفطرة نحو الإيمان بالله سبحانه وتعالى ومعرفة الخير وتجنب الشر، وقد يكون إيقاظ الفطرة عن طريق تعريف الإنسان الكبير أو الطفل الصغير بنعم الله سبحانه وتعالى على الإنسان وما في حياة الإنسان من الفضائل وأنواع الطيبات من الله تعالى، وذلك ليقع في نفسه تعظيم الله سبحانه، فالإنسان بطبعه يميل إلى من يكرمه ويحسن إليه، فيحس نحوه بواجب الشكر والاعتراف بالجميل، وفي النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة شواهد عظيمة تدل على كثرة نعم الله سبحانه وتعالى على الإنسان^(٣)، يقول سبحانه وتعالى:

﴿الْمَرُّ تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ

وَبَاطِنَهُ﴾^(٤)، ويقول سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا

مِنْهُ حَبْلَءَ تَلَبُّسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ مَوَآخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٥).

(١) سورة الروم، آية ٣٠.

(٢) أحمد محمد الدغشي، الأساس الفطري في التربية الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، كلية الشريعة،

١٩٩٥م، ص ١٢.

(٣) عنان باحارث، مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة، مرجع سابق، ص ١٠٥-١٠٧.

(٤) سورة لقمان، آية ٢٠.

(٥) سورة النحل، آية ١٤.

٢- تعليم الأطفال القرآن الكريم

إن تعليم الأطفال القرآن الكريم من أهم أسس النمو الديني للإنسان، ولعل أهم مقاصد تعليم القرآن هداية الناس إلى الله تعالى بإخراجهم من ظلمات الجاهلية إلى نور الإيمان والطاعة، وإيجاد الشخصية القرآنية المتكاملة المتوازنة.

فربط قلب الطفل بالقرآن وفتح عينيه على آياته منذ صغره هو السبيل الأمثل لتتميمته دينياً، فهو بهذا لن يعتقد سوى مبادئه ولن يعرف تشريعاً سوى تشريعه، ولن يجد بلسماً لروحه وشفاءً لنفسه سوى تلاوة آيات القرآن فعندئذ سوف يصل الوالد إلى غايته المرجوة في ولده وإعداده إعداداً إيمانياً سليماً^(١).

٣- تعليم الطفل العبادات

أمر الإسلام المسلم بأداء مجموعة من العبادات، وحتى يتمكن من أداء هذه العبادات لا بد له من اعتياد أدائها منذ الصغر، وهذا ما وجه إليه النبي ﷺ من ضرورة تعويد الطفل أداء العبادة حتى يسهل عليه أدائها في المراحل التالية، وأولى هذه العبادات بالتعلم عبادة الصلاة، فقد حث النبي ﷺ على البدء بتعليم الطفل بالصلاة وأمره بها وهو في سن السابعة، يقول ﷺ: "مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين..."^(٢)، وكذلك يعلم الطفل سائر العبادات.

٤- تعليق قلب الطفل بالله سبحانه وتعالى وتنشئته على ذلك

يكون تعلق الطفل بالله عن طريق تفتيح البصيرة على قدرة الله المعجزة في كل شيء: في الدقيق والكبير، والنبته الشجرة، فما يملك القلب إلا أن يخشع ويتعلق بصاحب العظمة فيقوى في نفسه تقوى الله سبحانه وتعالى ومراقبته ويزداد التعلق به، ويكون التعلق بإدامة تذكير الإنسان بأن الله سبحانه وتعالى يراقبه ويراه ويعلم سره ونجواه، يقول سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾^(٣).

وقد كان النبي ﷺ يعلق قلوب أصحابه وعقولهم بالله سبحانه وتعالى، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال: "يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله....."^(٤).

(١) حنان عطية الجهني، الدور التربوي للوالدين في تنشئة الفتاة المسلمة، مرجع سابق، ٣٢/١.

(٢) رواه أبو داود، سنن أبي داود، ج ١، ص ١٢٣، حديث (٤٩٤)، صححه الألباني.

(٣) سورة آل عمران، آية ٥.

(٤) حنان الجهني، الدور التربوي للوالدين، مرجع سابق، ٣٨/١.

(٥) رواه الترمذي، سنن الترمذي، ج ٤، ص ٦٦٧، حديث (٢٥١٦)، قال: حديث حسن صحيح، صححه الألباني.

وثمة أسس عدة تسهم في النمو الديني للأفراد منها ترسيخ حب النبي ﷺ في قلب الطفل، وكذلك مبيت الطفل عند أقاربه الصالحين فيتأثر بعبادتهم وسلوكهم كما كان يفعل ابن عباس رضي الله عنهما عندما يبيت في بيت خالته ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها زوج النبي ﷺ، وتعليم الإنسان أحكام الحلال والحرام فلا يقدم على أمر إلا إذا تأكد من مشروعيته. ومما ينمي النمو الديني (الروحي) في نفس الإنسان حضور مجالس العلم والاستماع إلى أخبار الصحابة والصالحين واختيار الرفقة الصالحة، واستشعار الرقابة الإلهية للإنسان في كل أحواله، يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَبْنِيْ إِيَّاهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ حَرْدَلٍ فَمَتَّكُنْ فِيْ صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾^(١). واستحضار النية الصادقة في كل عمل من الأعمال سواء أعمال الدنيا أو الآخرة من أعمال القلوب والجوارح، كل هذا يسهم في النمو الديني للفرد، ولا تفوت الباحث الإشارة إلى حقيقة محاسبة النفس ومجاهدتها قبل وبعد الأعمال التي يؤديها الإنسان وبعدها، وأثرها في النمو الديني، إضافة إلى دور مجتمع الرفاق، يقول سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾^(٢) يَتَوَلَّيْتُ لَيْتَنِي لَمَّا أَخَذْتُ فَلَانًا حَلِيلًا^(٣).

المطلب الثاني - توجيهات النمو الجسمي

النمو الجسدي هو "التطورات التي تطرأ على ملامح الجسم الظاهرة، في الطول والوزن، ونمو الأجهزة الداخلية والتغيرات في النسب المختلفة لنمو الأعضاء والهيكل العظمي والجهاز العصبي"^(٤).

وقد اهتم الإسلام بالنمو الجسمي عند الإنسان، ووضع الأسس التي تكفل النمو الجسمي بشكل سليم وقوي، ومن الملاحظ أن الهدف من وراء هذا الاهتمام بالجانب الجسمي هو هدف إيماني أخلاقي في الدرجة الأولى، فالجسم السليم القوي أقدر على تأدية الأمانة التي أوكل الله تعالى إلى الإنسان القيام بها من الجسم الضعيف الهزيل^(٥).

فلم يعتن دين بصحة الجسم الإنساني ونموه ولا شريعة، كاهتمام الإسلام بنموه والمحافظة عليه، فقد أقر ﷺ أن لبدن الإنسان عليه حقاً، فقال: "فإن لجسدك عليك حقاً....."^(٥). والأحكام الإسلامية قائمة على أساس حفظ الجسم ونموه وسلامته، وأن سبب تحريم كثير من

(١) سورة لقمان، آية ١٦.

(٢) سورة الفرقان، آية ٢٧-٢٨.

(٣) محمود عقل، النمو الإنساني، مرجع سابق، ص ٣٣.

(٤) شفيق علاونة، خصائص المتعلم من وجهة نظر إسلامية، في بحوث المؤتمر التربوي، مرجع سابق، ٣٦١/١.

(٥) رواه البخاري، صحيح البخاري، ج ٢، ص ٦٩٧، طرف حديث (١٨٧٤).

الأمر هو ضررها على البدن، فكل ما في استعماله ضرر على جسم الإنسان سيصبح حراماً، وفيما يلي عرض لبعض توجيهات النمو الجسدي في الإسلام.

١- التزام قواعد الإسلام في الطعام والشراب والنظافة؛ لأن التزام القواعد الإسلامية يحقق للإنسان النمو الجسمي السليم.

٢- منح الجسم الوقت الكافي من الراحة حتى يجدد نشاطه وطاقته ولا يتأثر نموه بما يحصل من التعب والإرهاق.

٣- وقاية الجسم من الأمراض، والعمل على علاج الأمراض التي تصيب الجسم كون الأمراض تسبب للإنسان تراجعاً في النمو الجسدي، وتؤثر في المظاهر النمائية الأخرى.

٤- قيام الإنسان بالعبادات المطلوبة بقدر استطاعته، لأن العبادات تؤثر في البناء الجسمي للإنسان، وتؤثر في المظاهر النمائية الأخرى.

٥- الحث على ممارسة الرياضات المختلفة

إن ممارسة الرياضات المختلفة له أثر بالغ في النمو الجسمي السليم للإنسان، وخاصة في مراحل حياة الإنسان الأولى، فأعضاء الجسم وعضلاته تحتاج إلى حركة وترويض، لذا حث النبي ﷺ على كثير من الرياضات، وكان ﷺ يجري المسابقات بين الأطفال، فعن عبدالله بن الحارث ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يصف عبدالله وعبيد الله وكثير من بني العباس رضي الله عنهم، ثم يقول "من سبق إلي فله كذا وكذا"، قال: فيسبقون إليه فيعقون على ظهره وصدرة فيقبلهم ويلتزمهم^(١).

والحديث عن ممارسة الرياضات المختلفة يقود للحديث عن اللعب الذي يعدّه كثير من الآباء والأمهات مضيعة للوقت وإهداراً للزمن ويسعون ليل نهار ليمنعوا أطفالهم منه لأنه - في نظرهم - لا فائدة فيه، وقد أظهرت الدراسات الحديثة أن اللعب إسهامات واضحة في نمو الأطفال فهو نشاط يعبر عن ميول الطفل، ويكشف من خلاله عن قدراته، ويطور مهاراته وإمكاناته العقلية وكذلك قيمه الاجتماعية^(٢).

(١) رواه أحمد، المسند، ج ١، ص ٢١٤، حديث رقم (١٨٢٦)، ضعفه شعيب الأرنؤوط.

(٢) محمود عقل، النمو الإنساني، مرجع سابق، ص ٢٣٦.

فاللعب يعدّ مدخلاً أساسياً لنمو الطفل عقلياً واجتماعياً وانفعالياً وجسدياً، خاصة إذا أدرك المربون أن اللعب يمكن استثماره بشكل جيد لنمو الشخصية المتكامل السوي، وهذا ما كان يفعله الرسول ﷺ.

المطلب الثالث - توجيهات النمو العقلي

العقل قوة مدركة في الإنسان تميزه عن غيره من الكائنات الأخرى، وتجعل منه مخلوقاً مسؤولاً عن أعماله، على أساس الإدراك والتمييز بين الحق والباطل والخير والشر، والحسن والقبیح^(١)، أما النمو العقلي فهو مجموعة التغيرات التي تطرأ على العمليات العقلية كالإدراك والتخيل والتفكير والتعليل والقدرات العقلية كالذكاء والقدرات الخاصة الأخرى^(٢).
لم يذكر القرآن الكريم العقل بذاته، وإنما أشار إلى العمليات العقلية التي تتم، بوساطته من تعقل وتفكر وتدبر وتذكر، وقد وردت هذه الألفاظ كثيراً في القرآن الكريم، وهو بهذا يدعو إلى تنمية العقل بطريقة منظمة حتى يكتسب الإنسان القدرات العقلية اللازمة التي تجعله يميز بين الأمور.

يقوم النمو العقلي على مجموعة من الأسس والقواعد التي يجب على الوالدين مراعاتها حتى ينشأ الفرد وينمو نمواً سليماً خالياً من النقص والعيوب، سليم الفكر والتفكير، قوي الإرادة، وفيما يلي عرض لبعض توجيهات النمو العقلي من منظور إسلامي.

١- تعلم القراءة والكتابة

إن القراءة والكتابة مفتاح الدخول إلى مختلف العلوم التي تبني العقل وتوجهه إلى الطريق المستقيم، ولا يمكن للإنسان أن يتقن العلم إلا إذا تعلم أدواته وهي القراءة والكتابة فمفتاح العلم القراءة والكتابة فهما أساس بناء العقل، وما نبغ النابغون من العلماء إلا بتلك الهمة العالية في القراءة والاطلاع، ومن الدلائل التي تدل على اهتمام النبي ﷺ بالقراءة والكتابة فداء بعض أسرى بدر بتعليم أولاد الأنصار الكتابة، عن ابن عباس ؓ قال: "كان ناس من الأسارى يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة"^(٣).
كما أن النبي ﷺ كلف الشفاء بنت عبدالله بن عبد شمس من بني عدي أن تعلم الكتابة لأُم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنها، فعنها قالت: دخل علينا النبي ﷺ، وأنا عند حفصة رضي الله عنها فقال لي ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة"^(٤).

(١) أحمد الدغشي، نظرية المعرفة في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص ٥٤١.

(٢) محمود عقل، النمو الإنساني، مرجع سابق، ص ٣٤.

(٣) رواه أحمد، المسند، ج ١، ص ٢٤٧، حديث رقم (٢٢١٦)، حسنه شعيب الأرنؤوط.

(٤) رواه أبو داود، سنن أبي داود، ج ٤، ص ١١، حديث رقم (٣٨٨٧)، صححه الألباني.

ولشرف القراءة وجلال قدرها، وخطورة دورها في نمو العقل الإنساني وتقدمه، كان أول ما نزل معلناً على البشرية كلها مستفتحاً بلفظ "اقرأ" (١).

٢ - حفظ القرآن الكريم وقراءته

الإقبال على حفظ القرآن الكريم وقراءته وخاصة في المراحل الأولى من حياة الإنسان، ينمي المهارات العقلية المتعلقة بحسن التعبير ودقة الملاحظة والتفكير واتباع أسلوب الإقناع، وتكوين العقلية العلمية التي يشكل البرهان أحد نتائجها المباشرة، يقول سبحانه: ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٢)، ويكون الفقه الكوني والمقاصدي الذي يمثل جماع الوظائف العقلية (٣).

٣ - تحرير العقل من قيود التقليد والانسياق وراء كل أمر

إن تحرير العقل من قيود التقليد والانسياق وراء كل أمر، يؤدي إلى الفهم واتخاذ المواقف والاتجاهات بناء على إدراك الأمور، ويعود الإنسان ممارسة الاجتهاد - أي التفكير فيما يعرض عليه من أمور - والاجتهاد يكون فيما فيه نص؛ بفهم النص والوصول إلى مراد الله تعالى وكذلك فيما لا نص فيه.

وكان النبي ﷺ يحث الصحابة على التفكير والإدراك والاستنباط، فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: أخبروني بشجرة مثلها مثل المسلم؛ تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، ولا تحت ورقها، فوقع في نفسي النخلة فكرهت أن أتكلم...." (٤).

٤ - الدعوة إلى التأمل والنظر في الكون

إن من أهم الأسس التي يقوم عليها النمو العقلي والنظر والتأمل، في بديع صنع الله تعالى، ونمو العقل إنما يتحقق بالنظر العلمي لا الخرافي، والمنهج العلمي في النظر بعد الحواس مدخلاً وطريقاً للوصول إلى الأشياء التي يتعامل معها العقل، ومن هنا نجد القرآن الكريم قد أسقط صفة الإنسانية عن الذين عطلوا عقولهم، يقول سبحانه: ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (٥).

(١) عبد الحميد الزنتاني، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، مرجع سابق، ص ٤٨٨.

(٢) سورة البقرة، آية ١١١.

(٣) أحمد الدغشي، نظرية المعرفة في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص ٢٥١.

(٤) رواه البخاري، صحيح البخاري، ج ٥، ص ٢٢٧٥، حديث رقم (٥٧٩٢).

(٥) سورة الأنفال، آية ٢٢.

فالتأمل والتدبر يجعلان الإنسان دائم الانتباه والتفكير والتحليل والتخيل بما يتأمله ويتدبره، وهذه مما توصله إلى معرفة حقائق الأمور؛ ومن الحقائق التي يمكن أن يتوصل إليها العقل حقيقة أن هذا الكون لم يوجد مصادفة، يقول سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾^(١).

٥- استخدام وسائل الإيضاح المختلفة

إن استخدام وسائل الإيضاح له أثر كبير في العمليات العقلية المختلفة، فله أثر في الانتباه والتذكر والتخيل والإدراك، وكل هذه العمليات تسهم في النمو العقلي للإنسان، وقد كان النبي ﷺ يستخدم وسائل الإيضاح في التعامل مع الصحابة رضوان الله عليهم، منها الإشارة بالأصابع واستخدام الحصى والعصى، والرسم على الأرض، بهدف تقريب المعاني لأذهان الصحابة رضوان الله عليهم وعقولهم، فعن انس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: "من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو وضم أصابعه"^(٢)، وعن بريدة ﷺ قال: "قال النبي ﷺ هل تدرون ما هذه وهذه؟ ورمى بحصاتين هذا الأمل وذاك الأجل"^(٣).

المطلب الرابع: توجيهات النمو النفسي

يلحظ المطلع على السيرة النبوية للرسول ﷺ بوضوح اهتمامه الواسع بالبناء النفسي للإنسان، ولاسيما في مراحل حياته الأولى، فقد كان ﷺ يهتم بالأطفال، ويفيض عليهم من حبه وحنانه، فيقبلهم ويحتضنهم ويداعبهم ويسأل عنهم ويحسن استقبالهم ويسر لرؤيتهم ويمسح على رؤوسهم ويضع يده الشريفة على خدودهم ويرفع يده المباركة داعياً لهم، ويضعهم في حجره ويصبر عليهم ويستمع إلى أحاديثهم.

ولا يفوت الباحث أن يشير إلى أن الباحثين قد استخدموا ألفاظاً مختلفة للإشارة إلى النمو النفسي منها، والنمو الوجداني، والنمو العاطفي، النمو الانفعالي، التي تشير بمجموعها إلى غرس ثقة الإنسان بنفسه وحمايته من كل ما يشعره بالنقص، أو يكون سبباً أو دافعاً للآخرين للسخرية أو الاستهزاء به، وتلعب الأسرة الدور الرئيس في البناء العاطفي والنفسي للإنسان لاسيما في طفولته، فمعاملة الطفل بعطف وحنان وإظهار الحب له بالمداعبة والرعاية مما يسهم في بناء الطفل ونموه نفسياً سليماً. وفيما يلي عرض لأهم توجيهات النمو النفسي وخاصة في مرحلة الطفولة التي تؤثر في المراحل اللاحقة.

١- العطف والحنان في التعامل مع الأطفال وإدخال السرور إلى نفوسهم

(١) سورة الحجر، آية ٨٥.

(٢) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج٤، ص ٢٠٢٧، حديث رقم (٢٦٣١).

(٣) رواه الترمذي، سنن الترمذي، ج٥، ص ١٥٢، حديث رقم (٢٨٧٠)، قال: حديث حسن غريب، صححه الألباني.

إن التعامل مع الطفل بعطف وحنان وإدخال السرور إلى نفسه يؤثر في نفسيته تأثيراً قوياً وعجيباً، يورث الانطلاق والحيوية في نفس الطفل ويجعله على أتم استعداد لتلقي الأوامر والملاحظات، ومعاملة الأطفال بعيداً عن العطف والحنان ومصادرة حقهم في الرعاية والعطف يجعلهم عرضة للأمراض النفسية في مستقبل حياتهم وأيامهم.

لقد تعددت صور العطف والحنان في سيرة النبي ﷺ، ومن هذه الصور: تقديم الهدايا للأطفال، فتقديم الهدايا له أثر بالغ في النفس البشرية عامة وفي نفوس الأطفال خاصة، فعن عائشة رضي الله عنها. قالت: قدمت على النبي ﷺ حلية من عند النجاشي أهداها له، فيها خاتم من ذهب، فيه فص حبشي، قالت: فأخذ رسول الله ﷺ يعود معرضاً عنه أو ببعض أصابعه ثم دعا أمامه بنت أبي العاص ابنة زينب فقال: تحلي بهذا يا بنية^(١).

ومن صور العطف على الطفل الدعاء له وتجنب الدعاء عليه، فقد حذر النبي ﷺ من الدعاء على الأولاد، لأن ذلك يسبب الأذى النفسي والاجتماعي للأطفال، يقول ﷺ: "لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على خدمكم...."^(٢).

وقد كان النبي ﷺ يداعب الصغار تارة بالركض، وأخرى بالحمل، وثالثة بتصغير الاسم ورابعة بالمضاحكة، فكان يلعب أحفاده وأبناء الصحابة ويروح عن نفوسهم ويدخل السرور عليهم "فالطفل الذي يتلقى مقداراً كافياً من العطف والحب، والرحمة من أبويه ويرتوي من ينبوع الحب، يملك روحاً غضة ونشطة ولا يشعر بالحرمان، ولا يصاب بالعدو النفسية، وتتفتح له أزاهير الفضائل في قلبه، ويتشأ إنساناً عطوفاً يحب الجميع ويبادلهم الودّ والمحبة، فالتعامل مع الأطفال بمحبة وإيجابية ولطف ولين مع احترامهم وتقديرهم يساهم كل ذلك في تفتح شخصياتهم وتنمية قدراتهم الإبداعية... فهم يحتاجون إلى بناء شخصيتهم وإشعارهم بالاهتمام وهذا بلا شك يترك أثراً حسناً في نفوسهم، ويعودهم على الثقة بالنفس ويربي فيهم العزة والأنفة وحب الغير والتأخي...."^(٣).

٢- العدل بين الأطفال

إن العدل من أرفع الفضائل الخلقية وهو من صفات الحق سبحانه وتعالى، التي أمر عباده بالتحلي بها، يقول سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(٤)، والسنة النبوية تزخر بالأمثلة الدالة على وجوب العدل، فعن النعمان بن بشير ﷺ أن أباه أتى به رسول الله ﷺ

(١) رواه أبو داود، سنن أبي داود، ج ٢، ص ١٢٠٢، حديث رقم (٣٦٤٤)، حسنه الألباني.

(٢) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ٤، ص ٢٣٠٥، حديث رقم (٣٠٠٩).

(٣) سهام جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية، مرجع سابق، ص ٤٦١.

(٤) سورة النحل، آية ٩٠.

فَقَالَ: إِنِّي نَحَلْتُ ابْنِي هَذَا غُلَامًا كَانَ لِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَكُلْ وَلَدَكَ نَحْلَهُ مِثْلَ هَذَا! فَقَالَ لَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "فَارْجِعْهُ"^(١).

إن عدم العدل بين الأبناء يوقظ فيهم مشاعر القلق والاضطراب، والطفل القلق يحس دوماً بالعذاب النفسي، الأمر الذي يؤدي إلى العديد من الأمراض النفسية وعدم التوافق بين الطفل ومحيطه، فشعور الطفل بأن أحد والديه يميل إلى أخيه ويكرمه ويدلله سيقود هذا الطفل إلى شراسة لا يقوى عليها الأبوان، فإخوة يوسف لما علموا ما في قلب يعقوب ﷺ من محبة ليوسف وميل إليه رموا أباهم بالخطأ يقول سبحانه: ﴿ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا أَيْبَانًا مِّنَّا وَخَنَّ عَصَبَهُ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾^(٢). فالمساواة بين الأبناء إحدى الأسس المهمة في النمو النفسي للأطفال، فغياب العدالة والمساواة يسبب كثيراً من الأمراض النفسية، وقد نبه النبي ﷺ على أهمية العدالة في كل أمر يتعلق بالأطفال، فعن أنس ﷺ "أن رجلاً كان عند النبي ﷺ، فجاء ابن له فقبله وأجلسه على فخذه، وجاءت بنت له فأجلسها بين يديه فقال رسول الله ﷺ "ألا سويت بينهم"^(٣).

فتوجيه عاطفة المحبة نحو بعض الأبناء دون بعض، وعقد المقارنات بينهم أمر لا تحمد عقباه، فهو يورث الغيرة والبغض والحقد، فأخر ما يرضي الطفل أن نقارنه بأحد، فهو يطلب أن نعجب به بصفاته هو، فالمقارنة تضعه في حالة تنافس مليئة بالقلق وتجعله حساساً للغاية لأي تفاوت في المعاملة بينه وبين إخوته^(٤).

إن الاهتمام بالطفل الصغير والانتباه إلى كل ما يؤثر في نفسيته ومعاملته معاملة كريمة فيها التقدير والاحترام لذات الصغير أمر مهم في التربية الإسلامية، فالمعتاد عند كثير من الناس إغفال شأن الصغير لصغره، وأنه لا يدرك الأمور، وفي حقيقة الأمر وواقعه أن الطفل الصغير شديد الحساسية، مرهف الشعور لكثير من الأمور التي يغفل عنها ويهملها الكبار، وقد لا يستطيع الصغير التعبير عن إدراكه وشعوره ولكن تلك لا ينفي وجود الإدراك والشعور لديه^(٥).

٣- تنمية ثقة الإنسان بنفسه في مراحل حياته الأولى

اتبع الرسول ﷺ لتنمية ثقة الطفل بنفسه عدداً من الطرائق منها: إشعار الطفل بقيمته الذاتية، واحترام شخصيته، مدحه والثناء عليه، والابتعاد عن كثرة لومه وعتابه، فقد كان

(١) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ٣، ص ١٤٢١، حديث (١٦٢٣).

(٢) سورة يوسف، آية ٨.

(٣) رواه البخاري، الأدب المفرد، ج ١، ص ٤٧، حديث (٩٣).

(٤) دكتور سبوك، حديث إلى الأمهات، مشاكل الآباء في تربية الأبناء، مرجع سابق، ص ١٠٤.

(٥) محمد حسين، العشرة الطيبة، مرجع سابق، ص ٢٨٦.

الرسول ﷺ يبدأ بالسلام على الأطفال احتراماً لهم لإشعارهم بقيمتهم الذاتية وحتى يكون نموهم النفسي سليماً، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يسلم على الصبيان وكان ﷺ يحسن استقبال الأطفال الأمر الذي يبعث شعور الانبساط عند الأطفال ويحل الابتهاج في قلوبهم، ويناقص الخوف لديهم ويشعرهم بالأمان، فيألف الطفل منهم الجو ويزداد ابتهاجاً ومرحاً وتتولد لديه الثقة بالنفس^(١)، فعن عبدالله بن جعفر قال: كان النبي ﷺ "إذا قدم من سفر تلقى بنا، قال فتلقني بي وبالحسين أو الحسين، قال فحمل أحدهما بين يديه والآخر خلفه حتى دخلنا المدينة"^(٢).

إن مما يؤثر في النمو النفسي للطفل استعمال القسوة والشدّة في معاملته، والإكثار من لومه وزجره، فالإسراف في معاملة الطفل بقسوة لا يحقق نمواً نفسياً سليماً للطفل، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: خدمت النبي ﷺ عشر سنين، والله ما قال لي إنا قط ولا قال لشيء لم فعلت كذا وهلا فعلت كذا...^(٣)، بينما يحقق المدح والثناء على الطفل الأثر الفاعل في نموه النفسي، وتنمية ثقته بنفسه، فيحرك مشاعره وأحاسيسه، ويبادر الطفل إلى تصحيح سلوكه، فترتاح نفسه وتزهو بالثناء، يقول ﷺ: "نعم الرجل عبدالله لو كان يقوم من الليل..."^(٤).

٤- ترسيخ عقيدة الإيمان بالله عزوجل

إن ترسيخ الإيمان بالله سبحانه وتعالى والقضاء والقدر يساعد الإنسان على ضبط انفعالاته السلبية كالخوف والقلق والاضطراب، ويبعد عنه الأمراض النفسية كالاكتئاب، فهو لا يخاف على الرزق، لأنه يعلم أن الرزق من الله تعالى، ولا يخاف الموت لأنه يعلم أن العمر مقدر من الله تعالى، فكلما زادت صلة الإنسان بالله سبحانه وتعالى خفت حدة انفعالاته، وهدأت نفسه، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾^(٥).

المطلب الخامس - توجيهات النمو الأخلاقي والاجتماعي

النمو الاجتماعي والأخلاقي يكون عن طريق تعليم الإنسان الآداب الاجتماعية التي تتناسب سنه وقدراته المختلفة وتدريبه عليها، وكذلك غرس القيم والفضائل الأخلاقية في نفس الفرد حتى تصبح له منهاجاً في مراحل حياته المختلفة، فهي عملية تشكيل للسلوك الاجتماعي والأخلاقي، وإعداد الفرد ليكون فرداً صالحاً في المجتمع، يفرق بين حقوقه وواجباته، وهي عملية مستمرة في حياة الإنسان. فالنمو الاجتماعي والأخلاقي "مجموعة التغيرات التي تطرأ

(١) أسامة بدوي، رعاية الإسلام للطفولة جسدياً ونفسياً، مرجع سابق، ص ٢٦٨.

(٢) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج٤، ص ١٨٨٦، حديث رقم (٢٤٢٨).

(٣) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج٤، ص ١٨٠٤، حديث رقم (٢٣٠٩).

(٤) صححه الألباني، انظر: صحيح وضعيف الجامع الصغير، حديث رقم (٦٧٧١).

(٥) سورة الرعد، آية ٢٨.

على الفرد في اتصاله بالبيئة الاجتماعية، وتكسبه العادات والأعراف والقيم والاتجاهات السائدة في المجتمع الذي يعيش فيه، ومع أنه يستطيع أن يكون اتجاهات ويتخذ مواقف خاصة به إلا أنه لا يستطيع إشباعها إلا في إطار التراث الاجتماعي والثقافي لمجتمعه" (١).

إن أهم الأسس التي يقوم عليها النمو الأخلاقي والاجتماعي للفرد هو الإيمان، فقد ربط الإسلام بين إيمان الإنسان ونموه الاجتماعي، ومما يدل على هذا قوله ﷺ: "ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به" (٢).

وتسهم العبادات في النمو الاجتماعي والأخلاقي للفرد، فصلاة الجماعة سبيل لتعارف المسلمين، وفيها مجال لاجتماع المسلمين وتعارفهم وإقامة العلاقات بينهم، وتعود المسلمين الدقة في الوقت، والمحافظة على النظام، وهي السبيل للتخلص من مساوئ الأخلاق وأرذلتها، يقول سبحانه: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ (٣)، والصوم لا يعد صوماً إذا لم يمسك الفرد عن كل ما يؤثر في علاقاته الاجتماعية، فلا يحمل الصائم في قلبه حقداً ولا كراهية ولا ضغينة لأحد، ولا يغتاب بل يصون لسانه عن الأذى والضرر، يقول ﷺ: "من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه....." (٤).

والحج يطهر النفس من المظالم، ويبعد الإنسان عن البغي والظلم، والترفع عن مواطن الإثم والطغيان، وهو سبيل تعارف المسلمين وتشاورهم وصفاء قلوبهم، يقول سبحانه وتعالى: ﴿الْحَجَّ أَشْهَرُ مَعْلُومَتٍ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمَهُ اللَّهُ﴾ (٥)، وكذا سائر العبادات تساهم في النمو الاجتماعي والأخلاقي للفرد.

كما أن النمو الاجتماعي والأخلاقي ليس منفصلاً عن النمو الروحي والعقلي والوجداني والحسي بل هو متداخل معها متأثر لها ومؤثر فيها، فصحة الفرد الجسمية تؤثر في علاقاته، والنضج العقلي والأسري والرفاق كل ذلك يؤثر في نمو الفرد الاجتماعي والأخلاقي، وفيما يلي بعض توجيهات التي يقوم عليها النمو الاجتماعي والأخلاقي للفرد.

(١) عبد الحميد الزنتاني، أسس التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ٧٦٦.

(٢) صححه الألباني، انظر: صحيح وضعيف الجامع الصغير، حديث رقم (٥٥٠٥).

(٣) سورة العنكبوت، آية ٤٥.

(٤) رواه البخاري، صحيح البخاري، ج ٢، ص ٦٧٣، حديث رقم (١٨٠٤).

(٥) سورة البقرة، آية ١٩٧.

١- تعليم الفرد الآداب الاجتماعية والأخلاقية وتدريبه على ممارستها.

حتى يكون النمو الاجتماعي والأخلاقي سليماً يجب أن يعود الفرد منذ صغره على عدة آداب سلوكية عامة يشب عليها وتنطبق في نفسه، وهذه الآداب تلامس الحياة اليومية للإنسان، مثل: آداب الطعام والشراب وآداب المجالس، وآداب الطريق، ويجب غرس الفضائل في نفس الفرد وتعويد عليها، يقول ﷺ "حافظوا على أبنائكم في الصلاة، وعودوهم الخير فإن الخير عادة"^(١)، أي عودوهم تكرار عمل الخير حتى يألفوا فعله، ويصبح فعل الخير عندهم سجية وعادة، فاعتياد الفرد على خصال الخير يكون بمقدار ما يكتسب من أخلاق ومهارات وعادات، فتعويد الطفل الكرم والتهادي و هو لا يملك شيئاً في الغالب يجعله هو الذي يقوم بحمل الهدايا وتوصيلها إلى المهدي إليهم، حتى يألفوا التهادي ويسهل عليهم عندما يكبرون ويمتلكون أن يهدوا غيرهم^(٢).

فالإنسان يتعلم في طفولته أكثر بكثير مما يتصوره الآباء، ومن هنا جاءت السنة المطهرة بالتوجيهات للآباء بأن يلتفتوا إلى أبنائهم وأن يحسنوا تعليمهم وتأديبهم، يقول ﷺ: "لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع"^(٣).

هذا وقد بين الإسلام دوائر العلاقات الاجتماعية للإنسان، فحدد علاقة الإنسان بوالديه على أساس البر والإحسان، وحدد علاقته بأبنائه على أساس الرفق والحب والعدل والحزم، وعلاقته بزوجته على أساس المودة والاحترام، وبجيرانه على أساس الاحترام في المعاملة ومراعاة الحقوق، وبغيره من المسلمين على أساس الإخوة في الله، وبالبحر عامّة ممن لا يشاركونه عقيدته على أساس تبني العدل والإنصاف وحفظ الحقوق والمواثيق، فهذه الأمور وغيرها هي التي ينبغي تعليمها للإنسان وتدريبه على ممارستها حتى يكون نموه الاجتماعي والأخلاقي نمواً سليماً.

ومن صور التدريب والتعليم على ممارسة الآداب الاجتماعية والأخلاقية:

أ- إرسال الطفل في قضاء الحاجات

فقد كان النبي ﷺ يرسل الأطفال في قضاء حوائجه، فعن ابن عباس ؓ قال: مر بي رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان فاخبتأت منه خلف باب فدعاني، فحطأني حطأة، ثم بعثني إلى معاوية، فرجعت إليه فقلت، هو يأكل"^(٤). فلا بد للأسر أن تؤمن بأنه ينبغي على كل فرد أن يقوم بمسؤوليات محددة، بمن فيهم الأطفال، لأن تكليف الطفل ببعض الأعمال يشعره

(١) رواه الطبراني، المعجم الكبير، ج٩، ص ٢٣٦، حديث رقم (٩١٥٥).

(٢) محمد حسين، العشرة الطيبة، مرجع سابق، ص ٢٨٨.

(٣) رواه الترمذي، سنن الترمذي، ج٤، ص ٣٢٧، حديث رقم (١٩٥١).

(٤) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج٤، ص ٢٠١٠، حديث رقم (٢٦٠٤).

بالمسؤولية، ويجعله واثقاً من نفسه، ويتعرف إلى أمور ومجالات تكون بعيدة عن معرفته بها فتبنى شخصيته.

أشارت الدراسات إلى أن هناك أربع فئات من الآباء في تعاملهم مع أولادهم من حيث تحقيق الرغبات والتكليف بالواجبات، وجاءت النتائج على النحو الآتي^(١):

النتائج	الواجبات	الرغبات
تكون فيهم صفات الأنانية وحب الذات وشدة التعلق بالوالدين	لا يكفونهم بالواجبات	يشبعون رغبات أولادهم
تكون فيهم صفات الاتزان ومعرفة الحقوق والواجبات	يكفونهم بالواجبات	يشبعون رغبات أولادهم
الصفة الغالبة اللامبالاة	يكفونهم بالواجبات	لا يحققون رغبات أولادهم
الخضوع والمذلة وهوان النفس	يفرضون عليهم واجبات صارمة	لا يحققون رغبات أولادهم

ب- اصطحاب الأطفال إلى مجالس الكبار

لا يمنع المنهج الإسلامي الأطفال من مخالطة الكبار في مجالسهم وأنديتهم ... فهم بهذا يتشربون السلوك ويحفظون المبادئ ويتدربون على المسؤوليات، وحرمان الصغار من المخالطة والمشاركة حرمان من القدرة والتجربة وهو منهج سلبي في التربية يدع الصغار بعضهم لبعض لا يتعلمون إلا سفاسف الأمور، وقد حرص الصحابة رضوان الله عليهم، على اصطحاب أطفالهم إلى مجالس رسول الله ﷺ، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يصطحب ابنه عبدالله إلى تلك المجالس، يدل على هذا ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ "أخبروني بشجرة مثلها مثل المسلم تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، ولا تحترق ورقها، فوقع في نفسي النخلة فكرهت أن أتكلم، وثم أبو بكر وعمر، فلما لم يتكلما، قال النبي ﷺ هي النخلة، فلما خرجت قلت: "يا أبتاه! وقع في نفسي النخلة قال: ما منعك أن تقولها، لو كنت قلتها كان أحب إلي!...."^(٢). "ففي أخذ الطفل إلى مجالس الكبار تظهر نواقصه واحتياجاته، فيستطيع المربي عند ذلك توجيهه نحو الكمال، ويشجعه على الجواب عندما يطرح سؤال، فيتكلم بعد استئذان، وذلك بكل أدب ووقار، فيتكلم معهم، وينمو عقله، وتتهذب نفسه، وينطلق لسانه، ويتعرف إلى

(١) أكرم رضا، مراهنقة بلا أزمة، مصر، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط١، ٢٠٠٠م، ص ٥٦.

(٢) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج٤، ص ٢١٦٥، حديث رقم (٢٨١١).

أحاديث الكبار شيئاً فشيئاً، فيتهيأ لدخول المجتمع، وهكذا يتدرج رويداً رويداً بتدريب والده له... (١).

لقد اختلط الكبار بالصغار فصاحبوهم في المساجد، وفي حلقات العلم، وفي قضاء حاجاتهم من السوق وفي مشاهدة اللهو والألعاب وفي زيارتهم للأهل والأصدقاء، وهذه المخالطة هي مظهر من مظاهر حب الكبار للصغار وتسرع نموهم الاجتماعي والأخلاقي، وتعودهم السلوك الاجتماعي، وقد أثبتت الدراسات أن العزل الاجتماعي للطفل يعوقه بيولوجياً بالإضافة إلى التعويق النفسي والتخلف العقلي، ويجردهم من طبيعتهم الإنسانية، ويفقدون القدرة على التعبير الإنساني مما ينتج في النهاية شخصيات منهارة مريضة (٢).

٢- أهمية وجود القدوة الحسنة "السلطة الضابطة"

ذهب علماء النفس إلى أن الطفل مقلد لأبويه في كثير من أعماله، لأن الطفل بطبيعته يرى أن ما يقوم به والداه هو العمل الأكمل، والنموذج الذي يجب أن يحتذيه، ومن أجل هذا يجب على الوالدين أن يكونوا قدوة صالحة لأبنائهم في كل ما يقومون به من أعمال وأقوال، ففي إحدى الدراسات وجد أن الأطفال الأكثر كرمًا، والذين تقاسموا مع أصدقائهم كثيراً من الحلوى هم الذين كانوا يرون في آبائهم صفات الكرم والتعاطف والحب (٣).

إن القدوة الحسنة لها أثر بالغ وفعال في النمو الاجتماعي للأفراد وخاصة في المراحل الأولى من حياة الإنسان، يقول سبحانه: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿١﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٤﴾﴾ (٤)، لذا فالقرآن الكريم يؤكد أهمية القدوة الصالحة وأثرها في النمو الاجتماعي للفرد ويدعو إلى الاقتداء برسول الله ﷺ، فهو الأسوة الحسنة لمن أراد أن يتحلى بالفضائل الأخلاقية والاجتماعية، يقول سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٥﴾﴾.

والقدوة الحسنة تعدّ السلطة الضابطة للإنسان، التي هي أساس نموه الاجتماعي، فوجود السلطة الضابطة في حياة الطفل تجعله يميز بين الخير والشر، والصحيح والخطأ، وبين ما هو أخلاقي وغير أخلاقي، وما يسمح به الدين والعادات وما ينهى عنه، لأن الطفل في طفولته غير ناضج في سلوكه، وتصرفاته غير مسؤولة (٦).

(١) محمد نور سويد، منهج التربية النبوية للطفل، مرجع سابق، ص ٢٧٢.

(٢) محمود قمبر، دراسات تراثية في التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ٥٠/٢.

(٣) سهام جبار، الطفل في الشريعة، مرجع سابق، ص ١٢٩.

(٤) سورة الصف، آية ٢-٣.

(٥) سورة الأحزاب، آية ٢١.

(٦) مريم النعيمي، إشراقات تربوية، بيروت، لبنان، دار ابن حزم، ط ١، ١٩٩١م، ص ٣٣.

إن السلطة الضابطة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بتعليم الطفل المعايير السلوكية المختلفة، وإذا فقدت السلطة الضابطة من حياة الطفل اختلت المعايير السلوكية التي ينطلق منها في حياته، ولا يعني وجود السلطة الضابطة، تقييد الحرية، فالإنسان رغم حبه للحرية إلا أنه بحاجة إلى سلطة عليا توجهه وترشده وتحد من نزعاته الاندفاعية ورغباته غير المرغوب فيها مما يجعله يسير المعايير الاجتماعية والأخلاقية في المجتمع، ووجود السلطة الضابطة لا يعني كما يظن الناس المراقبة الدقيقة والمحاسبة الشديدة، فهذا فهم خاطئ بل هي تربي الرقابة الذاتية في الإنسان، وقد وجّه الإسلام الآباء وأولياء الأمور إلى أن يكونوا سلطة ضابطة في حياة أبنائهم، وهذا ما كان يفعله النبي ﷺ، فكان ﷺ سلطة ضابطة للمجتمع ككل، وخاصة عند الاحتكاك بالأطفال، ومن الأمثلة الدالة قول عمر بن أبي سلمة، قال: كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ، وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله ﷺ: يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك، فما زالت تلك طعمتي بعد" (١).

وأخيراً فإن من أكبر المزالق التي يقع فيها الأبوان على وجه التحديد منفاة أفعالهم لما يدعون إليه وأبناءهم، وهذه المنفاة والمناقضة تجعل الأبناء في حيرة من أمرهم: كيف نلتزم بما أمرنا به وأبونا وأمنا لا يلتزمون؟ أن مثل هذه الملاحظات تجعل الأبناء في شك من صدق ما يدعون إليه فلو كان الخير في تلك الدعوة إذاً لماذا لا يبدأ الآباء بأنفسهم فيصلحون أحوالهم بالدرجة الأولى. يقول الدكتور سبوك: "إن الطفل يكون قيمة الأساسية عن الحياة من تقليده لوالديه..." (٢).

المبحث الثاني - مبادئ النمو الإنساني وخصائصه من منظور إسلامي

يشمل المبحث مطلبين: المطلب الأول - مبادئ النمو الإنساني من منظور إسلامي، والمطلب الثاني - خصائص النمو الإنساني من منظور إسلامي.

المطلب الأول - مبادئ النمو الإنساني من منظور إسلامي

بين علماء نفس النمو قوانين النمو؛ والتي تعد أسساً تنظيمية قام العلماء بوضعها، بقصد تسهيل رؤية العلاقات بين مظاهر النمو ومراحلها المختلفة، ولا تعني الجزم القاطع بصحة هذه القوانين، وقد يكتشف البحث العلمي بعض التغيرات فيها (٣).

والحديث عن مبادئ النمو من المنظور الإسلامي هي محاولة للكشف عن سنن الله في خلق الإنسان، وسنة الله هي ما جرى بها نظامه في خلق الإنسان ونموه - ولكن الإمكانيات

(١) رواه البخاري، صحيح البخاري، ج ٥، ص ٢٠٥٦، حديث (٥٠٦١).

(٢) دكتور سبوك، حديث إلى الأمهات مشاكل الآباء في تربية الأبناء، مرجع سابق، ص ٩٢.

(٣) هشام خوجلي، علم نفس النمو، مرجع سابق، ص ١٦٠.

البشرية بفطرتها تحتمل الضعف والقصور والنسيان، لذا فمحاولة الكشف عن سنن الله في خلق الإنسان ونموه، أمر يتعلق بفهم الباحث ولا يقصد أن هذا حكم ثابت.

وقد ذهب الدكتور فؤاد أبو حطب^(١) إلى ضرورة التفريق بين سنن الله في خلق الإنسان ونموه، وقوانين النمو المتغيرة، ويؤكد الباحث التفريق بينهما في حال أن قوانين النمو بُنيت ودُرست من منظور غير إسلامي، أما إذا درست من منظور إسلامي فلا ضرورة للتفريق بينها وبين سنن الله في خلق الإنسان؛ لأن قوانين النمو هي سنن الله في خلق الإنسان ونموه أو رؤيتنا لسنن الله في خلقه، وهذه الرؤية تتعلق بفهمنا وليس المقصود بيان حكم ثابت كما اشرنا آنفاً.

والمبدأ هو حقيقة أو قانون يتعلقان بظاهرة طبيعية أو وظيفة أو نظام^(٢)، ومبادئ النمو الإنساني من منظور إسلامي، هي حقائق النمو الإنساني وقواعده المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، التي نسلم بها ونجعلها تنصدر بحثنا في النمو الإنساني.

وعليه فتحكم نمو الإنسان بمبادئ عامة انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا

تُبْصِرُونَ﴾^(٣) وجميع البشر باختلاف أجناسهم وأزمانهم يخضعون لتلك المبادئ^(٤)، مع التنبه

إلى أن الله سبحانه وتعالى هو المحدد لأشكال النمو الإنساني ومراحله، يقول سبحانه: ﴿وَأَنْظُرْ

إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٥) ويقول: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ

مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشِبْهًا خَلَقَ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾^(٦) وفيما يلي عرض لمبادئ أو

قوانين النمو الإنساني من المنظور الإسلامي بحسب رؤية الباحث.

أولاً: النمو الإنساني عملية تتجاوز الوجود الظاهري الدنيوي.

يقصر الحديث في نظريات النمو في علم النفس، على نمو الإنسان في الحياة الدنيا،

بينما يبرز القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وجوداً إنسانياً غير جسدي قبل الوجود

الدنيوي، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمُ

(١) فؤاد أبو حطب، علم نفس النمو من منظور إسلامي، المجلة التربوية الإسلامية، الكويت، جامعة الكويت، كلية التربية، ١٩٨١م، ص ٢٢-٢٣.

(٢) هشام بني خلف، المبادئ الأخلاقية لتربية الفرد والمجتمع في سياق القرآن الكريم، مرجع سابق، ص ١١.

(٣) سورة الذاريات، آية ٢١.

(٤) مسعد النجار، نحو بناء نظرية إسلامية في الشخصية، مرجع سابق، ص ٤٥.

(٥) سورة البقرة، آية ٢٥٩.

(٦) سورة الروم، آية ٥٤.

عَلَىٰ أَنفُسِهِمُ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۗ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١﴾ وفي هذا الوجود غير الجسدي تم أخذ العهد الذي يؤثر ويسهم في النمو السديني للفرد في الحياة الدنيا، فهذه الذرية كانت في قبضة الخالق المربي فيسألها: "ألسنت بربكم" فتقر له سبحانه بالربوبية وتعترف له بالعبودية، وتشهد له بالوحدانية، وهي منثورة كالذر؛ مجموعة في قبضة الخالق الكريم^(١)، ثم إن هناك حياة أخرى بعد الحياة الدنيا، وفي هذه الحياة يكتمل النمو الإنساني بكافة مظاهره الجسدية والعقلية والنفسية والوجدانية، يقول عليه السلام: "إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها على أضوأ كوكب دري في السماء"^(٢).

يُعدُّ القرآن الكريم الحياة الحالية أساساً للحياة الآخرة الدائمة، فالإنسان سيتحول إلى شكل مختلف من الحياة، فيها النمو والتطور المتكامل، ومن هنا ندرك لماذا تربط بعض آيات القرآن الكريم مراحل النمو الإنساني بالحياة بعد الموت، يقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٣١﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۗ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ إِنكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَعِينُونَ ﴿٣٣﴾ ثُمَّ إِنكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿٣٤﴾﴾^(٤).

فنهاية الحياة الدنيا الموت، وهذا الموت مؤثر لانتقال الإنسان إلى حياة أخرى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ فَمَن زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٥﴾﴾^(٥)، فالموت هو النهاية التي تنتظر جميع الكائنات وهو الحقيقة التي يقر بها كل إنسان، ولكن ما يميز الرؤية الإسلامية للموت، أنها لا تعدّه نهاية المطاف، بل هو مؤثر يجب الوقوف عنده طويلاً، حيث تبدأ بعده الحياة الكاملة الخالية من النقائص، والخوف والتحول والتطور لأنها نهاية الكمال المقدر لهذا الإنسان.

(١) سورة الأعراف، آية ١٧٢.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن الكريم، مرجع سابق، ١٣٩٢/٣.

(٣) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ٤، ص ٢١٧٩، حديث رقم (٢٨٣٤).

(٤) سورة المؤمنون، آية ١٢-١٦.

(٥) سورة آل عمران، آية ١٨٥.

ثانياً: الإنسان مخلوق من أجود العناصر وأفضلها

يقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٧﴾﴾ (١) السلالة على وزن عصاره، وتعني الشيء المأخوذ من شيء آخر، فيكون خلاصته وعصارته أي أن الإنسان خلق من العصاره المصفاه من الطين، والنطفه هي الماء الصافي الذي يمثل مبدأ ظهور الإنسان، فهي خلاصه الجسم وعصارته (٢).

إن السلالة أجود ما في الشيء؛ وقد خلق الله الإنسان الأول من أجود عناصر الطين وأنواعه، وهو زيد الطين، وقد أثبت العلم بالتحليل المعلمي التجريبي، أن العناصر المكونة للإنسان هي نفسها عناصر الطين التي تبدأ بالأكسجين وتنتهي بالمنجنيز (٣).

ومما يؤكد خلق الإنسان من أجود العناصر وأفضلها، أن النطفه مكون أساسي لخلق الإنسان وهي خلاصته؛ حيث يمتص الجسم خلاصه الغذاء، وينقلها إلى الدم وهذه الخلاصه يتخلص منها مني الإنسان الذي تؤخذ منه النطفه، فانه سبحانه وتعالى صفى النطفه ونقاها لأنها ستكون أصلاً لأكرم مخلوقاته وهو الإنسان (٤).

يقول ابن الجوزي: "فإن المنى يفصل من الهضم الرابع، فهو من أصفى جوهر الغذاء وأجوده ثم يجتمع، فهو أحد الذخائر للنفس، فإنها تدخر - لبقائها وقوتها - الدم ثم المنى ثم تدخل النطف الذي هو من أعمدة البدن، ..." (٥).

ومما يدل على الاصطفاء والانتقاء أن الدفقه الواحدة من المنى تحمل مني مليون حيوان منوي، فأول ما يخرج منها عشرون بالمائة غير صالحه للتلقيح، ويموت في المهبل عدد كبير منها، وفي عنق الرحم كذلك ثم تذهب مجموعه من الحيوانات المنوية إلى قناة الرحم اليمنى وأخرى إلى اليسرى، ولا تدري في أي مكان تكون البويضه، فتهلك التي ذهبت إلى المكان غير المناسب، ولا يصل في النهاية إلا ما يقارب خمسمائة حيوان منوي يقع الاختيار والانتقاء والاصطفاء لحيوان واحد يلحق البويضه (٦). وفي البويضه يكون اصطفاء وانتقاء، فحين تكون الأنثى في بطن أمها يبلغ عدد البيضات ستة ملايين بيضه، وما أن تبلغ المحيض حتى يتقلص العدد إلى ثلاثين ألف ولا يزيد ما تفرزه المرأة عن أربعمائة بيضه.

(١) سورة المؤمنون، آية ١٢-١٣.

(٢) ناصر الشيرازي ومحمد معرفة، تفكروا في عظمة خلق الله، بيروت، لبنان، دار المحجة البيضاء، ط١، ٢٠٠١م، ص ٢٠.

(٣) محمد متولي شعراوي، تفسير الشعراوي، ٩٩٧٨/١٧.

(٤) محمد متولي شعراوي، تفسير الشعراوي، ٩٧٠٤/١٧.

(٥) عبد الرحمن بن الجوزي، صيد الخاطر، مرجع سابق، ص ٣١.

(٦) محمد علي البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، السعودية، الدار السعودية للنشر، ط١، ١٩٨٦م، ص ١١١-١١٢.

ثالثاً: الطفولة هي مرحلة النمو الأساسية

الطفل الإنساني هو أطول الأحياء طفولة، إذ إن طفولته تمتد أكثر من أي طفل آخر من الأحياء الأخرى، ذلك أن مرحلة الطفولة فترة إعداد وتهيؤ وتدريب للدور المطلوب منه في سائر حياته، ولما كانت وظيفة الإنسان هي أكبر وظيفة، ودوره في الأرض أضخم دور ... امتدت طفولته فترة أطول حتى يحسن إعداده وتدريبه للمستقبل^(١).

فقد يتعرض الطفل لمؤثرات غير صالحة تتحرف فيه عن فطرته السليمة وتوجهه إلى جهات غير صالحة، فالإنسان وإن كان مستعداً فطرياً لمعرفة الحق وفعل الخير، إلا أنه تحت تأثير الظروف الاجتماعية غير الصالحة يفقد هذا الاستعداد الفطري لمعرفة الحق وفعل الخير^(٢)، فالنشئة الأسرية تؤثر على فطرة الطفل، وعلى جميع مظاهر نموه، يقول **الطبري**: "ما من مولود إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه...."^(٣).

فبصمات النشئة الأسرية تترك آثارها الواضحة في جميع معالم الشخصية الاجتماعية، وملامح السلوك الفردي والجماعي الذي يكسب الأفراد تميزهم ونجاحهم الاجتماعي، أو قد تؤدي إلى فشلهم وانطوائهم، فاتجاهات الأسرة التي تتصل بالتدليل الزائد وتلبية رغبات الطفل، أو نبذ الطفل والإمعان في استخدام العقاب قد يؤدي إلى عواقب وخيمة على شخصية الطفل مما يؤدي إلى اضطراب نموه الجسدي والنفسي والأخلاقي والاجتماعي، بحيث لا يمكنه تجاوزه في حياته المقبلة، فالطفولة تحتل الأهمية العظمى في تقرير أساس الحياة، وأن سلوك الإنسان إنما يعود إلى الأساليب التربوية الصالحة أو الفاسدة المتخذة في حقه، فالفرد يسير طيلة أيام عمره على أساس الخلفيات التي نشأ عليها في مرحلة الطفولة، والقرآن الكريم يقرر هذه الحقيقة، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ ﴾^(٤)، والشاكلة هي الطريقة والسيرة التي اعتادها صاحبها ونشأ عليها^(٥).

ويؤكد علم نفس النمو أن مرحلة الطفولة هي أساس بناء شخصية الفرد، وأساس السلوك المكتسب الذي يساعد الفرد على توافقه في مراحل نموه التالية؛ ففي مرحلة الطفولة يكون الفرد مرناً يمكن تعليمه وتشكيل سلوكه، حسب البيئة الاجتماعية، والقول بأن الطفولة

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٢٣٥/١.

(٢) محمد عثمان نجاتي، الحديث النبوي وعلم النفس، مرجع سابق، ص ٢٠٢.

(٣) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج٤، ص ٢٠٤٧، حديث (٢٦٥٨).

(٤) سورة الإسراء، آية ٨٤.

(٥) محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ١٥٣/١٤.

هي الأساس معناه أن السلوك الذي يوضع أساسه يميل إلى الثبات، ولكنه رغم هذا هو قابل للنمو والتعديل والتغير تحت ظروف التوجيه والإرشاد^(١).

رابعاً: النمو عملية تمر بمراحل حساسة وحرجة

المرحلة الحرجة في حياة الإنسان هي تلك الفترة التي يكون فيها لوجود حدث ما أو غيابه تأثير عظيم على الإنسان^(٢)، وثمة فترات حرجة - أشار إليها علم نفس النمو - في عمر الإنسان يكون فيها أكثر استعداداً للاستفادة من خبرات البيئة وظروف الحياة، ومن أمثلة ذلك لسنوات العشر الأولى من حياة الطفل إذ تُعدُّ فترة حرجة لتعلم اللغة، أي أن الطفل الذي لا تتوافر له المثبرات البيئية اللغوية خلال هذه السنوات سيعاني من تأخر أو صعوبة تعلم اللغة^(٣).

وقد اهتمت الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة ببيان كل مراحل النمو الإنساني إلا أننا نلاحظ اهتماماً واضحاً بمراحل معينة؛ لحساسية هذه المراحل وأثرها في حياة الإنسان. فثمة اهتمام واضح بمرحلة اختيار الزوج وانتقائه؛ لحساسيتها وحرصها، وتعدُّ هذه المرحلة مرحلة تأسيس، فإذا لم يكن الأساس سليماً، فما بنى عليه لا يمكن أن يكون سليماً، ومن أهم الأسس السليمة في هذه المرحلة ما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ۙ ﴾^(٤)، فإذا لم يراعِ الصلاح في هذه المرحلة أثر ذلك في مختلف المظاهر النمائية للأبناء، والطبيعة الحساسة والحرجة تظهر في مرحلة ما قبل الولادة عندما يؤمر المسلم بالدعاء عند جماعه زوجته، قال رسول الله ﷺ: "أما أن أحدكم إذا أتى أهله وقال باسم الله جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فرزقا ولداً لم يضره الشيطان"^(٥). وفي هذا الدعاء توسل إلى الله تعالى أن يحميه من الشيطان ووساوسه، وهو في حقيقته حماية له من كل أنواع العطل والقلق التي تفوق أي مظهر من مظاهر النمو الإنساني.

وتعدُّ مرحلة البلوغ مرحلة حساسة، فهي تحول من الطفولة إلى البلوغ والرجولة، ويكون فيها الفرد عرضة لكثير من الإثارات والمقلقات، ونجد الإسلام قد وجَّه الشباب إلى الزواج في هذه المرحلة بشروط معروفة، أو الالتجاء للصوم لأنه يلجم الرغبة الجنسية، يقول ﷺ: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج

(١) حامد زهران، علم نفس النمو، مرجع سابق، ص ٦١.

(٢) معاوية أبو غزال، نظريات التطور الإنساني، مرجع سابق، ص ٣٤.

(٣) شفيق علاونة، سيكولوجية النمو الإنساني، عمان، الأردن، دار الفرقان، ط١، ١٩٩٤م، ص ١٥.

(٤) سورة النور، آية ٣٢.

(٥) رواه البخاري، صحيح البخاري، ج ٣، ص ١١٩٣، حديث (٣٠٩٨).

ومن لم يستطيع فعله بالصوم فإنه له وجاء^(١)، وفي هذه المرحلة دعا الإسلام إلى الالتزام بأدب الاستئذان يقول سبحانه: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(٢) فعدم الاستئذان في هذه المرحلة مدعاة لكثير من أنواع الشذوذ. وثمة إشارات عديدة تدل على وجود فترات نمو حرجة يمر بها الإنسان، وهذه الفترات لا بد فيها للإنسان المسلم من تنفيذ التوجيهات الشرعية التي إذا ما غابت عن واقعه أثرت في جميع المظاهر النمائية للإنسان، تأكيد أهمية مراحل النمو جميعها.

خامساً: عملية النمو الإنساني تتأثر بعوامل عدة^(٣)

يتأثر النمو الإنساني في المنظور الإسلامي بعوامل شتى، منها: الوراثة، يدل على ذلك حديث أم سلمة، قالت: جاءت أم سليم إلى النبي ﷺ، فقالت يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق، فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم إذا رأت الماء فغطت أم سلمة تعني وجهها وقالت يا رسول الله وتحتلم المرأة؟ فقال تربت يدك فيم يشبهها ولدها^(٤).

ويتأثر النمو الإنساني بالبيئة التي تشكل الوسط الإنساني والطبيعي بعناصره المختلفة، يقول ﷺ: "ما من مولود إلا ويولد إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"^(٥)، كما يتأثر النمو بالغذاء، فإذا كان الغذاء جيداً ساعد على نمو الإنسان نمواً متكاملأً، ولسوء التغذية تأثيرات بالغة في النمو الإنساني منها: تأخير مرحلة القوة والشباب والنقص في الوزن ومعدل الطول، وإضعاف مقاومة الجسم للأمراض، وثمة عوامل عديدة تؤثر في النمو الإنساني.

سادساً: عملية النمو الإنساني تحتاج إلى زمن وتتضمن التغير

لا يحدث النمو الإنساني في فراغ وإنما يحتاج إلى زمن يحدث فيه، والزمن قد يستغرق الحياة كلها ما دام النمو يسير من البداية إلى النهاية^(٦).

وقد أشار القرآن الكريم والسنة المطهرة إلى الزمن الذي تحدث فيه بعض مراحل النمو، فأشار القرآن الكريم مثلاً إلى المدة الزمنية اللازمة لرضاع الطفل، وفي هذه المدة ينمو الطفل جسدياً، يقول سبحانه: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾^(٧) وبين القرآن

(١) رواه أحمد، المسند، ج ١، ص ٦٣، حديث (١١٥).

(٢) سورة النور، آية ٥٩.

(٣) العوامل المؤثرة في النمو الإنساني تأتي تفصيلاً في مبحث مستقل.

(٤) رواه البخاري، صحيح البخاري، ج ١، ص ٦٠، حديث (١٣٠).

(٥) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ٤، ص ٢٠٤٧، حديث (٢٦٥٨).

(٦) سيد الطواب، النمو الإنساني، مرجع سابق، ص ٧٢.

(٧) سورة البقرة، آية ٢٣٣.

الكريم أن أوج مرحلة الشباب هو سن الأربعين ثم يبدأ التراجع، يقول سبحانه: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١).

ومع مرور الزمن يحدث التغير عند الإنسان، وهذه التغيرات كمية في الوزن والطول والمقدار وكذلك تغيرات في الوظائف التي تقوم بها الأعضاء (٢).

وأشار القرآن إلى جملة من التغيرات التي تحدث للإنسان منذ أن يكون نطفة إلى انتهاء حياته، منها التغيرات التي تحدث للنطفة في رحم الأم، يقول سبحانه: ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ (٣)، وكذلك التغيرات التي تحدث في بداية مرحلة البلوغ وهو الاحتلام، يقول سبحانه: ﴿ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَعِذُوا كَمَا اسْتَعَاذَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٤)، وكذلك التغيرات التي تحدث في مرحلة الشيخوخة مثل تراجع القوة الجسدية، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ (٥).

سابعاً: النمو عملية تسير بدقة متناهية ومنتقنة

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴾ (٦)، فكل شيء في خلق الإنسان يتجلى فيه الإحسان والإنقان، فلا تجاوز ولا قصور ولا زيادة عن حد الإحسان ولا نقص ولا إفراط ولا تقربط في حجم أو شكل أو وظيفة، كل شيء بقدر لا يزيد عن حد التماسق الجميل الدقيق، كل خلق مصنوع ليؤدي دوره المقسوم له في الوجود (٧).

(١) سورة الاحقاف، آية ١٥.

(٢) شفيق علونة، أساسيات علم النفس التطوري، مرجع سابق، ص ٢٦.

(٣) سورة المؤمنون، آية ١٤.

(٤) سورة النور، آية ٥٩.

(٥) سورة مريم، آية ٤.

(٦) سورة السجدة، آية ٧.

(٧) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٢٨٠٨/٥.

ومن إتقان خلق الإنسان أن الله سبحانه وتعالى جعل حجم الإنسان معتدلاً، ولو شاء لجعل حجم الإنسان وحجم الأرض والكون أضعافاً مضاعفة، ولكن الله سبحانه وتعالى خلق كل شيء بحكمة ومقدار، يقول سبحانه: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ (١).

وثمة أمور عدة تشير إلى دقة النمو الإنساني وإتقانه، يقول سبحانه: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ

تَشْكُرُونَ ﴾ (٢)، فالآية تشير بوضوح إلى النقطة التدريجية للعقل والحواس وهذا مما يؤكد أن النمو الإنساني يسير بدقة متناهية، فلو كان للطفل عقل منذ البداية فلا شك أنه سوف يتألم لشعوره بالضعف والمذلة، فهو لا يستطيع الأكل والقيام بأبسط الحركات وانتقاله إلى عالم جديد سيسبب له الوحشة والاضطراب مما قد يضر بفكره وأعصابه، ولو كانت حواسه متكاملة وفتح عينيه وشاهد مشاهد جديدة واستمع إلى الأنغام الجديدة لما كان في وسعه تحملها، ولكن تحصل هذه الأمور بصورة تدريجية، فالآية تدل على أن الإنسان لا يتمتع بأية حاسة كاملة إلا تدرجاً مع الزمن حتى يكتسبها (٣).

ومما يدل على الدقة المتناهية في خلق الإنسان قوله سبحانه: ﴿ أَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ۗ ﴾ ﴿ بَلَىٰ قَدِيرِينَ عَلَيْنَا أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ۗ ﴾ (٤) والبنان هو طرف الإصبع، وقد اختار الله سبحانه بنان الإنسان لظهور الدقة والإتقان، والإبداع، فالأصابع لها سلاميات وهي عظام دقيقة وصغيرة، ولا يتشابه فيها اثنان حتى في اليد الواحدة، فكل عقلة في الإصبع نفسه تختلف عن العقلة التي تعلوها أو تقع أسفل منها، وفي أطراف الأصابع تتواجد البصمات المميزة لكل إنسان والتي لا تتشابه مطلقاً بين اثنين من بني آدم (٥).

ثامناً: النمو الإنساني يخضع للفروق الفردية

الفروق الفردية هي الصفات التي يتميز بها كل إنسان عن غيره من الأفراد سواء أكانت تلك الصفات، جسمية أم عقلية، أم مزاجية، أم في سلوكه النفسي أم الاجتماعي (٦)، وقيل، هي السمات والصفات التي تميز أي فرد من أفراد المجموعة عن غيره، وأية مجموعة من

(١) سورة القمر، آية ٤٩.

(٢) سورة النحل، آية ٧٨.

(٣) ناصر الشيرازي، تفكروا في عظمة خلق الله، مرجع سابق، ص ٥٠-٥١.

(٤) سورة القيامة، آية ٣-٤.

(٥) عيسى العريايوي، كيف بدأ الخلق، مرجع سابق، ص ١٨٦.

(٦) عبد الحميد الهاشمي، الفروق الفردية دراسة تحليلية، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٨٥، ص ٧٠.

المجموعات عن غيرها^(١). بناءً عليه فالفروق الفردية تختلف الأفراد والمجموعات بعضهم عن بعض في الصفات والخصائص سواء أكانت جسمية أم عقلية أم اختلافاً في الاستعدادات والقدرات.

إن الفروق الفردية في النمو الإنساني تظهر في جميع المظاهر النمائية للإنسان، كما أشار القرآن الكريم والسنة المطهرة ولعل من أهم مظاهر الفروق الفردية في النمو الإنساني.

أ- الفروق الجسمية

بين القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة اختلاف الناس في تكوينهم الجسماني، ومن صور اختلافهم في تكوينهم الجسماني، اختلاف لون البشرة بين الناس، يدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(٢).

وكذلك اختلاف الناس في عمل الحواس، يقول سبحانه: ﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾^(٣) واختلافهم في قوة الجسد وضعفه، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكُهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾^(٤)، فالآية الكريمة تشير إلى تميز طالوت عن غيره بأنه أعلم من قومه وأنه أشد منهم قوة وصبراً وأتم قامة.

ب- الفروق العقلية

العقل هو قوة مدركة في الإنسان، تميزه عن غيره من الكائنات، وتجعله مخلوقاً مسؤولاً عن أعماله^(٥)، وقد أكد القرآن الكريم عدم استواء الناس في استخدام عقولهم وتوجيهها التوجيه السليم، يقول سبحانه: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾^(٦).

ومما يدل دلالة واضحة على تباين الناس في استخدامهم عقولهم واستعدادهم للتعلم، قول النبي ﷺ: "إن مثل ما بعثني الله عزوجل من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً، فكانت

(١) يحيى عبد، الفروق الفردية في التربية الإسلامية، في المرجع في تدريس علوم الشريعة، عبد الرحمن صالح (محرر)، الأردن، ص ٢٧٠.

(٢) سورة الروم، آية ٢٢.

(٣) سورة هود، آية ٢٤.

(٤) سورة البقرة، آية ٢٤٧.

(٥) أحمد الدغشي، نظرية المعرفة في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص ٢٤١.

(٦) سورة البقرة، آية ٢٦٩.

منها طائفة طيبة قبلت الماء، فأثبتت الكلاً، والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا منها وسقوا ورعوا، وأصاب طائفة منها أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماءً، ولا تثبت كلاً، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه بما بعثني من العلم فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدي الله الذي أرسلت به"^(١).

ج- الفروق الانفعالية

الانفعالات حالات داخلية تنشأ عن مجريات الأمور والأحداث والوقائع التي يتعرض لها الإنسان، ومظهر الانفعال انبساط مع الأحداث المرغوب بها أو انقباض مع الأحداث غير المرغوب بها^(٢). وقد أوضح القرآن الكريم والسنة المطهرة اختلاف الناس في الأمزجة والصفات ورود الأفعال، فمنهم رقيق العاطفة، وآخر شديد، وثمة من هو سريع الغضب وآخر لديه القدرة على امتلاك زمام الأمور.

وفي السنة قوله ﷺ: "إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك السهل والحزن والخبيث والطيب قال: ألا فإن منهم البطيء الغضب السريع الفيء، ومنهم سريع الغضب بطيء الفيء، فتلك بتلك، ألا إن منهم سريع الغضب سريع الفيء ألا وخيرهم بطيء الغضب سريع الفيء، ألا وشرهم سريع الغضب بطيء الفيء"^(٣).

د- الفروق الأخلاقية

يجد المتأمل في كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة نبيه ﷺ الحديث عن نماذج أخلاقية متباينة ومتفاوتة، فثمة حديث عن الصدق والكذب، والأمانة والخيانة، وغير ذلك من النماذج الأخلاقية، مما يدل على اختلاف الناس في الصفة الخلقية الواحدة قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ

الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بدينارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِينِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٤)، فالآية الكريمة تبين اختلاف أهل الكتاب في اتصافهم بصفة الأمانة، فمنهم من يحافظ عليها ويرعاها الرعاية الصحيحة ويؤديها إلى صاحبها متى طلبها، ومنهم من لا يحافظ عليها مطلقاً.

(١) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج٤، ص ١٧٨٨، حديث (٢٢٨٢).

(٢) محمد السيد الزعبلوي، تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، مرجع سابق، ص ١٢٣.

(٣) رواه الترمذي، سنن الترمذي، ج٤، ص ١٤٨٣، حديث (٢١٩١)، قال الترمذي حديث حسن صحيح، صححه الشيخ الأرنؤوط.

(٤) سورة آل عمران، آية ٧٥.

تاسعاً: النمو الإنساني يتبع نمطاً محدداً يمكن التنبؤ به

أشار القرآن الكريم والسنة المطهرة إلى النمط المحدد للنمو الذي يسير عليه الإنسان غالباً إذا ما كتبت له الحياة، فبين الحق سبحانه وتعالى نمط نمو الجنين في رحم أمه، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا أَلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ (١).

وحدد القرآن الكريم مراحل القوة والضعف التي يمر بها الإنسان في حياته، وهو نمط لا بد أن يمر به، يقول سبحانه: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾ (٢) وذكر نمط نمو الحواس، يقول سبحانه: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۗ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٣).

عاشراً: النمو الإنساني يسير من الداخل إلى الخارج ومن الأعلى إلى الأسفل

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ﴾ (٤) تتل الآية الكريمة على أن عمليات النمو التي تحدث في الإنسان تسير من الداخل إلى الخارج، يقول سيد قطب: "..... وهنا يقف الإنسان مدهوشاً أمام ما كشف عنه القرآن من حقيقة في تكوين الجنين، لم تعرف على وجه الدقة إلا أخيراً بعد تقدم علم الأجنة التشريحي، ذلك أن خلايا العظام غير خلايا اللحم، وقد ثبت أن خلايا العظام هي التي تتكون أولاً في الجنين، ولا تشاهد خلية واحدة من خلايا اللحم إلا بعد ظهور خلايا العظام وتمام الهيكل العظمي للجنين" (٥). وكذلك النمو يتجه من الأعلى إلى الأسفل؛ أي من منطقة الرأس باتجاه منطقة القدمين، وعليه يكون اكتمال النمو والنضج في المناطق العليا من الجسم قبل المناطق السفلى، والله سبحانه وتعالى حكيم في هذا، كون أجهزة نقل المعلومات والإحساس بالمحيط موجودة في الرأس مما يؤدي إلى تطور عقلي متقدم على الذي يحدث في أسفل الجسم (٦).

(١) سورة المؤمنون، آية ١٤.

(٢) سورة الروم، آية ٥٤.

(٣) سورة النحل، آية ٧٨.

(٤) سورة المؤمنون، آية ١٤.

(٥) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٢٤٥٩/٤.

(٦) شفيق علاونة، سيكولوجية التطور الإنساني، مرجع سابق، ص ٢٣.

وكذلك النمو يكون بشكل عام قبل أن يكون متخصصاً، فالطفل الوليد يحرك جسمه كله في وقت واحد قبل أن يتمكن من تحريك أطرافه، كما يتمكن من رؤية الأشياء الكبيرة قبل رؤية الأشياء الصغيرة.

وثمة مبادئ أخرى أشار إليها علماء نفس النمو لا تتعارض مع الإسلام، منها أن معدل النمو ليس ثابتاً؛ فالنمو لا يسير بسرعة ثابتة، فثمة فترات للنمو يكون سريعاً وأخرى يكون فيها بطيئاً، ففي مرحلة المهد يكون النمو سريعاً ثم بطيئاً نوعاً ما في المرحلة التي تليها، وفي مرحلة البلوغ يلحظ نمواً كبيراً ومفاجئاً لنواحي كثيرة^(١).

المطلب الثاني - خصائص النمو الإسلامي من المنظور الإسلامي

تتميز حقائق النمو الإنساني ومبادئه بمجموعة من السمات الثابتة التي تجعله أمراً متميزاً، مختلفاً عن الدراسات والنظريات الأخرى، ومن أهم هذه الخصائص.

١- الربانية

يقول سيد قطب "الربانية أولى خصائص التصور الإسلامي؛ ومصدر هذه الخصائص كذلك...، فهو تصور اعتقادي موحى به من الله سبحانه، ومحصور في هذا المصدر لا يستمد من غيره، وذلك تميزاً له من التصورات الفلسفية التي ينشئها الفكر البشري حول الحقيقة الإلهية أو الحقيقة الكونية أو الحقيقة الإنسانية، والارتباطات القائمة بين هذه الحقائق، وتميزاً له كذلك عن المعتقدات الوثنية التي تنشئها المشاعر والأخيلة والأوهام، والتصورات البشرية"^(٢).

فالربانية تعني الانتساب إلى الرب سبحانه، أي أن كل شيء من عند الله سبحانه وتعالى؛ فبين المادة التي خلق منها الإنسان، وأوضح كيفية تكون الإنسان في رحم الأم والمراحل التي يمر بها وأشار إلى العديد من العوامل المؤثرة في نمو الإنسان، يقول سبحانه:

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلٰصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُر

وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سٰجِدِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾^(٣) ويقول سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن

سُلٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٥﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٦﴾ ﴾^(٤).

إن الربانية تعني خلو حقائق النمو الإنساني المتصلة بالقرآن الكريم والسنة المطهرة من النقص أو التحيز أو التناقض أو التطرف، بمعنى تفرد الرؤية الإسلامية أي أنه لا تطابقها ولا تشابهها نظرية، وذلك بسبب تفرد الأصول التي تعتمد عليها تلك الرؤية.

(١) محمد محمود، علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام، جدة، السعودية، دار الشروق، ط١، ١٩٨٤م، ص ٢٠٧.

(٢) سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط٧، ١٩٨٢م، ص ٤٣.

(٣) سورة الحجر، آية ٢٨-٢٩.

(٤) سورة المؤمنون، آية ١٢-١٣.

إن الرؤية الإسلامية للنمو الإنساني، ذات وجود حقيقي وواقعي في عالم الواقع المحسوس، وليست تصورات عقلية مجردة لا مقابل لها أو غير موجودة في عالم الواقع؛ والذي يؤكد هذه الواقعية ما كشفه علم دراسة الأجنة، من تطور نمو الطفل من كونه نطفة في رحم الأم إلى ساعة ولادته جاءت مطابقة تماماً لما ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة، والتي فصلت فيها المراحل تفصيلاً دقيقاً، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ (١). ومن الآية الكريمة نلاحظ أن العظام تخلق أولاً ثم يكسوها اللحم، فجاء علم تشريح الأعضاء وأكد أن خلايا العظام تنمو قبل خلايا اللحم.

٣ - الشمول والتوازن

امتازت رؤية الإسلام للنمو الإنساني بأنها رؤية شاملة؛ حيث عرفت الإنسان بحقيقته نفسه كإنسان في أصله، وأطوار خلقه، وغاية وجوده ورسالته في الحياة وتميزه عن المخلوقات الأخرى بما خصه من عقل وتكريم.

والمتأمل في النصوص القرآنية والنبوية يخلص إلى أنها تشمل مراحل حياة الإنسان من كونه نطفة إلى أن يصبح شيخاً، وتتعلق بها مختلف الأحكام الشرعية ذات التأثير بمظاهر النمو المختلفة، فقد أوجب الإسلام للمولود الرضاع الذي يسهم في نموه النفسي والجسدي، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُرِيَّ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (٢).

وفي مرحلة التمييز يبدأ الإنسان بالتعلم، ويطلب منه أن يؤدي الصلاة، يقول ﷺ: "مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع" (٣)، ومن المظاهر الدالة على الشمول بيان الأسس والقواعد التي يقوم عليها كل مظهر من المظاهر النمائية الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية.

أما التوازن فهو التناسق والانسجام والترابط بحيث يأخذ كل حجمه المحدد، فكل مرحلة لها حجمها ومساحتها، وكل عامل من العوامل المؤثرة في النمو منسجم ومتربط مع سائر العوامل فلا يزداد في جانب على حساب الجوانب الأخرى.

(١) سورة المؤمنون، آية ١٤.

(٢) سورة البقرة، آية ٢٣٣.

(٣) رواه أحمد، المسند، ج ٢، ص ١٨٧، حديث (٦٧٥٦).

والنمو الإنساني يقوم على أساس التوازن، فالإنسان مكون من جسم وعقل وروح ووجدان وهذه الطبيعة الإنسانية لا انفصال بين أجزائها، ولا يطغى جانب على آخر، لذا جاءت تعاليم الإسلام في كافة مراحل النمو منسجمة مع هذه المكونات مراعية لهذه الطبيعة البشرية، دون الاغترار بالنمو الجسدي والمادي على حساب النمو الروحي، وهذا ما يتفق مع الفطرة البشرية السليمة، حيث يقول سبحانه: ﴿ وَأَتَّبِعْ فِي مَآءِ آتِنَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (١).

٤- الثبات والوضوح

يمتاز التصور الإسلامي للنمو الإنساني بالثبات، فهو لا يتغير ولا يتبدل، فلا يمكن أن يقال يوماً: إن العلقة تأتي قبل النطفة، مع التنبيه إلى قبول نصوص آيات القرآن الكريم والسنة النبوية المتعلقة بالنمو التفسيرات العلمية المستندة إلى حقائق علمية ثابتة، فقبول هذه التفسيرات هو الحركة داخل الإطار الثابت، أي حول المحور الثابت المتمثل بالنصوص الشرعية، وهذا الثبات يمنح الإنسان راحة وطمأنينة واتصالاً بحقائق الأمور، ويعفي الفكر البشري من الخبط في عمياء.

الإضافة إلى الثبات ثمة ميزة أخرى وهي الوضوح، إذ تعدُّ الصورة التي قدمها لنا القرآن الكريم والسنة المطهرة أوضح الصور وأجلاها، لأنها مستمدة من كلام القدير سبحانه وتعالى جلّت قدرته، فثمة وضوح في أطوار تخلق الجنين، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق. قال: "إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكاً يؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله ورزقه وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح..." (٢).

وهناك وضوح في بيان دوري الرجل والمرأة في تكوين الجنين، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: مر يهودي برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث أصحابه، فقالت قريش: يا يهودي هذا يزعم أنه نبي، فقال: لأسألنه عن شيء لا يعلمه إلا نبي، قال: فجاء حتى جلس ثم قال: يا محمد مم يخلق الإنسان؟ قال: يا يهودي من كل يخلق من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة، فأما نطفة الرجل فنطفة غليظة منها العظم والعصب، وأما نطفة المرأة فنطفة رقيقة منها اللحم والدم فقام اليهودي فقال: هكذا كان يقول من قبلك" (٣).

(١) سورة القصص، آية ٧٧.

(٢) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ٤، ص ٢٠٣٦، حديث رقم (٢٦٤٣).

(٣) رواه أحمد، المسند، ج ١، ص ٤٦٥، حديث رقم (٤٤٣٨)، ضعفه شعيب الأرنؤوط.

الإسلام يعرض التصور القرآني للنمو، حيث يهدف إلى الوصول بالإنسان إلى الوفاق مع منهج الله سبحانه وتعالى وبالتالي وفاقه مع نفسه ومع الناس والكون كله، وأن يكون قادراً على إعمار الأرض كما أراد الله سبحانه وتعالى، فالإنسان لم يخلق عبثاً، يقول سبحانه: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ ١ فتعالى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ٢﴾ (١).

وخلق لغاية وهدف، يقول سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٢) وأن يكون خليفة في الأرض يحمل الأمانة التي كلف بحملها، يقول سبحانه: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (٣).

٥- يقوم على الإيمان "إيماني"

لا يملك الإنسان (المؤمن) حياء ما ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة عن النمو الإنساني إلا تصديقه والإيمان به، يقول سبحانه واصفاً عباده المؤمنين: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ (٤).

٦- الأصالة والمعاصرة

تتميز الرؤية الإسلامية للنمو الإنساني بالأصالة، إذ إنها لم تأخذ مما سبقها من آراء واجتهادات كما أنها لا تذوب في النظريات التي اكتشفت حديثاً، وهذه الأصالة نابعة من القرآن الكريم نفسه من حيث كونه كتاباً سماوياً لم يأخذ من الشرائع التي سبقته، ولم يذب فيما ظهر من ديانات فيما بعد، والأصالة تعني التمسك بالأصول دون التبعية لأحد في الفكر والنظر، وتدفع الباحث المسلم إلى النظر فيما حوله، وله حرية الإرادة في اختيار ما هو نافع دون التبعية لأحد.

(١) سورة المؤمنون، آية ١١٠-١١٦.

(٢) سورة الذاريات، آية ٥٦.

(٣) سورة الأحزاب، آية ٧٢.

(٤) سورة البقرة، آية ٤.

المبحث الثالث - العوامل المؤثرة في النمو الإنساني من منظور إسلامي

يشمل المبحث اثني عشر مطلباً: المطلب الأول - العبادات، والمطلب الثاني - الوراثة، والمطلب الثالث - زواج الأقارب، والمطلب الرابع - سن الأم، والمطلب الخامس - البيئة، والمطلب السادس - الغذاء، والمطلب السابع - النظافة، والمطلب الثامن - الأمراض، والمطلب التاسع - الإرهاق والتعب، والمطلب العاشر - اتجاهات الوالدين نحو جنس الجنين، والمطلب الحادي عشر - الحالة الانفعالية للأم أثناء الحمل، والمطلب الثاني عشر - التجانس بين الوالدين.

تمهيد

البشر متفاوتون متميزون بعضهم عن بعض، فلا يتطابق اثنان منهم تطابقاً كاملاً، ولكن السؤال الذي يُثار: ما أسباب هذا التفاوت الذي يمتد على اتساع كل مقوم من مقومات الذات الإنسانية؟.

ف نجد مثلاً صحيح الجسم المتمتع بمناعة عالية ضد أي مرض، والضعيف العليل الذي تؤثر فيه أقل الأمراض تأثيراً، وكذلك نجد العبقري ذا الذكاء الخارق، ومتوسط الذكاء والمتخلف عقلياً، وفي السلوكيات والتصرفات الصادرة نجد الحكيم الذي يزن الأمور بميزان دقيق، والمتحلي بالصبر وضبط الانفعالات، وفي الوقت نفسه نجد الأهوج الذي لا يقدر على ضبط انفعالاته وسلوكه.

إن الصحة والضعف والذكاء والتخلف العقلي والقدرة على ضبط الانفعالات وعدمها، تدل دلالة واضحة على أن "النمو الإنساني في مراحل ومساراته المختلفة يتأثر بعوامل شتى، قد تجمع بينها بعض العلاقات المباشرة أو غير المباشرة، وتختلف كميّات ونوعيات ودرجات وأزمان وظروف ونتائج تأثيرات هذه العوامل باختلاف المراحل العمرية التي قد يمر بها الأفراد، ودرجات استعداداتهم الفردية، ومعدلات سرعاتهم النمائية، وكميّات ومستويات تفاعلاتهم الاستجابية - الإيجابية والسلبية، الرئيسية وغير الرئيسية - مع هذه العوامل"⁽¹⁾.

ومنذ فجر الوجود البشري على سطح الأرض، شغل العلماء بمعرفة هذه العوامل بهدف معرفة أسباب التفاوت الذي امتد إلى كل مظهر من مظاهر الحياة الإنسانية، وقبل تحديد العوامل المؤثرة في النمو الإنساني من المنظور الإسلامي، لابد من توضيح حقيقة تتصل بالإنسان ونموه بل بالكون كله وهي **القدرة الإلهية**، فالله سبحانه وتعالى هو القادر على كل شيء، وبيده كل شيء، وقد حفل القرآن الكريم بالآيات الكريمة التي تؤكد هذه الحقيقة المطلقة

(1) هشام خوجلي، علم نفس النمو، مرجع سابق، ص ٢٧٣.

التي لا تحدّها حدود، ولا تقيدّها أسباب، وهي العامل الأول في التأثير في نمو الإنسان يقول سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾^(١).

فالآية الكريمة تؤكد أن الله سبحانه وتعالى هو وحده القادر على كل شيء، وهو الذي يمنح الأجنة الصور التي يشاء، ويمنحها الخصائص المميزة، فهو وحده الذي يتولى التصوير بمحض إرادته ومطلق مشيئته، فيعطي الجنين جنسه ذكراً كان أو أنثى، ويعطيه صورته من الحسن أو القبح أو الطول أو القصر، وينعم عليه بملكات التفكير والإحساس، فهو الذي يدبر الأمر بحكمته فيما يصور ويخلق، ويجعلنا على أحسن صورة من الجمال، والكمال وإضفاء الصفة الإنسانية^(٢).

إن التفكير بالآيات المتصلة بحقائق النمو الإنساني ومبادئه تجعل المسلم يقرّ إقراراً تاماً ويسلم تسليماً مطلقاً ويعتقد اعتقاداً جازماً بإطلاق القدرة الإلهية ولا محدوديتها؛ فسنة الزواج إحدى السنن التي وضعها الله سبحانه وتعالى ليسير على أساسها الكون، وهي من الحقائق المتصلة بالنمو الإنساني يقول سبحانه: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا

وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ۗ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي

كِتَابٍ ۗ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾^(٣). فهذه السنة هي السائدة بين جميع الكائنات الحية على مر العصور، وهي سبب تواصل الحياة في الكون واستمرارها، ولم نجد خروجاً عن القاعدة إلا في حالات نادرة، كخلق آدم وحواء وعيسى عليهم الصلاة والسلام، ولم يجعل الله سبحانه وتعالى هذه الحالات خروجاً عن سنة التزاوج إلا لتكون معجزات تلفت الأذهان إلى إرادة الله تعالى الحرة، وقدرته المطلقة، ورداً على الماديين في كل زمان ومكان^(٤).

فولادة عيسى عليه السلام من أعجب ما شهدته البشرية في تاريخها الطويل، حيث كانت حدثاً فريداً لا نظير له من قبله ولا من بعده، فالبشرية لم تشهد خلق آدم فساعت الحكمة الإلهية أن تبرز العجبية الثانية في مولد عيسى عليه السلام من غير أب، على غير السنة التي جرت منذ وجد الإنسان على سطح الأرض، ولتظل هذه العجبية بارزة تلتفت إليها الأجيال، ومما يدل على إطلاق يد القدرة الإلهية في خلق عيسى عليه السلام أمران، الأول: غياب الحيوان المنوي الذكري، فلم يكن هناك أب، لتظل القدرة الربانية ماثلة أمام الأبصار على عظمة الواحد القهار، فالأصل أن المرأة لا تحمل إلا بالتقاء الحيوان المنوي الذكري مع البويضة الأنثوية، وهذا ما لم يحدث مع

(١) سورة آل عمران، آية ٦.

(٢) سميح عاطف الزين، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، مرجع سابق، ج ٤٧، ص ١١٠.

(٣) سورة فاطر، آية ١١.

(٤) حمد الرقعي، خلق الإنسان بين العلم والقرآن، مرجع سابق، ص ٣٧-٣٨.

السيدة مريم العذراء، لأن إرادة الله تعالى قضت بالأمر، والثاني: النمو اللغوي المبكر، إذ أشارت الآيات القرآنية إلى أن سيدنا عيسى عليه السلام قد تحدث مع قومه حديثاً واضحاً ومفهوماً من عدة جمل، قال تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۖ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۗ ﴾ (١).

فإنه سبحانه وتعالى هو مسبب الأسباب ومهيؤها، فالحقائق المتصلة بالنمو الإنساني تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك حقيقة كبرى وأساسية، تلك هي أن الخالق جلت قدرته وتعالى عظمته هو القادر والمهمين الباعث لجميع حركات الوجود وسكناته، وهو الموجد للأشياء من لا شيء يقول سبحانه: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَخْلُقْهُنَّ يُقَدِّرْ عَلَىٰ أَنْ يَحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۗ ﴾ (٢).

يلحظ المتأمل أن الله سبحانه وتعالى يهيئ لهذا الإنسان الضعيف جميع أسباب حياته، منذ طفولته، فهو الذي أودع فيه غريزة امتصاصه ثدي أمه بكل ما تحمل من تعقيدات، وأجرى سبحانه وتعالى اللبان في ثدي أمه من غير حول منها ولا قوة، يقول سبحانه: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۚ نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِمْ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ۗ ﴾ (٣). ثم تلي عملية الامتصاص الفمي عملية الابتلاع ثم عملية الامتصاص المعدي ثم عملية الإخراج، وكلها تستوجب تذكر القدرة الإلهية في عملية النمو الإنساني، وتذكر بنعم الله سبحانه وتعالى على الإنسان، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۖ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۖ ۝ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۗ ﴾ (٤).

المطلب الأول - العبادات

تعدُّ العبادات من أهم العوامل المؤثرة في النمو الإنساني، ومن هنا جاء حرص الإسلام على أن يؤدي المسلم منذ صغره مختلف أنواع العبادات المفروضة، ذلك لأنها تؤثر في مختلف مظاهر النمو الجسمي والعقلي والنفسي والأخلاقي للإنسان، وهي تجعل المسلم في وعي دائم وتفكير مستمر بكل ما يصدر عنه من أعمال، فأعمال الإنسان إن لم توزن بميزان رضا الله تصبح وبالاً عليه، فلا يقوم بعمل قبل أن يفكر فيه وفي حكمه وهدفه وأسلوبه الذي يرضي الله تعالى.

(١) سورة مريم، آية ٣٠-٣١.

(٢) سورة الاحقاف، آية ٢٣.

(٣) سورة النحل، آية ٦٦.

(٤) سورة المعارج، آية ١٩-٢١.

فالعبادات تجعل الإنسان المسلم إنساناً عقلياً منهجياً واعياً مفكراً، يفكر في ملكوت السماوات والأرض ويناجي ربه ويعبده من خلال التفكير، فهو يفكر في حياته وسلوكه ومصيره ويربط أعماله كلها بهذا المصير، كما تربى عنده العواطف الربانية الخالصة؛ والشعور الدائم بالانقياد لله وحده والخضوع لأوامره، يقول سبحانه: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(١) وهي كذلك تربى فيه الارتباط الدائم بالجماعة المسلمة حيثما كان ومهما تكن الظروف، فالعبادات تقام في جماعة منتظمة متحاببة ذات هدف واحد وتصورات موحدة^(٢).

والعبادات في الإسلام متنوعة وكثيرة، سيعرض الباحث لبعض هذه العبادات - الوضوء والصلاة والصوم - مبيناً أثرها في مظاهر النمو المختلفة للإنسان بشكل موجز، وفيما يلي عرض لبعض العبادات في الإسلام وأثرها في مختلف مظاهر النمو.

الفرع الأول - عبادة الوضوء

الوضوء: هو استعمال الماء في أعضاء معينة، على كيفية مخصوصة بنية، وسُمي بذلك لما يضيف على الأعضاء من وضوء بغسلها وتنظيفها^(٣).

أ- الوضوء والنمو الجسدي

إن عبادة الوضوء تؤثر تأثيراً واضحاً في النمو الجسدي للإنسان، فهي برنامج ملزم للإنسان من خلال تكليفه بالالتزام بأداب قضاء الحاجة، وغسل اليدين والرجلين، والمضمضة والاستنشاق والاستنثار، الأمر الذي يحقق للإنسان قدراً معقولاً من الصحة العامة، وبقي جسمه من كثير من الأمراض التي قد تعيق نموه البدني^(٤).

وقد أثبت العلم الحديث أن الوضوء يقلل من حدوث الأورام السرطانية التي تسببها المواد الكيميائية، لأن الوضوء يكفل إزالتها قبل أن تتراكم بكميات تمكنها من النفاذ والتسرب من الجلد إلى داخل الجسم، كما أن تأثير أشعة الشمس ولاسيما الأشعة فوق البنفسجية تساهم في إحداث سرطان الجلد الذي لا يصيب إلا الأماكن الظاهرة المعرضة لهذه الأشعة، ومن هنا كانت فائدة الوضوء وتكراره، حيث يكفل ترطيب سطح الجلد بالماء وخاصة الجزء المعرض للأشعة مما يتيح لخلايا الطبقة الداخلية للجلد أن تحتمي من الآثار الضارة للتعرض لأشعة الشمس^(٥)، كما أن الوضوء يكفل للمتوضئ الوقاية من نمو الفطريات بين أصابع القدمين،

(١) سورة الكهف، آية ١١٠.

(٢) محمد علي قطب، أولادنا في ضوء التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ٨٨-٨٩.

(٣) مصطفى ديب البغا، مضامين تربوية في الفقه الإسلامي، مرجع سابق، ص ٦٩.

(٤) باقر القرشي، النظام التربوي في الإسلام: دراسة مقارنة، دار المعارف للطبوعات، ١٩٨٨م، ص ٣٠٤-٣٠٩.

(٥) محمد كامل عبد الصمد، الإعجاز العلمي في الإسلام: القرآن، مرجع سابق، ص ٢٩٣.

ويمنع إصابة الجلد بالالتهابات والتفحجات والتجمعات الصديدية. وفي إحصاء أجرته منظمة الصحة العالمية، كان الرقم مخيفاً، حيث وجد ثلاثمائة مليون إنسان مصاب بأمراض القذارة والمسلمون على نحو عفوي ما داموا يتوضئون فهم ناجون من أمراض القذارة لأن الوضوء بقي من هذه الأمراض^(١).

ب- الوضوء والنمو الديني

تؤثر عبادة الوضوء في النمو الديني للفرد، فالوضوء يعلم الإنسان إخلاص النية وتطهير القلب من كل سوء، لذا كانت النية الخالصة شرطاً في صحة الوضوء، فلا وضوء إلا بنية، وهو شرط لصحة الصلاة، والوضوء يربي في المسلم تعظيم شأن العبادات فلا يخالطها العبث، نفي ذلك من كراهية الكلام أثناء الوضوء لغير مصلحة، ومن ذلك احترام كل ما هو من شعائر الدين^(٢).

ج- الوضوء والنمو النفسي

يساهم استخدام الماء في عبادة الوضوء في الاستقرار النفسي للإنسان؛ لأن الماء يسهم في تخفيف مشاعر القلق والتوتر التي يتعرض لها الإنسان، الأمر الذي جعل بعض علماء النفس ينصحون بعلاج الأطفال المصابين بالقلق عن طريق استخدام الماء، فيما يعرف بالعلاج بالماء^(٣)، والوضوء يجعل الإنسان قادراً على ضبط نفسه، وذلك عن طريق إطفاء جذوة الإثارة والغضب بالوضوء يقول ﷺ: "إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ"^(٤).

د- الوضوء والنمو الاجتماعي والأخلاقي

يسهم تكرار الوضوء أمام الصغير في تعليمه المسؤولية الاجتماعية، وذلك من خلال تدريبه على السلوك الاقتصادي الذي يحمله مسؤولية المحافظة على موارد الأمة، فالصغير قد يسرف في استخدام الماء وتكرار الوضوء أمامه بشكل اقتصادي يجعل الصغير يستشعر المسؤولية الاجتماعية^(٥)، فالوضوء يربي عند الإنسان مراعاة مصالح الآخرين، والعمل على مراعاة حاجاتهم وظروف حياتهم، فبين الفرد والمجتمع علاقة تبادلية: فكل منهما له حقوق، وعليه واجبات يحرص عليها ويعمل على المحافظة عليها.

(١) محمد راتب النابلسي، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، مرجع سابق، ص ١٢٧-١٢٨.

(٢) مصطفى البغا، مضامين تربوية في الفقه الإسلامي، مرجع سابق، ص ٩٧-٩٨.

(٣) عبد الرحمن عيسوي، الإسلام والعلاج النفسي الحديث، بيروت، لبنان، دار النهضة العربية، ١٩٨٨م، ص ٨٤.

(٤) رواه أحمد، مسند أحمد، حديث رقم (١٨٠١٤)، ح ٤، ص ٢٢٦، ضعفه شعيب الأرنؤوط.

(٥) رجا العميرات، المضامين التربوية المتعلقة بعبادات الطفل، مرجع سابق، ص ٧٨.

والوضوء يعود النشء الاعتماد على النفس في أعمالهم وما يحتاجون إليه، إضافة إلى التكيف مع الظروف والأحوال الطارئة، فلا تتعاس همتهم ولا تضعف عزيمتهم عن الاستقلالية بالعمل إذا فقدوا المعين، لأن الأصل في الوضوء أن يقوم به الإنسان بنفسه وأن استعانته بغيره خلاف الأولى^(١).

الفرع الثاني - عبادة الصلاة

الصلاة: "تطلق كلمة الصلاة على أقوال وأفعال مخصوصة، تفتتح بالتكبير وتختتم بالتسليم، سميت صلاة لأنها تشمل على الدعاء، ولأنه الجزء الغالب فيها، إطلاقاً لاسم الجزء على الكل"^(٢).

أ- الصلاة والنمو العقلي

تؤثر عبادة الصلاة في النمو العقلي للإنسان، فأداء الصلاة يسهم في صياغة عقلية المسلم صياغة رصينة، وهذه العقلية تقوم على الحقائق وتطرد الأوهام، فالصلاة تحافظ على الاعتقادات القلبية والعقلية وتوجه العقل وفق منهج راشد لإصلاح دنياه وآخرته، يقوم على تحديد الهدف والغاية من كل عمل يقوم به، فمن أراد الصلاة لا بد له من نية، وهذا ما يجعل الفرد يتعلم تحديد الغاية والهدف من كل عمل^(٣)، ومن أهم المهارات العقلية التي تمثل مظاهر النمو العقلي في الصلاة، الإدراك، إضافة إلى زيادة القدرة على التركيز حول موضوع معين والتذكر والتفكير، ومهارات الحفظ والتسميع والاستماع، "ومما يؤكد مضمون التربية العقلية في الصلاة: ما تتطلبه أحكامها من معرفة مواقيت الصلاة، وعدد ركعاتها، والتميز بين أركانها أو فروعها، وبين سننها وبين مكروهاتها ومبطلاتها، وما تتطلبه من حفظ الأجزاء من القرآن الكريم من أجل تلاوتها فيها، وحفظ الأذكار، والأدعية المستحبة في الصلاة، وما تتطلبه من استحضار النية واستصحابها حتى الفراغ منها، ووعي وانتباه وتركيز في كل أعمال الصلاة، واجتهاد في تحديد اتجاه القبلة، كل ذلك يعد بمنزلة التربية العقلية، وبها يستشعر حاجة عقله وفكره إلى ملازمة مدبر واع لهذا العقل والفكر، يلقاه كل يوم ويستشف من معرفته منابع المعرفة، وينهل من قوته ما يفتح له المدارك وسعة الفهم، كما يلقي الطالب معلمه، فيرعاه ويوجهه لما فيه صلاحه ونجاحه"^(٤).

(١) مصطفى البغا، مضامين تربوية في الفقه الإسلامي، مرجع سابق، ص ١٠٤.

(٢) المرجع السابق، ص ١٦٨.

(٣) صلاح الدين سلطان، الآثار التربوية للعبادات في العقل والجسد، مرجع ساب، ص ٩-١٣.

(٤) مصطفى البغا، مضامين تربوية إسلامية في الفقه الإسلامي، مرجع سابق، ص ١٨٢.

ب- الصلاة والنمو الجسدي

تؤثر الصلاة في النمو الجسدي للإنسان، فقد ثبت علمياً أن الركوع والقيام والسجود يقوي عضلات الظهر والمعدة ويزيل ما قد يتكون على جدار المعدة من دهون وشحوم، والسجود يقوي عضلات الفخذين والساقين ويعمل على وصول الدم إلى أطراف الجسم، كما أنه يقوي جدار المعدة وينبه حركات الأمعاء ويعد وقاية من أعراض مرض تمدد المعدة بما يسببه من تقلص عضلاتها وتحريك الحجاب الحاجز^(١).

لذا يندر وجود العديد من الأمراض بين المصلين، فيندر وجود أمراض في العمود الفقري لأن طبيعة الركوع والسجود والقيام صحة للعمود الفقري، ويندر وجود الدوالي وجلطات الأوردة العميقة والاحتقان الدموي في الحوض الذي يسبب البواسير ونزيف الرحم، ويندر بين المصلين وجود خرف الشيخوخة لأن السجود من شأنه أن يروي الدماغ بالدم، ومن أسباب التيه وخرف الشيخوخة نقص تروية أوعية المخ^(٢). فالسجود يؤدي إلى احتقان دموي في الأوعية وعند ارتفاع الرأس يحصل انخفاض في الضغط داخل الأوعية، وتكرر هذه العملية (١٠٢) مرة إذا صلى الإنسان الفروض أي بمعدل (٦) مرات في الركعة ما بين سجود وركوع، وفي كل مرة تكون الأوعية الدموية بين انقباض وارتخاء، فتزداد مرونتها وتقوى جدرها وعضلاتها مما يترتب عليه أن تقوى مقاومتها للتمزق والنزيف.

وعليه فالصلاة تساعد في النمو الجسمي السليم للإنسان، فهي أفضل تدريب لجميع مفاصل الجسم، الذي لا بد من تحريكه لينمو نمواً سليماً، وكذلك تبعد عن الإنسان العديد من الأمراض التي تصيب الظهر والمعدة والأمعاء وتنشط عملية الهضم في جسم الإنسان.

كما أن للصلاة تأثيراً على الجهاز العصبي؛ إذ تزيل توتره وتهدئ من ثورته وتشفيه من اضطرابه، وتعدّ علاجاً نافعاً للأرق الناتج عن الاضطراب العصبي، يقول الدكتور الكيس كاريل الحائز على جائزة نوبل في الطب عن أثر الصلاة في أجهزة الجسم: "إنها تحدث بعض النشاط في أجهزة الجسم وأعضائه، بل هي أعظم مولد للنشاط عرف إلى يومنا هذا، وقد رأيت - بوصفي طبيباً - كثيراً من المرضى أخفقت العقاقير في علاجهم، فلما رفع الطب يديه عجزاً وتسليماً تدخلت الصلاة فأبرأتهم من علقهم إن الصلاة كمعدن الراديوم مصدر للإشعاع ومولد ذاتي للنشاط .. فقد شاهدنا تأثير الصلاة في الحالات المرضية، إذ برئ كثير من المرضى من أمراض مختلفة متعددة كالنترن والتهاب العظام والجروح المتقيحة والسرطان وغيره"^(٣).

(١) محمد كامل عبد الصمد، الإعجاز العلمي في الإسلام: القرآن الكريم، مرجع سابق، ص ٢٩٥.

(٢) محمد راتب النابلسي، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، مرجع سابق، ص ١١٥-١١٦.

(٣) محمد كامل عبد الصمد، الإعجاز العلمي في الإسلام: القرآن الكريم، مرجع سابق، ص ٢٩٧.

د- الصلاة والنمو الديني

تلبى الصلاة حاجة الإنسان إلى التدين، يقول سبحانه: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(١)، والصلاة تؤدي إلى أن يستقر في نفس الإنسان أنه لا يوجد معين ومنعم حقيقي إلا الله عزوجل، فكما جاءت الصلاة تذكر الإنسان بأن الله هو وحده المعين والمنعم والنافع والضار والمحيي والمميت، فالمصلي يتعود بقربه من الله عزوجل أن يكون في مناجاته لله في الصلاة مؤمناً حقاً متوكلاً مراقباً لمولاه سراً وعلناً، يشعر أنه تحت كنف رب العالمين، يقول سبحانه: ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٢) ويتخذ المسلم من الصلاة ساعة توبة يتوب فيها عما يكون قد اقترفه من الآثام إذ إن الإنسان معرض في يومه وليلته لكثير من المعاصي التي قد يشعر بها أو لا يشعر بها، فتكون صلاته بين الحين والآخر تطهيراً له من المعاصي والأوزار^(٣).

كما تعد الصلاة غذاءً مستمراً لإيمان الشخص، فملهيات الدنيا كثيرة ووساوس الشيطان من شأنها أن تنسي الإنسان العقيدة المغروسة في قلبه، فإذا ما ثابر الإنسان على الصلاة كانت غذاءً لإيمانه ولم تعد الدنيا وملهياتها قادرة على إضعاف الإيمان في قلبه أو إمانته^(٤).

د- الصلاة والأمن النفسي

تبعث الصلاة في نفس الإنسان الشعور بالصفاء الروحي والاطمئنان القلبي والأمن النفسي، فهي تحدث الاسترخاء والهدوء وتخفف حدة التوترات العصبية الناشئة عن الضغوط^(٥)، ومن هنا كان ﷺ إذا أصابه كرب أو اشتد عليه الخطب هرع إلى الصلاة وكان ﷺ يقول عنها: "أرحنا بها يا بلال"^(٦).

(١) سورة الروم، آية ٣٠.

(٢) سورة الأنعام، آية ١٦٢-١٦٣.

(٣) مصطفى البغا، مضامين تربوية إسلامية في الفقه الإسلامي، مرجع سابق، ص ١٧٤.

(٤) مصطفى البغا، مضامين تربوية إسلامية في الفقه الإسلامي، مرجع سابق، ص ١٧٤.

(٥) محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، مرجع سابق، ص ٢٨٦.

(٦) رواه أبو داود، سنن أبي داود، حديث (٤٩٨٥)، ج ٤، ص ٢٦٩.

الصيام هو الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس مع النية (١).

أ- الصوم والنمو الجسدي

أثبتت الدراسات الطبية التي قام بها العلماء أن أخطر ما يصيب الإنسان في حياته هو إسرافه في الطعام، وأنه مهما حد واختصر في كمياته التي يتناولها فإنها تزيد عن حاجته يقيناً، الأمر الذي لا بد أن يصيب الإنسان بالأمراض، بداية من إرهاق أجهزة الهضم وزيادة المجهود على القلب والشرايين وارتفاع ضغط الدم ثم زيادة وزن الجسد التي يصاحبها مرض السكر، وأنه لا سبيل لوقايته من الأمراض وعلاجها إلا بمنع أسبابها وفرض الجوع المؤقت على الجسم بحيث تتحرك الأجهزة الداخلية نحو استهلاك الخلايا الضعيفة لمواجهة الجوع ثم يعود الجسم لبنني الخلايا السليمة (٢).

فالصيام يخفف العبء عن جهاز الدوران ويريح القلب بانخفاض نسبة الدسم في الدم وانخفاض نسبة حمض البول، ويريح الكليتين، والصيام يدعو سكر الكبد إلى التحرك ويتحرك معه الدهن المخزون تحت الجلد، وتتحرك معه البروتينات والغدد وخلايا الكبد، والصيام يبذل الأنسجة وينظفها، ويعدّ الصيام علاجاً لبعض الأمراض، منها التهاب المعدة الحاد، وارتفاع الضغط الشرياني، وداء السكري وقصور الكلية المزمن وبعض الأمراض الجلدية (٣). وعليه فإن الصوم يعدّ من العوامل المؤثرة في نمو الإنسان، فهو يجعل الجسد يتخلص من الفضلات إضافة إلى معالجته للأمراض التي بطبيعتها تمنع النمو السليم للجسد.

ب- الصوم والنمو الأخلاقي والاجتماعي

يؤثر الصوم في النمو الأخلاقي للإنسان، فيغرس فيه القيم والمثل العليا التي يحتاجها طوال حياته؛ فيغرس في الإنسان خلق الصبر والامتناع عن الشهوات فيعمم خصلة الصبر التي تعلمها من صيام رمضان على جميع نواحي الحياة الأخرى (٤). وشعور الصائم بالحرمان يجعله يشعر بألم الحرمان الذي يعاني منه الفقراء والمساكين، ويدفعه إلى العطف عليهم ومد يد العون والإحسان إليهم ومساعدتهم، وبذلك تزداد صلته بالناس، ويقوى فيه شعور الانتماء إلى الجماعة، ويزداد شعوره بتحمل المسؤولية (٥)، فالصوم يولد في نفس الإنسان جانب الإخاء، قال تعالى: ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۗ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً

(١) سيد سابق، فقه السنة، مرجع سابق، ١/٣٦٤.

(٢) محمد كامل عبد الصمد، الإعجاز العلمي في الإسلام، مرجع سابق، ص ٢٩٨.

(٣) محمد راتب النابلسي، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، مرجع سابق، ص ١٣٦-١٣٧.

(٤) محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، مرجع سابق، ص ٢٩٢.

(٥) محمد عثمان نجاتي، الحديث النبوي وعلم النفس، مرجع سابق، ص ٣٢١.

فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِيَعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴿١﴾، فتتولد في نفس المسلم القيم الإيجابية مثل: التعاون والإيثار والرحمة والعفو نحو المجتمع المحيط، فيتحقق التكافل الاجتماعي الذي يقوم على الإحساس والشعور مع الآخرين.

وفي الصوم يعتاد الإنسان الأمانة في كل أمور حياته لأن الله سبحانه وتعالى يراقبه في كل لحظة، وقد عد القرآن الكريم الصيام سبيلاً إلى التقوى، يقول سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٢)، والصيام يعلم الإنسان الصدق ويبعده عن الكذب، فهو سر بين الإنسان وربّه عزوجل، فيدفعه إلى الصدق في كل أحواله، كما ينمي خلق الصدق في نفس المسلم حتى يصبح ممزوجاً بأخلاقه وسلوكه قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (٣).

والصيام يبعد الإنسان عن البخل ويعلمه الكرم، ويدفعه إلى الإحساس بالفقراء وجوعهم فتجود نفسه بالصدقة عليهم، لتفكيره في حاجة الفقير ومتطلباته، ولعل من أهم وظائف الصيام أن يتدرب الإنسان على تقبل التغيير باعتباره من سنن الله تعالى في خلقه، فيأتي الإنسان طوال العام من الأفعال ما بين حاجة الجسد وحاجة النفس والهوى، فإذا جاء شهر الصوم أحدث التغيير الشامل في حياة الإنسان.

والصيام يؤثر كذلك في النمو النفسي للإنسان، ففيه تربية للنفس وتهذيب لها، وعلاج لكثير من أمراضها، فهو يقوي الإرادة عند الإنسان، وله أثر في النمو الديني فهو السبيل الخالص لزيادة الإيمان في النفس.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن الشارع الكريم رخص تجاوز بعض الأحكام الشرعية (٤)، في الصيام وغيره، مراعاة للنمو الجسدي والنفسي للإنسان يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ (٥).

فالآية الكريمة تدل على أن الله تعالى أباح للمريض والمسافر الفطر في رمضان، رحمة في العباد وتيسيراً عليهم، فالحامل والمرضع إذا خافتا على نفسيهما أو ولديهما أفطرتا لأن حكمهما حكم المريض، والمرض المبيح للفطر هو الشديد الذي يؤدي إلى ضرر في النفس

(١) سورة آل عمران، آية ١٠٣.

(٢) سورة البقرة، آية ١٨٣.

(٣) سورة التوبة، آية ١١٩.

(٤) الرخصة: الحكم الثابت على خلاف الدليل لعذر مع بقاء السبب المقتضي للحكم الأصلي، أو هي الأحكام التي شرعها الله تعالى بناءً على أعمار العباد رعاية لحاجاتهم مع بقاء السبب الموجب للحكم الأصلي. انظر: وهبة الزحيلي، أصول الفقه الإسلامي،

دمشق، دار الفكر، ط١، ١٩٨٦م، ج١، ص ١١٠.

(٥) سورة البقرة، آية ١٨٤.

أو زيادة في العلة أو يخشى معه تأخر البرء مما يؤدي إلى تأثر النمو الجسدي والنفسي للإنسان^(١).

لذا فقد أباح الله سبحانه وتعالى الفطر للمسافر كما أباحه للمريض وقاية لنفسه وبدنه في آن واحد، فمن جهة الوقاية النفسية فإن في السفر إجهاداً وتعباً إذ هو قطعة من العذاب؛ وإذا كان المسافر صائماً فإن ذلك يزيد تعبته وإرهاقه الأمر الذي يشعره بأن الصوم قد فرض لتعذيبه وإرهاقه؛ لذلك فإن الله يسر للإنسان الإفطار في حال السفر وقاية لنفسه من الاعتراض والتحدي واللوم لله، أما من جهة الوقاية البدنية فإن في فطر الصائم المسافر راحة لبدنه ووقاية له من التعب والألم والمشقة التي تلحقه جراء سفره وصومه، وكذلك في حال المرض فإن المريض يعاني من الآلام التي تقده لذة الصوم الذي هو عبادة، فيصبح الصوم ألماً فوق ألمه ووجعاً فوق وجعه وهذا ما لم يستهدفه الحق سبحانه وتعالى من حقيقة هذا الدين^(٢).

المطلب الثاني - الوراثة^(٣)

عرفت البشرية تأثير الوراثة على النبات والحيوان منذ زمن بعيد، حيث اكتشفوا أن البذرة الجيدة تنتج نبتة قوية ترث عنها صفاتها العامة وخصائصها البيولوجية، والنبتة المريضة والمصابة لا تنتج إلا ما يتوافق مع صفاتها، لذا اعتمد أسلوب الانتقاء والاختيار للبذور من أجل الحصول على المحاصيل الجيدة، والإنسان شأنه شأن المخلوقات الأخرى يتأثر بالوراثة فيرث عن والديه وأجداده الصفات والخصائص الجسدية المتعددة، إضافة إلى القدرات والطاقات والانفعالات والأمزجة^(٤). وقد بلغ من اهتمام العرب في جاهليتهم بالصفات الوراثية أن منهم من إذا رأى سيداً من سادات العرب وعظيماً من عظمائهم، وأعجبته أخلاقه وصفاته من كرم وحسن سمعة وبعد صيت، يقول لزوجته بعد أن تطهر من طمئها اذهبي إلى فلان فاستبضعي منه - نكاح الاستبضاع - ثم يعتزلها ولا يمسه أبداً حتى يتبين له حملها من ذلك الرجل الذي استبضعت منه، فإذا تبين له حملها أصابها زوجها إذا أحب، وهو يفعل هذا الأمر رغبة في نجابة الولد الذي سيرث من صفات المستبضع ومن أخلاقه ما يجعله موضع فخر للزوج لأنه ينتسب إليه لا إلى المستبضع الذي جاء من صلبه^(٥).

فالوراثة هي انتقال الصفات الوراثية من جيل إلى جيل، ومن الأجداد والآباء إلى الأحفاد والأبناء، وهذه الصفات هي التي تسبب تشابه الأحفاد والأبناء وهذه الصفات الوراثية

(١) محمد علي الصابوني، روائح البيان في تفسير آيات الأحكام، مرجع سابق، ٢٠٢/١-٢٠٩.

(٢) حسن الشراوي، في الطب النفسي النبوي، مصر، دار المطبوعات الجديدة، ص ٢٣-٢٤.

(٣) سيأتي هذا العامل مفصلاً في فصل قضايا أساسية في علم نفس النمو من منظور إسلامي، ويكتفي الباحث بعرض موجز لبيان اهتمام الإسلام بالوراثة.

(٤) أحمد رجب الأسمر، فلسفة التربية في الإسلام، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط١، ١٩٩٧م، ص ١٧٣-١٧٤.

(٥) عبد الغني الخطيب، الطفل المثالي في الإسلام، مرجع سابق، ص ١٢.

تنتقل بوساطة عملية التناسل سواء أكان ذلك الحي نباتاً أم حيواناً أم إنساناً^(١)، فهي مجموعة من الخصائص والسمات الجسمية والفسولوجية والحسية والعقلية التي تنتقل من الآباء والأجداد إلى الأبناء والأحفاد، عن طريق الجينات - الناقلات الوراثية - التي تحملها الكروموسومات، وهذه الجينات تحدد السمات الوراثية عندما يخترق أحد الحيوانات المنوية الحاملة لـ (٢٣) كروموسوماً البويضة الأنثوية الحاملة أيضاً لـ (٢٣) كروموسوماً، ويعرف هذا علمياً بلحظة الإخصاب أو طور البويضة المخصبة، فتؤثر الإمكانات والاستعدادات الوراثية للفرد بشكل مباشر أو غير مباشر في النمو الإنساني وأنواعه ودرجاته ومظاهره وسماته ومعدلاته^(٢). فالوراثة هي جميع العوامل الموجودة في الكائن الحي منذ لحظة الإخصاب التي يتم فيها تلقيح الحيوان المنوي الذكري للبويضة الأنثوية. وقد أشار القرآن الكريم والسنة النبوية إشارات واضحة وعديدة إلى تأثير الوراثة في المظاهر النمائية المختلفة للإنسان.

فما ورد في الحديث النبوي الشريف، مما يدل على وراثة صفات جسدية من الآباء والأمهات والأجداد - تأثر النمو بالوراثة إلى الأبناء والأحفاد أن رجلاً من بني فزارة جاء إلى النبي ﷺ فقال: "إن امرأتي ولدت غلاماً أسود، فقال: "هل لك من ابل؟" قال نعم، قال فما ألوانها؟ قال "حمر، قال: هل فيها من أوراق؟" قال: إن فيها لورقاً، قال فأتى أتاها ذلك، قال عسى أن يكون نزعة عرق، قال: "وهذا عسى أن يكون نزعة عرق"^(٣)، وثمة أحاديث تشير إلى أن الولد يتأثر بصفات أمه، ومن هذه الأحاديث ما ترويه أم سلمة رضي الله عنها قالت: "جاءت أم سليم إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق، فهل على المرأة غسل إذا احتلمت فقال رسول الله ﷺ: (نعم إذا رأت الماء) فقالت أم سلمة: يا رسول الله وتحتلم المرأة فقال: "تربت يداك فيم يشبهها ولدها"^(٤).

هذه إشارات موجزة تدل على تأثير الوراثة في نمو الإنسان، وسيأتي تفصيل تأثير الوراثة في مختلف المظاهر النمائية في فصل "قضايا إسلامية في علم نفس النمو من منظور إسلامي".

المطلب الثالث - زواج الأقارب

حرم الإسلام على الإنسان الزواج بأصناف من النساء القربيات تحريماً مؤكداً، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ

(١) عبدالله السعيد من الإعجاز الطبي في الأحاديث النبوية الشريفة علم الوراثة، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ١٩٨٩م، ص ٦٣.

(٢) هشام خوجلي، علم نفس النمو، مرجع سابق، ص ٢٧٥.

(٣) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ٢، ص ١١٣٧، حديث (١٥٠٠).

(٤) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ١، ص ٢٥١، حديث (٣١٣).

الْأَخِ وَبَنَاتِ الْأَخْتِ وَأُمَّهُنَّكُمُ الَّتِي أَرْضَعْتَكُمُ وَأَخَوَاتِكُمْ مِنَ الرِّضَاعَةِ وَأُمَّهُنَّ نِسَائِكُمْ
 وَرَبِّبُكُمُ الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ
 فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا
 مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا» (١) وبهذا يكون الإسلام قد اهتم بشكل لم يسبق له
 مثيل بتحديد المحرمات من النساء بسبب القرابة أو الرضاع أو المصاهرة لحكم شتى منها
 ضمان أمن الأسرة واستقرارها والحفاظ على صلة الأرحام والإبقاء على كيانها وتسهيل
 الخلطة وقطع الغيرة.

لكن هناك أقارب للإنسان خارج دائرة التحريم السابقة، لم يحرم الإسلام الزواج بهن
 من حيث المبدأ، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي
 ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ
 خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ
 أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا

مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا» (٢) والنبوي ﷺ
 تزوج من ابنة عمته أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها، كما زوج النبي ﷺ ابنته
 فاطمة رضي الله عنها من ابن عمه علي بن أبي طالب ﷺ.

فالأدلة السابقة تؤكد أن زواج الأقارب بشكل عام لاشيء فيه، ولو كان فيه ضرر
 للإنسان لما فعله الرسول ﷺ، وقد أكدت الأبحاث العلمية ذلك، حيث أشارت إلى أن تاريخ
 العائلة إذا كان خالياً من الإصابة بالأمراض الوراثية، أي أن أفرادها أتقياء وراثياً فلا ضرر
 من الزواج من الأقارب (٣).

ولكن الخطورة تكمن في العائلات المغلقة التي تكثر من التزاوج بين أبناء العمومة،
 ففي مثل هذه الزيجات بين الأقارب تظهر الصفات والأمراض المتنحية التي كانت مختفية،
 فالأب والأم المتقاربين في النسب يحملان كثيراً من الصفات المشتركة والمتنحية، وبعد الزواج
 فإن احتمال ظهور الصفات المتنحية يصبح كبيراً جداً، لذا فالأمراض الوراثية النادرة في
 المجتمع يكون احتمال ظهورها في الزوجين البعيدين لا تزيد عن واحد في الألف، بينما يرتفع

(١) سورة النساء، آية ٢٣.

(٢) سورة الأحزاب، آية ٥٠.

(٣) أحمد خليل، الوراثة وزواج الأقارب والمحرمات، مجلة التربية، قطر، العدد ١٢٠، ١٩٩٧م، ص ٢٧٤.

احتمال ظهور المرض الوراثي النادر إلى (٣٥%) عندما يكون الأب والأم أو أولاد عم أو خال أو عمّة أو خالة^(١).

يقول علماء الوراثة: "إن التزاوج بين الأقارب من الدرجة الأولى ينقل الأخطاء في المورثات أو الضعف، أو الأمراض أو العاهات إلى الأجيال بنسبة خمسين بالمئة، والزواج من الأقارب من الدرجة الثانية... بنسبة اثني عشر بالمئة، ومن الدرجة الثالثة بنسبة ستة بالمئة"^(٢)، وقد أثبت العلم الحديث أن زواج الأقارب ينتج ذرية لدى أفرادها استعداد كبير للأمراض والتشوه بعيوب خلقية... وأن درجة التناسل تقل حتى قد تصل إلى العقم، في حين أن زواج الأبعد ينتج ذرية تفوق أيّاً من الأبوين على السواء، كما ثبت أن زواج الأقارب يظهر العديد من الأمراض مثل: الصم والبكم الأسري والتهاب الشبكية والصرع والقزمية وضيق عظام المخ، وحساسية الجهاز التنفسي، والشعر الهش وضعف الذاكرة واضمحلال عضلات الأطراف^(٣).

يقول صاحب الظلال: "إن الزواج بين الأقارب يضوي الذرية ويضعفها مع امتداد الزمن، لأن استعدادات الضعف الوراثي قد تتركز وتتأصل في الذرية، على عكس ما إذا تركت الفرصة للتلقيح الدائم بدماء أجنبية جديدة تضاعف استعداداتها الممتازة، فتجدد حيوية الأجيال واستعداداتها"^(٤).

والمتمأل في التوجيهات الإسلامية يجد أن الإسلام رغب في تغريب النكاح - وهذا لا يتعارض مع إياحة الزواج من الأقارب كما تقدم سابقاً - ودعا إلى أن يكون الاختيار على أسس سليمة تكفل للأسرة وللمجتمع ما هو أفضل، لضمان نجابة الأولاد وصحتهم واستقامة أخلاقهم وحسن سلوكهم؛ فتغريب النكاح يؤدي إلى سلامة النسل وبعده عن الضعف الجسدي والعقلي، فقد ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه قال لبني السائب - وقد اعتادوا الزواج بقريباتهم - مالي أراكم يا بني السائب قد ضويتم - (ضعفتم وهزلتم)، غربوا النكاح لا تضروا"^(٥). ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "لا تتكحوا قرابة القرية فإن الولد يُخلق ضاويًا"^(٦).

(١) محمد علي البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، السعودية، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط٦، ١٩٨٦م، ص ١٥٤.

(٢) محمد راتب النابلسي، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، مرجع سابق، ص ١٥١.

(٣) أحمد خليل، الوراثة وزواج الأقارب والمحرمات، مرجع سابق، ص ٢٧٣.

(٤) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج ١، ص ٦١٠.

(٥) محمد بن حسين البصري الماوردي (ت ٤٥٠)، أدب الدنيا والدين، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م، ص ١٣٤.

(٦) علاء الدين المتقي، كنز العمال، حديث رقم (٤٥٦٢٦)، حديث موقوف على عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وتغريب النكاح يحقق التعارف والتآلف بين الأسر، ويقوي الروابط بين أفراد المجتمع،
وصدق الله إذ يقول: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ
قَدِيرًا ۗ ﴾^(١) فبالزواج يصبح البعيد قريباً والأجنبي صهراً.

وأخيراً إن زواج الأقارب في العائلات المغلقة التي تكثر من هذا الزواج، يزيد من
الأصالة الوراثية، الأمر الذي يضر في نهاية الأمر بالنمو الجسدي والعقلي للذرية، وثبت أن
نصيب أولاد هذا النوع من الزواج من العاهات والخلل في التكوين الفسيولوجي يكون مرتفعاً،
بصورة عامة، وليست هذه دعوة لهجر الزواج من الأقارب، فإذا كانت العائلة غير مغلقة
وخالية من الإصابة بالأمراض الوراثية فلا ضرر من زواج الأقارب، ومع هذا فلا بد من
الزواج المتباعد لأنه يزيد الخلط الوراثي ويقلل احتمال ظهور الجينات المرضية نادرة
الحدوث^(٢).

المطلب الرابع: سن الأم

لسن الأم دور بالغ التأثير في تحسين النسل وسلامته من العاهات الخلقية والعقلية، فقد
دلّت الدراسات والبحوث على أن نسبة الأطفال المشوهين والمعتوهين تزداد تبعاً لسن الأم
وخاصة بعد سن الخامسة والأربعين^(٣)، فالأطفال الذين يولدون لزوجين شابين يختلفون عن
غيرهم من الأطفال؛ ذلك أن الأزواج الشباب يكون نتاجهم أكثر حيوية، وأطول أعماراً، وأصح
نفسياً من أولئك الذين يولدون لأزواج قاربوا مرحلة الشيخوخة^(٤).

وثمة أدلة تشير إلى أن ارتفاع وفيات الأجنة، وارتفاع نسبة حدوث التخلف العقلي،
والولادات غير الناضجة، والتشوهات في الجهاز العصبي المركزي مرتبطة بتقدم الوالدين في
السن، ويعود ذلك إلى هبوط الوظائف التناسلية لكبار السن، وتركيز الهرمونات في دم الأم
الكبيرة السن، مع ما يرافق ذلك من أثار في تكوين الجنين^(٥).

فقد ثبت علمياً أن عمر الأم له علاقة بما يسمى بـ "متلازمة دارون" الطفل المنغولي،
الذي يولد في أغلب الأحيان نتيجة خلل كروموسومي، ونتيجة انفصال الكروموسوم (٢١) مما
ينتج عنه تثليث الكروموسوم، فيكون عدد الكروموسومات (٤٧) بدلاً من (٤٦) في الإنسان
العادي، وهذا الخلل له علاقة وطيدة بعمر الأم، فيحدث هذا الخلل بنسبة (١ : ١٢٥٠) عند
السيدات التي تتراوح أعمارهن ما بين (١٥-١٩) سنة، وعندما يكون عمر الأم (٣٠) سنة

(١) سورة الفرقان، آية ٥٤.

(٢) أحمد خليل، الوراثة وزواج الأقارب والمحرمات، مرجع سابق، ص ٢٧٤.

(٣) فؤاد البيهي السيد، الأسس النفسية للنمو، مرجع سابق، ص ٦٥-٦٦.

(٤) حامد زهران، علم نفس النمو، مرجع سابق، ص ٤٨.

(٥) محمود عقل، النمو الإنساني، مرجع سابق، ص ٨٨.

تَقْفَر لتصبح هذه النسبة (١ : ٩٠٠) وعندما تبلغ المرأة الأربعين تكون النسبة (١ : ١٠٠) أما إذا حملت الأم وقد بلغت من العمر (٤٥) سنة فتكون النسبة (١ : ٢٥)^(١).

وقد أشار النبي ﷺ إلى أثر عامل السن في نمو الجنين حين حث ﷺ على الزواج من الأبكار الشبابات، وذلك لأنهن أكثر استعداداً للحمل والإخصاب كما يفهم من الحديث، يقول ﷺ: "عليكم بالأبكار فإنهن أعذب أفواها وأنتق أرحاماً"^(٢)، ويقول ﷺ: "فهلأ بكرأ تضاحكك وتضاحكها وتلاعبها وتلاعبك"^(٣).

فالأحاديث الشريفة تدل على تفضيل نكاح الأبكار، لأنه يتحقق فيهن تحصيل مقاصد الزواج، وفيهن من المميزات ما لا يوجد عند الكبيرات الثيبات، فاللعب والممازحة والمضاحكة في العادة تكون عند صغيرات السن لميلهن إلى أزواجهن أكثر، ويقل عند الثيبات والكبيرات^(٤).

وقد نبه الإمام أبو الحسن الماوردي إلى أن أنجب الأبناء وأفضلهم خلقاً وخلقاً من كانت أمه بين العشرين والثلاثين، يقول: "إن أنجب الأولاد خلقاً وخلقاً من كان سن أمه بين العشرين والثلاثين"^(٥).

وثمة رأي يشير إلى أنه ليست هناك دلائل قاطعة تشير إلى أن لعمر الأم دوراً مباشراً في تطور الطفل ونموه، إلا أن الدراسات الارتباطية تشير إلى أن أفضل عمر للأم يرتبط بالتطور السليم للطفل هو فترة العشرينات، أما الأمهات الأكبر والأصغر فقد لا يكون الجهاز التناسلي مكتملاً أو لا يكون مناسباً، مما يؤدي إلى عدد من المشكلات التي تسبب وفيات الأطفال أو اضطراباتهم الصحية أو أشكال مختلفة من الإعاقة، كما أن معدل الخصوبة الطبيعي يقل مع تقدم الأمهات في العمر^(٦).

(١) حامد أحمد حامد، رحلة الإيمان في جسم الإنسان، مرجع سابق، ص ٥١-٥٢.

(٢) رواه الطبراني، المعجم الأوسط، ج ٧، ص ٣٤٤، حديث رقم (٧٦٧٧)، حسنه الألباني، انظر: صحيح وضعيف الجامع الصغير، حديث رقم (٤٠٥٣).

(٣) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ٢، ص ١٠٨٩، حديث رقم (٧١٥).

(٤) عنان حسن باحارث، مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة، جدة، السعودية، دار المجتمع للنشر والتوزيع، ط ٥، ١٩٩٦م، ص ٣٨.

(٥) محمد بن حبيب أنبصر الماوردي أبي الحسن (٤٥٠هـ)، أدب الدنيا والدين، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م، ص ١٣٤.

(٦) شفيق علاونة، سيكولوجية التطور الإنساني، مرجع سابق، ص ٥٩.

المطلب الخامس - البيئة^(١)

البيئة هي العوامل الخارجية التي تؤثر تأثيراً مباشراً أو غير مباشر على الفرد منذ لحظة الإخصاب، وهي بهذا تشمل العوامل المادية والاجتماعية والثقافية والحضارية، ولها دور كبير وإيجابي حيث تسهم في تشكيل شخصية الفرد النامي، وفي تعيين أنماط سلوكه وأساليبه في مجابهة مواقف الحياة^(٢)، فكلما كانت صحية ومتنوعة كان تأثيرها حسناً في النمو، وكلما كانت غير ملائمة أثرت تأثيراً سلبياً على النمو^(٣).

فالبيئة تؤثر في مختلف المظاهر النمائية للإنسان، فهي تؤثر مثلاً في النمو الجسدي، فالجو الحار يساعد على زيادة سرعة نمو الجسم، لذا فساكن المناطق الحارة يصلون إلى مرحلة البلوغ الجنسي والنضج في سن مبكرة، وكذلك تبدأ الشيخوخة مبكرة، وهذا عكس ما يحدث في المناطق الباردة حيث التأخير في البلوغ والنضج والشيخوخة^(٤).

ولفت ابن خلدون إلى تأثير البيئة في نمو الإنسان يقول: "وفي المعتدل من الأقاليم والمنحرف وتأثير الهواء في ألوان البشر"، ويقول واصفاً تأثير البيئة: "فأهلها أبعد من الاعتدال في جميع أحوالهم، فبناؤهم بالطين والقصب، وأقواتهم من الذرة والعشب، وملابسهم من أوراق الشجر، يضعونها عليهم ... وأكثرهم عرايا اللباس، وفواكه بلادهم وأدمها غريبة التكوين، مائلة إلى الانحراف، ومعاملاتهم بغير الحجرين الشريفين، من نحاس أو حديد أو جلود، يقدرونها للمعاملات، وأخلاقهم مع ذلك قريبة من خلق الحيوانات العجم، حتى لينقل عن الكثير من السودان أهل الأقاليم الأول أنهم يسكنون الكهوف والفياض ويأكلون العشب، وأنهم متوحشون غير مستأنسين والسبب أنهم لبعدهم عن الاعتدال يقرب عرض أمزجتهم وأخلاقهم من عرض الحيوانات العجم، ويبعدون عن الإنسانية بمقدار ذلك، وكذلك أحوالهم في الديانة أيضاً فلا يعرفون نبوة، ولا يدينون بشريعة إلا من قرب منهم من جوانب الاعتدال وهو في الأقل النادر مثل الحبشة المجاورين لليمن الدائنين بالنصرانية فيما قبل الإسلام، وما بعده لهذا العهد"^(٥).

وثمة إشارات وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية تبين أثر البيئة في مختلف المظاهر النمائية للإنسان، يقول سبحانه: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ

(١) سيأتي هذا العامل مفصلاً في فصل قضايا أساسية في علم نفس النمو من منظور إسلامي، ويكتفي الباحث بعرض موجز لبيان اهتمام الإسلام بالبيئة.

(٢) حامد زهران، النمو الإنساني، مرجع سابق، ص ٤٤.

(٣) المرجع السابق، ص ٤٥.

(٤) محمد شريم، الشيخوخة، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، الأردن، ١٩٩٢م، ص ٧٢.

(٥) عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار الفجر للتراث، القاهرة، مصر، ط ١، ٢٠٠٤م، ص ١١٣-١١٩.

الْأَسْنَةِ وَالْوَتِكُورِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَلْعَلِيمِينَ ﴿١﴾ فاختلاف الألسنة والألوان التي أشارت إليها الآية الكريمة له علاقة بخلق السماوات والأرض، فاختلاف الأجواء على سطح الأرض واختلاف البيئات ذات الاختلاف الناشئ عن طبيعة وضع الأرض الفلكي، ذو علاقة باختلاف الألسنة والألوان مع اتحاد الأصل والنشأة في بني الإنسان (٢).

وجاء في الحديث الشريف ما يدل على دور البيئة الأسرية في إحداث النمو الديني للفرد، يقول ﷺ: "ما من مولود إلا ويولد إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة عجماء هل تحسون فيها من جدعاء...." (٣).

ومما ورد في تأثير البيئة الجغرافية ودورها في نمو الشخصية، قوله تعالى:

﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ

حَكِيمٌ﴾ (٤). يقول صاحب الظلال أن الآية الكريمة تقر قاعدة كلية عن طبيعة الأعراب، والتعبير بهذا العموم يعطي وصفاً ثابتاً متعلقاً بالبدواة، فنشأتهم أن يكونوا أشد مكفراً، ونفاقاً، وبعداً عن المعرفة، وانتشار القيم المادية بينهم (٥). ومن الروايات التي وردت في بيان أحوال الأعراب ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: "من سكن البادية جفا" (٦). كما ورد أن النبي ﷺ أهدى إليه أعرابي هدية فردّ عليه أضعافها حتى رضي، وقال: "لقد هممت ألا أقبل هدية إلا من قرشي أو ثقيفي أو أنصاري" (٧). فهؤلاء الذين ذكرهم النبي ﷺ يسكنون المدن فهم ألطف أخلاقاً من الأعراب لما في طباع الأعراب من الجفاء (٨). ويؤكد هذا ما ترويه السيدة عائشة رضي الله عنها، قالت قدم أناس من الأعراب على رسول الله ﷺ فقالوا: "أنتقبون صبيانكم، قالوا نعم، فقالوا لكنا والله ما نقبل.... فقال ﷺ: "وما أملك إن كان الله نزع منكم الرحمة" (٩).

وحديث آخر يبين كيف تؤثر الرفقة على شخصية الفرد وسلوكه، بل على كل تصرفاته، فعن أبي موسى الأشعري أن الرسول ﷺ قال: "إنما مثل الجليس الصالح والجليس

(١) سورة الروم، آية ٢٢.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٢٧٦٤/٥.

(٣) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ٤، ص ٢٠٤٧، حديث (٢٦٥٨).

(٤) سورة التوبة، آية ٩٧.

(٥) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ١٦٩٩/٣.

(٦) رواه الترمذي، سنن الترمذي، ج ٤، ص ٥٢٣، حديث رقم (٢٢٥٦).

(٧) رواه ابن حبان، صحيح ابن حبان، ج ١٤، ص ٢٩٦، حديث رقم (١٣٨٣).

(٨) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ١٧٠٠/٣.

(٩) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٨٠٥٨، حديث رقم (٢٣١٧).

السيئ كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن يتباع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد فيه ريحاً خبيثة (١).

المطلب الخامس - الغذاء

الغذاء الذي يأكله الإنسان هو المادة التي تعمل على نمو الإنسان الجسدي والعقلي، وبدون الغذاء يعجز الإنسان عن القيام بوظائفه المختلفة سواء منها ما يتعلق بأموره الدنيوية أو الأخروية، والنمو الإنساني يتأثر بنوع الغذاء الذي يتناوله الإنسان وكميته لما للغذاء من وظائف حيوية في النمو الجسدي والعقلي والنفسي وإمداد الجسم بالطاقة اللازمة لهذا النمو.

إن اهتمام الإسلام بالغذاء لم يسبق إليه أي تشريع، فقد بين الإسلام نوع الغذاء الذي يأكله الإنسان كما حرم أنواعاً من الأطعمة والأشربة لضررها البين، وأحل الطيبات ووجه المسلمين إلى تناول ما ينفعهم في أبدانهم ويحفظ عليهم صحتهم، بل تعدى الأمر ذلك إلى وضع نظام خاص بتناول الطعام والشراب، يقول سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٢) ويقول سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبًا وَلَبْنًا وَلَبَنًا مَوَاجِرَ فِيهِ وَلَتَلْبَثُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٣) ومن المظاهر الدالة على اهتمام الإسلام

بالغذاء:

١- دعوة الأم لإرضاع ابنها "الرضاع الطبيعي"

الرضاع الطبيعي يؤثر في النمو الجسدي والنفسي والأخلاقي والديني للطفل؛ فلبن الأم غذاء غني بجميع العناصر الغذائية المناسبة لنمو الطفل وسلامته وقوته، وهو خال من الجراثيم التي تسبب مختلف الأمراض للأطفال، وهو الغذاء الأمثل للنمو الجسدي للطفل لتركيبته المتطورة التي تكسب الطفل النمو الجسدي السليم والمناعة ضد الأمراض، وتسهم الرضاعة الطبيعية في النمو النفسي فهي تبني العواطف والانفعالات، فالأم تقدم لطفلها عصاره قلبها وجسمها وأعصابها مع اللبن، فعندما تحتضنه تمنحه الطمأنينة والارتياح، فيتكامل بذلك النمو الجسدي البيولوجي مع النمو النفسي فينشأ خالياً من الاضطرابات (٤).

(١) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج٤، ص ٢٠٢٦، حديث رقم (٢٦٢٨).

(٢) سورة البقرة، آية ١٦٨.

(٣) سورة النحل، آية ١٤.

(٤) أشار الباحث إلى أن أهمية الرضاع الطبيعي وفوائده في النمو الإنساني في مرحلة الرضاع.

٢- تنوع الطعام المباح بهدف النمو الإنساني السليم

أباح الإسلام أنواع الطعام الطيب من اللحوم البيضاء والحمراء وأنواع مختلفة من الثمار والنبات، وهذا التنوع يوفر للإنسان ما يحتاجه الجسم من الغذاء المتوازن من البروتينات والنشويات والدهنيات والفيتامينات، ومن المعروف أن الجسم الإنساني لكي ينمو نمواً سليماً خالٍ من الضعف والمرض والهزال يجب عليه أن يتناول مختلف أنواع الطعام والشراب^(١).

إن فقدان هذا التنوع الغذائي يعرض جسم الإنسان لأمراض خطيرة، فنقص البروتين يؤدي إلى بطء النمو والضعف العام وتساقط الشعر وتضخم الكبد مصحوباً بالإسهال الشديد الذي يؤدي إلى فقر الدم، وتظهر فيما بعد أعراض الانهيار الشديد على بنية الجسم، ونقص الفيتامينات أو انعدام توافرها في الغذاء يؤدي إلى اختلال في عمليات استقلاب الغذاء داخل الجسم^(٢)، وأشارت نتائج التجارب إلى أن أهم المواد الغذائية التي يحتاج إليها الفرد في نموه هي المواد الدهنية والسكرية والنشوية والزلالية والأملاح المعدنية والفيتامينات والماء، فالمواد الدهنية والسكرية والنشوية تزود الجسم بالطاقة التي تساعده على حفظ درجة حرارته وتأنيته وظائفه المختلفة، والمواد الزلالية تجدد بناء الخلايا التي تلفت وبناء خلايا جديدة، والأملاح المعدنية تكون بعض الخلايا، والفيتامينات تساعد على النمو بوجه عام، والماء هو الوسط الذي تحدث فيه التفاعلات والعمليات الكيميائية الحيوية بالهضم^(٣)، ومن أمثلة الأغذية التي جاء ذكرها بالاستحسان في القرآن الكريم والسنة النبوية اللحوم، والألبان والزيت والزيتون والعسل، والرطب والعنب والتين والرمان، ويكتفي الباحث بالإشارة إلى بعض النصوص، بقوله سبحانه: ﴿وَاللَّهُمَّ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾^(٤) فاللحوم أغذية أساسية لتكوين خلايا الجسم وأنسجته وترميم ما تلفت من هذه الخلايا والأنسجة، ولكن الإسراف في تناولها قد يؤدي إلى مرض تصلب الشرايين وضغط الدم والنقرس^(٥)، يقول النبي: "من سقاها الله لبناً فليقل: اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه فإنني لا أعلم ما يجزي عن الطعام والشراب غيره"^(٦). فاللبن من الأغذية المثالية وذلك لفوائده الغذائية الكبيرة وسهولة هضمه، فهو مصدر

(١) حمدي شاكر محمود، مبادئ علم نفس النمو في الإسلام، مرجع سابق، ص ١٢٨-١٢٩.

(٢) إحصان المحاسنة، البيئة والصحة العامة، عمان، الأردن، دار الشروق، ط٢، ١٩٩٤م، ص ١٣٥.

(٣) فؤاد البهي السيد، الأسس النفسية للنمو، مرجع سابق، ص ٦١.

(٤) سورة النحل، آية ٥.

(٥) للطاهر الغريبي، التغذية في الإسلام يحققها العلم الحديث، تونس، ط١، ١٩٨٦م، ص ٣٦.

(٦) رواه ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ج٢، ص ١١٠٤، حديث (٣٣٢٢)، حسنه الألباني.

ممتاز للبروتينات والنشويات والدهنيات سهلة الهضم ويحوي كل العناصر الغذائية التي تدخل في تكوين الهيكل العظمي.

والزيتون يفيد الجهاز الهضمي عامة والكبد خاصة، وهو ملطف للجلد ويمنع من ازدياد نسبة الكوليسترول وخاصة عند كبار السن، وذلك لحمايتهم من ارتفاع ضغط الدم^(١) لقوله سبحانه: ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبْغٍ لِلْأَكْلِينَ ﴾^(٢).

٣- تحريم بعض أنواع الطعام لحماية للنمو الإنساني

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(٣) تشير الآية الكريمة إلى عدد من أنواع الأغذية المحرمة، وأول هذه الأغذية المحرمة هو لحم الميتة وقد "كشف علم الميكروبات في القرن العشرين أن في الأنف والفم والبلعوم والجهاز الهضمي والجلد أنواعاً من الميكروبات والفطر تعشش وتنمو بصورة طبيعية من دون أن تؤذي السليم من الأحياء، لا بل هي مفيدة ولا تصبح مؤذية إلا في ظروف معينة كالمرض وعند الموت وبتوقف الدورة الدموية، تصبح الجراثيم خاصة تلك التي تنمو وتتكاثر بدون غاز الأكسجين، في أفضل ظروف النمو والتكاثر، فتنتقل خلال ساعات إلى أغلب أعضاء الجسم الميت، ولذلك يسبب أكل الميتة ضرراً أقله التسمم في الجهاز الهضمي، عدا عن أن الموت قد يحصل أحياناً بفعل فيروسي أو ميكروبي معد قد ينتقل إلى جسم أكل الميتة...."^(٤).

وجاء العلم الحديث مؤكداً أن الحيوان إذا مات بسبب المرض أو أعشاب سامة أو مواد كيميائية قاتلة ففي هذه الحالة يبقى أثر هذه المادة في لحمه ويصيب من يأكله، وإذا مات بكبر سنه فالحيوان الذي يموت يتلّف في جميع أنسجة جسمه وبالتالي يفقد القيمة الغذائية ويصبح عسر الهضم في الأمعاء^(٥).

وثاني ما جاءت الآية بتحريمه هو الدم الذي يؤثر في النمو الجسمي للإنسان، فقد ثبت علمياً أن الدم هو أصلح الأوساط لنمو شتى الجراثيم كما أنه يحمل مخلفات الجسم التي تنتج عن الفعل الهدمي في الأنسجة، وشربه يؤدي إلى حدوث فشل كلوي أو ارتفاع الأمونيا في الدم وحدث غيبوبة كبدية^(٦)، وقد يؤدي شرب الدم إلى حدوث ضراوة في الإنسان فيتأثر النمو

(١) الطاهر الغريبي، التغذية في الإسلام، مرجع سابق، ص ٤٤.

(٢) سورة المؤمنون، آية ٢٠.

(٣) سورة البقرة، آية ١٧٣.

(٤) عدنان الشريف، من علم الطب القرآني، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين، ٢٠٠١م، ص ٢١٣-٢١٤.

(٥) خليل شومان، الطب الوقائي في القرآن، اربد، الأردن، كتاب الكتاب، ط١، ٢٠٠٤م، ص ٨٦.

(٦) محمد كامل عبد الصمد، الإعجاز العلمي في الإسلام: القرآن الكريم، مرجع سابق، ص ٢٩٤.

الأخلاقي، فتغلظ طباعه ويصبح كالحیوان المفترس وهذا منافٍ لمقصد الشريعة، لأنها جاءت لإتمام مكارم الأخلاق وإبعاد الناس عن التهور والهمجية وكل الأخلاق السيئة^(١).

وثالث ما حرّمته الآية الكريمة هو لحم الخنزير، إذ ثبت أن لحم الخنزير يسبب للإنسان العديد من الأمراض التي تؤثر في النمو السليم للإنسان، منها: ضيق الشرايين وتصلبها وجلطات القلب، وزيادة مرض السكر البولي، ضغط الدم، والتهاب المرارة، والتهاب المفاصل، وصعوبات الجهاز التنفسي، وزيادة المضاعفات للعمليات الجراحية، وزيادة كبيرة في سرطان الأمعاء الغليظة وسرطان الثدي وسرطان البنكرياس وسرطان الرحم^(٢).

وحرّم الإسلام بعض المشروبات لضررها البالغ التأثير في النمو الإنساني، يقول سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا أَحْمَرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٦﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٣٧﴾﴾^(٣) فالخمر تؤثر على المراكز الصعبة العليا بالمخ، فيفقد الإنسان القدرة على التركيز الذهني وسلامة التفكير، وعدم القدرة على التقدير الحقيقي لكل ما يحيط به مع سرعة الانفعال ونقل النطق واضطراب في حركات الجسم، بالإضافة إلى التهاب الأعصاب وخاصة الطرفية منها، مما يؤدي إلى ضعف الإحساس باليدين والقدمين وأخيراً التعرض لحالات الشلل، وقد ثبت أن الخمر تؤثر على القلب والدورة الدموية، حيث أثبتت الدراسات أن تناول الإنسان للخمر ولو بكميات قليلة يؤدي إلى زيادة ضربات القلب مما يسبب الإجهاد لعضلة القلب بالإضافة إلى ارتفاع ضغط الدم^(٤).

والخمر تؤثر في النمو الجسدي للإنسان فتحدث مشكلات جسدية منها انخفاض درجة حرارة الجسم وانخفاض نسبة السكر في الدم، فالخمر قد يتسبب في العمى المفاجئ، وبخاصة تلك التي تصنع من كحول الميثيلي التي تُعد سماً ناقعاً للعصب البصري، ويتأثر جلد شارب الخمر، حيث يصاب جلد الوجنتين والجبهة والأنف بالاحمرار ثم تظهر حبيبات صغيرة تتحول فيما بعد إلى بثور تكون مؤلمة وقد يتعرض جلد أنف السكير إلى تشوهات بالغة يحتاج السكير إلى إجراء عمليات لتجميل أنفه^(٥). وتسبب الخمر تقرحات في الغشاء المخاطي للفم والبلعوم، والتهاب المرئ والتهاب المعدة، وسوء امتصاص الأمعاء للغذاء، وما يصاحبه من

(١) محمد الطامر ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ١١٧/٢.

(٢) محمد علي البار، الأسرار الطبية والأحكام الفقهية في تحريم الخنزير، جدة، السعودية، ط١، ١٩٨٦.

(٣) سورة المائدة، آية ٩٠-٩١.

(٤) مختار سالم، الطب الإسلامي بين العقيدة الإبداع، بيروت، لبنان، مؤسسة المعارف، ١٩٨١م، ص ٣١٩-٣٢٠.

(٥) شبيب الحاضري، الخمر داء وليست بدواء، مكة المكرمة، رابطة العالم الإسلامي، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة،

ط٢، ٢٠٠٠م، ص ١٦١-١٦٧.

هزال وسوء تغذية والتهاب الكبد الحاد والتهاب البنكرياس، إضافة إلى فقر الدم وضعف القوى الجنسية على الرغم من زيادة الشهوة، وضمور الخصيتين وتشوه النطاف والعقم، والأم الحامل تلد أطفالاً ناقصي الوزن مع تخلف عقلي وحركي وتشوهات خلقية بالقلب وأعضاء الجسم المختلفة (١) (٢).

٤- بيان نظام الطعام والشراب بهدف تحقيق النمو السليم للإنسان

لم يكتفِ الإسلام بذكر الحلال والحرام في الطعام والشراب، وإنما شملت توجيهاته نظام الطعام والشراب ومراقبته وكميته وطريقة تناوله، فمن المعروف أن كثيراً من الأمراض التي تصيب الإنسان تكون بسبب سوء نظام طعامه، والإكثار من الطعام أو الحرمان من طعام معين أو بسبب تناول الطعام بعدم تأنٍ، وسرعة في البلع وهذا يؤثر في نمو الإنسان تأثيراً بالغاً^(٣)، وفيما يلي بعض قواعد النظام الإسلامي في الطعام والشراب الذي يتحقق النمو السليم للإنسان بالتزامه.

أ- الاعتدال في تناول الطعام والشراب

يقول سبحانه: ﴿يَبْنَىءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(٤) إن الإكثار من الطعام والشراب يصيب المعدة بالإرهاق والكسل عن الهضم، وقد يسبب القرحة والالتهابات في المعدة وزيادة في الوزن، كما أن كثرة استهلاك الدهون الغذائية يؤدي إلى الإصابة بأمراض القلب المتنوعة وارتفاع معدل الوفيات، ويجمع الأطباء على أن الإسراف في الطعام والشراب يضر ضرراً بالغاً بالصحة، ويؤثر تأثيراً مباشراً على الجهاز الهضمي وملحقاته، ويؤثر على أجهزة الجسم الأخرى، وله علاقة قوية بأمراضها حتى تلك التي لا يظن أن لها صلة بالطعام. ومما لا شك فيه أن نتائج الإفراط في تناول الطعام والشراب تؤثر في جميع المظاهر النمائية للإنسان.

فقد أمر النبي ﷺ بالتنفس أثناء الشرب ثلاثاً، فروي عنه أنه كان يتنفس أثناء الشرب ثلاثاً، ويقول: "إنه أروى وأبرا وأمرا"^(٥)، ولربما خرج أثناء الشرب ريق في المشروب ودخل في مجرى النفس فسبب له الاختناق، فإذا تنفس الشارب أمن من ذلك، وكذلك قدوم الماء أو

(١) حامد أحمد، رحلة الإيمان في جسم الإنسان، مرجع سابق، ص ٤٧١-٤٧٥.

(٢) للمزيد عن تأثير الخمور في النمو الإنساني، انظر محمد علي البار، الأضرار الصحية للمسكرات والمخدرات والمنبهات، جدة، السعودية، الدار السعودية، ط١، ١٩٨١.

(٣) الطاهر الغريبي، التغذية في الإسلام، مرجع سابق، ص ١٤.

(٤) سورة الأعراف، آية ٣١.

(٥) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج٣، ص ١٦٠٢، حديث (٢٠٢٨).

الشراب على المعدة على ثلاث دفعات أفضل من أن يأتي دفعة واحدة ويؤدي إلى فساد المعدة والكبد وأمراض أخرى عديدة^(١).

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن الدراسات العلمية أثبتت أننا لا نحتاج إلى كل الكمية التي نأكلها من الطعام والشراب، بل نحتاج إلى طعام متوازن ومتنوع، فالغذاء الصحي لا يعتمد نوعاً معيناً من المواد الغذائية أو مجموعة محددة من هذه المواد بل يعتمد التوازن فيما يدخل جوف الإنسان^(٢).

ب- عدم إرغام النفس على تناول طعام تأباه:

عن أنس رضي الله عنه قال: "ما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاماً قط، إن اشتهاه أكله وإن ... ولما قدم إليه الضيب المشوي لم يأكل منه، فقيل له: أهو حرام؟ قال: لا ولكن لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه"^(٣).

وثبت علمياً أن إرغام النفس على ما تكره يلحق بها ضرراً، لذا رفض النبي صلى الله عليه وسلم الطعام الذي تأباه نفسه، لوقاية الجسم من الضرر وخوفاً من أن تصيبه العلل والأمراض والأوجاع^(٤).

ج- إتباع الهيئات الخاصة بالطعام والشراب

الإنسان مختلف عن الحيوان في تناول الطعام والشراب، فالحيوان يتناول طعامه بأية صورة كانت: واقفاً، أو ماشياً، أو راکضاً وكذلك يعب الماء عباً تمليه عليه غريزته، والإنسان إذا فعل هذا تأثر به أو لربما فقد حياته.

ومن الهيئات التي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن تناول الطعام فيها، الأكل متكناً، فقال: "لا آكل متكناً"^(٥)، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن أن يشرب الرجل قائماً، قال قتادة فقلنا فالأكل؟ فقال ذلك أشر وأخبث^(٦).

هـ- بيان كيفية تناول الطعام والشراب

قبل البدء بالطعام والشراب يسن الوضوء، يقول صلى الله عليه وسلم: "بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده"^(٧)، وحكمة الغسل التخلص من الميكروبات التي تحملها اليد أثناء مصافحة الناس أو ارتداء شيء ملوث، وتخليص الإنسان من البكتيريا والفضلات، وكذلك مضغ الطعام جيداً لأن التعجل في المضغ يصيب الإنسان بالتخمة والإمساك وعسر الهضم، كتب السيرة

(١) أحمد ضياء الدين، الطب الوقائي في الهدى النبوي جسمياً وعقلياً، في مؤتمر الاجتهاد، جامعة اليرموك، ٢٠٠٣م، ص ٧.

(٢) محمد كامل عبد السميد، الإعجاز العلمي في الإسلام: القرآن الكريم، مرجع سابق، ص ٢٣٨.

(٣) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ٣، ص ١٥٤٣، حديث (١٩٤٥).

(٤) أحمد ضياء الدين، الطب الوقائي، مرجع سابق، ص ٢.

(٥) رواه البخاري، صحيح البخاري، ج ٥، ص ٢٠٦٢، حديث (٥٠٨٣).

(٦) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ٣، ص ١٦٠١، حديث (٢٠٢٤).

(٧) رواه الترمذي، سنن الترمذي، ج ٤، ص ٢٨٢، حديث (١٨٤٦).

وتصف طعام رسول الله ﷺ فنقول: إنه كان يصغر اللقمة، ويجيد مضغ الطعام، ولا يلتقم لقمة إلا بعد بلع ما سبقها، ومن آداب تناول الطعام والشراب التسمية، والأكل باليد اليمنى وعدم النفخ في الطعام، فالالتزام بالنظام الذي بينه الإسلام فيما يتعلق بالطعام والشراب يحقق للإنسان النمو السليم في كافة المظاهر النمائية الجسدية، والنفسية، والاجتماعية وغيرها.

آثار سوء التغذية على النمو الإنساني

لسوء التغذية آثار مدمرة على النمو الإنساني، فقد أثبتت الدراسات العلمية أن نقص الغذاء يؤدي إلى عدم نمو عظام الجسم بطريقة سوية ويضعف مقاومة الجسم للأمراض المختلفة، فمعدل الوزن والطول لدى التلاميذ الذين يعانون من سوء التغذية كان دون المعدل الطبيعي، كما أن نقص الغذاء يؤثر في النمو العقلي والمعرفي، فقد دلت الدراسات على أن نقص الغذاء يؤدي إلى عدم قدرة الطلبة على التركيز والانتباه وتدني مستوى الذكاء والقدرة على التفكير والابتكار^(١).

كما أن سوء التغذية ونقصها يسبب عديداً من الأمراض المؤثرة في النمو الإنساني، فنقص الكالسيوم يؤدي إلى لين العظام، ونقص الحديد يؤدي إلى فقر الدم، ونقص اليود يؤدي إلى تضخم الغدة الدرقية، ونقص الفسفور يؤدي إلى تسوس الأسنان، ونقص البروتينات يؤدي إلى هزال الجسم والعضلات، وتأخر النمو والضعف العام ونقص الوزن وفقر الدم والتخلف العقلي وضعف مقاومة الجسم للعدوى والأمراض^(٢)، أما إذا كان سوء التغذية في مرحلة حمل الأم فإن الآثار المترتبة تكون أشد وأبلغ في التأثير، منها:

١- نقص وزن المولود

الوزن الطبيعي للمولود يتراوح بين (٣-٣,٥ كغم) ويعتد نقص وزن المولود مؤشراً على عدم اكتمال نمو الجنين، ويحدث نقص وزن المولود لأسباب عدة منها: سوء التغذية، فقد يؤثر نقص وزن المولود على صحته البدنية والعقلية وفي مدى مقاومته للأمراض، وقد يترتب على هذا النقص التخلف العقلي والعجز في اكتساب المعرفة بالإضافة إلى صغر جسم الطفل بما لا يتناسب مع عمره^(٣).

٢- حدوث التشوهات

يعتمد الجنين في غذائه على العناصر الغذائية التي تصل إليه من دم الأم عبر المشيمة، وتشمل العناصر الغذائية الجلوكوز والحموض الأمينية والدهنية، بالإضافة إلى الفيتامينات والعناصر المعدنية، وكل عنصر من هذه العناصر يلعب دوراً في تكوين أعضاء الجنين،

(١) محمود عقل، النمو الإنساني، مرجع سابق، ص ٨١.

(٢) الطاهر الغربي، التغذية في الإسلام، مرجع سابق، ص ١٩.

(٣) عبد الله البكري، الغذاء وصحة المجتمع، السعودية، مكتب التربية العربية لدول الخليج، ط١، ص ١١٥.

ونقص أحد هذه العناصر يؤدي إلى حدوث تشوهات ظاهرة أو باطنة وإلى إصابة غير مرئية أو إلى تأخر النمو وعدم اكتماله^(١).

٣- عدم انقسام الخلايا العصبية وتأثر نمو الدماغ^(٢)

يزداد نمو الخلايا العصبية من التلقيح حتى الولادة، وسوء التغذية في هذه المرحلة يؤثر في انقسام الخلايا العصبية وقد يسبب فيها عطباً دائماً، ويستمر هذا الأمر حتى يكون حجم الخلايا أقل من الحجم العادي، والأطفال الذين يولدون بعد تعرضهم لسوء التغذية في المرحلة الرحمية لا يحققون أقصى درجات النمو العقلي، وهذا ما أثبتته الدراسات والأبحاث العلمية، ولسوء التغذية أثر في وجود حالات الولادة الميتة والمبسترة ووفيات الأطفال، ووجد أن لحسن التغذية أثر في نقص حالات وفيات الأطفال.

المطلب السابع: النظافة

النظافة من العوامل المؤثرة في النمو الإنساني وهي أساس حفظ الصحة، وأساس الوقاية من الأمراض، وقد اهتم الإسلام بها اهتماماً بالغاً سواء أكانت نظافة شخصية للفرد أم نظافة للبيئة، وقد جعل الإسلام النظافة من الإيمان، ولا يعرف قدرها إلا الذي ينعم بها بعد حرمان، فيشعر بالسعادة والارتياح، فهي تزيل الأوساخ عن الجلد وتفتح المسام لتتنفس بحرية كما تشاء، وتنشط الدورة الدموية في جميع الجسد، وسبب نجاح الإسلام في ترسيخ حب النظافة في نفوس المسلمين هو ربطها بالثواب والعقاب؛ فإسباغ الوضوء في البرد وتحمله ليس دون جزاء، وإنما تحطُّ به الخطايا وترفع به الدرجات فيكسب المؤمن النظافة والثواب معاً^(٣).

إن النظافة الشخصية والبيئية تؤدي دوراً مهماً في النمو الإنساني، فالاهتمام بالنظافة له أثر بالغ في إحداث النمو النفسي والجسدي والاجتماعي لدى الأفراد، في حين أن إهمال النظافة يؤدي إلى انتشار الأمراض التي تعيق نمو الإنسان وتطوره، وقد جعل الإسلام الماء الأداة الرئيسية للنظافة، قال الله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمْ أَلُنْعَاسَ أُمَّتَةٍ مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾^(٤)، فالإسلام يطالب أتباعه في هذه الآية الكريمة بأن يستخدموا الماء لإزالة النجاسة

(١) عبدالله البكري، الغذاء وصحة المجتمع، مرجع سابق، ص ١١٥.

(٢) علي آغا، الصحة النفسية والبدنية والعقلية من مرحلة الجنين حتى ٦ سنوات من عمره، في مؤتمر الاجتهاد في قضايا الصحية والبيئية والعمران، ص ٦-٧.

(٣) عبد الرزاق الكيلاني، الحقائق الطبية في الإسلام، دمشق، سوريا، ط١، ١٩٩٦م، ص ٩١-٩٦.

(٤) سورة الأنفال، آية ١١.

الواقعة على الجسم والثياب والأواني، وعدّ هذا جزءاً من العبادة، وبهذا يكون الإسلام قد سبق العلم الحديث في الوقاية من أخطار الميكروبات وما تحمله من أمراض^(١).

وقد جعل الله سبحانه في هذا العنصر - الماء - خواص انفرد بها عن العناصر والمواد الأخرى منها^(٢):

- ١- خاصية الإذابة بسبب وجود الشحنات الكهربائية، بحيث يكون جزء من ذرته سالباً والآخر موجباً فيصبح الماء وكأنه مغناطيس يجذب إليه المواد الأخرى ويقوم بإذابتها.
- ٢- خاصية الطفو، حيث إن كثيراً من العناصر عندما تختلط بالماء تطفو على سطحه، فلهايتين الخاصيتين وغيرهما أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نستعمل الماء في النظافة والتطهير، لتذوب المواد التي نريد أن نتخلص منها أو لتطفو بعيداً عن الجسم المراد تنظيفه، والذي يميز ويكشف حكمة استخدام الماء كذلك مقارنتها بالسوائل الأخرى، فغيرها من السوائل قد تجذب الحشرات والأمراض للإنسان إضافة إلى إبطالها عمل المنظفات^(٣).

ومن الأدوات الرئيسية للنظافة في الإسلام التراب، لأن مكونات التراب تتفاعل مع المادة المراد التخلص منها مما يساعد على إزالتها، أو قد يوجد في مكونات التراب ما يسبب هلاك الجراثيم والمخلوقات الدقيقة التي تسبب الأمراض^(٤)، يقول ﷺ: "طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات أولاهن بالتراب"^(٥)، فالكلب حيوان وفيّ وأمين وفيه منافع للناس ولكن الرسول ﷺ حذرنا في هذا الحديث من مضاره وبيّن كيف لنا نتخلص من هذه المضار عن طريق غسل الإناء بالتراب، فالكلب ناقل للأمراض، كمرض (داء الكيسة المائية). فمثل هذا المرض تسببه دودة تدعى (المكورة المقفظة) وهي تعيش في أمعاء الكلب، وتخرج بويضاتها مع برازه، والكلب عادة يلحس دبره بلسانه، وبالتالي تلتصق هذه البويضات في اللسان، فعندما يلحس الأواني والصحون وأيدي أصحابها تدخل هذه البويضات إلى معدة الإنسان وأمعائه ومنها إلى سائر أجزاء الجسم، وثمة داء آخر ينقل عن طريق الكلب وهو "داء الكلب" والذي سببه حمة راشحة يصاب بها الكلب، ثم تنتقل إلى الإنسان عن طريق لعاب الكلب بالعض أو باللحس، ويعدّ هذا المرض قاتلاً للإنسان، لذا نجد الرسول ﷺ أمر بالمبالغة في غسل ما يلغ فيه الكلب، وخص التراب بالغسل أولاً لأن التراب له خاصية الالتصاق

(١) خليل ثومان، الطب الوقائي في القرآن، اربد، الأردن، دار الكتاب، ط١، ٢٠٠٤م، ص ٤٠.

(٢) أحمد مدحت، الماء سائل الحياة، مصر، دار الفكر، ط١، ١٩٩٩م، ص ٢٨-٣٠.

(٣) عبد الحميد المجالي، البحوث الطبية في أحكام الطهارة، مؤتمر الاجتهاد في قضايا الصحة والبيئة والعمران، اربد، الأردن، جامعة اليرموك، ٢٠٠٣م، ص ٥.

(٤) المرجع السابق، ص ٥.

(٥) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ١، ص ٢٣٤، حديث (٢٧٩).

بالمواد، فهو أبلغ من التنظيف بالماء وحده، وأثبت علماء التربة أن للتراب خاصية قتل الجراثيم الضارة^(١).

بعض صور النظافة الشخصية التي حثّ عليها الإسلام وأثرها في النمو الإنساني
الإسلام أولى النظافة الشخصية والبيئية اهتماماً بالغاً، وأرشد إلى صور النظافة التي لو روعيت ورسخت في النفوس لأعطت أعظم النتائج الإيجابية في مختلف مظاهر النمو الجسدي والعقلي والنفسي والأخلاقي والاجتماعي للإنسان.

الصورة الأولى - نظافة الجسم عن طريق الماء

طلب الإسلام من المسلم أن يحافظ على نظافة جسده سواء أكانت هذه النظافة تعم الجسد كله أو تخص بعض الأجزاء كالوجه واليدين والقدمين، ونظافة الجسد تقتضي أن ينظف الإنسان الجلد الذي يغطي جسد الإنسان، حيث تبلغ مساحته حوالي مترين مربعين وعليه من الجراثيم التي من المحتمل أن تسبب له العديد من المشكلات، لذا فقد دعا الإسلام إلى الآتي:

أ- الغسل: هو تعميم جميع البدن بالماء

أ- ١- الغسل والنمو الجسدي بالبعد عن الأمراض

وجه الإسلام المسلمين إلى الغسل الذي يعم جميع البدن، فيظل المسلم نظيفاً طيب الرائحة بعيداً عن الأمراض التي تصيبه نتيجة تراكم الجراثيم والميكروبات على جسده فينمو نمواً سليماً، فنظافة الجسم تمنع الإصابة بالأمراض الجلدية، وتفتح المسام لخروج العرق وتنشع الإنسان وتنشط دورته الدموية.

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا

تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ

مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ

وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا ﴿٢﴾ ويقول ﷺ: "غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم"^(٣)،

ويقول: "حق لله على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام يغسل رأسه وجسده"^(٤).

وقد أوجب الإسلام على الرجل والمرأة الغسل في حالات معينة، مثل الجماع والحيض والنفاس والجنابة، فالمرأة إذا لم تنظف فرجها بعد انقطاع دم الحيض أو النفاس عرضت نفسها

(١) عبد الرزاق الكيلاني، الحقائق الطبية في الإسلام، مرجع سابق، ص ١٢٥-١٣٦.

(٢) سورة النساء، آية ٤٣.

(٣) رواه البخاري، صحيح البخاري، ج ١، ص ٣٠٠، حديث (٨٣٩).

(٤) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ٢، ص ٥٨٢، حديث (٨٤٩).

لنمو الجراثيم وتكاثرها في ذلك الوسط المهيأ لذلك، فإذا ما باشرها زوجها بالجماع كانت فرصة الإصابة بالأمراض كبيرة.

أ- ٢- الغسل والنمو الديني

يؤثر الغسل في النمو الديني للإنسان، فهو يبدأ الغسل بالنية ليجعل العمل عبادة لله تعالى وييسر ليظهر فيه قصد العبادة، والغسل يدعو المسلم إلى احترام المقنسات من تصرفات وأماكن، فلا يبدر منه مظهر إنقاص لها أو استهزاء، فالذي يجب عليه الغسل بسبب الجنابة أو الحيض أو النفاس يحرم عليه الطواف والصلاة وغير ذلك، والغسل يوجه المسلم إلى أن يتبع كل لذة بعبادة وأن لا يتعاطى نعم الله تعالى إلا وهو على طهر ونقاء وراحة وصفاء نفس، فيكره للجنب أن يأكل أو يشرب أو ينام، فإذا صعب عليه فيندب له أن يغسل ذكره قبل ذلك ويتوضأ^(١).

ب- الوضوء^(٢)

عد الإسلام الوضوء شرطاً لصحة الصلاة، والوضوء من أجمع وسائل النظافة وأعودها على صحة الإنسان بالفوائد الجليلة، فقد ثبت أن الأتربة التي تتصاعد إلى الجو تعلق بجلد الإنسان وتحوي على كثير من جراثيم الأمراض، وقد أثبت علماء الجراثيم وجود أعداد هائلة من الجراثيم على السنتمتر المربع من الجلد الطبيعي وفي المناطق المكشوفة يتراوح العدد بين (١-٥) مليون جرثومة، وهذه الجراثيم في تكاثر مستمر حتى تصل إلى ضعف ذلك في ساعة^(٣).

فالوضوء من أكثر صور النظافة انتشاراً بين الناس لارتباطه بأداء الصلاة، يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾^(٤).

إن تكرار الوضوء في اليوم يقي الإنسان من الإصابة بالأمراض الجلدية والالتهابات، فمن المعلوم طبياً أن الكثير من الميكروبات التي تصيب الإنسان تكون عن طريق الفم، أو الاستنشاق أو عن طريق الجلد باللمس وغيره، فالمضممة تنظيف للفم وفي تكرارها نظافة له ووقاية من أمراض اللثة، والفم مدخل لكثير من الأمراض المعدية وتكثر فيه الجراثيم المتناثرة في الجو. وكذلك تكرار الوضوء يقي العيون من إصابتها بالرمد لأن العين تغسل وينظف ما

(١) مصطفى البغا، مضامين تربوية إسلامية في الفقه الإسلامي، مرجع سابق، ص ١٢٩-١٣٠.

(٢) ذكر الباحث تأثير الوضوء في مختلف المظاهر النمائية للإنسان في عامل "العبادات".

(٣) عبد الحميد القضاة، تفوق الطب الوقائي في الإسلام، عمان، الأردن، المستشفى الإسلامي، ط١، ١٩٨٧م، ص ١٠.

(٤) سورة المائدة، آية ٦.

حولها، وغسل المنخرين يجعل طريق التنفس مفتوحاً ويقي من الإصابة بالزكام^(١)، وغسل اليدين والوجه والأنف يزيل عنها الأقدار والأتربة والميكروبات التي تسبب الأمراض.

ج- الاستنجاء بالماء

سن رسول الله ﷺ الاستنجاء (التخلص من بقايا البراز والبول) بالماء بعد قضاء الحاجة، فعن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ دخل حائطاً وتبعه غلام معه مبخأه وهو أصغرنا فوضعها عند سدرة، ففضى رسول الله ﷺ حاجته فخرج علينا وقد استنجى بالماء^(٢).
فقد ثبت في الدراسات العلمية أن الغرام الواحد من البراز يحتوي على مائة ألف مليون خلية بكتيرية عدا عن الجراثيم الأخرى التي لا يعلم أعدادها إلا الذي خلقها، وكثير من الأمراض الجرثومية تنتقل عن طريق تلوث اليد بكمية قليلة من البراز، وفي دراسة أجريت في كلية الطب بجامعة ماننستتر وجد أن البكتيريا تنفذ من ثماني طبقات من ورق التواليت إلى اليد وتلوثها في أثناء عملية التخلص من بقايا البراز^(٣).

الصورة الثانية - سنن الفطرة

تعددت النصوص النبوية الحاتة على الالتزام بسنن الفطرة، نظراً لما يترتب عليها من النمو السليم للإنسان في مختلف المظاهر النمائية، وسنن الفطرة هي ما كان عليه السلف الصالح من الأنبياء وغيرهم. يقول ﷺ: "خمس من الفطرة: الختان والاستحداد، وتنف الإبط وتقليم الأظافر وقص الشارب"^(٤).

أ- الختان:

إزالة قطعة جلدية صغيرة تكون في مقدمة العضو التناسلي للرجل، والختان يقي من أمراض خطيرة، فهو يقي من التهاب القضيب عند الرجل، كما تقل كثيراً التهابات المهبل وعنق الرحم عند نساء الرجال المختونين، ويقي من أورام القضيب فلم يشاهد سرطان القضيب في الرجال المختونين إلا نادراً^(٥)، كما كشف العلم الحديث أن عدم الختان بالنسبة للذكور له مضاعفات منها: أن الإفرازات قد تجتمع خلف القلفة مما يؤدي إلى التهابات مزمنة في الحشفة وإلى تكوين أنسجة ليفية من شأنها أن تؤدي إلى ضيق فتحة البول مما يؤدي إلى احتباس البول، وعدم الختان يؤدي إلى ظهور صديد مدم تحت القلفة، والختان يسهل غسل عضو

(١) يوسف السويدي، الإسلام والعلم التجريبي، الكويت، مكتبة الفلاح، ط٢، ٢٠٠٠م، ص ٨٣.

(٢) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج١، ص ٢٢٧، حديث (٢٧٠).

(٣) عبد الحميد القضاة، تفوق الطب الوقائي في الإسلام، مرجع سابق، ص ٦٣.

(٤) رواه أحمد، مسند أحمد، ج٢، ص ٢٣٩، حديث (٧٢٦٠)، صححه الألباني، انظر: صحيح وضعيف الجامع الصغير، حديث رقم (٣٢٥٠).

(٥) عبد الرزاق الكيلاني، الحقائق الطبية في الإسلام، مرجع سابق، ص ٢١٦.

التناسل وتنظيفه جيداً، وبالتالي يمنع تسرب الجراثيم المرضية لأعضاء التناسل في المرأة^(١). وقد يؤدي عدم الختان إلى الهيجان الجنسي الدائم عند الإنسان، وهذا يدفعه إلى أمر غير محمود مثل الزنا أو ارتكاب العادة السرية، وذلك من خلال تراكم المفرزات الدهنية مع بقايا البول، فيصبح الإنسان في حالة تهيج وتحرش، والتحرش منبه جنسي دائم^(٢).

ب- الاستحداد وهو حلق شعر العانة

ما يحيط بالعانة من القبل والدبر من الشعر، وهي منطقة كثيرة العرق والاحتكاك ببعضها فإذا لم يحلق الشعر تراكمت عليه مفرزات الغدد العرقية والدهنية، وقد ينضم إليها بقايا البول والبراز مما يسبب صدور رائحة كريهة جداً، وكذلك تسبب الأمراض^(٣)، وثبت طبياً أن إهمال حلق العانة يؤدي إلى الإصابة بنوع من القمل يسمى "قمل العانة" ... ينتقل باللمس المباشر أو من خلال المراحيض الملوثة، ويحدث لدغة شديدة تزداد بالهرش في حين أن حلق الشعر يؤدي إلى إزالته فوراً، ومن الثابت علمياً الآن أن هذا القمل ينقل ميكروبات بعض الأمراض^(٤).

ج- نتف الإبط

ابتداء من سن البلوغ تأخذ الأشعار بالنمو تحت الإبط، وفي الوقت نفسه تنمو غدد عرقية ودهنية تفرز مواد ذات رائحة خاصة إذا تراكمت وطال أمدها، وتنتف هذه الأشعار ولا تحلق لأن النتف يضعف التعرق تحت الإبط، وهذا يعني أن نتف الشعر يضعف الغدد العرقية والدهنية، فيضعف إفرازها^(٥)، ونتف الإبط حماية للمنطقة لسائر المناطق الرقيقة في الجسم، إذ يكثر دخول طفيليات الجرب من فتحات الإبط، بالإضافة إلى رائحة العرق التي تنبعث منه، فعند إزالة الشعر وغسل مكانه بالماء تقل فرص الإصابة بالجراثيم وتذهب رائحة العرق^(٦).

د- تقليم الأظافر

تقليم الأظافر يخلص الإنسان من الأوساخ والجراثيم التي تلوث طعامه وشرابه وتهدد صحته، علاوة على التخلص من منظرها غير اللائق عندما تكون طويلة، وكأنها مخلب سبع مفترس، فهي مخابئ للميكروبات والجراثيم التي تؤثر على صحة الإنسان^(٧).

(١) محمد كامل عبد الصمد، الإعجاز العلمي في الإسلام: السنة النبوية، دمياط، مصر، الدار المصرية اللبنانية، ط٣، ١٩٩٣م، ص ٣٧-٣٨.

(٢) لؤلؤة العلي، الوقاية الصحية في ضوء الكتاب والسنة، النمام، السعودية، دار ابن القيم، ط١، ١٩٨٩م، ص ١٣٦.

(٣) عبد الرزاق الكيلاني، الحقائق الطبية في الإسلام، مرجع سابق، ص ٢١٧.

(٤) محمد كامل عبد الصمد، الإعجاز العلمي في الإسلام: السنة المطهرة، مرجع سابق، ص ٦٤.

(٥) عبد الرزاق الكيلاني، الحقائق الطبية في الإسلام، مرجع سابق، ص ٢١٩.

(٦) عبد الحميد القضاة، تفوق الطب الوقائي، مرجع سابق، ص ٢٢.

(٧) أحمد ضياء الدين، الطب الوقائي في الهدي النبوي، مرجع سابق، ص ٢٢.

الصورة الثالثة - نظافة الثياب

قال تعالى: ﴿يَبْتِئُ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَ تَكُمُ وَرِشًا ط وَلِبَاسٍ الْقَوِي دَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾^(١).

لبس الثياب بقي الجسم من العوامل الجوية المختلفة، فهي تحافظ على جلد الإنسان من التعرض للأشعة الضارة ومن التلوث بالأتربة والغازات المنبعثة التي تؤذي جسم الإنسان، وتؤخر نموه، لذا حث الإسلام على نظافة الثياب وطهارتها وجعل ذلك شرطاً لصحة الصلاة فكثير من الأمراض المؤثرة في النمو الإنساني تنتقل عن طريق الثياب غير النظيفة، فالثياب تلامس الإنسان في يقظته وحله وترحاله ولا يستغني عنها.

والملابس غير النظيفة تؤثر في نفسية الإنسان، فتجعله دائم القلق والاضطراب غير واثق بنفسه، ويتأذى منه الناس ولا يحبون مخالطته والاجتماع به، وكذلك من المحتمل أن تكون الثياب غير النظيفة مصدراً لكثير من الأمراض.

صور النظافة البيئية التي حث عليها الإسلام

أشار الإسلام إلى أهمية نظافة البيئة التي يعيش فيها الإنسان، لما لها من أثر بالغ على صحة نمو الأفراد الذين يعيشون في محيطها، فإذا كانت البيئة نظيفة ساعدت على النمو السليم وإن كانت قذرة كانت مصدراً للعلل والأمراض وإصابة الإنسان بالعايات والنقائص، فالتلوث البيئي يؤثر تأثيراً بالغاً في نمو الإنسان وصحته البدنية، فالتلوث بالمبيدات على سبيل المثال يؤثر على الجهاز العصبي بصفة خاصة ويحدث خللاً في وظائف أعضاء الجسم المختلفة مثل الكبد والكلى والقلب وأعضاء التناسل، بل يسري التأثير إلى أهم مكونات الخلية حيث يحدث تأثيرات وراثية أو سرطانية أو تشوهاً خلقياً في المواليد، وخطورة هذه المبيدات لا تقتصر على التسمم الحاد الذي يؤدي إلى الوفاة، وإنما تتجاوز ذلك إلى حدوث سمّة مزمنة جراء تناول الأفراد جرعات ضئيلة ولفترات طويلة من حياتهم^(٢). ومن أهم صور النظافة البيئية التي حث عليها الإسلام:

أولاً: عدم تلويث المياه بالنجاسة أو إلقاء القاذورات فيها وهذا أمر يجلب اللعن على الإنسان، يقول ﷺ: "انقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد، وقارعة الطريق والظل"^(٣)، ونهى النبي ﷺ عن البول في الماء الراكد يقول ﷺ: "لا يبولن أحدكم في الماء الراكد ثم يغتسل"

(١) سورة الأعراف، آية ٢٦.

(٢) مصطفى رجب، تنمية البيئة وحمايتها من منظور تربوي إسلامي، مؤتمر الاجتهاد في قضايا الصحة والبيئة والعمران، مرجع سابق، ص ١٤١.

(٣) رواه أبو داود، سنن أبي داود، ج ١، ص ٧، حديث رقم (٢٦)، حسنه الألباني.

منه^(١). فالماء الذي تصيبه نجاسة يصبح مصدراً للميكروبات والجراثيم، ذا رائحة كريهة ناقلاً لكثير من الأمراض الخطرة التي تؤثر في نمو صحة الإنسان.

ثانياً: حث النبي ﷺ على نظافة البيوت، وأن تبقى بيوت المسلمين نظيفة نقية لا تشكل بيئة مرضية للإنسان، يقول ﷺ: "إن الله طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أفئنتكم ولا تتشبهوا باليهود"^(٢).

ثالثاً: شدد النبي ﷺ على نظافة دور العبادة؛ المساجد، يقول ﷺ: "البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها"^(٣)، وحث الداخل على المسجد أن يكون ذا رائحة طيبة لئلا يؤدي المصلين، يقول سبحانه: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(٤).

رابعاً: نبه النبي ﷺ على الاهتمام بنظافة الآنية في البيت، يقول ﷺ: "ظهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات أولاهن بالتراب"^(٥).

إن الاهتمام بالنظافة سواء أكانت الشخصية أم البيئية يعود على الإنسان بالفوائد الصحية، فتبعده عن الآفات والأمراض التي تؤثر في نموه الجسمي والنفسي والاجتماعي وغيرها من مظاهر النمو، فالإنسان المريض لا ينمو جسده النمو السليم الطبيعي إضافة إلى أن النمو النفسي للإنسان يتأثر بالنظافة، فالنفس ترتاح للجمال والمناظر الجميلة والروائح الطيبة في حين أن عدم النظافة يسبب للإنسان القلق والاضطراب والكآبة إضافة إلى بعد الناس عنه وعدم الخلطة به.

المطلب الثامن - الأمراض

الأمراض التي يصاب بها الإنسان تؤثر في النمو الجسمي والاجتماعي والانفعالي، ولاسيما إذا كانت هذه الأمراض معدية حيث يبتعد الآخرون عن الشخص المصاب فتضيق دائرته الاجتماعية، وهذا يؤثر في التوافق النفسي والاجتماعي للشخص المصاب، والأمراض المزمنة يكون تأثيرها مضاعفاً إذ ينتج عنها عاهات دائمة كالعمى والصمم أو اضطراب الشخصية والتي تؤثر بمجموعها في سلوك الفرد بوجه عام^(١).

(١) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ١، ص ٢٣٥، حديث رقم (٢٨٢).

(٢) رواه الترمذي، سنن الترمذي، ج ٥، ص ١١٢، حديث رقم (٢٧٩٩)، حسنه الألباني، انظر: صحيح وضعيف الجامع الصغير، حديث رقم (٢٧٤٤).

(٣) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ١، ص ٣٩٠، حديث رقم (٥٠٢).

(٤) سورة الأعراف، آية ٣١.

(٥) رواه أبو داود، سنن أبي داود، ج ١، ص ١٩، حديث رقم (٧١)، صححه الألباني.

(٦) حامد زهران، علم نفس النمو، مرجع سابق، ص ٤٨.

فمثلاً يتأثر نمو الجنين تأثراً خطيراً إذا أصيبت الأم الحامل بمرض، لأن الأمراض تؤثر على عملية التمثيل الغذائي والتركييب الكيميائي للدم الذي يؤثر في نمو الجنين، فوجد أن الفيروس الخاص بالحصبة الألمانية إذا أصاب الحامل يؤدي إلى العديد من التشوهات الخلقية في الجنين المتمثلة في صغر الدماغ، والتخلف العقلي، وتخلف النمو عموماً، مثل صغر العينين، عتامة القرنية، عيوب خلقية في تكوين القلب، الصمم، تضخم الطحال والكبد، عيوب خلقية في العظام (١).

ومرض السفلس يؤدي إلى تشوه العظام والأسنان وإلى فقدان السمع والبصر وإلى إصابة القلب وتوقفه وإلى تلف دائم في الجهاز العصبي المركزي يؤدي إلى حياة نفسية مشوهة وإلى العديد من الأمراض، وينتقل السفلس وراثياً فيصاب به الطفل وهو في رحم أمه المريضة، ويموت الأطفال فور ولادتهم، وإذا عاشوا فيعيشون فترات مختلفة وتظهر عليهم علامات المرض، حيث يولد الطفل بحالة عجيبة من كثرة التقرحات التي تعم أنحاء جسمه، فالأنف والحلق والشفاه والبطن والظهر والشرج والأطراف تكون كلها متقرحة كما تكون عظامه قد تأثرت أيضاً بحيث تكون حركة الأطراف مؤلمة جداً (٢).

ومرض السكري - أي ارتفاع نسبة السكر في دم الأم الحامل - يؤدي إلى تشوهات وعيوب في القلب والأوعية الدموية وجهاز التنفس الخاص بالجنين، إضافة إلى الأضرار التي تلحق بالأم (٣).

والإسلام أقرّ مجموعة من الأسس والمبادئ التي تقوم على جانبين، الأول: وقائي يمنع حدوث المرض حتى لا يتأثر الإنسان بهذا المرض، والثاني: علاجي في حال المرض. ففي المجال الوقائي قرر الإسلام إبعاد المريض عن مجتمع الناس السليمين، حتى لا ينقل إليهم العدوى، فوضع مبادئ واضحة لما يسمى بالوقاية الصحية أو ما يسمى بالحجر الصحي، فقال النبي ﷺ: "لا يورد ممرض على مصح" (٤). ويقول ﷺ عن الطاعون: "إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا فراراً منه" (٥).

والفحص الطبي قبل الزواج الذي أقرّ مؤخراً، هدفه المحافظة على صحة النسل بعيداً عن أي نوع من الأمراض الوراثية التي تنتشر في كثير من المجتمعات، وهو نوع من التدابير الوقائية ضد الأمراض، وفي الجانب العلاجي أمر الإسلام بالتداوي، ودعا إلى طلب الدواء النافع فأنه سبحانه وتعالى خالق الداء والدواء، وعلى الإنسان أن يواصل البحث حتى يتوصل

(١) سيد الطواب، النمو الإنساني، مرجع سابق، ص ١١٦.

(٢) عبد الحميد القضاة، الأمراض الجنسية عقوبة إلهية، ط١، ١٩٨٥م، ص ٤٦-٤٧.

(٣) محمود عقل، النمو الإنساني، مرجع سابق، ص ١٣٤.

(٤) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج٤، ص ١٧٤٤، حديث رقم (٢٢٢١).

(٥) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج٤، ص ١٧٢٨، حديث رقم (٢٢١٨).

إلى الأدوية النافعة بإذن الله تعالى يقول ﷺ: "إن الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء، فتداووا ولا تداووا بالحرام"^(١). وقد وجه النبي ﷺ إلى بعض أنواع العلاجات، فوجه إلى العلاج بالنباتات، فعن عائشة رضي الله عنها حدثت إنها سمعت النبي ﷺ يقول: "إن هذه الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا من السام، قلت وما السام قال: "الموت"^(٢)، وكذلك وجه إلى المعالجة بالعسل، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: أخي يشتكي بطنه فقال اسقه عسلاً، ثم أتاه الثانية فقال: اسقه عسلاً، ثم أتاه الثالثة فقال اسقه عسلاً، ثم أتاه فقال قد فعلت فقال: صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلاً فسقاه فبرأ"^(٣).

وثمة أمور لا بد من الإشارة إليها أولاً: إن هناك ترابطاً واضحاً كما دلت الأبحاث وتأثيراً إيجابياً للاعتقاد بالله والتسليم بقضائه على رفع مستوى الجهاز المناعي للإنسان، وبالتالي تمتع الإنسان بصحة جيدة بعيداً عن الأمراض^(٤)، ثانياً: استحباب الرقية عند ظهور أول المرض، فعن أم سلمة زوج النبي ﷺ، أن رسول الله قال لجارية في بيت أم سلمة رأى بوجهها سفعة فقال بها نظرة فاستقروا لها"^(٥). ثالثاً: أن يحفظ الإنسان نفسه وأطفاله من الأمراض بالقرآن الكريم والأدعية المأثورة، فقد كان رسول الله ﷺ يقوم بتعويد الحسن والحسين، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يعوذ حسناً وحسيناً "أعذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة" ثم يقول: "كان إبراهيم صلوات الله عليه يعوذ به ابنه إسماعيل وإسحاق"^(٦).

المطلب التاسع - الإرهاق والتعب

من العوامل التي تؤثر في النمو الإنساني وخاصة الجسدي منه، الإرهاق والتعب، فالإنسان يصيبه التعب والإرهاق عقب بذل المجهود المتواصل والمكثف، الذي ينتج عنه مواد محترقة يجب أن تعوض وإلا تضرر النمو الجسمي للإنسان، لذا فمن الضروري إزالة التعب والإرهاق وتجديد النشاط عقب القيام بالمهام المطلوبة.

والتعب والإرهاق لا يضران بالنمو الجسدي فقط وإنما يضران بالنمو النفسي، فالشخص الذي يبذل المجهود ويتعب ثم لا يجد وقتاً للراحة ولا تثناءً على جهده يتضرر النمو

(١) رواه أبو داود، سنن أبي داود، ج٤، ص ٧، حديث رقم (٣٨٧٤)، ضعفه الألباني، وله شواهد صحيحة.

(٢) رواه البخاري، صحيح البخاري، ج٥، ص ٢١٥٤، حديث رقم (٥٣٦٣).

(٣) رواه البخاري، صحيح البخاري، ج٥، ص ٢١٥٢، حديث رقم (٥٣٦٠).

(٤) خالد القاعد، أثر الإيمان بالله تعالى وقضائه على جهاز المناعة والصحة لدى الإنسان، في مؤتمر الاجتهاد في قضايا الصحة

والبيئة، مرجع سابق، ص ١.

(٥) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج٤، ص ١٧٥٢، حديث (٢١٧).

(٦) رواه ابن حبان، صحيح ابن حبان، ج٣، ص ٢٩١، حديث (١٠١٢).

النفسي له ويصاب بالأمراض النفسية، وكذلك يتأثر نموه الاجتماعي، فالتعب والإرهاق قد يكونان سبباً في بعده عن البيئة التي يعيش فيها ولا يجد وقتاً للاحتكاك والاختلاط بالآخرين. لذا وجه الإسلام الأفراد والمجتمعات إلى ضرورة البعد عن الإرهاق والتعب في القيام بالأعمال، ووضع القواعد والأسس التي تكفل للإنسان النمو السليم بعيداً عن الإرهاق والتعب، وفيما يلي بعض الأسس والقواعد التي وضعها الإسلام.

١- مراعاة قدرة الإنسان عند القيام بالأعمال

يقول سبحانه وتعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^(١) ويقول ﷺ: "عليكم ما تطيقون من الأعمال فإن الله لا يمل حتى تملوا"^(٢)، فالإسلام يعترف بالإنسان إنساناً، لا حيواناً ولا حجراً ولا ملكاً، ولا شيطاناً، يعترف به كما هو بما فيه من ضعف وقوة، له وحدة شاملة ذات نوازع؛ وعقل ذو تقدير، وروح لها أشواق، تفرض عليه من التكاليف ما يطيق وتراعي التنسيق بين التكليف والطاقة بلا مشقة ولا اعنات"^(٣).

فلم يكلف الصغير بالكثير من العبادات، لأنها تسبب له الإرهاق والتعب، وتؤثر في نموه الجسمي والعقلي والنفسي، ولم يفرض الصوم عليه لإلحاقه المشقة به، ورخص للشيخ الكبير والمرأة العجوز، والمريض الذي لا يرجى برؤه وأصحاب الأعمال الشاقة الذين لا يجدون متسعاً من الرزق غير ما يزاولونه من أعمال، رخص لهم الفطر في رمضان؛ لأن الصيام يجهدهم ويشق عليهم مشقة شديدة، ويلحق بهم الأذى الجسمي والنفسي.

ونهى النبي ﷺ عن الوصال في الصوم وهو أن يتبع الصائم أيام الصيام بعضها بعضاً، دون أن يتناول أي نوع من الطعام والشراب، فعن عبدالله بن عمرو بن العاص قال، قال رسول الله ﷺ: "يا عبدالله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟ قلت بلى يا رسول الله قال: "فلا تفعل، صم وأفطر وقم ونم فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً وإن لزوجك عليك حقاً.."^(٤).

فالإنسان حتى يصون حياته ويبتعد عن العلال والأمراض التي تؤثر فيه، لا بد أن يراعي حدود طاقاته وقدراته، ويحرص على سلامة صحته حتى يستطيع الاستمرار في أداء ما فرض عليه وما هو مطلوب منه.

(١) سورة البقرة، آية ٢٨٦.

(٢) رواه البخاري، صحيح البخاري، ج ١، ص ٣٨٧، حديث (١١٠٠).

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٣٤٤/١.

(٤) رواه البخاري، صحيح البخاري، ج ٢، ص ٦٩٧، حديث (١٨٧٤).

٢- الحث على عدم الإكثار من السفر

السفر من الأعمال التي تجهد الجسم وتسبب له التعب والإرهاق وقلة النوم وقلة الطعام والشراب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "السفر قطعة من العذاب يمنع أحكم طعامه وشرابه ونومه...." (١).

٣- الابتعاد عن العبادات التي تلحق الأذى بالجسم وتسبب له التعب والإرهاق

نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن القيام بالعبادات التي تؤثر في جسم الإنسان وتسبب له التعب والإرهاق، فعن أنس رضي الله عنه قال: دخل النبي صلى الله عليه وسلم فإذا حبل ممدود بين السارين، فقال ما هذا الحبل؟ قالوا هذا حبل لزينب، فإذا فترت تعلقت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا، حلوه ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليقعد" (٢).

ونبه النبي صلى الله عليه وسلم على عدم جواز العمل بالنذر الذي يجهد الجسم ويؤذيه، فعن أنس رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى شيخاً يُهادى بين ابنيه، قال: ما بال هذا؟ قالوا نذر أن يمشي. قال: "إن الله عن تعذيب هذا لنفسه لغني" (٣).

فالعبادات لم تشرع للمساس بصحة الإنسان ونموه وليست سبيلاً لأن يقوم الإنسان بإجهاد نفسه، فيؤثر على صحته فتتأثر جميع المظاهر النمائية لديه بقصد أو بدون قصد.

٤- الالتزام بتلبية حاجة الإنسان إلى النوم والتفكّه

لما كان التعب والإرهاق من العوامل المؤثرة في النمو الإنساني، دعا الإسلام إلى الراحة والاستجمام، ومن الوسائل التي تؤدي إلى الراحة والنوم، والذي هو حالة من عدم الوعي أو عدم الإدراك والتي يُستيقظ منها بواسطة مؤثر حسي وغيره (٤)، فالكائنات الحية كلها تحتاج إلى الراحة لتجديد نشاطها وإزالة ما علق بها من تعب وإرهاق واكتساب الطاقة اللازمة لاستمرار نشاطها ونموها، وليس هناك من عامل أفضل من النوم يمكن أن يفكر به من أجل تحقيق هذا الهدف.

وعدم النوم يحدث أثراً في الجهاز العصبي للإنسان، فطول فترة اليقظة يصحبه قصور متزايد في وظيفة العقل، فقد يدرك الشخص التبدل والكسل الذي يحدث له جراء استيقاظه لفترات طويلة أو أنه يصبح عصبياً ومتهيجاً، والنوم يعيد التوازن بين أجزاء الجهاز العصبي المركزي المختلفة، وقد أجريت تجربة في الحرب العالمية الثانية على مائة متطوع من الجيش

(١) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج٣، ص ١٥٢٧، حديث (١٩٢٧).

(٢) رواه البخاري، صحيح البخاري، ج١، ص ٣٨٦، حديث (١٠٩٩).

(٣) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج٣، ص ١٢٦٤، حديث (١٦٤٢).

(٤) عبد العزيز عبد الحميد، الإنسان بين الحقائق القرآنية والمعارف الطبية، القاهرة، مصر، دار الأوقاف العلمية، ط١، ١٩٩٥م،

الأمريكي ليظلوا مستيقظين أطول مدة ممكنة، فبعد مرور أربع وعشرين ساعة أصبحوا متوترين وبعد ثمان وأربعين ساعة بدأ بعضهم في الهلوسة، وكثير منهم استيقظ من تسعين إلى مائة ساعة حدثت لهم أعراض نفسية (١).

إن النوم من أعظم النعم التي أنعم الله بها علينا لاستعادة نشاط الجسم الذي أنهكه التعب، يقول سبحانه: ﴿ وَمِنَ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَآبِغَاؤُكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ (٢)، يقول أحد البحوث إن الإنسان إذا استيقظ وبدأ العمل أفرز دمه مادة كيميائية بنسبة ضئيلة جداً وكلما مر الوقت ارتفعت هذه النسبة فإذا بلغت حداً معيناً في الدم، أثر مع مرور الزمن على بذل الجهد أرسلت أمراً إلى الدماغ الذي بدوره يرسل أمراً عصبياً إلى مراكز النوم في العقد العصبية فتتبادل فيحدث النوم، وقد أمر الإسلام بالنوم على الشق الأيمن، لما فيه من الفوائد الصحية التي تعود على الفرد، فالذين ينامون على بطونهم يشعرون بضيق النفس، أما الذين ينامون على ظهورهم فإنهم يعطلون جهازاً من أدق الأجهزة وهو جهاز التسخين والتصفية، والنوم على الشق الأيسر يبقي الطعام في المعدة من خمس إلى ثماني ساعات لأن الرئة اليمنى وهي الكبيرة تضغط على القلب والكبد فيبقى الكبد معلقاً قلقاً (٣).

والنوم كذلك من الحاجات المهمة في مرحلة الطفولة، فهو ضروري لنمو الطفل الجسدي والعقلي والاجتماعي، كون عملية النمو في الطفولة سريعة تستنفذ مجهوداً كبيراً في عملية الهدم والبناء ويتم تعويض هذا المجهود عن طريق النوم، فهو يقلل من مجهود الطفل ويحفظ الطاقة اللازمة للنمو ويتيح الفرصة لبناء الأنسجة الناعمة (٤).

ومن أساليب الراحة التي تؤثر في النمو الإنساني ووسائلها ولاسيما النفسية التفكه والمداعبة شرط الاعتدال دون أن يقود إلى التباغض والسباب أو السخرية والاحتقار (٥)، وقد وردت إشارات نبوية عديدة تدخل السرور والفرح إلى نفوس الناس، واللعب الذي له دور بالغ في النمو الجسدي والنفسي والأخلاقي للطفل.

المطلب العاشر - اتجاهات الوالدين نحو جنس الجنين

الأولاد نعمة من الله وفضل وإحسان إلى الأبوين وهو الذي يختار لهما ما يشاء من الذكور أو الإناث أو كليهما، وليس لأحد خيار في ذلك، وعليهما أن يرضيا بما قسم الله لهما

(١) عبد العزيز عبد الحميد، الإنسان بين الحقائق القرآنية، مرجع سابق، ص ٩٦.

(٢) سورة الروم، آية ٢٣.

(٣) محمد راتب النابلسي، موسوعة الإعجاز العلمي، مرجع سابق، ص ١٠٥-١٠٨.

(٤) محمود عقل، النمو الإنساني، مرجع سابق، ص ٢٤٥.

(٥) عبد الحميد الزنتاني، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، مرجع سابق، ص ٢٨٩.

من النعم، يقول سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ۗ ﴾^(١). ويقول سبحانه: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۗ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ۗ أَوْ يَزْوِجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا ۗ وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ۗ ﴾^(٢).

وقد أشار القرآن الكريم إلى اتجاهات الوالدين أو أحدهما نحو جنس الجنين في مرحلة ما قبل الإسلام، ولكن هذه الاتجاهات ما زالت متوارثة ضمن الثقافات المختلفة، فالأم والأب لهما اتجاهات سلبية نحو الأنثى في كثير من الثقافات المنتشرة، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۗ ﴾^(٣) يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۗ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۗ ﴾^(٤).

فالأنثى لا يرحب بمولدها في كثير من الأوساط الاجتماعية المعاصرة وعند كثير من الناس ولا تعامل معاملة الذكور من العناية والاحترام، فإذا كانت اتجاهات الوالدين أو أحدهما سلبية نحو جنس الجنين، فإن هذا يؤثر في النمو الجسمي والاجتماعي والأخلاقي والنفسي للطفل إن الاتجاه السلبي نحو المولودة الأنثى يؤدي إلى أن تعامل معاملة الخادم في بيت أهلها، ويهملون ويفضلون الذكور عليها ويحرمونها من ميراثها، وهذا يؤثر في نموها النفسي والاجتماعي فتنشأ فيها عقد النقص جراء هذه المعاملة، ولا شك أن الوضع النفسي السيئ يؤثر في النمو الجسدي والاجتماعي والأخلاقي، ولا أدل على ذلك من أن رواسب هذه التنشئة تظهر كثيراً عندما تتزوج البنت، فتكون حياتها مع زوجها وأولادها بصورة شحناء دائمة ومنازعات مستمرة.

فعلى الأب والأم قبول هبة الله وشكره على ذلك، وليعلم أن الخير فيما قدره الله وليس الخير فيما يرغبان فيه، ويخالفان تقدير الحكيم العليم، يقول سبحانه: ﴿ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۗ ﴾^(٥)، والنبى ﷺ يحذر من كراهية البنات ويدعو لحبهن والفرح بهن والصبر عليهن، حيث يقول: "من كان له ثلاث بنات فصبر عليهن فأطعمهن وكساهن وسقاهن من حدته كنت له حجاباً من النار"^(٥). فالواجب

(١) سورة الأحزاب، آية ٣٦.

(٢) سورة الشورى، آية ٤٩-٥٠.

(٣) سورة النحل، آية ٥٨-٥٩.

(٤) سورة النساء، آية ١١.

(٥) رواه أحمد، المسند، ج٤، ص ١٥١، حديث (١٧٤١١)، صححه شعيب الأرنؤوط.

على الوالدين تقبل الأنتى تقبلاً إيجابياً يقوم على دعم القيم الاجتماعية الإيجابية في التعامل والتربية المتعلقة بالأنثى، ولا يكون هذا التقبل، تقبلاً سلبياً لا يعني سوى الخضوع للأمر الواقع.

لقد أوضحت الدراسات أن أساليب المعاملة الوالدية التي يتلقاها الأبناء ذات علاقة وطيدة بما تكون عليه شخصياتهم ونموهم النفسي والاجتماعي والعقلي، فأسلوب النبذ والرفض كالذي يتم التعامل فيه مع الأنثى يؤدي إلى مشكلات عصبية مثل التبول اللاإرادي، وقضم الأظافر، وسلوكات مثل السرقة وفحش القول، وانعدام مشاعر الأمن والرغبة في الابتعاد عن الآخرين ونمو المخاوف الاجتماعية والعناد، وإذا ما اتبع الوالدان أسلوب الإهمال واللامبالاة فإن ذلك يؤدي إلى نشأة الخوف الاجتماعي وعدم الثقة بالنفس، ونشأة السلوك العدواني المضاد للمجتمع وضعف الرقابة الداخلية وضعف تمثل القيم والعادات^(١).

وقد يتبع الوالدان أسلوب الحماية الزائد مع المولود الذكر، وذلك يؤدي إلى انعدام مشاعر الأمن عند الطفل، والحيلولة دون نشأة السلوك المستقل والميل إلى الخضوع والطاعة وضعف مهارات التعامل مع الآخرين، والانسحاب من المواقف الاجتماعية واضطرابات عصبية مثل العدوانية والعصبية ونوبات الغضب^(٢).

ومن اتجاهات الوالدين التي تؤثر في نمو الطفل عدم رغبة الوالدين أو أحدهما في الإنجاب، إن رغبة الأم في إنجاب الأطفال من العوامل المؤثرة في نمو الطفل، فإذا كانت الأم ترغب في الإنجاب ومهيأة نفسياً لهذا، فإن ذلك يؤثر في استعداد الرحم ويجعله بيئة تتوافر فيها الراحة للجنين فلا تتناب الرحم تقلصات دائمة تنغص على الطفل الراحة والهدوء، أما إذا كانت الأم لا ترغب في الحمل وحدث الحمل رغماً عنها، فإن الحزن والرفض يؤثر في بيئة الرحم، ويشعر الطفل بالرفض من خلال عدم استقرار أحوال الرحم وبالتالي التأثير في النمو النفسي والجسمي للطفل^(٣).

إن حث الإسلام على الزواج من المرأة الولود لا يعني نم العقيم وإنما يعني الحث على الزواج من امرأة ترغب في الإنجاب، مما يضمن نمواً سليماً للطفل في كافة المظاهر النمائية، فعن معقل بن يسار قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: إني أصبت امرأة ذات جمال وحسب وأنها لا تلد أفاتزوجها؟ قال: لا. ثم أتاه الثانية فنهاء، ثم أتاه الثالثة فقال: "تزوجوا الودود الولود فإنني مكاثر بكم الأمم"^(٤).

(١) محمود عقل، النمو الإنساني، مرجع سابق، ص ٨٥-٨٦.

(٢) المرجع السابق، ص ٨٦.

(٣) أسامة بدوي، رعاية الإسلام للطفولة جسدياً ونفسياً، مرجع سابق، ص ٢٣٤.

(٤) رواه أبو داود، سنن أبي داود، ج ٢، ص ٢٢٠، حديث (٢٠٥٠)، صححه الألباني، انظر: صحيح وضعيف الجامع الصغير، حديث رقم (٢٩٤٠).

وقد جاء في كتاب الحجاب لأبي الأعلى المودودي " بأن هذه الكراهية للأولاد من بنات حواء قد بلغت بأن يأتين بالمضحكات المبكيات، فقيل: إنه مات لامرأة ابن ستة أشهر، فوضعت نعشه بين يديها ورقصت فرحاً وغنت ثم طافت بجاراتها تقول: أنا لن ألد ولداً آخر بعده، ويا راحة نفس بعلي من هذا العليق، أفلا ترين أي مخلوق هو هذا الذي لا ينقطع عن البكاء، ويظل يبث القذر في الفناء، يكاد المرء لا يتخلص منه أبداً"^(١).

إن كره الأم للإنجاب يؤثر في نمو الجنين وهو في بطنها، وبعد أن يولد تتأثر كافة مظاهر نموه الجسدية والنفسية والعقلية؛ لعدم رغبة الأم في الأبناء فغالباً ما يتصف سلوكها بالتقصير مع أبنائها.

ويأخذ اتجاه الوالدين نحو الجنين صورة أخرى، وهو أن يأتي الحمل في وقت لا يرغبان به، فيكون الطفل مصدر بؤس لهما، ويحاولان التخلص من الحمل بشتى الطرائق والأساليب مما يسبب تأثير الجنين وهو في بيئته الرحم، وإذا ما تم الحمل وجاء المولود يبقى غير مرغوب فيه لدى بعض النفوس، لكونه يشكل عبئاً اقتصادياً أو اجتماعياً أو غيره، يقول سبحانه: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ حَشِيَّةً ۖ إِلَيْنِ رُحُنُ نَزُّقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ۖ ﴾^(٢).

والولادة التي يصاحبها مرض الأم لمدة طويلة أو موتها أو أن يأتي المولود عليلاً تحتاج إلى مضاعفة الجهد، ففي مثل هذه الحالات لا يكون المولود مرغوباً فيه، ويتأثر نموه، وكذلك في الولادة غير الشرعية التي غالباً ما تنتهي بالتخلص من المولود بطريقة من الطرق خوفاً من العار^(٣).

المطلب الحادي عشر - الحالة الانفعالية للأم أثناء الحمل:

أشارت الدراسات الحديثة إلى أن الحالة الانفعالية للأم تؤثر تأثيراً بالغاً على نمو الطفل فحالات الانفعال الشديدة مثل الضيق أو التعب أو التوتر وإفراز كميات كبيرة من هرمون الأدرينالين والذي ينساب من دم الأم إلى دم الطفل يؤثر تأثيراً ضاراً على الطفل وخاصة إذا زاد عن نسبة معينة^(٤).

فبالضغوط العاطفية والنفسية التي تتعرض لها المرأة خلال فترة الحمل، يمكن أن تكون عاملاً في ظهور إصابة الجنين ببشوهات، مثل الشرم وانشقاق الشفة والخلق، ويفسر العلماء

(١) أبو الأعلى المودودي، الحجاب، ص ٦٣.

(٢) سورة الإسراء، آية ٣١.

(٣) محمد عودة، الطفولة والصبا، مرجع سابق، ص ١٧٠.

(٤) سيد الطواب، للنمو الإنساني، مرجع سابق، ص ١٢٠.

هذه المشوهات بأن الضغط النفسي سبب في ارتفاع هرمون الكورتيزون الذي يؤدي إلى ارتفاع نسبة السكر في الدم، وتقلص نسبة الأوكسجين في الأنسجة، وهما عاملان يتسببان في تشوهات خلقية عند الجنين^(١).

وأشارت الدراسات إلى أن الاضطرابات الانفعالية للأم لها تأثير على نشاط الجنين، وأن الأم ذات القلق العالي تؤثر على جهاز الجنين العصبي وسير الدورة الدموية لديه، وأن الأمهات المضطربات ينجبن أطفالاً أقل وزناً، وأكثر توتراً، إذ أكدت الدراسات أن الضغط النفسي الذي تتعرض له الحامل أثناء الحمل يرتبط بالتهيجية والبكاء الزائد في لطفلها والصحة المتدنية والعيوب الخلقية^(٢).

وقد حرص الإسلام على استقرار الأسرة وسعادتها، ووجه إلى حسن معاشره الزوجه ومعاملتها بالمعروف، وإقامة الحياة الأسرية على السكن والمودة وفي هذا أبلغ مراعاة لحالة الأم النفسية والانفعالية، إذ إن هذا الجو يبعد الأم الحامل عن كل إحساس بالخوف والقلق والغضب، وبذلك تصل إلى الجنين عن طريق أمه الهادئة انفعالياً المطمئنة نفسياً مؤثرات صحية وجسمية وانفعالية سارة هو في حاجة إليها، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَجَعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(٣).

فحسن العشرة من الزوج ليس خاصاً مقصوراً على كفاية الزوجه من الطعام والشراب والزينة، كما أنه ليس بإجابتها زوجها إذا دعاها، ولا أن تهين له الطعام، وإنما هو معنى ينبعث من قلب أحدهما إلى قلب صاحبه مدفوعاً بروح المودة والمحبة والإيمان بالمهممة المشتركة والملافة على عاتقهما، وفي تذليل سبل الحياة وتربية الأبناء بما يضمن على الجميع متعة المادة والروح^(٤).

ومما يدل على مراعاة الحالة النفسية والانفعالية للمرأة بشكل عام؛ الوصايا العديدة التي أطلقها النبي ﷺ، في حسن معاملة المرأة حيث يقول: "إن المرأة خلقت من ضلع، لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها"^(٥). فالحديث يدل على حسن ملاطفة النساء والإحسان إليهن والصبر على ما يصدر

(١) محمد راتب النابلسي، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، مرجع سابق، ص ١٧٩-١٨٠.

(٢) حمدي محمود، مبادئ علم نفس النمو في الإسلام، مرجع سابق، ص ٦٢-٦٣.

(٣) سورة النساء، آية ١٩.

(٤) زينب حسن، رعاية الطفولة ف الفكر التربوي العربي الإسلامي، الأصول والمبادئ، تحرير بحوث الشريف والجسمي الجنعاني، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٨٧، ص ٩٨٦.

(٥) رواه أحمد، المسند، ج ٢، ص ٤٩٢، حديث رقم (١١٦٨)، صححه الألباني، لنظر: صحيح وضعيف الجامع الصغير، حديث رقم

(١٩٤٣).

عنهن من أنماط سلوكية، ويقول ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم»^(١).

ويدخل في تهيئة الجو النفسي والانفعالي تجنب دعاوي الشقاق والنزاع والخلاف والغضب بين الزوجين، عن طريق بيان الحقوق والواجبات المترتبة على كليهما، والتي إن أديها نما الأطفال نمواً سليماً بعيداً عن القلق والاضطراب النفسي والجسدي. يقول البهي الخولي "تظم القرآن الكريم العلاقة بين الزوجين على قاعدة من قوله: ﴿وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْنَّ بِالْعُرْفِ﴾^(٢) فهل تتج الحياة الزوجية دون معرفة تلك الحقوق والواجبات"^(٣).

المطلب الثاني عشر - التجانس بين الوالدين:

التجانس والاتفاق بين الوالدين من العوامل المؤثرة في جميع المظاهر النمائية للطفل في حياته، فالتوافق بين الزوجين مطلوب وضروري من أجل تحقيق السكن والاستقرار، لاسيما إذا تأثر بهذا السكن أفراد الأسرة، فكلما كان الانسجام بين الزوجين حاصلًا كان الود والتفاهم والأمن مالتاً جو الأسرة التي يكونانها، وبذلك تسعد النفوس وتربي الذرية في خير محض.

فقضية التجانس والتوافق بين الزوجين، قضية خطيرة ومهمة لها أبعادها في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ولا يتوقف أثرها عند الزوجين نفسيهما بل يمتد إلى سلوك الأولاد ونشأتهم، واتجاهاتهم، فعدم التوافق النفسي والروحي بين الزوجين يؤدي إلى وجود نشء مضطرب في انفعالاته ومشاعره وسلوكه، وعدم توافقه الاجتماعي والثقافي مع المجتمع الذي يعيش فيه مما يشكل العقد النفسية ويمهد لظهور أنماط من السلوك المنحرف^(٤).

وعليه فالإسلام شرع من تنظيم الحقوق والواجبات للطرفين ما يحقق التجانس بين الزوجين في مظاهر عديدة، بهدف أن يكون نمو النشء نمواً سليماً بعيداً عن اضطراب الانفعالات والمشاعر متوافقاً اجتماعياً وأخلاقياً مع المجتمع الذي يعيش فيه، ومن المظاهر التي دعا الإسلام إلى التجانس بين الزوجين فيها:

(١) رواه الترمذي، سنن الترمذي، ج٣، ص ٤٦٧، حديث رقم (١١٦٢)، قال أبو عيسى حديث حسن صحيح، قال الألباني حديث حسن صحيح.

(٢) سورة البقرة، آية ٢٢٨.

(٣) البهي الخولي، الإسلام والمرأة المعاصرة، الكويت، دار القلم، ط٥، ١٩٨٤، ص ٢١٣.

(٤) مها الأبرش، الأمومة ومكانتها في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة، مكة المكرمة، وزارة التعليم العالي، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث، ط١، ١٩٩٦، ص ٥٧٠-٦١٤.

١. التجانس العقائدي:

اهتم الإسلام بأمر الدين في الاقتران بين الزوجين ووضع حدوداً حرم تجاوزها وتخطيها ومن تعداها فعليه غضب من الله يقول سبحانه: ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ ۚ وَلَا أُمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾^(١).

فهذه الزيجات شر على البيت المسلم، لأن الذي لا يمكن إنكاره واقعياً أن هذه الزوجة المشركة تصبغ بيثها وأطفالها، بصبغتها وتخرج جيلاً أبعد ما يكون عن الإسلام^(٢)، فقد بينت الدراسات أن أبناء المسلمين الذين يقبلون على الزواج بالغربيات من أجل الحصول على الإقامة الجنسية في البلاد التي يعيشون فيها، ينعكس على الأولاد فتتأثر ثقافتهم وطرق تعلمهم والتزامهم الإسلامي، فيذوب الطفل في ثقافة الأم وبالتالي يفقد الهوية الإسلامية^(٣)، ثم إنه لا يمكن لنفس مطمئنة إلى جنب الله عز وجل أن يتحقق لها السكن والود مع النفس العاصية الأمارة بالسوء، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ ﴾^(٤).

٢. التجانس النفسي والعقلي:

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾^(٥). ويقول ﷺ: "الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف"^(٦). فالتجانس النفسي والعقلي بين الزوجين الأثر البالغ في إنتاج جيل هادئ مطمئن، يستطيع أن يتعايش مع الحياة ويتغلب على ما فيها من صعاب، والطفل الذي يعيش في كنف والديه متفاهمين تقوم العلاقة بينهما على أساس الحب والعطف والحنان، ونقل الخلافات بينهما وتكون الأسرة سعيدة ينشأ الطفل وينمو نمواً سليماً صحيحاً، أما الأسرة المفككة التي تكثر فيها الخلافات ويحاول كلا الوالدين السيطرة على الآخر فإن أطفالها يصابون بالاضطراب ويتعلمون الأساليب العدوانية ويصابون بضغط نفسي في مستقبل حياتهم^(٧).

(١) سورة البقرة، آية ٢٢١.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ١/٢٤١.

(٣) صلاح أبو زيد، مليون مسلم يواجهون العاصفة، صحيفة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، عدد ١٧٨٧، ١٤٢٤هـ، ص ٥.

(٤) سورة المجادلة، آية ٢٢.

(٥) سورة الروم، آية ٢١.

(٦) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ٤، ص ٢٠٣١، حديث ٢٦٣٨.

(٧) أسامة بدوي، رعاية الإسلام للطفولة جسدياً ونفسياً، مرجع سابق، ص ٢٢٦.

لذلك حثَّ النبي ﷺ على التجانس النفسي والعقلي بين الزوجين، حين أمر ﷺ ثابت بن قيس ﷺ أن يطلق زوجته التي جاءت إلى النبي ﷺ تريد فراق زوجها، فقالت: يا رسول الله ما أنقم على ثابت في دين، ولا خلق إلا أنني أخاف الكفر، فقال رسول الله: فتردين عليه حديثه" قالت: نعم، فردتها عليه وأمره ففارقها، وفي رواية قالت رضي الله عنها: "إنني لا أعتب على ثابت في دين ولا خلق ولكن لا أطيقه"^(١).

٣. التجانس الثقافي والاجتماعي:

الزواج الذي يقوم على أساس من الدين والخلق والتناسب والاجتماعي والثقافي زواج ناجح، يثمر خيراً على الدوام سواء في المجتمع أو في الذرية، لأنه كلما قربت المسافة بين الزوجين وندر الخلاف تأثر بذلك الأبناء، وقد نص القرآن الكريم على هذا الجانب في حديثه عن الزواج من الإماء، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾^(٢).

فالآية الكريمة تدعو لنكاح الحرائر التي تتناسب مع الزوج اجتماعياً وثقافياً، وذلك لعل عدة منها: أن الحرية تحسنها وتعلمها كيف تحفظ عرضها وتصون حرمة زوجها، إضافة إلى أن الزواج من الأمة يؤثر على نسلها من زوجها كأن ينظر المجتمع إليهم نظرة أدنى من أولاد الحرائر، فتعلق بهم هجنة الرق بصورة من الصور^(٣)، أليس في هذا الحكم الشرعي مراعاة لجوانب النمو النفسي والاجتماعي والأخلاقي للطفل؟
إن الزوجين إذا كانا مختلفين ثقافياً واجتماعياً فإنه من المحال أن ينالا الهدوء والسكن، والطمأنينة أو أن ينتجا أعضاء يتمتعون بالنمو النفسي والاجتماعي والأخلاقي السليم.

٤. التجانس في الصلاح بين الوالدين:

بين الإسلام الصفات التي ينبغي توافرها فيمن يراد الزواج منها، ولعل أهم هذه الصفات أن تكون المرأة ذات دين، يقول ﷺ: "تتكح المرأة لمالها ولجمالها، وحسبها ودينها فعليك بذات الدين تربت يداك"^(٤)، وكذلك نبه الإسلام على الصفات التي ينبغي توافرها فيمن يراد تزويجه حيث قال ﷺ: "إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض"^(٥).

(١) رواه البخاري، صحيح البخاري، ج ٥، ص ٢٠٢٢، حديث ٤٩٧٣.

(٢) سورة النساء، آية ٢٥.

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٢/٦٢٦.

(٤) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ٢، ص ١٠٨٧، حديث (١٤٦٦).

(٥) رواه ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ج ١، ص ٦٣٢، حديث (١٩٦٧).

لذا فقد قال أحد الحكماء "الناس كالشجر، شرا به واحد، وثمره مختلف، فلزمه الاختيار قبل الاصطفاء، فمن رغب في اتخاذ صاحب بالجنب يكون معه في دنياه وأخراه، تدور السعادة مع وفاقه وتفقد مع خلافه، فلا بد أن يبحث ويعتني بأصل السجايا والطباع بجانب الصورة المنظورة، لذلك كانت البداية وصايا الرسول ﷺ في هذا الأمر: "فاظفر بذات الدين لأن الدين يقف بأهله على الخيرات، وأن تارك الدين عدو لنفسه فكيف يرجى منه مودة غيره .." (١).

وقد أجمعت الدراسات النفسية والتربوية على أهمية البيت والأسرة في تكوين شخصية الإنسان، وتشكيل سلوكه يافعاً وراشداً وكبيراً، فصلاح الوالدين وقيامهم بالفرائض وبعدهم عن المنكرات والآثام والتزامهم حدود الفضيلة والأدب وتوفيرهم الطمأنينة والحنان للصغار، وتعهدهم إياهم بالتعليم وتلقينهم مبادئ الدين في القالب المناسب لنموهم، وغرس بذور الاعتقاد والإيمان في نفوسهم يجعل الطفل ينشأ في ظل هكذا والدين صحيح الجسم بعيداً عن الأمراض النفسية والاجتماعية والسلوكية (٢).

آثار عدم التجانس بين الوالدين على الأبناء

إن من حق الطفل أن تكون له أسرة طيبة ووالدان متجانسان، يتقبلونه التقبّل الإيجابي، فالأسرة هي المكان الذي يبدأ فيه نمو الطفل وينشأ نشأته الاجتماعية، وتكون نفسيته جزءاً من الأسرة، لذا فكثير من الأعراض المرضية التي يصاب فيها الطفل ليست أعراضاً حقيقية، ولكنها أعراض الحياة الأسرية التي تنعكس بشكل مرضي على نفسية الطفل وسلوكه (٣). فعدم التجانس بين الوالدين يترك آثاراً نفسية تؤثر في النمو النفسي للطفل، فالأبناء يعيشون تجربة نفسية قاسية تترك في وجدانهم انطباعات سيئاً عن الجو الأسري والعلاقات الأسرية، فيعيش الأبناء في أسرة مفككة لا تعرف بين أفرادها غير النفور والكراهية، فلا تكون نشأتهم طبيعية وتترسب في أعماقهم مشاعر الكراهية نحو الحياة والأبناء، ويتمثل ذلك في الانحراف والتمرد على القيم السائدة، فقد أثبتت الدراسات أن ظواهر الإجرام والعنف وانحلال الأخلاق الموجودة مردها ضياع الروابط النفسية الأسرية السوية، وأن أجيالاً تربت وترعرت بعيداً عن مشاعر الحنان، والمودة والرحمة فانتكست فطرتها وانغمست في بؤر الفساد واستحوذ عليها حب الانتقام وإراقة الدماء والاستهانة بكرامة الناس (٤).

(١) محمد حسن، العشرة الطيبة، مرجع سابق، ص ٩.

(٢) محمد جمال الدين، تربية المراهق في المدرسة الإسلامية، مصر: الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٧م، ص ٦٥.

(٣) محمود قمبر، دراسات تراثية في التربية الإسلامية، الدوحة، قطر، ١٨٥م، ج ١، ص ٣٥٦.

(٤) أمينة الجابر، التفكك الأسري: الأسباب والحلول المطروحة، الدوحة، قطر، سلسلة كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون

الإسلامية، العدد ٨٣، ربيع ١٤٢٢هـ، ص ٧٠-٧٢.

كما أثبتت الدراسات أن الأفراد الذين كانوا يعيشون في بيوت مفككة، يعانون من المشكلات العاطفية والسلوكية والصحية بدرجة أكبر من الأفراد الذين يعيشون في بيوت عادية، فإذا كنا نريد نمواً عادياً للطفل وجب أن يعيش في جو من الاطمئنان، والعطف بين عالم الكبار، أما البيوت التي يسودها الشجار المتصل فسوف تظهر آثار ذلك واضحة على شخصية الفرد^(١)؛ فيشعر بالإحباط والقلق والاضطراب، والاكتئاب والانتوائية والخجل والكذب والتلعثم أو التأتأة في الكلام، والميل إلى العدوانية في التربية، وفقدان الثقة بالنفس وتقليل الاحترام للذات وضعف عاطفة الحب، إضافة إلى فقدان الشهية واضطراب النوم والصداع الدائم، والإدمان على الكحول وغير ذلك من آثار عدم التجانس بين الوالدين الذي يؤدي غالباً إلى العنف الأسري.

وحتى نتمكن من تحقيق التجانس بين الوالدين وإبعاد الأسرة عن مظاهر العنف الأسري المختلفة، يجب العمل على إعداد الزوجين لتحمل مسؤوليات الأبوة والأمومة، الأمر الذي يؤدي إلى نمو الأطفال في الأسرة نمواً سليماً صحيحاً في كافة مظاهر النمو، فمن إعداد الزوجين جعل الهدف من الزواج هو إخلاص العبودية لله سبحانه وتعالى، والتوجه إلى إعمار الكون وتحقيق الخلافة التي أرادها الله سبحانه وتعالى في الأرض، وقد أدرك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ما يجب عليهم نحو أبنائهم، فجعلوا غايتهم من الأبوة الزرية الصالحة أي الحرص على أن ينمو هذا الولد نمواً دينياً سليماً بعيداً عن المعاصي والآثام^(٢)، فهذا إبراهيم عليه السلام يدعو: ﴿وَأَجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ الرَّحِيمُ﴾^(٣)، ويعقوب عليه السلام يوصي أبناءه: ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٤).

إن واجب إعداد الزوجين للحياة الزوجية تقع مسؤوليته على المجتمع ومؤسساته، ولا سيما التربوية والإعلامية، فيجب أن يلحق الذكر والأنثى حدود مسؤولياتهما بل يدرّبهما على تحمل المسؤوليات وأداء الأمانات، حتى إذا وصلا إلى مرحلة تكوين الأسرة استطاعا أن يقوموا بأعباء الزوجية والأبوة أو الأمومة خير قيام، حتى يعلموا أن هدف الزواج هو إعداد الأفراد الصالحين المصلحين ديناً، المتعافين من الأمراض والأوجاع، المتميزين بالأخلاق والسلوك، الذين يعيشون دائماً السكينة والطمأنينة والوقار، القادرين على الإبداع والتميز في حياتهم^(٥).

(١) محمد جمال الدين، تربية المراهق في المدرسة الإسلامية، مرجع سابق، ص ٨١.

(٢) مها الأبرش، الأمومة ومكانتها في ضوء الكتاب والسنة، مرجع سابق، ١٤٣/١-١٤٤.

(٣) سورة البقرة، آية ١٢٨.

(٤) سورة البقرة، آية ١٣٣.

(٥) مها الأبرش، الأمومة ومكانتها في ضوء الكتاب والسنة، مرجع سابق، ١٤٨/١.

ومما يؤسف له أن نظرة واحدة إلى أوضاع المسلمين الآن تتدر بالخطر المحدق بالأمة الإسلامية، فإذا أفلح العالم الإسلامي بتأمين الغذاء والمسكن من قبل الأيوين للأبناء فإنه لم يفلح في إعداد هذين الأيوين لمهمتهما في إعداد النشء وتربيته، ولذا انحدر من هؤلاء الآباء أبناء مترهلون، غير ميالين وغير آبهين بما أراد الله سبحانه وتعالى من خلق الإنسان لإعمار الكون المسخر له بكل ما فيه، فإذا كان الغرب قد ضيع الروح، فقد حافظ على العقل، فكان العلم المادي الذي غزا الفضاء، أما نحن - المسلمين - فقد ضيعنا الروح والعقل والجسد في التربية^(١).

(١) مها الأبرش، الأمومة ومكانتها في ضوء الكتاب والسنة، المرجع السابق، ١/١٥٠.

الفصل الرابع

قضايا أساسية في علم نفس النمو من منظور إسلامي

المبحث الأول - الطبع والتطبع "الوراثة والبيئة".

المبحث الثاني - الطبيعة الإنسانية الأساسية.

المبحث الثالث - طبيعة النمو "كمي أم نوعي، متصل (زياداته) أم منفصل (مراحله)".

المبحث الرابع - النمو غير السوي "مشكلات النمو".

المبحث الأول - الطبع والتطبع من منظور إسلامي^(١)

يشمل هذا المبحث تمهيداً ومطلبين، المطلب الأول - الوراثة وأثرها في النمو الإنساني، والمطلب الثاني - البيئة وأثرها في النمو الإنساني.

تمهيد:

نزل القرآن الكريم لهداية الناس، ودعوتهم إلى التوحيد، وتعليمهم قيماً وأساليب جديدة في التفكير والحياة، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢)، والإسلام غيّر في نفوس الناس وفي أخلاقهم وانفعالاتهم وسلوكياتهم؛ بما فيه من طاقة ذات تأثير بالغ في الإنسان بحيث تهز وجدانه وتصقل روحه، وتوقظ تفكيره وإدراكه، فالإنسان هو موضوع الإسلام وبحثه.

وتلتقي الدراسات النفسية الحديثة - علم النفس - مع الإسلام في وحدة الموضوع، ألا وهو الإنسان، حيث يسعى كل منهما إلى تشكيله على نمط يحقق الخير للبشرية جمعاء.

إن المتأمل في واقع علم النفس المعاصر يجده قد ناقش - بشكل معمق - تأثير الوراثة والبيئة في نمو الإنسان بمظاهره النمائية المختلفة، الجسمية، والعقلية، والأخلاقية، كما أجريت أبحاث وصلت إلى تضاد في النتائج لإثبات أو نفي تأثير الوراثة أو البيئة في نمو الإنسان.

إن موضوع تأثير الوراثة والبيئة في النمو الإنساني يناقش - بشكل دائم - من منطلق الدراسات النفسية دون التعرض إلى موقف الإسلام، أو التربية الإسلامية من هذا الموضوع.

لذا يعد هذا المبحث بياناً لدوري الوراثة والبيئة في النمو الإنساني من منظور إسلامي. وقبل الحديث عن أثر الوراثة والبيئة في النمو الإنساني من منظور إسلامي، لا بد من توضيح بعض الأمور، الأول - إننا نتعامل مع نصوص شرعية من القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، وهذا يقود إلى الحديث عن طريقة فهم الآية والحديث، ومدلولهما، واختلاف العلماء في ذلك.

الثاني - إن علم النفس حدد موقفه من الوراثة والبيئة بناءً على دراسات وتجارب فعلية، وهذا الأمر غير متحقق في الدراسات الإسلامية، فالموقف فيها متوقف على طريقة فهم النص الشرعي.

الثالث - إن الإسلام قرر أن الإنسان يولد مفطوراً على جملة أمور تسهم في مختلف المظاهر النمائية للإنسان، فهو مفطور على الإيمان والوحدانية التي تسهم في النمو الديني

(١) الطبع مصطلح يستخدم للإشارة إلى الوراثة البيولوجية لدى الفرد، والتطبع مصطلح يستخدم للإشارة إلى خبرات الفرد البيئية،

انظر معاوية أبو غزال، نظريات التطور الإنساني، ص ٣٨.

(٢) سورة يونس، آية ٥٧.

للفرد، ومفطور على طاقات كامنة مستترة في النفس الإنسانية هي الدوافع التي تسهم في مختلف المظاهر النمائية للإنسان، وكذلك مفطور على جملة من الأخلاق التي تؤثر في نموه الأخلاقي^(١).

المطلب الأول - الوراثة وأثرها في النمو الإنساني

الفرع الأول - مفهوم الوراثة

عرفت البشرية تأثير الوراثة على النبات والحيوان منذ زمن بعيد، حين اكتشفوا أن البذرة الجيدة تنتج نبتة قوية ترث عنها صفاتها العامة وخصائصها البيولوجية، والنبتة المريضة والمصابة تنتج ما يتوافق مع صفاتها، لذا تم أسلوب الانتقاء والاختيار للبذور من أجل الحصول على المحاصيل الجيدة، والإنسان يتأثر مثل سائر المخلوقات بالوراثة فيرث عن والديه وأجداده الصفات والخصائص الجسدية المتعددة إضافة إلى القدرات والطاقات والانفعالات والأمزجة^(٢). وقد بلغ من اهتمام العرب في جاهليتهم بالصفات الوراثية أن منهم من يرى سيداً من سادات العرب وعظيماً من عظمائهم، فتعجبه أخلاقه وصفاته، من كرم وحسن سمعة وبُعد صيت، فيقول لزوجته بعد أن تطهر من طمئنها اذهبي إلى فلان فاستبضعي منه - نكاح الاستبضاع - ثم يعتزلها ولا يمسه أبداً حتى يتبين له حملها من ذلك الرجل الذي استبضعت منه، فإذا تبين له حملها أصابها إذا أحب، وهو يفعل هذا الأمر رغبة في نجابة الولد، فيرث من صفات ذلك الرجل ومن أخلاقه ما يجعله موضع فخر للزوج، لأنه ينتسب إليه لا إلى المستبضع منه الذي جاء الولد من صلبه^(٣).

فالوراثة هي انتقال الصفات الوراثية من جيل إلى جيل، ومن الأجداد والآباء إلى الأحفاد والأبناء، وهذه الصفات هي التي تسبب تشابه الأحفاد والأبناء والآباء والأجداد تنتقل بوساطة عملية التناسل سواء أكان ذلك الحي نباتاً أم حيواناً أم إنساناً^(٤)، فهي مجموعة من الخصائص والسمات الجسمية والفسولوجية والحسية والعقلية التي تنتقل من الآباء والأجداد إلى الأبناء والأحفاد، عن طريق الجينات - الناقلات الوراثية - التي تحملها الكروموسومات، وهذه الجينات تحدد السمات الوراثية عندما يخترق أحد الحيوانات المنوية الحاملة لـ (٢٣) كروموسوماً البويضة الأنثوية الحاملة أيضاً لـ (٢٣) كروموسوماً، ويعرف هذا علمياً بلحظة الإخصاب أو طور البويضة المخصبة، فتؤثر الإمكانيات والاستعدادات الوراثية للفرد بشكل

(١) أشار الباحث إلى تأثير الفطرة في مختلف المظاهر النمائية في مبحث الطبيعة الإنسانية من منظور إسلامي.

(٢) أحمد رجب الأسمر، فلسفة التربية في الإسلام، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط١، ١٩٩٧م، ص ١٧٣-١٧٤.

(٣) عبد الغني الخطيب، الطفل المثالي في الإسلام، مرجع سابق، ص ١٢.

(٤) عبدالله السعيد، الإعجاز الطبي في الأحاديث النبوية الشريفة علم الوراثة، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١،

١٩٨٩م، ص ٦٣.

مباشر أو غير مباشر في النمو الإنساني وأنواعه ودرجاته ومظاهره وسماته ومعدلاته^(١). فالوراثة هي جميع العوامل الموجودة في الكائن الحي منذ لحظة الإخصاب التي يتم فيها تلقح الحيوان المنوي الذكري للبويضة الأنثوية، وقد وردت إشارات واضحة وكثيرة في القرآن الكريم والسنة النبوية تبين تأثير الوراثة في المظاهر النمائية المختلفة للإنسان.

ويعد هذا التعريف الموجز لمفهوم الوراثة يتساءل الإنسان: من أين جاءت عوامل الوراثة؟ والإجابة على هذا السؤال لعلها تكمن في أمرين^(٢):

الأول- إن الله سبحانه وتعالى خلق آدم من قبضة من جميع تراب الأرض بسائر ألوانه وصفاته التي تأثر بها الإنسان، وانتقلت بفعل الوراثة إلى الأبناء، يقول ﷺ: "إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك السهل والحزن والخبيث والطيب، قال: ألا فإن منهم بطيء الغضب وسريع الفيء، ومنهم سريع الغضب بطيء الفيء، فتلك بتلك، ألا وإن منهم سريع الغضب سريع الفيء، ألا وخيرهم بطيء الغضب سريع الفيء، ألا وشرهم سريع الغضب بطيء الفيء"^(٣).

الثاني - تعدد أفراد النوع الإنساني؛ فأدم يحمل صفات خاصة من شكل ولون وحجم وعين، وهيئة ونكاه، وحواء تحمل صفات أخرى تقترب أو تبتعد من صفات آدم، والجنين يتكون من صفات الأبوين.

الفرع الثاني - الخصائص التي تنتقل عن طريق الوراثة كما أشار إليها علماء النفس
أشار علماء الوراثة إلى انتقال بعض الخصائص عن طريق الوراثة من حيث الأصل، ومنها^(٤):

- ١- **الجنس:** الزوج الثالث والعشرون من كل خلية إنسانية يسمى كروموسوم الجنس، وهو يحمل الشيفرات الوراثية التي تحدد جنس المولود ذكراً أم أنثى.
- ٢- **الخصائص الجسمية:** يعتمد عدد من الخصائص الجسمية عند الفرد على الوراثة بشكل كبير جداً، فمثلاً لون العينين والشعر وشكل الأنف، تحدد عن طريق الجينات، كما أن الوراثة تلعب دوراً مهماً ورئيساً في الطول والوزن، بالرغم من أن العوامل البيئية تساهم في تحديد هذه الصفات.

(١) هشام خوجلي، علم نفس النمو، مرجع سابق، ص ٢٧٥.

(٢) عبد الغني الخطيب، الطفل المثالي في الإسلام، مرجع سابق، ص ١٢-١٤.

(٣) رواه الترمذي، سنن للترمذي، ج ٤، ص ١٤٨٣، حديث (٢١٩١).

(٤) شفيق علاونة، سيكولوجية التطور الإنساني، ط ١، عمان، دار المسيرة، ٢٠٠٤م، ص ٥٠-٥٤.

٣- الإعاقات والاضطرابات العقلية: من بين الإعاقات التي تنتج عن الوراثة، مرض يتميز بانتفاخ الخلايا العصبية للدماغ والحبل الشوكي، ويظهر هذا المرض عند الأطفال الذين تربط والديهم قرابة مثل أولاد العمومة. كذلك مرض عقلي يعرف باسم (PKU)، ومرض أنيميا الدم المتوسط (التلاسيميا) وأنيميا الخلايا المنجلية (الهاللية)، ومرض نزف الدم الوراثي، ومرض الفنيل كيتون، ومرض ارتفاع الدهون والكولوسترول في الدم، ومرض هنتفون ومتلازمة دارون^(١).

٤- خصائص شخصية أخرى: ثمة خصائص وسمات تحدد شخصية الفرد مثل: الذكاء، وبعض الأمراض النفسية، إلا أن هناك اختلافات كثيرة حول العوامل المسؤولة عن إحداثها عند الفرد، ففي الوقت الذي يعتقد علماء الوراثة بأن الوراثة تلعب دوراً رئيساً فيها، قام فريق آخر من العلماء ليثبت أن العوامل البيئية هي التي تلعب الدور الأهم.

الفرع الثالث - تأثير الوراثة في النمو الجنسي من منظور إسلامي

أشار القرآن الكريم إلى دور الوراثة في تحديد جنس الجنين، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ ^(٢) من نُطْقَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿^(٣) تفرز المرأة بويضات كلها تحمل شارة الأنوثة X ويفرز الرجل خلايا منوية يحمل بعضها شارة الأنوثة X وبعضها الآخر شارة الذكورة Y فإذا اخترقت الخلايا المنوية من X بويضة الأنثى كان الجنين بنتاً، وإذا اخترقت الخلايا المنوية من Y بويضة الأنثى كان الجنين ذكراً^(٤).

وعن أنس بن مالك أن أم سليم حدثت إنها سألت نبي الله ﷺ عن المرأة ترى في منامها ما يرى الرجل، فقال رسول الله ﷺ إذا رأت ذلك المرأة فلتغتسل، فقالت أم سليم واستحيت من ذلك، وهل يكون هذا، فقال النبي ﷺ: "نعم فمن أين يكون الشبه، إن ماء الرجل غليظ أبيض، وماء المرأة رقيق أصفر، فمن أيهما علا أو سبق يكون منه الشبه"^(٥).

وفي حديث حبر اليهود عندما سأل النبي ﷺ عن الولد فقال ﷺ: "ماء الرجل أبيض، وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة نكراً بإذن الله، وإذا علا مني المرأة مني الرجل أنثى بإذن الله...."^(٥).

(١) محمد المستريحي، حكم التفريق بين الزوجين للعيوب لاسيما الوراثة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، كلية الشريعة، ٢٠٠٣م، ص ٩٢-١٠٥.

(٢) سورة النجم، آية ٤٥-٤٦.

(٣) محمود عقل، النمو الإنساني، مرجع سابق، ص ١٣١.

(٤) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ١، ص ٢٥٠، حديث (٣١١).

(٥) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ١، ص ٢٥٢، حديث (٣١٥).

وقد اجتهد الباحثون في تفسير العلو والسبق الذي يكون سبب الشبه ومنها الذكورة والأنوثة، بالآتي:

١. بمعنى غلب: علوت الرجل، أي غلبته، وهذا المعنى المراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ

عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾^(١) أي يصير أحد المائتين مغموراً في الآخر.

٢. أن يأتي شيء فوق شيء ويعلوه، وتفصيل ذلك، أن الإفراز المهبلي للمرأة يمتاز بخاصية الحموضة، وهذه الخاصية نتيجة لوجود حامض (Lactic Acid) وهذه الحموضة مهمة للمرأة إلا أنها تضعف وتقتل الحيوانات المنوية الحاملة للذكورة، لصغر حجمها مقارنة بالحيوانات المنوية الحاملة للأنوثة X التي تستطيع مقاومة الحموضة، والذي يقلل حموضة المهبل ماء المرأة، فإذا صب الرجل ماءه في فرج المرأة قبل أن تنزل ماءها فإن أعداداً كثيرة من الحيوانات المنوية الذكورية تموت وتعطب، فيضعف احتمال وصول حيوان منوي ذكري إلى البويضة، أما في الحالة المعاكسة أن تفرز المرأة ماءها قبل أن يقذف الرجل ماءه فإن منبهاً في هذه الحالة يكون موجوداً قبل مني الرجل فيلطف حموضة المهبل، ومن ثم يأتي مني الرجل ويعلو ماء المرأة، وبما أن الحيوانات المنوية الذكورية أصغر حجماً وأسرع من الحيوانات المنوية الأنثوية، فإن احتمال أن يكون الحيوان المنوي ذكراً يزيد^(٢).

قال ابن حجر: إن "المراد بالعلو هنا السبق لأن كل من سبق فقد علا شأنه، فهو علو معنوي، والمراد بالعلو الذي يكون سبب الشبه بحسب الكثرة بحيث يصير الآخر مغموراً فيه، فبذلك يحصل الشبه"^(٣).

الفرع الرابع - تأثير الوراثة في النمو الجسمي

ورد في السنة النبوية العديد من الأحاديث التي تدل على تورث الابن صفات جسدية من الأم والأب والأجداد، ومما ورد في هذا الموضوع.

جاء رجل من بني فزارة إلى النبي ﷺ فقال: إن امرأتي ولدت غلاماً أسود، فقال: "هل لك من إيل؟" قال نعم، قال فما ألوانها؟ قال: حمر قال: "هل فيها من أورك؟" قال: إن فيها لورقاً، قال فأنى أتاها ذلك؟ قال: عسى أن يكون نزعة عرق قال: "وهذا عسى أن يكون نزعة عرق"^(٤).

(١) سورة القصص، آية ٤.

(٢) كريم الاغر، أعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام، مرجع سابق، ص ٨٤.

(٣) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، شرح صحيح البخاري، ٣/٧.

(٤) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ٢، ص ١١٣٧، حديث (١٥٠٠).

فهذا الحديث الشريف يدل على أن بعض السمات الجسدية مثل اللون تنتقل بالوراثة من الأجداد إلى الأحفاد، وإن كانت لا تظهر في الوالدين. فالحديث يؤكد الأثر الوراثي للأجداد والأسلاف مهما بعدوا في الأنساب، في الكائنات الحية عموماً، فالرسول ﷺ ضرب المثل الحي في الإبل حتى يفهم الأعرابي الناكر للون ابنه الذي لا يشبهه، وهذا ما أكدته الأبحاث العلمية من أن تأثيرات الوراثة في الخصائص المورثة تأتي عن الآباء والأجداد وإن علوا^(١).

وفي حديث آخر يخبر النبي ﷺ عن انتقال صفات الآباء إلى الأبناء، فعن العباس بن سهل عن أبيه، قال: لما تلاعنا قال رسول الله ﷺ اقْبِضْهَا إِلَيْكَ حَتَّى تُلِدَ، فَإِنْ تُلِدَ مِثْلَ وَحْرَةٍ فَهُوَ لِأَبِيهِ عُوَيْمِرَ الَّذِي انْتَقَى مِنْهُ، وَإِنْ تُلِدَ أَسْوَدَ اللِّسَانِ وَالشَّعْرَ، فَهُوَ لِابْنِ السَّحْمَاءِ الرَّجُلِ الَّذِي يَرْمِي بِهِ، قَالَ عُوَيْمِرَ فَلَمَّا وُلِدَتْهُ أُتِيَتْ بِهِ فَاسْتَقْبَلَنِي مِثْلَ الْفُوْدَةِ السُّودَاءِ، ثُمَّ أَخَذَتْ بِلِحْيَيْهِ، فَاسْتَقْبَلَنِي لِسَانَهُ مِثْلَ التَّمْرَةِ فَقُلْتُ صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ^(٢).

كما دلت الأبحاث العلمية على أن كلاً من الحيوان المنوي والبويضة يشتركان في تكوين النطفة الأمشاج التي تحدد صفات الجنين الوراثية، فالحيوان المنوي يحتوي على (٢٣) كروموسوماً، والبويضة تحتوي على (٢٣) كروموسوماً وتلتقي البويضة والحيوان المنوي ويتم الإخصاب الذي تتكون منه النطفة الأمشاج التي ذكرها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾^(٣) وهذه النطفة الأمشاج تحتوي (٤٦) كروموسوماً تشمل الجينات الحاملة للصفات الوراثية لكلا الأبوين^(٤).

وثمة أحاديث تشير إلى أن الولد يتأثر بشكل الأم، منها ما روت أم سلمة رضي الله عنها قالت: "جاءت أم سليم إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن الله لا يستحي من الحق، فهل على المرأة غسل إذا احتلمت، فقال رسول الله ﷺ: نعم إذا رأت الماء، فقالت أم سلمة: يا رسول الله، وتحتلم المرأة فقال: "تربت يدك فبم يشبهها ولدها"^(٥).

وموطن الاستدلال في الحديث الشريف كلمة "بم يشبهها ولدها" وهي كلمة عامة، أي أن الولد يشبه أمه في السمات الجسدية الظاهرة من طول، وقصر، وشكل، وقد يفهم من هذه الجملة الصفات المزاجية، والخصائص العقلية، والنفسية^(٦).

(١) عبد الحميد الزنتاني، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، مرجع سابق، ص ١٥٩.

(٢) رواه الطبراني، المعجم الكبير، ج ٦، ص ١٢٨، حديث رقم (٥٧٣٤)، صححه الألباني.

(٣) سورة الإنسان، آية ٢.

(٤) محمد عثمان نجاتي، الحديث النبوي وعلم النفس، ط ٤، القاهرة، دار الشروق، ٢٠٠٠م، ص ٢٦٢.

(٥) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ١، ص ٢٥١، حديث رقم (٣١٣).

(٦) عبد الحميد الزنتاني، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ليبيا، دار العربية للكتاب، ص ١٥٧.

ويؤكد النبي ﷺ أن الولد يتأثر بصفات والديه الجسدية، فعن أنس قال: "دخلت على رسول الله ﷺ أم سليم وعنده أم سلمة، فقالت: امرأة ترى في منامها ما يرى الرجل، فقالت أم سلمة: تربت يداك يا أم سليم فضحت النساء، فقال النبي ﷺ منتصراً لأم سليم "بل أنت تربت يداك، وإن خيركن التي تسأل عما يعينها، إذا رأته الماء فلتغتسل" قالت أم سلمة: وللنساء ماء يا رسول الله؟ قال: "نعم فأين يشبهن الولد، إنما هن شقائق الرجال..."^(١).

إن قول النبي ﷺ: "فأين يشبهن الولد إنما هن شقائق الرجال" يسبق ما أكدته الأبحاث العلمية من أن خصائص الشخصية ومميزاتها، تنتقل من الوالدين إلى أبنائهم منذ تلقيح البويضة بالحيوان المنوي، وإن أثر الأم في أولادها لا يقل عن أثر الأب^(٢).

كما أشار النبي ﷺ إلى تأثر الولد بصفات أعمامه وأخواله، فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، أن امرأة قالت لرسول الله ﷺ: هل تغتسل المرأة إذا احتلمت وأبصرت الماء؟ فقال: "نعم" فقالت لها عائشة: تربت يداك وأنت، قالت: فقال رسول الله ﷺ دعيها، وهل يكون الشبه إلا من قبل ذلك، إذا علا ماؤها ماء الرجل أشبه الولد أخواله، وإذا علا ماء الرجل ماءها أشبه الولد أعمامه^(٣).

ومما يدل على تأثر الصفات الجسدية بالوالدين أن الإسلام حرم بعض زواج الأقارب، فقال تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ

وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ۝^(٤). فقد ورد في علة التحريم أن الزواج من

الأقارب يضوي الذرية، ويضعفها مع مرور الزمن، لأن استعدادات الضعف الوراثية قد تتركز وتتأصل في الذرية، على عكس ما إذا تركت الفرصة للتقليح الدائم بدماء جديدة فإنها تضاعف استعداداتها الممتازة فتجدد حيوية الأجيال واستعداداتها^(٥)، كما أظهرت دراسات الزواج في المجتمع نفسه، ومنه زواج الأقارب ولاسيما وثيقو القرابة كأولاد الأعمام، والأخوال فإنه يزيد فرصة ظهور الجينات المتنحية النادرة، وهذا يؤدي إلى إنتاج نسل ضعيف فيه كثير من النقص

(١) رواه الدرامي، سنن الدارمي، ج ١، ص ٢١٥، حديث (٧٦٤).

(٢) الزنتاني، أسس التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٥٨.

(٣) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ١، ص ٢٥١، حديث (٣١٤).

(٤) سورة النساء، آية ٢٣.

(٥) سيد قطب، في ظلال القرآن، ط ٢٥، القاهرة، دار الشروق، ١٩٩٦م، ٦١٠/١.

أو العيب، ولا ضرر في زواج الأقارب إذا كان سجل العائلة الطبي خالياً ونقياً من الأمراض الوراثية^(١).

فقد ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لبني السائب وقد اعتادوا الزواج بقريباتهم مالي أراكم يا بني السائب قد ضويتم (ضعفتم وهزلتم)، غربوا النكاح لا تضووا^(٢).
وعلة التغريب والحث عليه، هي الحرص على نجابة الولد، وضمانة سلامته من الأمراض والعاثات الوراثية، ففي التغريب تزداد الأجسام قوة، وتماسكاً، وصلابة، في حين أن الزواج بالقرابة يجعل النسل ضعيفاً من حيث الجسم، والنكاه، ويورث الأولاد صفات خلقية ذميمة، وعادات اجتماعية مستهجنة، وهذا ما أثبتته علم الوراثة^(٣).

ويدل على تأثير الوراثة في الصفات الجسدية التي قد لا تظهر للعامة، ولكن يعرفها الخبراء، وأصحاب العلم، استبشاره رضي الله عنه بقول مجزر المدلجي، وقد رأى قديمي أسامة بن زيد وقديمي زيد، فقال: إن هذه الأقدام بعضها من بعض، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم مسروراً تبرق أسارير وجهه فقال: "ألم تري أن مجزر المدلجي نظر أنفاً إلى زيد بن حارثة وأسامه بن زيد فقال هذه الأقدام بعضها من بعض"^(٤).

فالحديث الشريف يدل على تأثير الوراثة في صفات غير واضحة للناس، فكما يذكر فإن ثمة اختلافاً في اللون بين أسامة وزيد رضي الله عنهما - ولكن القائف - مجزر المدلجي - عرف من خلال النظر إلى الأقدام.

الفرع الخامس - تأثير الوراثة في نمو الإنسان العقلي والخلقي

يستدل بعض الباحثين^(٥) بجملة من النصوص التي تبين في رأيهم دور الوراثة في النمو العقلي والخلقي للإنسان وهذه النصوص في حقيقتها لا تدل على تأثير الوراثة وإنما هي نصوص عامة يفهم منها الوراثة وغيرها.

أ- الآيات القرآنية الكريمة:

١- قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَمْرُؤُا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٧٧﴾ يَتَأَخَذَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴿٧٨﴾ ﴾^(٦)، يستدل بالآية الكريمة على أثر الوراثة في الصفات الخلقية^(٧).

(١) محمد المستريحي، حكم التفريق بين الزوجين، مرجع سابق، ص ١٠٨.

(٢) الماوردي، أدب الدنيا والدين، مرجع سابق، ص ١٣٤.

(٣) عبدالله علوان، تربية الأولاد في الإسلام، ط ٣١، مصر، دار السلام، ١٩٩٧م، ٣٤/١.

(٤) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ٢، ص ١٠٨٢، حديث رقم (١٤٥٩).

(٥) انظر: عبد الرحيم الزنتاني، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، عبدالله علوان، تربية الأولاد في الإسلام، عباس

محبوب، أصول الفكر التربوي في الإسلام، محمد محمود، علم النفس في ضوء الإسلام.

(٦) سورة مريم، آية ٢٧-٢٨.

(٧) محمد محمود، علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام، مرجع سابق، ص ١١٧.

والحق أن الآية الكريمة ليس فيها ما يدل على توارث الصفات، بل إن فيها ما يدل على بيئة صالحة أثرت بالسيدة مريم عليها السلام، فكانت صالحة كسائر أفراد أسرتها، فآثر البيئة أقرب إلى الفهم من الوراثة، فقول بني إسرائيل هذا الكلام عن مريم - عليها السلام - بأنها أنت أمراً ليس من شأن أهلها إتيانه، أي أنت بسوء ليس من شأن أبيها، وبغاء ليس من شأن أمها وخالفت بذلك سيرة أبيها فكانت مبتكرة للفواحش برأيهم^(١).

٢- قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾

ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ^(٢) لا تدل الآية الكريمة على أثر الوراثة في الصفات فقد كان من أبناء آدم الكافر، وكذلك من أبناء نوح فلو كانت الآية تعني الوراثة لكان جميع الخلق موحدين، لأن الذرية تعود إلى آدم عليه السلام، فالآية تدل على بيان من اصطفاهم الله من عباده، واختارهم لحمل رسالته، ليكونوا طلائع الموكب الإيماني على مدار الأجيال، فهذه الذرية - من اختارهم الله لحمل رسالته - بعضها من بعض، وليس من الضروري أن تكون ذرية النسب، وإن كان نسب الجميع يلتقي بآدم ونوح فهي رابطة الاصطفاء والاختيار الإلهي، وفي ذكر السياق آدم ونوحاً فردين وذكر آل إبراهيم وآل عمران أسرتين إشارة إلى أن آدم بشخصه ونوحاً بشخصه هما اللذان وقع عليهما الاختيار والاصطفاء، وأما إبراهيم وعمران فكان الاصطفاء لهما لذريتهما على قاعدة أن وراثة النبوة والبركة في البيت ليست وراثة دم إنما وراثة عقيدة^(٣).

٣- قوله تعالى: ﴿لَا تَذَر عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ ﴿٤﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ

وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فٰجِرًا كَفَّارًا^(٤) لا تدل الآية الكريمة أيضاً على أن الإنسان يولد كافراً بالوراثة، إنما هم يولدون في بيئة الكفار التي توصي بالكفر للناشئة الصغار، لذا ينشأون وهم كفار^(٥).

ب- الأحاديث النبوية الشريفة

يستدل على تأثير الوراثة في الصفات العقلية والأخلاقية بأحاديث نبوية شريفة منها قوله ﷺ: "إن الود يتوارث"^(٦)، وقول: "إن الودّ والعداوة يتوارثان"^(٧). وهذان الحديثان يدلان

(١) محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ٣٣/١٦.

(٢) سورة آل عمران، آية ٣٤-٣٥.

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٣٩١/١.

(٤) سورة نوح، آية ٢٦-٢٧.

(٥) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٣٧١٧/٦.

(٦) رواه البخاري، الأدب المفرد، ج ١، ص ٣٠، حديث رقم (٤٣).

(٧) رواه الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٤، ص ١٩٥، حديث رقم (٧٣٤٣)، ضعفه الألباني.

على أمرين اثنين: الأول - أن الإنسان مفطور في جبلته على الودّ، والعداوة - فطرية الأخلاق - والثاني - أن هذا الودّ أو العداوة إنما ينتقل من الآباء إلى الأبناء بفعل عوامل بيئية، فالإنسان لديه استعداد للصفات الأخلاقية، ولكن البيئة هي من تظهر الصفات، الحديثان لا يدلان على الوراثة بالمعنى الدقيق.

ويستدل بقوله ﷺ: "تخيروا لنطفكم فانكحوا الأكفاء وانكحوا إليهم"^(١)، وقوله ﷺ: "تخيروا لنطفكم فإن النساء يلدن أشباه إخوتهن وأخواتهن"^(٢)، وهذه الأحاديث ليس فيها ما يدل على انتقال الصفات الوراثية العقلية والخلقية من الآباء والأمهات إلى الأبناء، بل هي أحاديث عامة يحث فيها الرسول ﷺ على اختيار الزوجة الصالحة الكفاء ذات الصفات الحميدة والصحة الجيدة، لأن تلك الصفات التي تتحلّى بها الزوجة تنتقل إلى الأبناء فالزوجة الكفاء تكسب الأبناء الصفات الحميدة، فصحة الزوجات وكفاءتهن لها أثر واضح على صفات الأولاد وكفاءتهم^(٣)، والمقصود بالكفاءة في الحديث "النضج النفسي والعقلي والمستوى الخلقى والديني وذلك ما يعبر عنه الإسلام تارة بالتقوى، وطوراً بالدين والأمانة"^(٤).

ومما يمكن الاستدلال به ما رواه أبو هريرة ؓ، عن النبي ﷺ قال: "لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر"^(٥)، يقول الحافظ ابن حجر العسقلاني: "ولما كانت هي أم بنات آدم أشبهنها بالولادة ونزع العرق، فلا تكاد امرأة تسلم من خيانة زوجها بالفعل أو القول وليس المراد بالخيانة هنا ارتكاب الفواحش، حاشا وكلا، ولكن لما مالت إلى شهوة النفس من أكل الشجرة عد ذلك خيانة .. وأما من جاء بعدها من النساء فخيانة كل واحدة منهن بحسبها، وقريب من هذا حديث "جدد أم فجحدت نريته"^(٦).

ويستدل كذلك بحديث "ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً"^(٧)، ومعنى الحديث تحفيزهم لأن يكونوا كما كان أبوهم إسماعيل عليه ﷺ رامياً.

خلاصة تأثير الوراثة في النمو العقلي والأخلاقي للإنسان كما يرى الباحث أولاً: يقرر القرآن الكريم عدم خضوع السلوك والأخلاق عموماً للوراثة، فالإسلام يقرر أن السلوك والأخلاق نتيجة للفهم الواعي والعقل الراجح، وتقريراً من القرآن الكريم لانعدام أثر الوراثة في السلوك ضرب لنا الأمثلة الآتية:

(١) رواه الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج٢، ص ١٧٦، حدیث رقم (٢٦٨٧).

(٢) علاء الدين المتقي، كنز العمال، طرف حدیث رقم (٤٤٥٥٧).

(٣) عبدالله السعيد، من الإعجاز الطبي في الأحاديث الشريفة علم الوراثة، مرجع سابق، ص ١٩.

(٤) محمد الأحمدی أبو النور، منهج السنة في الزواج، دار التراث العربي للطباعة والنشر، ط١، ١٩٧٢م، ص ٣٨٦.

(٥) رواه البخاري، صحيح البخاري، ج٣، ص ١٢٤٦، حدیث رقم (٣٢١٨).

(٦) فتح الباري، ج٦، ص ٣٦٨.

(٧) رواه البخاري، صحيح البخاري، ج٣، ص ١٠٦٣، حدیث رقم (٢٧٤٣).

أ- يقول سبحانه وتعالى عن ذرية إبراهيم وإسحاق - وهما نبيان - ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ
وظالمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴾^(١) فلو كانت الصفات والأخلاق متوارثة لكانت ذرية الأنبياء
تتصف بأجمل السلوكات والأخلاق وتتلى بها.

ب- عرض القرآن الكريم دعاء إبراهيم عليه السلام، الذي طلب فيه أن يجعل النبوة والصلاح في
ذريته، فأجابته الله سبحانه وتعالى بأبلغ جواب، والذي ينفي أثر الوراثة في السلوك، يقول
تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾^(٢).

ت- قصة نوح عليه السلام وابنه الكافر، الذي وصفه القرآن الكريم بأنه ليس من أهل نوح عليه السلام بل
الأخرى بنوح أن يعلن براءته منه، قال تعالى: ﴿ قَالَ يَبْنُوخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنِّي أَهْلِكَ إِنَّهُ
عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾^(٣). فلو كان لعامل الوراثة دور حاسم في السلوك الإنساني لكان ابن
نوح عليه السلام من الذين آمنوا مع سيدنا نوح، فالآية تنفي أن يكون من أهل دينه واعتقاده،
وتعلم بأن قرابة الدين بالنسبة إلى أهل الإيمان هي القرابة، وهذا شائع الاستعمال^(٤).

ثانياً: الحديث النبوي الشريف يشير إلى فطرية الأخلاق؛ وهذا يعني أن الإنسان يرث الأسس
الجسمية لهذه الصفات فتكون في أصلها محايدة، فتجليها العوامل البيئية المختلفة، فما من
صفة من الصفات الخلقية والنفسية إلا وعند الإنسان استعداد لتكون أخلاقه حسنة أو سيئة،
إيجابية أو سلبية، والوراثة لا تحسم مسارها إنما الذي يحسم مسارها البيئة، مع أن
الاستعداد الوراثي موجود، فما يلاحظ من تشابه بين أعضاء بعض الأسر في صفاتهم
النفسية والخلقية والعقلية يقابله اختلاف يشاهد في أسر أخرى، فالتشابه المذكور يمكن رده
إلى التربية أي إلى العوامل البيئية^(٥)، وهذا ما ينطبق كذلك على القدرات العقلية؛
فالإنسان يولد مزوداً بالاستعداد الوراثي للقدرات العقلية، ويبقى أثر البيئة في تميته أو
طمسه.

ثالثاً: لم ينص الإسلام بجلاء على قوانين الوراثة بصورتها المعروفة فيما يتعلق بالنمو العقلي
والأخلاقي، وما قد يتبادر إلى الذهن من أنه وراثية سلوكية أو عقلية لا يعدو أن يكون
احتمالاً من بين احتمالات، وإذا دخل الاحتمال بطل الاستدلال.

(١) سورة الصافات، آية ١١٣.

(٢) سورة البقرة، آية ١٢٤.

(٣) سورة هود، آية ٤٦.

(٤) الطاهر ابن عاشور، التحرير والتوير، مرجع سابق، ٢٧٠/١١.

(٥) محمد عز الدين توفيق، دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، مرجع سابق، ص ٤٢٦.

المطلب الثاني - البيئة وأثرها في النمو الإنساني

الفرع الأول - مفهوم البيئة

البيئة هي العوامل الخارجية التي تؤثر تأثيراً مباشراً أو غير مباشر على الفرد منذ لحظة الإخصاب، وهي بهذا تشمل العوامل المادية والاجتماعية والثقافية والحضارية، ولها دور إيجابي كبير، حيث تسهم في تشكيل شخصية الفرد النامي وفي تعيين أنماط سلوكه وأساليبه في مجابهة مواقف الحياة^(١)، فكلما كانت صحية ومتنوعة كان تأثيرها حسناً في النمو، وكلما كانت غير ملائمة أثرت تأثيراً سلبياً على النمو^(٢).

فالبيئة بهذا تشمل العوامل الطبيعية، والمادية والاجتماعية والدينية والثقافية ذات التأثير المباشر أو غير المباشر في سلوك الأفراد وحالتهم الصحية وأوضاعهم الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والجغرافية^(٣).

والبيئة تؤثر في مختلف المظاهر النمائية للإنسان، فهي تؤثر مثلاً في النمو الجسدي، فالجو الحار يساعد على زيادة سرعة نمو الجسم، لذا فساكن المناطق الحارة يصلون إلى مرحلة البلوغ الجنسي والنضج في سن مبكرة، وكذلك تبدأ الشيخوخة مبكرة، وهذا عكس ما يحدث في المناطق الباردة حيث التأخر في البلوغ والنضج والشيخوخة^(٤).

ويرى ابن خلدون تأثير البيئة في نمو الإنسان إذ يقول: "وفي المعتدل من الأقاليم والمنحرف وتأثير الهواء في ألوان البشر"، يقول واصفاً تأثير البيئة: "فأهلها أبعد من الاعتدال في جميع أحوالهم، فبناؤهم بالطين والقصب، وأقواتهم من الذرة والعشب، وملابسهم من أوراق الشجر، يضعونها عليهم ... وأكثرهم عرايا اللباس، وفواكه بلادهم وأمنها غريبة التكوين، مائلة إلى الانحراف، ومعاملاتهم بغير الحجرين الشريفين، من نحاس أو حديد أو جلود، يقدرونها للمعاملات، وأخلاقهم مع ذلك قريبة من خلق الحيوانات العجم، حتى لينقل عن الكثير من السودان أهل الأقاليم الأول أنهم يسكنون الكهوف والفياض ويأكلون العشب، وأنهم متوحشون غير مستأنسين ... والسبب أنهم لبعدهم عن الاعتدال بقرب عرض أمزجتهم وأخلاقهم من عرض الحيوانات العجم، ويبعدون عن الإنسانية بمقدار ذلك، وكذلك أحوالهم في الديانة أيضاً فلا يعرفون نبوة، ولا يدينون بشريعة إلا من قرب منهم من جوانب الاعتدال وهو

(١) حامد زهران، النمو الإنساني، مرجع سابق، ص ٤٤.

(٢) للمرجع السابق، ص ٤٥.

(٣) هشام خوجلي، علم نفس النمو، مرجع سابق، ص ٢٧٦.

(٤) محمد شريم، الشيخوخة، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، الأردن، ١٩٩٢م، ص ٧٢.

في الأقل النادر مثل الحبشة المجاورين لليمن الدائنين بالنصرانية فيما قبل الإسلام، وما بعده لهذا العهد....." (١).

ويمكن تقسيم البيئة إلى قسمين:

أ- البيئة الداخلية (رحم الأم) وهي بيئة كيميائية غير طبيعية، غاية في الدقة والأحكام والتوازن، وفي هذه البيئة تتفتح إمكانيات الجنين الوراثية، وتظهر خصائصه البشرية، ويحوطه سائل رحمي يجعل الحرارة مناسبة ومنظمة حوله، ويعزله عن الضوء والصوت ويحجبه عن الارتجاج والصدمات^(٢)، ويتأثر الجنين في هذه المرحلة بعوامل عدة منها الغذاء والحالة الانفعالية والنفسية للأم، والأمراض التي تصيب الأم، وغيرها كما أشار إليها الباحث سابقاً.

ب- البيئة الخارجية: وتشمل البيئة الطبيعية والبيئة الاجتماعية بشكل رئيسي.

- البيئة الطبيعية: وتشمل كل ما يحيط بالفرد من ظروف مادية كالحرارة والضوء والهواء وموقع البلاد وما فيها من بحار وأنهار ومرافق، فكل له تأثير في نمو الإنسان^(٣).

- البيئة الاجتماعية، وهي الأسرة وما يحيط بالأسرة من علاقات، ثم المجتمع والبيئة الاجتماعية وتكون بمجرد وصول الطفل إلى الحياة، وتلعب الأم الدور الرئيس والمباشر في عمليات التنشئة الاجتماعية، وللأسرة الدور البالغ في نمو الطفل في مختلف المظاهر النمائية فلها دور في تعليم الطفل المعايير الخلقية والسلوكية وكذلك غرس العقيدة الإسلامية في نفسه إضافة إلى دورها في نموه الجسمي^(٤).

وقبل البدء بالحديث عن تأثير البيئة على الصفات الجسمية، والعقلية، والخلقية في التربية الإسلامية، لابد من بيان أمرين - الأول أن الإسلام اهتم اهتماماً واضحاً بالبيئة التي يعيش فيها الإنسان، ومما يدل على ذلك:

أ- حرص الإسلام على اجتناب البيئة الفاسدة حتى لو كانت هذه البيئة هي الزوجة والأولاد، يقول تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ

(١) عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار الفجر للتراث، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٤م، ص ١١٣-١١٩.

(٢) حسن عبد العال، مقدمة في فلسفة التربية الإسلامية، الرياض، السعودية، دار عالم الكتب، ١٩٨٥م، ص ٢٨٤.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٩١.

(٤) المرجع السابق، ص ٣٠٥.

فَاَحْذَرُوهُمْ ﴿١﴾ ويقول سبحانه: ﴿وَمَا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٢).

ب- التحذير من الالتجاء إلى البيئة الفاسدة والفاستين، قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ (٣) فالفاست بحكم القرآن الكريم هو من ابتعد عن حكم الله تعالى، واتبع هواه، فنبذ عقله أو سخره في هواه، ومصالحته، وحياته في تقريط، يقول تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (٤).

ج- الدعوة إلى إصلاح البيئة الفاسدة، وإصلاح البيئة الفاسدة مهمة المسلم الأساسية، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٥). فالمسلم حين ينطلق في إصلاح واقعه متجرداً إلى الله تعالى، وإن لم يستطع إصلاح البيئة الفاسدة بعد أن يبذل شتى الوسائل والتضحيات، فعليه أن يبحث عن بيئة تحتضنه وتتجاوب معه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٧﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا غَفُورًا ﴿٨﴾ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسِعَةً وَمَنْ تَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْوَتُّ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (٩).

د- أن الإسلام بين أسس صلاح البيئة الطبيعية العامة والخاصة بالإنسان، من عدم تلويث المياه والهواء وإماطة الأذى عن الطريق، والأذى هو كل ما يؤدي الناس من تلويث الطرقات والساحات ومواطن التجمعات، ولا شك أن بقاء القاذورات والقمامة يؤدي النمو

(١) سورة التغابن، آية ١٤.

(٢) سورة الأنعام، آية ٦٨.

(٣) سورة هود، آية ١١٣.

(٤) سورة الكهف، آية ٢٨.

(٥) سورة يوسف، آية ١٠٨.

(٦) سورة النساء، آية ٩٧-١٠٠.

الإنساني يقول ﷺ: "وتميط الأذى عن الطريق صدقة"^(١)، وكذلك الحث على النظافة الشخصية من نظافة الجسم عن طريق الماء والالتزام بسنن الفطرة.

وأما الأمر الثاني فهو: أن القرآن الكريم قرر عدم خضوع السلوك لعوامل البيئة مطلقاً، تدل على ذلك قصة امرأة فرعون المؤمنة التي كانت تعيش في بيئة فاسدة ومنحرفة، ولكنها سلكت سلوك الإيمان، والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَخِزْيَانًا مِمَّنَ الْغَالِبِينَ ﴾^(٢). فهي نموذج عالٍ في التجرد لله تعالى من كل المؤثرات البيئية، وكل المعوقات^(٣)، ولا يجوز أن يفهم من الآية الكريمة أن يذهب الإنسان إلى البيئة الفاسدة، فالإسلام يحرص على أن يتجنب الإنسان البيئة الفاسدة، بل يدعو إلى إصلاحها، ولذلك لا يحق لأحد أن يتذرع بالبيئة الفاسدة حتى يسلك سلوكاً منحرفاً، ومن باب أولى أن لا يتذرع بسلوك آبائه وأجداده من قبل^(٤). وللبيئة تأثير كبير في حياة الإنسان، فهي تؤثر فيه منذ حمله في بطن أمه، ثم ولادته، وبدء حياته إلى آخرها، والبيئة قد تؤثر في العوامل الوراثية ذاتها.

الفرع الثاني - تأثير البيئة الأسرية في النمو الإنساني

حرص الإسلام على أن تبني الأسرة بشكل سليم وصحيح، لأثر ذلك في نمو الفرد الذي سيعيش ويتزعرع في بيئة هذه الأسرة، وأوجب أن تكون العلاقة بين الزوجين علاقة شرعية، ودعا إلى الاختيار على أساس الصلاح في الدين، ووجه إلى اختيار البكر في الزواج لأنها غالباً ما تكون صغيرة السن، وتتجب الأصحاء.

وفيما يلي عرض لآثار البيئة الأسرية في شخصية الإنسان:

١ - الأسرة لها دور في توجيه الطفل إلى الدين:

لذا يقول ﷺ: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة فجاء هل تحسون فيها من جدعاء..."^(٥).

(١) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ٢، ص ٦٩٩، حديث رقم (١٠٠٩).

(٢) سورة التحريم، آية ١١.

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٦/٣٦٢٢.

(٤) عابد الهاشمي، مدخل للتصور الإسلامي للإنسان والحياة، عمان، الأردن، دار الفرقان، ١٩٨٢، ص ١٢.

(٥) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ٤، ص ٢٠٤٧، حديث رقم (٥٦٥٨).

٢- الأسرة لها دور في تفكير الطفل:

لذا وجه النبي ﷺ الشاب الذي يريد الزواج، بأن يختار صاحبة الدين؛ حتى يكون لها النصيب الأكبر في تربية الأطفال تربية صحيحة، فقال ﷺ: "تتكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك"^(١).

فيهدف النبي ﷺ من حثه على أن تكون أسس الاختيار في تكوين الأسرة صحيحة وسليمة، من أجل أن يتربى الأبناء التربية الإيمانية، فهي مبعث الفضائل والركيزة الأساسية لدخول الطفل إلى حظيرة الإيمان، وبدون هذه التربية لا ينهض بمسؤولية، ولا يتصف بأمانة، ولا يعرف غاية، ولا يعمل لمثل أعلى، أو هدف نبيل، فيعيش مثل البهائم ليس له سوى أن يسد جوعه، ويشبع غريزته، وينطلق وراء الشهوات والملذات^(٢).

٣- الأسرة لها دور في سلوكيات الطفل:

يكتسب الطفل في الأسرة مجموعة من الصفات والآداب منها:

أ- حسن الخلق: يقول ﷺ: "من حق الولد على الوالد أن يحسن أديه...."^(٣).

ب- البعد عن التشبه والتقليد: يقول ﷺ: "ليس منا من تشبه بغيرنا؛ ولا تشبهوا باليهود"^(٤).

ت- الاتصاف بالتقوى والإيثار وغيرهما من الأخلاق الفاضلة: يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا

الْأَدَارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا

وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ

الْمُفْلِحُونَ﴾^(٥).

ث- تأدية حقوق الآخرين: فيؤدي حقوق والديه، قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ

أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ﴾^(٦).

وحق الأرحام لقوله تعالى: ﴿وَأَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ

تَبْدِيرًا﴾^(٧). كما يلتزم بالآداب الاجتماعية؛ من آداب تتعلق بالطعام، والشراب،

والاستئذان، والمزاح، إضافة إلى قيامه بأهم وظيفة اجتماعية وهي الأمر بالمعروف

(١) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ٢، ص ١٠٨٦، حديث رقم (١٤٦٦).

(٢) عبدالله علوان، تربية الأولاد في الإسلام، مرجع سابق، ١/١٢٨.

(٣) علاء الدين المتقي، كنز العمال، حديث رقم (٤٥٥١٢).

(٤) رواه الترمذي، سنن الترمذي، ج ٥، ص ٥٧، حديث رقم (٢٦٩٥)، حسنه الألباني.

(٥) سورة الحشر، آية ٩.

(٦) سورة لقمان، آية ١٤.

(٧) سورة الإسراء، آية ٢٦.

والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (١).

الفرع الثالث - تأثير البيئة الجغرافية والاجتماعية في النمو الإنساني

تؤثر العوامل الجغرافية في النشاط المادي للسكان، وكذلك تؤثر ظروف العمل في تشكيل الإنسان وبناء شخصيته، فالإنسان محكوم بظروف العصر الذي يعيش فيه، وبمستوى التطور الحضاري الذي أحرزه، فمما لا شك فيه أن تفتح الشخصية ونشاطها النفسي يختلف لدى إنسان هذا القرن عما كان عليه في القرون الماضية، كذلك يؤثر نمط الحياة الاجتماعية من حيث أشكال العلاقات بين أفراد المجتمع، وما يتبعونه من عادات، وتقاليد، وقيم، ونظم، وقوانين تؤثر في تشكيل بعض الخصائص العامة للشخصية، كما تلعب الثقافة التي ينشأ عليها الفرد وينشأ فيها دوراً مهماً في بناء شخصيته (٢).

ومما ورد في تأثير البيئة الجغرافية في النمو الإنساني، قوله تعالى: ﴿ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٣). يقول صاحب الظلال: إن الآية الكريمة تقرر قاعدة كلية عن طبيعة الأعراب، والتعبير بهذا العموم يعطي وصفاً ثابتاً متعلقاً بالبدواة، فنشأتهم أن يكونوا أشد كُفْرًا، ونفاقاً، وبعداً عن المعرفة، وانتشار القيم المادية بينهم (٤)، ومن الروايات التي وردت في بيان أحوال الأعراب ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: "من سكن البادية جفا" (٥)، كما ورد أن أعرابياً أهدى إلى النبي ﷺ هدية فردّ عليه أضعافها حتى رضي، وقال "لقد هممت ألا أقبل هدية إلا من قرشي أو ثقيفي أو أنصاري" (٦)، فهؤلاء الذين ذكروهم النبي ﷺ يسكنون المدن فهم ألطف أخلاقاً من الأعراب لما في طباع الأعراب من الجفاء (٧).

ولبيان تأثير البيئة الاجتماعية على الفرد، فقد وضع الإسلام القوانين، والشرائع، والحدود التي تحقق صالح الفرد، وصالح المجتمع، كما تحقق السعادة الاجتماعية في الحياة الدنيا، والسعادة الخالدة في الآخرة، مما يتيح شخصية مترنة تتصف بالثبات والاتزان الانفعالي، لذلك شرعت العقوبات لبناء مجتمع طاهر نقي، قال تعالى: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا

(١) سورة آل عمران، آية ١١٠.

(٢) محمد محمود، علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام، مرجع سابق، ص ١١٨-١٢٠.

(٣) سورة التوبة، آية ٩٧.

(٤) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٣/١٦٩٩.

(٥) رواه الترمذي، سنن الترمذي، ج ٤، ص ٥٢٣، حديث رقم (٢٢٥٦)، صححه الألباني.

(٦) صحيح ابن حبان، ج ١٤، ص ٢٩٦، حديث رقم (٦٣٨٣).

(٧) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٣/١٧٠٠.

كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةٌ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
 الْآخِرِ وَلَيْشَهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٤﴾ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا
 يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾. ويقول سبحانه مبيناً حد السرقة:
 ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾
 فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾. (١).

ومن البيئات الاجتماعية التي أشار إليها القرآن الكريم والسنة المطهرة، بيئة الرفاق،
 حيث حذر القرآن الكريم من بيئة رفاق السوء فقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعْصِي الْأَطْلَامُ عَلَى يَدَيْهِ
 يَقُولُ يَلِيَّتِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿١٧﴾ يَتَوَلَّاتِي لِيَتَّبِعُنِي لَمْ أَخَذْ فَلَانًا حَلِيلًا ﴿١٨﴾ لَقَدْ
 أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٠﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ
 يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣١﴾. فمن شأن الخلقة النقية بالخليل، وحمل
 مشورته على النصح، فلا ينبغي أن يضع المرء خلته إلا حين يؤمن السلامة من السوء (٤). قال
 سبحانه وتعالى: ﴿ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطَّغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٥٠﴾. ويقول أيضاً:
 ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿١١﴾. فالرفيق السيئ الخلق يؤثر تأثيراً
 سيئاً فيمن يخالطونه، وكثيراً ما ينحرف الشباب تحت تأثير رفاق السوء. فعن أبي موسى
 الأشعري أن الرسول ﷺ قال: "إنما مثل الجليس الصالح والجليس السيئ كحامل المسك ونافخ
 الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد فيه ريحاً طيباً ونافخ الكير
 إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد فيه ريحاً خبيثة" (٧). ويقول ﷺ: حاتماً على اختيار الرفيق
 الحسن "الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخال" (٨).

ومن البيئات الاجتماعية، بيئة الوسط التعليمي، فقد حث الإسلام على التعلم، فالتعليم
 والثقافة يهذبان سلوك الإنسان، فهو يتعلم أساليب السلوك السوي الذي يتفق مع شرع الله

(١) سورة النور، آية ٢-٣.

(٢) سورة المائدة، آية ٣٨-٣٩.

(٣) سورة الفرقان، آية ٢٨-٣٠.

(٤) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ٤٠/١٩.

(٥) سورة ق، آية ٢٧.

(٦) سورة الزخرف، آية ٦٧.

(٧) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ٤، ص ٢٠٢٦، حديث رقم (٢٦٢٨).

(٨) رواه أحمد، المسند، ج ٣، ص ٢٣٤، حديث رقم (٨٣٩٨)، حسنه الألباني، انظر: السلسلة الصحيحة، حديث رقم (٩٢٧).

سبحانه وتعالى، كما يتعلم ما هو خير، وما هو شر، وما هو طيب، وما هو خبيث، قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (١). وورد في الحديث ما يدل على ضرورة أن يكون القائمون على العلم خير الناس، وذلك لأثرهم الكبير على حياة الفرد والجماعة حسناً وسوءاً، فعن الأحوص بن حكيم عن أبيه قال: سأل رجل النبي ﷺ عن الشر فقال: "لا تسألوني عن الشر، وأسألوني عن الخير - يقولها ثلاثاً - ثم قال: "ألا إن شر الشر شرار العلماء، وإن خير الخير خيار العلماء" (٢).

خلاصة تأثير البيئة في النمو الإنساني

أولاً: اهتم الإسلام اهتماماً واضحاً في البيئة التي يعيش فيها الإنسان، كما دعا إلى اجتناب البيئات الفاسدة، والعمل على إصلاحها، لما لها من تأثير في نمو الإنسان. ثانياً: يقرر القرآن الكريم عدم خضوع السلوك لعوامل البيئة مطلقاً، يدل على هذا قصة امرأة فرعون التي هي نموذج في التجرد لله تعالى من كل المؤثرات، وبهذا يعطي الإسلام من قيمة الفهم والعقل.

ثالثاً: تشير النصوص إلى تأثير البيئات الأسرية والطبيعية والاجتماعية والتعليمية في النمو الجسمي والخلقي والعقلي للإنسان.

رابعاً: يمكن إدخال عوامل سن الأم، والنظافة، والغذاء، والأمراض، والحالة الانفعالية للأم الحامل وغيرها من العوامل المؤثرة في النمو الإنساني ضمن نطاق البيئة بالمفهوم العام، فقد ثبت أن لهذه العوامل التأثير البالغ في مختلف المظاهر النمائية للإنسان. وأخيراً فإن النمو الإنساني يعد نتاج تفاعل الوراثة والبيئة معاً وهما متكاملان في التأثير، وليس من السهل تحديد المقدار الذي تسهم فيه معطيات الوراثة، والمقدار الذي تسهم فيه ظروف البيئة، فالوراثة تزود الفرد بالإمكانات والاستعدادات، والبيئة تقرر ما إذا كانت هذه الإمكانات ستتحول إلى قدرات فعلية أم لا، كما أنها هي التي تحدد مدى استغلال هذه الإمكانات والاستعدادات.

(١) سورة المجادلة، آية ١١.

(٢) رواه الدارمي، سنن الدارمي، ج ١، ص ١١٦، حديث (٣٧٠)، ضعفه الأرناؤوط.

المبحث الثاني - الطبيعة الإنسانية من منظور إسلامي

المطلب الأول - أهمية دراسة الطبيعة الإنسانية من منظور إسلامي

تزامن التقدم العلمي الهائل في علوم الطبيعة والكيمياء والفلك مع تقدم بطيء في دراسة علوم الإنسان والطبيعة الإنسانية، وقد تمخض عن هذا حضارة إنسانية زودت الناس بكل وسائل الحياة الحديثة، ولكنها أهدرت القيم الخلقية بل أخفقت في النهوض بالمستويات الأدبية والعقلية للناس^(١).

يقول ألكيس كاريل: "إن الحضارة الحديثة تجد نفسها في موقف صعب لأنها لا تلاثمنا فقد أنشئت دون أية معرفة بطبيعتنا الحقيقية، إذ إنها تولدت من خيالات الاكتشافات العلمية وشهوات الناس وأوهامهم ونظرياتهم ورغباتهم وعلى الرغم أنها أنشئت بمجهوداتنا إلا أنها غير صالحة بالنسبة لحجمنا وشكلنا"^(٢).

فنتيجة هذه الحضارة تدهور في القيم الأخلاقية والجمالية وحروب مدمرة، وضياح السلام والاستقرار وشيوع الفساد والتكالب على المادة، يقول جيته الألماني: "لقد صار الإنسان أكثر ذكاءً ووعياً، ولكنه لم يصبح أكثر سعادة وأنبلاً خلقاً"^(٣).

وما دام هذا هو الحال فلا بد لنا من معرفة أكثر بأنفسنا وبطبيعتنا الإنسانية؛ فالوعي بالذات والعكوف عليها ووضع البرامج لانتشالها، وإعادة إخراجها لمعاودة استئناف الحياة في ضوء قيم الكتاب والسنة ومعاييرها هو الخطوة الأولى على طريق معرفة الطبيعة الإنسانية، فالمعرفة الحقة بالطبيعة الإنسانية لا بد أن تكون تحت إشراف العقيدة والمنهج الإسلامي، الذي يكشف بوضوح طبيعة الإنسان، فالإنسان أكرم عند الله سبحانه وتعالى من أن تكون طبيعته الإنسانية ومشاعره وعواطفه محلاً للتجارب والاستنتاجات، وهذا لا يعني أن يكون الإنسان متلقياً فيما يخص العلوم الإنسانية - الطبيعة الإنسانية - فقد ترك له الحق مجالاً للتجربة والبحث شرط أن يظل الوحي المنزل هو المصدر الأول والموجه والمرشد، فجعل الشرع الإلهي هو المصدر والموجه لدراسة الطبيعة الإنسانية تكريماً للإنسان وحفظاً للإنسانية من الضياع والمعاناة النفسية وتحقيقاً لسعادتها في الحياة الدنيا والآخرة^(٤).

يقول سيد قطب: "قصاصع الآلة أدرى بتركيبها وأسرارها وهو ليس بخالق، لأنه لم ينشئ مادتها ولم يزد على تشكيلها وتركيبها، فكيف المنشئ الموجود الخالق؟ إن الإنسان خارج

(١) علي منكور، المنهج في التصور الإسلامي، مرجع سابق، ص ١٤٨.

(٢) ألكيس كاريل، الإنسان ذلك المجهول، تعريب شفيق أسعد، بيروت، مكتبة المعارف، ١٨٦م، ص ٢٧.

(٣) نعمان السامرائي، نحن والحضارة والشهود، كتاب الأمة، سلسلة تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، العدد

٨٠، ١٤٢١هـ، ص ١٥٤.

(٤) مروان القيسي، المدخل إلى علم النفس في الإسلام، مرجع سابق، ص ٥-٦.

من يد الله أصلاً؛ فهو مكشوف الكنه والوصف والسر لخالقه، العالم بمصدره ومنشئه وحاله ومصيره^(١).

قد يظن بعضهم أن البحث في الطبيعة الإنسانية قد أخرج كل ما فيه من عصارة منذ زمن بعيد، وليس للباحث إلا أن يوجد شيئاً من الحرارة في تلك المناقشات الماضية التي عرف عنها الناس الكثير، غير أن هذه المسألة لا تزال حية، وليس هناك موضوع لم يبيل البحث جدته مثل هذا الموضوع، وأخذ البحث في الطبيعة الإنسانية مسميات مختلفة ماثرة في مباحث علم النفس والفلسفة والأخلاق والتربية، وأخذ المفكرون يطرقون أبواباً لم تعرف من قبل نتيجة لتقدم المعارف الفسيولوجية وظهور نظريات بيولوجية مختلفة^(٢). ونظريات علم نفس النمو نظرت إلى الإنسان من محاور مختلفة متعارضة مع بعضها بعضاً يمكن أن نأخذ على هذه التصورات المآخذ الآتية:

أولاً - إن التصورات بنيت على أساس تصور فلسفي يراه صاحب النظرية في طبيعة الإنسان ونموه، ففرويد نظر إلى الإنسان على أنه "فرد مكتمل الأعضاء يعيش تارة في عالم الحقيقة، وتارة أخرى في عالم الخيال تعترضه صراعات وتناقضات داخلية، قادر على أداء الفكر والفعل العقلاني، يتحرك بواسطة قوى لا يعلم عنها إلا الشيء اليسير ووحى لا يمكنه الوصول إليه ويتسم بالحيرة ووضوح الفكر، والرضا والإحباط، الأمل واليأس، الأنانية والغيرة وباختصار يعدّ إنساناً معقداً"^(٣)، وبياجيه تعامل مع الإنسان من جانب الوراثة، فالأطفال يقومون بالاكشاف، ولا تدعو الحاجة إلى وجود دوافع خارجية، فهم مثارون داخلياً ويستخدمون المخططات الموجودة لديهم^(٤)، وبعض السلوكيون يرونه آلة حية، ويرون أن سلوكه مجموعة من الاستجابات التي تقوم بها هذه الآلة نتيجة مجموعة من المثيرات، وبعض علماء القياس النفسي يرونه مجموعة من الأرقام الإحصائية ويرون سلوكه مجموعة من الخانات والنسب المئوية^(٥).

فهذه التصورات افتقدت المنظور الشمولي للإنسان، فهي تعطي أفكاراً مجزأة ومفتتة عن الإنسان لكن لا تقدم تصوراً واضحاً عن الإنسان الواقعي المتكامل الذي يمارس وجوده على أرض الواقع، فهي تنظر من زوايا تجعل الإنسان مختزلاً في صورة أقل من كيانه الحقيقي.

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٦/٣٣٦٢.

(٢) حسن عبد العال، مقدمة في فلسفة التربية الإسلامية، الرياض، السعودية، دار عالم للكتب، ١٩٨٥م، ص ١٧-١٨.

(٣) باتريشيا ملر، نظريات النمو، مرجع سابق، ص ١٣٥.

(٤) المرجع السابق، ص ٧٢.

(٥) محمد عز الدين توفيق، التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، مرجع سابق، ص ١٢٣.

ثانياً - إن هذه التصورات أوقعت الإنسان في حتميات مختلفة، ففرويد أرجع الإنسان إلى الجنس، فوقع في الحتمية الجنسية، ومن أرجع النمو الإنساني إلى تكوين الإنسان البيولوجي الوراثي وقع في الحتمية البيولوجية، وكذلك من جعل الإنسان أسير الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه وقع في الحتمية الاجتماعية^(١)، وهذا أدى إلى أن تخلط معظم مدارس علم النفس الغربية خطأً معيماً بسبب نظرتها الجزئية إلى الإنسان، وإصرارها على تفسير الكل بالجزء بل تضييع فرصة الاستفادة من الحقائق الجزئية في مكانها الصحيح.

ثالثاً - إن هذه التصورات درست الإنسان بمعزل عن خالقه الذي أنشأه وأخرجه إلى الوجود، وكأن الإنسان هو الذي خلق نفسه أو وجد من غير موجد، ويترتب على ذلك أن لا تكون للإنسان مرجعية خارج حدود ذاته، إنما يكون "هو" مرجع نفسه فما يراه هو يكون الأصل، والصواب أي الإله^(٢)، فنجد رسل (Russell) يعبر عن نظرتهم المادية الإلحادية للإنسان - لأنه درس الإنسان بمعزل عن الخالق - في قوله: "الإنسان وليد عوامل ليست بذات أهداف، وأن بدءه ونشوءه وأمانيه ومخاوفه وحبه وعقائده كلها جاءت نتيجة ترتيب رياضي تقافي في نظام الذرة، والقبر ينهي حياة الإنسان، ولا تستطيع أية قوة إحياء مرة أخرى.... ولو لم تكن هذه الأفكار قطعية فإنها أقرب ما تكون إلى الحقيقة، حتى إن أية فلسفة تحاول إنكارها ستلقى فناءها تلقائياً"^(٣).

المطلب الثاني - مفهوم الطبيعة الإنسانية والفطرة من منظور إسلامي

إن الإسلام وضع أمامنا رؤية شمولية صادقة لطبيعة الإنسان ودوره ووظيفته ومصيره وبنائه النفسي، فهو مخلوق مكرم، خلق ابتداءً، ما زال يخلق خلقاً مباشراً برعاية الله وفي كنفه تعالى، فهو ليس سليل قرود، ولا نتاج خلية عشوائية، بل اكتسب الحياة من تلك النفخة العلوية من روح الله، فقد خلق متكاملًا بجسم وروح وعقل وهذا يقتضي أن ينظر إليه ككل متكامل غير قابل للتجزئ^(٤)، فهذه الرؤية يجب أن تكون واضحة أمام المشتغلين بعلمي النفس والاجتماع، حتى تنطلق دراساتهم ومقاييسهم وتجاربهم من فهم واقعي وصحيح وصادق وهو الضمان الوحيد لمواجهة الزيف والضلال والإلحاد والوثنية وفقدان الطريق المستقيم والأخطاء المنهجية التي وقع فيها كثير من مفكري الغرب والشرق على حد سواء^(٥).

(١) نبيل السمالوطي، الإسلام وقضايا علم النفس الحديث، ص ٤٧.

(٢) محمد قطب، حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، ص ٥١-٥٥.

(٣) وحيد خان، الإسلام يتحدى، مرجع سابق، ص.

(٤) أحمد رجب الأسمر، فلسفة التربية في الإسلام، مرجع سابق، ص ١٨٩.

(٥) نبيل السمالوطي، الإسلام وقضايا علم النفس الحديث، مرجع سابق، ص ٦٦.

فأهمية الإنسان مبدأ أكدّه الإسلام، قبل أن تؤكدّه النظريات، والإسلام اهتّم بالإنسان اهتماماً بالغاً فبين بوضوح الجوانب المتعلقة بمصدر وجوده وسره، والغاية من حياته والمصير الذي ينتظره في حياته الأخرى، كما وضع كثيراً من الخصائص والمميزات والمكونات الشخصية له، ووجهه إلى ما ينبغي أن تكون عليه علاقاته بنفسه ومجتمعه وربّه، ويكفي دليلاً أن القرآن الكريم ذكر الإنسان في نيف وستين موضعاً بشكل مباشر، إضافة إلى الآيات القرآنية التي تحدثت عن الإنسان في نطاق حديثها عن البشر أو الإنس أو غيرهم^(١).

وبناءً عليه فالطبيعة الإنسانية في الإسلام وحدة قائمة على تداخل وامتزاج دقيق الحبكة شديد التعقيد بين المادة والروح، وليس هناك انفصال بين روح وجسد أو انشقاق بين عقل ومادة، وإنما الإنسان جسم وروح، والروح ليست من طبيعة مادية، وليست موضوع ملاحظة حسية أو تحقيق تجريبي^(٢).

وقيل - الطبيعة الإنسانية - هي الصفات والخصائص التي يشترك بها جميع الناس وفقاً للخلاقة التي خلقهم الله سبحانه وتعالى عليها بغض النظر عن أجناسهم أو ألوانهم أو أديانهم أو ثقافتهم أو أية مؤشرات أخرى^(٣)، أو هي "الخصائص المشتركة بين بني الإنسان الذين يتمتعون بها دون غيرهم من الكائنات الحية الأخرى، والتي منحهم الله تعالى إياها إثر تكريمه لهم بالنفخة الإلهية وذلك ليقوموا بدور الخلافة في الأرض بعد أن أعطاهم الله سبحانه وتعالى كل الوسائل التي يتطلبها مقام الخلافة من عقل وعلم وإدراك وحرية اختيار وغيرها، فحققوا بذلك مراد الله تعالى باستعمالهم هذه الخصائص تحقيقاً للغاية من وجودهم"^(٤).

وقبل البدء ببيان العلاقة بين الفطرة الإنسانية والطبيعة الإنسانية لا بد من بيان معنى الفطرة الإنسانية، فقد اختلف العلماء في معنى الفطرة ولكنهم جميعاً يؤكد أنها أمر فيه صلاح الإنسانية وخيرها^(٥)، يدل على ذلك أن القرآن الكريم نسب الفطرة إلى الله تعالى وهذا يعني أنها أمر محمود لديه، وفي القرآن تأتي نسبة الشيء المحمود إلى الله تعالى وإن كان خالقاً ورباً لكل شيء^(٦).

ومن تعريفات الفطرة أنها "النظام الذي أوجده الله في كل مخلوق، والفطرة التي تخص نوع الإنسان، هي ما خلقه عليه جسداً، وعقلاً، فمشي الإنسان فطرة جسدية ... واستنتاج

(١) عمر الشيباني، مفهوم الإنسان في الفكر الإسلامي، طرابلس، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٧م.

(٢) حسن عبد العال، مقامة في فلسفة التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ٣١.

(٣) محمد عمر الفقيه، طبيعة النفس الإنسانية في ضوء القرآن الكريم وانعكاساتها التربوية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة اليرموك، ٢٠٠٤م، ص ١٣.

(٤) سيد الصوافي، الوحدة الإنسانية في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص ٢٩.

(٥) عدنان باحارث، مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة، مرجع سابق، ص ١٠٢.

(٦) محمد عز الدين توفيق، دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، مرجع سابق، ص ٢١.

المسببات من أسبابها، والنتائج من مقدماتها فطرة عقلية...^(١) وقيل "الميل المركوز في أصل الخلقة لتفضيل الإسلام والأخذ به، وليس منها مجرد ولادة الطفل على خلقة خالية، لا إيمان بها ولا كفر، ولا معرفة ولا إنكار كالصفحة البيضاء"^(٢)، وقيل "بصيرة ثابتة في جوهرها يولد المرء مزوداً بها لتتزع به نحو الخير في صورته الكلية المجملية (توحيد الله) وتمثل جوانبها الروحية والعقلية والنفسية نظاماً متكامل الحلقات"^(٣)، وبعد تقصي الآيات القرآنية التي تبحث في حقيقة الفطرة الإنسانية، تبين أن الله سبحانه وتعالى خلق الناس جميعاً مهما اختلفت أجناسهم أو ألوانهم أو أوطانهم أو لغاتهم على أصل التوحيد، يقول سبحانه: ﴿ فَأَقْرَرَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾^(٤) فالحق سبحانه وتعالى يأمر النبي ﷺ وكل من يسمع هذا النداء بأن يتجه للدين المستقيم مائلاً عن كل هوى وانحراف، وهذا الدين فطرة الله التي خلق الناس عليها، فربط الباري بين طبيعة هذا الدين وطبيعة النفس الإنسانية وكلاهما من خلق الله تعالى^(٥).

ومما يدل على أن الفطرة تعني الإسلام بمفهومه الشامل الذي دعا إليه الأنبياء جميعاً، أن النبي ﷺ لم يقل في الحديث "ما من مولود إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه..."^(٦) لم يقل أو يسلمانه وإنما ذكر البيئات الاجتماعية التي تعمل على التأثير على هذه الفطرة وفق ما ترغب به تلك البيئات والطقوس الاجتماعية والدينية. فالفطرة وإن كانت هي التوحيد إلا أنها أطلقت على أمور جبلية وسلوكيات خيرة في الإنسان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ليلة أسري به بإيليا بقدهجين من خمر ولبن فنظر إليهما فأخذ اللبن، قال جبريل: "الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله".^(٧) فالنبي ﷺ لم يختر الخمر رغم أنه لم ينزل به تحريم بعد، إلا أن الفطرة التي فطر الله الناس عليها تأباه، ومنها معرفة الخير والشر، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿ قَدْ

(١) محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج ٢١، ص ٤٨.

(٢) محمد عز الدين توفيق، دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، مرجع سابق، ص ٢٢.

(٣) أحمد الدغشي، الأساس الفطري للتربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٢.

(٤) سورة الروم، آية ٣٠.

(٥) محمد الفقيه، طبيعة النفس الإنسانية في ضوء القرآن الكريم، مرجع سابق، ص ١٠٢-١٠٣.

(٦) رواه مسلم، صحيح مسلم، ٢٠٤٧/٤، حديث (٢٦٥٨).

(٧) رواه مسلم، صحيح مسلم، ١٥٩٢/٣، طرف حديث (١٦٨).

أَفَلَحَ مَنْ رَزَقَهَا ﴿١﴾، فالإنسان ألهم معرفة الخير، كما ألهم معرفة الشر بفطرته، لقوله تعالى:
﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ ﴿٢﴾.

وعليه فيرى الباحث أن للفطرة مفهوماً خاصاً وهو التوحيد، ومفهوماً عاماً وهو الخصائص والصفات التي خلق الله الناس عليها في أول خلقتهم من لدن آدم ﷺ إلى قيام الساعة، وتشمل التوحيد والدوافع الفطرية، والأخلاق، وتظهر في صور وعلامات كثيرة منها نزعة التدين عند الإنسان، وظهور التساؤلات الفطرية عن الكون والحياة والإنسان، واتفاق عقول الناس، والارتياح لما عدّ معروفاً والنفور مما عدّ منكراً.

والفطرة بالمفهوم العام هي الطبيعة الإنسانية التي تعني الصفات والخصائص التي يشترك فيها الناس جميعاً وفقاً للخلاقة التي خلقهم الله سبحانه وتعالى عليهم بغض النظر عن الأجناس أو الألوان أو الديانات أو الثقافات أو أية مؤثرات أخرى للإنسان.

وهذا يتفق مع ما ذهب إليه أحد الباحثين من أن مفهوم الفطرة في التصور الإسلامي لا يختلف عن معنى الطبيعة، فالفطرة هي الخلاقة التي يكون عليها كل موجود أول خلقه، فهي الخلاقة السليمة التي لم تشب بعيب، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ ﴿٣﴾. والطبيعة الإنسانية هي مجموع السجايا التي خلق الله الناس عليها ﴿٤﴾.

المطلب الثالث - حقائق الطبيعة الإنسانية من منظور إسلامي

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ ﴿٥﴾، فقد "كرم الله هذا المخلوق البشري على كثير من خلقه، كرمه بخلقه على تلك الهيئة وبهذه الفطرة التي تجمع بين الطين والنفخة ... وكرمه بالاستعدادات التي أودعها فطرته؛ وبالتالي استأهل بها الخلافة في الأرض ... وكرمه بتسخير القوى الكونية له في الأرض، وإمداده بعون القوى الكونية ... وكرمه بذلك الاستقبال الفخم الذي استقبله به الوجود ... وكرمه بإعلان هذا التكريم كله في كتابه المنزل من الملائكة الأعلى ... ومن التكريم أن يكون الإنسان قيماً على نفسه متحملاً تبعاً اتجاهه

(١) سورة الشمس، آية ٧-١٠.

(٢) سورة البلد، آية ١٠.

(٣) سورة الروم، آية ٣٠.

(٤) علي منكور، المنهج في التصور الإسلامي، مرجع سابق، ص ١٥٠-١٥١.

(٥) سورة الإسراء، آية ٧٠.

وعمله... " (١). فهذا الإنسان المكرم من عند الله سبحانه وتعالى تتميز طبيعته بعدد من الحقائق منها:

أولاً - الإنسان مفطور على الإيمان بالألوهية والوحدانية لله سبحانه وتعالى خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان مفطوراً على الإيمان بالله تعالى، وتتضح هذه الحقيقة من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ (٢).

يقول سيد قطب: "إن هناك تفسيراً لهذا النص بأن العهد الذي أخذه الله على نرية بني آدم هو عهد الفطرة، فقد أنشأهم مفطورين على الاعتراف له بالربوبية وحده، أودع هذا فطرتهم فهي تنشأ عليه، حتى تتحرف عنه بفعل فاعل يفسد سواها، ويميل بها عن فطرتها... إن حقيقة التوحيد ليست مركوزة في فطرة "الإنسان" وحده؛ ولكنها كذلك مركوزة في فطرة هذا الوجود من حوله...." (٣).

فإنه سبحانه وتعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره، يقول ﷺ عن رب العزة: "خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا...." (٤).

فالدين الحنيف هو فطرة الله سبحانه وتعالى، فالحق سبحانه خلق الناس قابلين لأحكام الدين وجعل تعاليمه مناسبة لخلقهم، غير تائبين عنه، ولا منكرين له، فالخلق والهيئة التي في نفس الإنسان هي معدة ومهيئة لأن يميز بها مصنوعات الله ويستدل بها على ربه هي الفطرة (٥).

ثانياً - الإنسان مفطور على جملة من الدوافع التي تؤثر بمختلف مظاهر نموه الدوافع هي "الحالة الداخلية أو الاستعداد الباطني الذي يدفع الكائن الحي إلى النشاط والحركة سواء كان ذلك في المجال العملي الخارجي الذي يتجسد في حركة أو فعل، أم في المجال الذهني الداخلي الذي يتجسد في تصور أو تخيل أو تذكر" (٦). وقيل "حالة داخلية جسمية

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٢٢٤١/٤.

(٢) سورة الأعراف، آية ١٧٣.

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ١٣٩٣/٢-١٣٩٤.

(٤) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ٤، ص ٢١٩٧، طرف الحديث (٢٨٦٥).

(٥) محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتوير، مرجع سابق، ج ٢١، ص ٤٨.

(٦) محمد عبد الفضيل القوصي، قراءة إسلامية في علم النفس العام، القاهرة، دار الطباعة المحمدية، ط ١، ١٩٨٤م، ص ١٨.

أو نفسية، فطرية أو مكتسبة، تثير السلوك وتحدد نوعيته واتجاهه، وتسير به نحو تحيُّق أهداف معينة من شأنها إرضاء جانب معين من جوانب الحياة الإنسانية^(١).

وقيل هي "القوى المحركة التي تبعث النشاط في الكائن الحي وتبدي السلوك وتوجهه نحو هدف أو أهداف معينة"^(٢)، وقيل "كل ما يدفع الإنسان للقيام بسلوك ظاهري أو باطني سوي أو غير سوي، صحيح أو خطأ، يؤدي أو لا يؤدي بالإنسان للانسجام مع مراد الله وشريعته، مما يؤدي بالتالي للانسجام أو عدم الانسجام مع سنن الله في الطبيعة وفي النفس الإنسانية"^(٣).

فالدوافع في الأصل طاقة كامنة مستترة، وتظل في كمونها واستتارها حتى يثيرها المنبه الخارجي، وفي هذه الحالة تتحول من حالة الكمون والاستتار إلى حالة النشاط والظهور فيتحفز الكائن ويتوتر ويعتمد بمعنى أن يصدر عنه نشاط ما، ويمكن تقسيم الدوافع إلى الآتي:

أ- دوافع النمو الفطرية: وهي التي تنتقل للفرد عن طريق الوراثة، فهي لا تكتسب بالخبرة أو التعلم فهي مشتركة بين أفراد النوع البشري بأسره^(٤)، بمعنى أنها استعدادات يولد الإنسان مزوداً بها دون أن يكتسبها من البيئة، تنشأ عن نقص فسيولوجي، ويصاحب هذا النقص حركة للكائن بهدف سد النقص وإزالة التوتر^(٥)، ومن الأمثلة التي تدل على دوافع النمو الفطرية دافع الجوع، ودافع العطش، ودافع الإخراج، والدافع إلى التدين.

ب- دوافع النمو المكتسبة: وهي ما يضاف إلى تلك الدوافع الفطرية عن طريق الخبرة أو التعلم أو الاكتساب من البيئة المحيطة لذلك فهي خاصة بالإنسان تقريباً^(٦)، أي ليس لها أي أساس بيولوجي معروف، وهي حاجات يتعلمها الإنسان من البيئة والمجتمع وتسمى دوافع مكتسبة تميزاً لها عن الدوافع الفطرية^(٧)، ومن أمثلة الدوافع المكتسبة، الدافع إلى الأمن، والدافع إلى حب الاستطلاع، والدافع إلى إثبات الذات، والدافع إلى الحب، والدافع إلى التقدير.

ويرى بعض الباحثين أن جميع دوافع النمو هي دوافع فطرية موجودة في أصل الخلق الإنساني، وعند جميع البشر، إلا إذا تأثرت بأمر ما وانحرفت عن الصواب "فالدوافع الفطرية المخلوقة إما أن تكون دوافع فطرية حيوية عضوية أي ذات صلة بأعضاء الجسم ونشاطه

(١) نبيل السالموطي، الإسلام وقضايا علم النفس الحديث، مرجع سابق، ص ٩٠.

(٢) محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، مرجع سابق، ص ٢٧.

(٣) مروان القيسي، المنخل إلى علم النفس في الإسلام، مرجع سابق، ص ٩٤.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٠.

(٥) محمد عز الدين توفيق، التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، مرجع سابق، ص ٤٩٦.

(٦) محمد القوصي، قراءة إسلامية في علم النفس العام، مرجع سابق، ص ٢٠.

(٧) محمد عز الدين توفيق، التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، مرجع سابق، ص ٥١٣.

الحيوي (البيولوجي)، ويتوقف استمرار الحياة على إشباعها كالجوع والعطش، وإما أن تكون دوافع فطرية نفسية لا يتوقف استمرار الحياة على إشباعها كالجنس، وإما أن تكون دوافع فطرية اجتماعية، يتأخر ظهورها عن الدوافع الفطرية الحيوية، وتبدأ بالظهور بإدراك الفرد للبعد الاجتماعي، ويظن بعضهم أنها مكتسبة لتأخر ظهورها، وهي في الحقيقة فطرية كامنّة احتاج ظهورها لبعض الوقت، والمكتسب فيها نوعيتها وقوتها وضعفها، وهي ليست استثناء في هذا الشأن، فالجنس هو دافع فطري نفسي يتأخر ظهوره، ولا يستطيع أحد أن يزعم أنه مكتسب، وظهور الدوافع الفطرية الحيوية، كالجوع والعطش والنوم والراحة من أول لحظة في حياة الطفل إنما لأن في إشباعها أسباب بقائه على قيد الحياة...^(١).

وقد أكد باحث آخر فطرية الدوافع المكتسبة أو الدوافع النفسية الاجتماعية حيث يشير إلى أنها دوافع لا تتصل بالجانب البيولوجي مباشرة، ولكن لا نستطيع أن نلغي البعد الفطري في وجودها فهي تحمل عناصر فطرية تنمو وتعزز سلباً أو إيجاباً بالتنشئة الاجتماعية للإنسان الذي تعلم سبل إشباعها^(٢).

يقول محمد عثمان نجاتي مؤيداً الأصول الفطرية للدوافع المكتسبة: "يذهب معظم علماء النفس المحدثين إلى أن الدوافع النفسية هي في الأغلب، دوافع مكتسبة على أساس دوافعنا الفسيولوجية، أي أنهم يعتبرونها متفرعة أو مشتقة منها نتيجة تفاعلها مع خبرات الفرد وعوامل التنشئة الاجتماعية، وبناءً على ذلك فإنهم لا ينكرون وجود عناصر فطرية فيها..."^(٣).
والدوافع الفطرية كلها إيجابية تسهم في النمو الإنساني بمختلف مظاهره، فدافع الجوع أو العطش يدفع الإنسان إلى تناول الطعام أو الشراب، الأمر الذي يؤدي إلى النمو الجسدي السليم للإنسان، ودافع النوم يؤدي بالإنسان إلى النوم والراحة والبعد عن التعب والإرهاق الذي يضر بمختلف مظاهر النمو، فقلة النوم تؤدي إلى الاضطراب النفسي والجسمي والعقلي، فقد وجد أن قدرات الإنسان الذهنية تتدهور ويختل تأزره الحركي إذا حرم من النوم خمسين ساعة، وإذا حرم أكثر من ذلك فإنه عرضة للموت الحقيقي^(٤). وكذلك تفعل سائر الدوافع الفطرية العضوية والنفسية والاجتماعية، لذا فمن الضروري إشباع الدوافع وترشيدها لما لها من دور إيجابي في المظاهر النمائية.

يعدّ الإسلام دوافع الفرد بكافة صورها وأشكالها، ضرورة لاستمرار الحياة البشرية على الأرض ولكنه يعمل على أن تؤدي هذه الدوافع وظائفها دون مبالغة، ودون أن تتجاوز

(١) مروان القيسي، المدخل على علم النفس في الإسلام، مرجع سابق، ص ٩٥-٩٦.

(٢) حمدي الفرماوي، البناء النفسي في الإنسان: دراسة من فيض القرآن الكريم، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، ص ١٢٣.

(٣) محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، مرجع سابق، ص ٤٢.

(٤) محمد عز الدين توفيق، التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، مرجع سابق، ص ٥٠١.

حدودها بحيث تُظَلَّ في حدود الغايات، التي خلقت لأجلها مثل بقاء النوع وحفظ الفرد، وبحيث تظل وسائل لتلك الغايات لا أن تصبح غايات بحد ذاتها... فنحن نأكل لنعيش ولا نعيش لنأكل^(١). وهذا يقود للحديث عن تربية الدوافع الذي هو حديث عن دعوة القرآن الكريم إلى إشباع الدوافع وعدم كبثها، وفي الوقت نفسه فإنه لا يسمح بإشباعها دون قيد أو ضابط، بل يجب أن يكون هذا الإشباع في إطار المهمة التي خلق الإنسان لأدائها، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾^(٢).

فالله سبحانه وتعالى هو الذي خلق الإنسان وأوجد فيه الدوافع ونظم له أسلوب ممارساتها بشكل حفظ للإنسان بقاءه وكرامته، فالأكل والشرب يلزمان لبقاء الإنسان والنمو الجسدي المتكامل، ودوافع الجنس تلزم لبقاء النوع الإنساني وللقيام بواجب الخلافة في الأرض، ودافع التدين يلزم الإنسان للنمو النفسي والبعد عن القلق والاضطراب، ودافع الأمومة يلزم للنمو الاجتماعي والنفسي للمرأة والنمو الجسدي والنفسي للطفل.

وعليه فإن السلوك الإنساني يعد سلوكاً مدفوعاً، يقول ﷺ: "إنما الأعمال بالنيات"^(٣)، فهذه العبارة تقرر أن السلوك الإنساني سلوك مدفوع، فما من عمل يعمل به الإنسان إلا وله أهداف ومقاصد تختلف باختلاف الأشخاص، ولا بد من التنبيه إلى أن النية ليست هي الدافع، فالنية عزم القلب وميله وتوجيهه لعمل من الأعمال، أما الدافع فهو الحاجة التي تبعث هذه النية، فالنية بداية السلوك، والدافع هو الحاجة التي أثارت تلك النية ودفعت إلى التفكير^(٤).

وخلاصة الأمر إن الإنسان يولد مزوداً بالدوافع الفطرية لنموه، فهو يملك دوافع النمو الجسدي ودوافع النمو الاجتماعي، ودوافع النمو النفسي، ويمكن أن تبقى هذه الدوافع عاجزة عن إحداث نمو الإنسان بمعزل عن المجتمع المحيط، فالدوافع تقوم بتحرير الطاقة؛ فتزداد فاعلية الدافعية بازدياد مقدار الطاقة المبذولة في موقف معين. ومثال ذلك الفرد الذي لم يشرب الماء لمدة يوم فإنه ينشط للشرب حتى يسد دافع العطش في حين أن نشاطه يختلف عن الفرد الذي شرب الماء لتوه، وتقوم الدوافع غالباً بتوجيه السلوك الوجهة الصحيحة لإشباعها، فالفرد الجائع يبحث عن الطعام، كما تؤدي بالفرد إلى المثابرة، فالفرد الذي تتوافر له الدافعية فإنه لا يتقاعس عن تحقيق هدفه^(٥).

(١) مروان القيسي، المدخل إلى علم النفس في الإسلام، مرجع سابق، ص ٦٨.

(٢) سورة الذاريات، آية ٥٦.

(٣) رواه البخاري، صحيح البخاري، ج ١، ص ٣، طرف الحديث (١).

(٤) محمد عز الدين توفيق، التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، مرجع سابق، ص ٤٠٩٣.

(٥) محمد محمود، علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام، جدة، السعودية، ط ١، ١٩٨٤م، ص ١٣٥-١٣٦.

ثالثاً - الإنسان مفتور على جملة من الأخلاق التي تؤثر في نموه الأخلاقي

يقول ﷺ للأشجع عبد القيس: "إن فيك لخلقين يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة، فقال الصحابي - وهو أشجع عبد القيس - لرسول الله ﷺ: أخلقين تخلقت بهما أم جبلني الله عليهما، فقال رسول الله ﷺ: "بل جبلك الله عليهما"، فقال الصحابي: الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله"^(١).

فهذه الجبلّة التي وردت صراحة في خلقين منحتهما الإرادة الإلهية للفرد، توضح أن الله تعالى يودع في الإنسان صفات سلوكية خيرة عن طريق الجبلّة عند بعض الأفراد، فالحديث يدل على أن لبعض الأفراد استعداداً كامناً في فطرتهم يتميّزون به بعضهم عن بعض، تبعاً لنوع الاستعداد الخاص ببعض الصفات الفطرية وتبعاً لمدى قوة الاستعداد في بعض الأفراد^(٢).

وفي حديث آخر يتحدث النبي ﷺ عن خلق الأمانة، وأنه خلق فطري في الإنسان، فعن حذيفة بن اليمان قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين رأيت أحدهما، وأنا أنتظر الآخر، حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم نزل القرآن فعملوا من القرآن وعلموا من السنة، ثم حدثنا عن قيمة الأمانة فقال: ينام الرجل فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل الوكت "الأثر اليسير" ثم ينام النومة، فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر المجل "نقط في الجلد من أثر حرق...." كجمر دحرجته على رجلك فنقط فتراه منتبراً وليس فيه شيء...."^(٣).

ففي الحديث حقيقة من حقائق التكوين الفطري في الناس، وهذه الحقيقة تثبت أن الأصل في الناس أن يكونوا أمناء؛ لأن الله تعالى - بالتكوين الفطري لهم - قد أنزل خلق الأمانة فوضعه في جذر قلوب الرجال أي في أصل قلوبهم^(٤)، والحديث يخبرنا من جانب آخر ما ستؤول إليه الأحوال الاجتماعية والبيئات من سوء، إذ ستصل إلى مرحلة قاسية جداً، حتى إنها بقوة ضغطها على الأفراد الصالحين تستطيع تحويل الرجل عن أخلاقه الكريمة.

وبينت الأحاديث النبوية الشريفة التفاوت الفطري في الطباع الخلقية، من ذلك قوله ﷺ: "إن بني آدم خلقوا من طبقات شتى ألا وإن منهم البطيء الغضب سريع الفيء سريع الفيء ألا وخيرهم بطيء الغضب سريع الفيء وشرهم سريع الغضب بطيء الفيء"^(٥).

(١) رواه الطبراني، المعجم الكبير، ج٥، ص ٢٧٥، حديث رقم (٥٣١٣)، صححه الألباني.

(٢) عابد توفيق الهاشمي، منخل إلى التصور الإسلامي للإنسان والحياة، عمان، دار الفرقان، ١٩٨٢م، ص ١٧٢.

(٣) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج١، ص ١٢٧، حديث رقم (١٤٣).

(٤) عبد الرحمن الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، بيروت، دار العلم، ١٩٧٩، ج١، ص ١٧٤.

(٥) رواه أحمد، المسند، ج٢، ص ٣٣١، حديث رقم (٧٥٢).

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض منهم الأحمر، والأبيض، والأسود، وبين ذلك، والسهل والحزن والخبيث والطيب"^(١).

وقوله عليه السلام: "الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا...."^(٢)، دليل على فروق الهبات الفطرية الخلقية، كما أثبت صلى الله عليه وسلم أن خيار الناس في التكوين الفطري أكرمهم أخلاقاً، وأشار الحديث أيضاً إلى أن التكوين الفطري، يرافق الإنسان ويصاحبه في كل أحواله، فالناس بينهم فروق كبيرة، فكما توجد فروق بين المعادن، توجد كذلك فروق بين الناس، فالناس يختلفون إلى أصناف، وكل صنف يختلف عن الآخر بمقدار ما فيه من الصفات والخصائص^(٣).

إن السؤال الذي يطرح: إذا كانت الأخلاق طبعاً فطرياً، وهي المهيمنة على السلوك، فهل يستطيع الإنسان أن يعدل من طبائعه الخلقية الفطرية ويكتسب من الأخلاق ما ليس في فطرته؟ والإجابة أن باستطاعة الإنسان أن يكتسب أية فضيلة خلقية بالتربية المقترنة بالإرادة والتصميم، ولا بد لاكتساب الأخلاق من وجود استعداد فطري لاكتسابها، وبهذا يكون شأن الأخلاق شأن أية مهارة حركية وعضلية، فالمفطور على نسبة عالية من البخل يستطيع أن يكتسب بالإرادة والتصميم مقداراً من خلق الكرم المفطور عليه بنسبة قليلة.

رابعاً - الطبيعة الإنسانية كل مكون من أجزاء

يقول الأستاذ محمد قطب مبيناً نظرة الإسلام إلى الإنسان: "إن أهم ما يتميز به الإسلام أنه يأخذ الكائن البشري على ما هو عليه، لا يحاول، أن يقسره على ما ليس من طبيعته، كما تصنع النظم المثالية، وإن كان في الوقت ذاته يعمد إلى تهذيب هذه الطبيعة إلى آخر مدى مستطاع، دون أن يكبت شيئاً من النوازع الفطرية، أو يمزق الفرد بين الضغط الواقع عليه من هذه النوازع وبين المثل العليا التي يرسمها له...."^(٤).

فطبيعة الإنسان أو الفرد في الإسلام مكونة من كل، وهذا الكل له أجزاء أساسية هي الروح وهي ليست من الأشياء التي تنفصل وتتجزأ لأنها أمر من الله سبحانه وتعالى، والجزء الثاني هو المادة وهذا الجزء يدخل فيه العقل الذي هو وظيفة من وظائف الجسم، إلا أنه جزء متحكم ومسيطر على سائر الأجزاء، وبهذا يكون للإنسان طبيعة مزدوجة هي الطبيعة المادية والطبيعية الروحية، ويمكن أن ينظر إلى أجزاء الإنسان بشكل تفصيلي أكثر وهي الجسم،

(١) رواه الترمذي، سنن الترمذي، ج ٥، ص ٢٠، حديث رقم (٢٩٥٥)، صححه الألباني.

(٢) صححه الألباني، انظر: صحيح وضعيف الجامع الصغير، حديث رقم (٦٧٩٧).

(٣) عبد الرحمن الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، مرجع سابق، ١/١٦٨-١٧٠.

(٤) محمد قطب، الإنسان بين المادية والإسلام، مرجع سابق، ص ٦٩.

والعقل، والروح، والقلب، والنفس، وهذا تقسيم متداخل متشابك، فمثلاً القلب يراد به أحياناً العقل وأحياناً أخرى تلك المضغة اللحمية الصنوبرية الموجودة في الجانب الأيسر من القفص الصدري، وعليه يرى الباحث أن للإنسان طبيعة مزدوجة وأنه مكون من ثلاثة أجزاء رئيسية هي: الجسم والعقل والروح، وفيما يلي عرض لهذه العناصر الثلاث.

أ- الجانب الجسمي

وردت كلمة الجسم في القرآن الكريم مرتين، الأولى تبين أنها من شروط الإمامة والسيادة والاصطفاء والعلم والقوة البدنية، يقول سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾^(١)، والآية الثانية يتحدث الحق سبحانه وتعالى فيها عن صفة من صفات المنافقين قد تبدو حسنة وهي أجسامهم ولكن نفاقهم طبع على قلوبهم يقول سبحانه: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾^(٢).

يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾^(٣)، فالإنسان في حقيقته قبضة من طين، تتمثل في حقيقة الجسد، عضلاته ووشائجه وأعضائه وأحشائه فجسم الإنسان مكون من ذات العناصر التي يتكون منها طين الأرض، والجسم يعد من أهم جوانب الطبيعة الإنسانية باعتباره الوعاء أو الإطار العام الذي يحوي العقل والنفس والروح، وهو يمثل بصفة عامة ملامح الذات الإنسانية ويعين على أداء الشعائر والعبادات، ومن خلال الجسم يسعى الإنسان للعمل وكسب العيش، وإن أي خلل أو قصور به يؤثر على الفرد والمجتمع^(٤).

والجسم في نظر الإسلام أمانة عند الإنسان يجب أن يحافظ عليه وأن يلبي احتياجاته من الغذاء الكافي والنوم الكافي والراحة والملبس والمسكن اللائق، والتداوي من الأمراض ليبقى صحيحاً معافى قادراً على العمل والإنتاج^(٥)، والإسلام اعترف بحاجات البدن في حدود الاعتدال، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾^(٦) ويقول سبحانه: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا

(١) سورة البقرة، آية ٢٤٧.

(٢) سورة المنافقون، آية ٤.

(٣) سورة ص، آية ٧١.

(٤) موسى الشرقاوي، نظريات تفسير الطبيعة الإنسانية، مرجع سابق، ص ٦١.

(٥) عمر الشيباني، مفهوم الإنسان في الفكر الإسلامي، طرابلس، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٨٧م، ص ٦٥-٦٦.

(٦) سورة القصص، آية ٧٧.

وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١﴾، ويقول عليه السلام: "كلوا وتصدقوا والبسوا في غير إسراف ولا مخيلة" (٢).

ب- الجانب الروحي

الروح أهم أبعاد الطبيعة الإنسانية، والروح هي المدبرة لجسد الإنسان، حتى إن الكائن البشري بدون الروح لم يعد إنساناً بل هو على صورة الإنسان، وهي من الأمور التي لا يعرفونها وحققتها على وجه التأكيد إلا الحق سبحانه وتعالى، وكل ما يستطيع الإنسان أن يعرفه عنها أنه بسببها تحل في الجسد الحياة والحركة والوعي ويصبح قادراً على القيام بعمليات الإحساس والإدراك بمستوياتها المختلفة، وبها يسمو الإنسان إلى آفاق الفضيلة ويرقى إلى المثل العليا والمعاني النبيلة والمقاصد الكريمة (٣)، يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (٤).

يقول سيد قطب: "نحن نجهل كنه هذه النفخة؛ ولكننا نعرف آثارها، فآثارها هي التي ميزت هذا الكائن الإنساني عن سائر الخلائق في هذه الأرض، ميزته بخاصية القابلية للرقى العقلي والروحي وهي التي جعلت عقله ينظر تجارب الماضي، ويصمم خطط المستقبل، وجعلت روحه تتجاوز المدرك بالحواس، والمدرك بالعقول ليتصل بالمجهول للحواس والعقول... لقد نفخ الله من روحه في هذا الكائن البشري لأن إرادته اقتضت أن يكون خليفة في الأرض، وأن يتسلم مقاليد هذا الكوكب في الحدود التي قدرها له، حدود العمارة ومقتضياتها من قوى وطاقت...." (٥).

فهي طاقة كبرى لا يؤمن بها الغرب، مهمتها قد لا تكون ظاهرة للعيان في مبدأ الأمر لكن الروح في ذاتها أمر غير محسوس، وإنكار الروح لا يقوم على أساس علمي صحيح، وقد عرف الأمام ابن القيم الروح بقوله: "إنها جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك ينفذ في جوهر الأعضاء ويسري فيها سريان الماء في الوريد، وسريان الدهن في الزيتون، والنار في الفحم، فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقي

(١) سورة الأعراف، آية ٣١.

(٢) رواه أحمد، مسند أحمد، ج ٢، ص ١٨١، حديث رقم (٦٦٩٥)، حسنه الألباني، انظر: صحيح وضعيف الجامع الصغير، حديث رقم (٤٥٠٥).

(٣) عمر الشيباني، مفهوم الإنسان في الفكر الإسلامي، مرجع سابق، ص ١١٠.

(٤) سورة ص، آية ٧٢.

(٥) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ح ٥، ص ٣٠٢٧.

ذلك الجسم اللطيف مشابكاً لهذه الأعضاء وإفادتها هذه الآثار من الحس والحركة الإرادية...»^(١).

وعليه فإن التفسير المادي للإنسان والتفسير الروحاني كلاهما مخطئ وبعيد عن الصواب، فالتفسير المادي يهمل جانب الروح، ويحاول أن يفسر الإنسان بجسده وحده بلقمة الطعام ودفعة الجنس ومطالب المادة، والتفسير الروحاني يهمل حقيقة الجسد ويحاول أن يفسر الإنسان بروحه وحدها^(٢).

وقد أشار القرآن الكريم إلى وجود صراع نفسي بين الجانبين: الجانب المادي والروحي في الإنسان، فحين يحاول الجانب المادي أن يسيطر عليه يهوي في الحضيض، فترفعه مطالبه الروحية إلى القيم العليا قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٦٦﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٦٧﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٦٨﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٦٩﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٧٠﴾^(٣)، لذا فمن استطاع أن يحقق التوازن بين مطالب الجسد والروح فقد نجح في الاختبار واستحق الثواب من الله عزوجل، ووصل بنفسه إلى مرتبة الكمال الإنساني.

ج- الجانب العقلي

العقل هو القوة الغريزية التي حبا الله بها الذات الإنسانية، وهو من أهم مكونات الإنسان لأنه مركز التفكير والإرادة والإدراك، وهو مناط التكاليف والوسيلة الأساس لبلوغ الكمال الإنساني، لأن الإنسان بدونه يفقد النفع لذاته ولغيره، والقرآن الكريم اهتم بوظائف العقل وليس بتكوينه لأن الوظائف هي الأساس لذا نلاحظ القرآن يختم بعض الآيات بـ "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ" "لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ" "أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ"^(٤).

فالعقل جانب أساسي من مفهوم الطبيعة الإنسانية، فهو الذي يميز الإنسان عن سائر الكائنات الأخرى، وقد حث الحق سبحانه على استعمال العقل، ونكره في مقام التنبه والتعظيم للعمل به والرجوع إليه، كما حث المؤمن على ضرورة تحكيم عقله؛ لذا يلام كل من يهمل عقله^(٥)، ويمكن إجمال استخدامات العقل في القرآن الكريم، بأنه وسيلة للتوصل إلى صفات الذات الإلهية عن طريق آياته في الكون، والتفكير في أحوال العالم وسنة الله في الأرض وأحوال الأمم، والشعوب على مدار التاريخ، وله وظيفة سامية هي التفكير.

(١) ابن قيم الجوزية، الروح، تحقيق السيد الجميلي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٢، ١٩٨٦م، ص ٣٢٠.

(٢) محمد قطب، دراسات في النفس الإنسانية، مرجع سابق، ص ٦٢.

(٣) سورة النازعات، آية ٢٧-٤١.

(٤) أحمد رجب الأسمر، فلسفة التربية في الإسلام، مرجع سابق، ص ١٥٦.

(٥) موسى الشرفاوي، نظريات تفسير الطبيعة الإنسانية، مرجع سابق، ص ٦٣.

خامساً = الإنسان مخلوق باستعدادات متساوية للخير والشر

الإنسان خلق مفطوراً على الإيمان وحب الخير، وهو مزود باستعدادات متساوية للخير والشر، كما أنه مزود بقدرات كامنة فيه قادرة على توجيهه إلى الخير أو إلى الشر سواء^(١)، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيْنَاهَا ﴿٦﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٧﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٨﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿٩﴾ ﴾^(٢).

يقول سيد قطب: "إن هذا الكائن مخلوق مزدوج الطبيعة، مزدوج الاستعداد، مزدوج الاتجاه ونعني بكلمة مزدوج على وجه التحديد أنه بطبيعة تكوينه (من طين الأرض، ومن نفخة الله فيه من روحه)، مزود باستعدادات متساوية للخير والشر، والهدى والضلال، فهو قادر على التمييز بين ما هو خير وما هو شر، كما أنه قادر على توجيه نفسه إلى الخير وإلى الشر سواء، وأن هذه القدرة كامنة في كيانه، يعبر عنها القرآن بالإلهام تارة ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيْنَاهَا ﴾^(٣) ويعبر عنها بالهداية تارة ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾^(٤)، فهي كامنة في صميمه في صورة استعداد.... والرسالات والتوجيهات والعوامل الخارجية إنما توظف هذه الاستعدادات وتشحذها وتوجهها هنا أو هناك ولكنها لا تخلقها لأنها مخلوقة فطرة وكائنة طبعاً، وكامنة إلهاماً...."^(٥).

وثمة آيات قرآنية كثيرة تبين هذا الاستعداد في الإنسان لفعل الخير والشر، فالأصل في الفطرة الإنسانية فعل الخير وقد تعثر به بعض الشرور، واختيار الإنسان للخير أو الشر يتوقف على ما منحه الله من عقل فعال وإرادة حرة، يستطيع أن يختار إما طريق الهدى والرشاد أو طريق الضلال والمعصية^(٦). فيمكن النظر إلى القوى والطاقات في الطبيعة الإنسانية أنه يمكن استخدامها في الخير والشر معاً فهي كالألة، ولكن إذا علمنا أن صانع الألة صنعها لتحقيق الخير فإننا نقول إنها آلة الخير إذا استخدمت في الغاية التي صنعها لتحقيق الخير، والشر يأتي من سوء استخدامها في الغايات التي لم تخلق من أجلها^(٧).

سادساً - الإنسان مختار مميز مسؤول فيما يقدم عليه من أمور

الإنسان مفطور على حرية الاختيار، والحق سبحانه وتعالى منح الإنسان حرية الاختيار في المبدأ والعقيدة، فهو يتمتع بحرية الإرادة، وهذه الحرية لا تتعارض مع إرادة الله

(١) علي مذكور، المنهج في التصور الإسلامي، مرجع سابق، ص ١٦١.

(٢) سورة الشمس، آية ٧-١٠.

(٣) سورة الشمس، آية ٧.

(٤) سورة البلد، آية ١٠.

(٥) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٦/٣٩١٨.

(٦) موسى الشرقاوي، نظريات تفسير الطبيعة الإنسانية، مرجع سابق، ص ١١٥.

(٧) يوسف قاضي، علم النفس التربوي في الإسلام، مرجع سابق، ص ٦٤.

تعالى ومشيئته، وإنما وفقاً لإرادة الله تعالى ومشيئته، ويظهر هذا بشكل جلي من خلال قصة آدم عليه السلام الذي كان يملك القدرة الفطرية على الاختيار بين طاعة الله تعالى ومعصيته، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكِ أَسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿١٧﴾ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١٨﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١٩﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿٢٠﴾ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةٍ آَخْضَةٍ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ﴿٢١﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوْءُ تَهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْنِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿٢٢﴾ (١).

فالأيات الكريمة تدل على أن الخطاب موجه من الخالق عزوجل لآدم عليه السلام الذي يتمتع بحرية الاختيار ويمتلك القدرة والاستعداد للطاعة والمعصية، وهو في موضع الاختبار والتكليف لذا فقد مارس آدم عليه الصلاة والسلام حريته، واستجاب إلى الجانب الشهوي الذي فطرت عليه النفس البشرية، والمتمثل بحب الملك والخلود، وفي غفلة منه عصى الخالق عزوجل، فهذه التجربة التي عاشها الأنموذج الإنساني الأول تمثل الإنسانية كلها إلى قيام الساعة، فالحرية جزء من كينونة الإنسانية منذ أن خلقها البارئ عزوجل، وليست صفة مكتسبة بفعل الظروف الاجتماعية أو السياسية أو غير ذلك (٢).

وقد أشار القرآن الكريم إلى أن الإنسان مسير ومخير معاً، فهو مسير فيما رزقه الله من قدرات وإمكانات ومال وبنين وصحة وحياء وموت، وهو مخير في أن يسلك أي طريق يختاره في الحياة، فالمولى أمد الإنسان بجميع الإمكانات اللازمة لاختياره، فوهبه العقل ليميز بين الخير والشر، وأمه بحرية الإرادة والاختيار كي يختار الطريق الذي يريده، فالحرية من المبادئ الأساسية التي جاء بها القرآن الكريم ومن أهم القيم الإسلامية، لأنها فطرة الله التي فطر الناس عليها، وهي التي تميز الإنسان عن سائر الكائنات الأخرى، فالإنسان ذو إرادة وقصد لا تتحقق إلا في جو من الحرية الكاملة (٣)، والإرادة عند الإنسان نوعان: دافعة أي تدفع قوى الإنسان نحو العمل كأن تحمله على القراءة والكتابة والخطابة، وممانعة وهي التي تمنع قوى الإنسان عن المسير والحركة في القول أو الفعل (٤)، وحرية الإنسان لها صور متعددة منها حرية الاعتقاد التي ينظر إليها من جانبيين جانب خط المسلم، وجانب خط غير المسلم الذين تظلمهم دولة الإسلام، أما المسلم فهي محدودة بما جاء به الإسلام، واتفق المسلمون على

(١) سورة طه، آية ١١٦-١٢١.

(٢) محمد الفقيه، طبيعة النفس الإنسانية في ضوء القرآن الكريم، مرجع سابق، ص ١٠٦.

(٣) موسى الشراقوي، نظريات تفسير الطبيعة الإنسانية، مرجع سابق، ص ١١٦.

(٤) أحمد الدغشي، الأساس الفطري في التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ٩٥.

أصوله وما عدا ذلك فالمسلم مخير في اعتقاد ما شاء منه، أما غير المسلم فقد تركت له حرية أن يعتقد ما شاء من العقائد بناءً على ما يصل إليه عقله^(١). ومن صور الحرية كذلك حرية الفكر والرأي، فقد جاء الإسلام معلناً حرية التفكير محرراً العقول من قيود الأوهام والخرافات منادياً باستخدام العقل والعلم، وحرية الفكر فريضة لا يحل للمسلم أن يتخلى عنها أو يفرط بها^(٢).

إن الحرية والإرادة في الإسلام هي الفارق الحاسم بين الإنسان والحيوان، وهي مناط المسؤولية ومحور الارتكاز، فالإسلام لا يعترف بالجبرية التي أوحى بها فرويد ومن تبعه من علماء النفس، وبهذه النظرة الشاملة العادلة يوازن بين جوانب الإنسان المختلفة ويضع كلاً منها في موضعه الصحيح، فالإرادة مشرفة على تنظيم الشهوة، متحكمة في انطلاقها، دون أن يقف الإنسان عن العمل^(٣).

هذه أبرز الخطوط العريضة في الطبيعة الإنسانية من منظور إسلامي، فهذا التصور الإسلامي مختلف تمام الاختلاف عن التصورات الوضعية التي ساوت بين الإنسان والحيوان، فسلك الإنسان مدفوع بدوافع فطرية تدفعه نحو النمو، وهذه الدوافع متنوعة متميزة عن بعضها البعض، وهو مفطور على جملة من الأخلاق التي تؤثر في نموه الأخلاقي، وهو كل مكون من أجزاء جسمي وعقلي وروحي، لديه استعدادات متساوية للخير والشر، وليس للشر كما يظن بعض إضافة إلى أنه حر مختار فيما يقدم عليه من أمور، وليس مجبوراً كما تظن بعض النظريات.

لقد دافع التصور الإسلامي عن تقرد الإنسان في أصله وغايته ومصيره، هذا التصور وضع الإنسان في موضعه الصحيح في الكون، وليس كما فعلت العلوم المختلفة التي نظرت إلى الإنسان بصورة مشوهة، يقول الدكتور عبد الوهاب المسيري: "وحيثما ترسم هذه العلوم صورة الإنسان، فإنه يكون إنساناً طبيعياً وظيفياً ذا بعد واحد آلياً يتحرك في إطار الدوافع والمثيرات.... ففي علم الاقتصاد نجد الإنسان مجموعة من المصالح الاقتصادية، وفي علم الأخلاق هو كيان تحركه الرغبة في البقاء المادي وتحقيق المصلحة المادية، أما الانثروبولوجيا فهو يؤكد أن الإنسان ليس له طبيعة وإنما له تاريخ، وإن كانت له خاصيات عند الولادة فهي مجرد استعدادات شفافاً لا تصمد أمام مؤثرات المحيط القادر على تشكيل الإنسان كيفما شاء...."^(٤).

(١) حسن عبد العال، مقامة في فلسفة التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ٣٣٣.

(٢) حسن عبد العال، مقامة في فلسفة التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ٣٣٩.

(٣) محمد قطب، الإنسان بين المادية والإسلام، مرجع سابق، ص ٩٦.

(٤) عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، بيروت، دار الفكر المعاصر، ط١، ٢٠٠٢م، ص ٦٦.

المبحث الثالث - طبيعة النمو من منظور إسلامي

تمهيد

يطرح علماء النفس أسئلة مهمة حول طبيعة النمو، هل يوجد مراحل للنمو؟ أم أن النمو الإنساني مستمر طيلة حياة الإنسان؟ هل تغيرات النمو كمية أم نوعية؟ وقبل البدء بالإجابة على السؤالين السابقين لا بد من توضيح مفهوم التغيرات الكمية، والتغيرات النوعية.

التغير الكمي: هو "التغير في الكمية أو العدد مثل ازدياد الطول أو الوزن أو عدد المصطلحات التي يعرفها الطفل أو عدد مرات الاتصال بالآخرين والتفاعل معهم"^(١)، أي يركز على القدرة والتكرار أو الدرجة^(٢)، عندما يُقال بأن تغيرات في النمو كمية فهذا يعني أن النمو عملية مستمرة وليست مراحل بحيث يمكن التنبؤ بالسلوكيات اللاحقة من خلال السلوكيات السابقة، وهذا ما ينطبق على نظريات التعلم التقليدية والحديثة التي تنظر إلى النمو باعتباره عملية تغير كمي، تتكامل فيها أنماط التعلم بصورة تدريجية عبر الزمن، ويتضمن النمو كمّاً من التغيرات قصيرة المدى^(٣).

التغير النوعي: هو "التغيير في النوع أو التركيبية أو التنظيم، مثل التطور الذي يحصل عند طفل لم يكن يعرف النطق إلى طفل يعرف النطق ويفهمه ويتواصل مع الآخرين لفظياً، ويتميز التغير النوعي بظهور ظاهرة جديدة لم تكن موجودة في المراحل السابقة"^(٤)، أي أن هناك ظواهر وخصائص جديدة تظهر لا يمكن إعادتها إلى عناصرها الأساسية، والتغيرات النوعية تغيرات في الشكل أو الترتيب^(٥)، ومن النظريات التي ترى أن النمو يشمل تغيرات نوعية، نظرية التحليل النفسي لفرويد التي ترى سيطرة الدافع الجنسي على هذه التغيرات^(٦)، وعند الإقرار بأن التغيرات في النمو تغيرات نوعية فهذا يعني أن النمو عملية تسير في مراحل، وهناك نظريات أخرى تذهب إلى أن النمو يشمل تغيرات كمية ونوعية مثل نظرية معالجة المعلومات، حيث تثبت جانبي النمو الكمي والنوعي، فالتغيير النوعي يكون بظهور أساليب جديدة للتخزين والاسترجاع وطرائق جديدة لحل المشكلات، والنمو الكمي عن طريق زيادة عدد الأشكال التي يتم تذكرها ومقدار المعلومات الموجودة بالذاكرة الأساسية^(٧)، وقد

(١) معاوية أبو غزال، نظريات التطور الإنساني، مرجع سابق، ص ٢٩.

(٢) باتريشيا ملر، نظريات النمو، مرجع سابق، ص ٢٨.

(٣) المرجع السابق، ص ١٩٤-١٩٥.

(٤) معاوية أبو غزال، نظريات التطور الإنساني، مرجع سابق، ص ٢٩.

(٥) باتريشيا ملر، نظريات النمو، مرجع سابق، ص ٢٨.

(٦) المرجع السابق، ص ١٣٦.

(٧) المرجع السابق، ص ٢٥٧.

لاحظ بياجيه كل التغيرات الكمية والنوعية إلا أنه أكد التغيرات النوعية^(١)، والسؤال الذي يطرح هو: ما طبيعة النمو من المنظور الإسلامي؟

إن الكم والكيف مظهران لا يمكن فصلهما، فكما ينمو الفرد في أعضاء جسمية، فإنه ينمو في الوظائف التي تقوم بها الأعضاء، فالجهاز الهضمي يتحول من تمثيل للسوائل إلى هضم الطعام الجامد وتحويله إلى عصارة تعود بالفائدة على الطفل، والجهاز العصبي ينمو حجماً كما ينمو وظيفياً، وكذلك أجهزة الجسم تزداد حجماً وتنمو وظيفياً^(٢)، أما عن طبيعة النمو في المنظور الإسلامي فتكمن الإجابة عليه في القرآن الكريم.

أولاً - النمو الإنساني يسير في مراحل متنوعة منتظمة ومتتابعة زمنياً ومنطقياً تتضمن تغيرات نوعية:

أخبرنا الحق أن خلق الإنسان ونموه يمران بمراحل متنوعة، وهذه المراحل ليست مجرد مسألة فرضية، بل هي مراحل سابقة التصميم والتحديد والتقدير، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾^(٣)، فالآية الكريمة تتناول حقيقة حياة كل شيء بأنه صمم وقدر بطريقة محددة، فنمو الإنسان وتطوره لا يحدثان مرة واحدة بل يمران بمراحل وعمليات تدريجية متنوعة، يقول سبحانه: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٥﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾^(٤)، والقرآن الكريم فصل لنا في هذه المراحل فمنها مثلاً مرحلة الجنين، يقول سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْتُم مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّن نُطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ^٥ وَنُقَرِّ فِي الْأَرْحَامِ﴾^(٥)، ويقول ﷺ: "إن أحكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكاً يؤمر بأربع كلمات ويقال له اكتب عمله ورزقه وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح...."^(٦)، فعملية تكوين الجنين وتخليقه عملية إعجازية تدل على قدرة الله تعالى، ولا نجد إعجازاً يماثلها فعلى الرغم من كونها عملية متصلة إلا أنها مراحل منفصلة عن بعضها البعض، ومنها مرحلة البلوغ، يقول سبحانه: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَضِيئُوا﴾^(٧).

(١) باتريشيا ملزر، نظريات النمو، المرجع السابق، ص ٧٣.

(٢) فادية حمام، علم نفس النمو، مرجع سابق، ص ٨٢.

(٣) سورة الفرقان، آية ٢.

(٤) سورة نوح، آية ١٣-١٤.

(٥) سورة الحج، آية ٥.

(٦) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ٤، ص ٢٠٣٦، حديث (٢٦٤٣).

(٧) سورة النور، آية ٥٩.

وهذه المراحل تسير بطريقة منظمة ومتتابعة بشكل منطقي وحتمي، فلا يمكن أن ينتقل الجنين من النطفة إلى المضغة دون أن يمر بالعلقة، ولا يمكن للطفل أن يكون كهلاً دون أن يمر بمرحلة الشباب والبلوغ، ومع هذا الإقرار بوجود مراحل للنمو الإنساني لا بد من المرور بها إلا أن خرقاً لجميع مراحل النمو قد حدث، فقد تخطى بعض الأنبياء المراحل العمرية البشرية كما أشار الباحث إلى ذلك في مبحث الخلق الذي خرج عن السنة الجارية للإنسان. ثانياً - النمو الإنساني عملية تراكمية متمازجة (تتضمن تغيرات كمية):

يقر القرآن بأن نمو الإنسان تراكمي، وهذا يعني أن أي نمو جديد للأفراد يحتاج إلى أن يضاف إلى نمو موجود أصلاً، وبهذه الطريقة فإن النمو يبني مظهراً على مظهر آخر حتى يصل إلى مرحلة الكمال، وهو عملية متمازجة بمعنى أن كل مظاهر النمو الجسدية، والعقلية والاجتماعية والانفعالية والأخلاقية هي مظاهر متلازمة لا تنفصل عن بعضها^(١).

ومما يدل على عملية التراكم، أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان نطفة ثم علقه ثم مضغه ثم عظاماً، ثم كسا العظام لحماً، ثم أخرجه طفلاً ثم شاباً فكهلاً فشيخاً، ولا يمكن أن يكون الإنسان مضغاً دون الاعتماد على المرحلة السابقة بأن يكون علقه، والمراحل التي يمر بها الإنسان يصعب الفصل بين بداية مرحلة ونهاية أخرى فلكل مرحلة من المراحل الشروط المميزة التي لا بد من تحقيقها حتى تنتقل إلى مرحلة أخرى. فالنمو الإنساني عملية دائمة متصلة منذ بدء الحمل حتى نهاية الحياة، وكل مرحلة من مراحل النمو تتوقف على التي قبلها، ولا يوجد ثغرات أو وقفات في عملية النمو.

أما عملية التمازج، فتعني أن مظاهر النمو الجسدية والعقلية والاجتماعية والانفعالية والأخلاقية كلها مظاهر متلازمة لا تنفصل عن بعضها، فالنمو الاجتماعي للفرد يتأثر بالنمو الجسدي، فصحة الفرد الجسمية والنفسية تؤثر في علاقاته الاجتماعية، والفرد الخالي من العيوب والنواقص يقبل على النشاط الاجتماعي، بينما الذي يعاني من الأمراض والعيوب فإنه يشعر بالنقص والتوتر ويضعف نشاطه الاجتماعي، يدل على هذا التمازج قوله تعالى: ﴿وَأَبْتَلُوا أَلْيَسَمَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنَّ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾^(٢)، فالآية ذكرت النمو الجسدي - البلوغ - كمرجع أساسي في النمو مع الإشارة الصريحة إلى النضج العقلي، وهذا يدل على أن عملية النمو عملية متمازجة. وهكذا فإن طبيعة النمو من المنظور الإسلامي؛ مراحل متصلة مع بعضها لا يمكن فصلها ويشمل تغيرات كمية ونوعية.

(١) Shehu, P. 55-56

(٢) سورة النساء، آية ٦.

ولكل مرحلة من مراحل النمو خصائصها ومميزاتها، وقد أشار القرآن الكريم والحديث النبوي إلى اختلاف سمات المراحل وصفاتها عن بعضها البعض، فوصف الحق سبحانه وتعالى مراحل نمو الإنسان بالضعف والقوة، يقول سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ (١)، فالضعف الأول في الآية الكريمة يشير إلى معانٍ ومظاهر شتى، إنه ضعف البنية الجسدية في الخلية الصغيرة التي ينشأ منها الجنين، والجنين في أطواره المختلفة يكون واهناً ضعيفاً، والكيان النفسي يكون ضعيفاً أمام النوازع والميول والشهوات ثم يتدرج فيتحول هذا الضعف إلى قوة في الكيان الجسدي وفي البناء الإنساني وفي التكوين النفسي والعقلي، وفي مرحلة الشيخوخة يعود الكيان الإنساني كله إلى ضعف الطفولة وانحدارها بكل ظواهرها، ويصاحبها انحدار نفسي ناشئ عن ضعف الإرادة حتى ليهفو الشيخ كما يهفو الطفل ومع الشيخوخة الشيب الذي يذكر تشخيصاً لها (٢).

المبحث الرابع - النمو غير السوي "مشكلات النمو"

تقع مسؤولية مراقبة الطفل وملاحظته وتوجيهه على الأبوين معاً في شتى مراحل نموه، فكلاهما يتقاسمان ويتحملان تبعات المسؤولية، فإن كان الوالدان أو من يقوم مكانهما بالتربية والتعلم على مستوى المسؤولية تمتعاً بأبناء صالحين سليمين بعيدين عن كافة مظاهر النمو غير السوي "مشكلات النمو"، وكانت الأسرة طيبة ولبنة مهمة في المجتمع، أما إذا قصر الوالدان، فإن مظاهر النمو غير السوي تنفسي بالأبناء يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوَّةً أَنْفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقَوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (٣)، ويقول ﷺ: "كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، الأمام راعٍ ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيته... (٤)".

وتتعدد مظاهر النمو غير السوي في فئات المجتمع، فهناك مثلاً النمو العقلي غير الطبيعي، والذي من مظاهره التخلف العقلي، واضطرابات التعلم، والنمو الانفعالي غير السوي، ومن مظاهره النشاط المفرط والعدوان والعصبية والقلق والاكتئاب، والنمو الجسدي

(١) سورة الروم، آية ٥٤.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٢٧٧٦-٢٧٧٧.

(٣) سورة التحريم، آية ٦.

(٤) رواه البخاري، صحيح البخاري، ج ٢، ص ٨٤٨، حديث (٢٢٧٨).

غير الطبيعي ومن مظاهره الإعاقة الحركية والحسية وغيرها، وقد أفاض علماء نفس النمو في بحث مظاهر النمو غير السوي وما زالت الدراسات والأبحاث تجري لمعالجة مظاهر النمو غير الطبيعي.

والسؤال الذي يُطرح هو: هل أشار الإسلام إلى مظاهر النمو غير السوي؟ وكيف عالج هذه المظاهر؟ لا شك أن الإسلام قد أفرد مساحات واسعة لمظاهر النمو غير السوي بصورتها الإجمالية التي تحتاج إلى دراسات مستقلة، وأرشد ووجه إلى كيفية التعامل مع هذه المشكلات، وسيكتفي الباحث بالإشارة إلى بعض مظاهر النمو غير السوي في مختلف المظاهر النمائية.

المطلب الأول - مظاهر النمو غير السوي المتعلقة بالنمو الجسدي والنمو الحسي

والنمو العقلي "الإعاقات"

الإعاقة "حالة تحد من مقدرة الفرد على القيام بوظيفة واحدة أو أكثر من الوظائف التي تُعد من العناصر الأساسية لحياتنا اليومية، من قبيل العناية بالذات أو ممارسة العلاقات الاجتماعية أو النشاطات الاقتصادية، وذلك ضمن الحدود التي تُعد طبيعية، وقد تنشأ الإعاقة بسبب خلل جسدي أو عصبي أو عقلي ذي طبيعة فسيولوجية أو سيكولوجية أو تتعلق بالتركيب البنائي للجسم"^(١)، وقد دعا الإسلام إلى الوقاية من كافة الإعاقات قبل وقوعها من خلال الاهتمام بتكوين الأسرة والاهتمام بالتربية الغذائية والنظافة والبعد عن الإرهاق والتعب وغيرها من العوامل التي تؤثر في النمو الإنساني. وقد أشار القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة إلى مجموعة من الإعاقات التي تتعلق بمختلف مظاهر النمو الإنساني منها:

الفرع الأول - الإعاقات المتعلقة بالنمو الجسدي

تتعدد أسباب الإعاقات الجسدية، فقد يولد الإنسان معوقاً جسدياً، نتيجة تعرض الأم لإشعاع أو تناولها لعقاقير، أو أن الإنسان يتعرض لحادث ما في حياته، مما يسبب له الإعاقة، وقد أشار كل من القرآن الكريم والسنة المطهرة إلى مظاهر الإعاقات الجسدية، يقول سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ﴾^(٢) ويقول سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى

(١) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، قراءات في التربية الخاصة وتأهيل المعوقين، تونس، ١٩٨٢، ص ٨.

(٢) سورة النور، آية ٦١.

الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١﴾.

إن المتأمل في الآيتين الكريمتين يلحظ بوضوح بيان الآيتين للإعاقات الجسدية مثل العرج والعمى، فالآية الأولى تدمج أصحاب الإعاقات في المجتمع الذي يعيشون فيه فبينت عدم الحرج والإثم في مواكبة أصحاب الإعاقات، أما الآية الثانية فهي ترخص لأصحاب الإعاقات في التخلف عن الجهاد بلا عقاب لوجود العذر.

والسنة النبوية بينت بعض الإعاقات الجسدية فعن إبراهيم بن ميسرة أنه سمع عمرو بن الشريد يحدث عن أبيه أن النبي ﷺ تبع رجلاً من ثقيف حتى هروا في أثره حتى أخذ ثوبه فقال: ارفع إزارك، فكشف الرجل عن ركبتيه أي أحنف^(٢) وتصطك ركبتي، فقال رسول الله ﷺ: "كل خلق الله حسن"، قال ولم ير ذلك الرجل إلا وإزاره إلى إنصاف ساقيه حتى مات^(٣)، أن الحديث الشريف يشير بوضوح إلى إعاقة تتعلق بحركة الرجلين، وهو اعوجاج الساقين إلى الداخل وبالتالي اضطرابهما في حركة المشي، ولكن هذه الإعاقة لم تكن بسبب حادث، وإنما هي خلق من الله سبحانه وتعالى ينبغي الرضا بها والصبر عليها، وأراد الرسول ﷺ من الرجل أن لا يشعر بالضعف من رؤية الآخرين لإعاقة.

الفرع الثاني - الإعاقات المتعلقة بنمو الحواس

يقول سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ﴾^(٤)، ويقول سبحانه: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿٥﴾﴾، إن الآيات الكريمة تشير بوضوح إلى إعاقة تتعلق بالحواس وهي العمى، ولأجل هذه الإعاقة رفع الله سبحانه وتعالى الجهاد عن المبتلى بها، بل إن الله سبحانه وتعالى عاتب النبي ﷺ من أجل ابن أم مكتوم الذي هو مبتلى بهذه الإعاقة، يقول صاحب الظلال: "وهنا يجئ العتاب من الله العلي الأعلى لنبيه الكريم، صاحب الخلق العظيم في أسلوب عنيف شديد وللمرة الوحيدة في القرآن كله يقال للرسول الحبيب "كلا" وهي كلمة ردع وزجر في الخطاب!^(٦)، وقد عبر القرآن الكريم بالأعمى ترقيقاً للنبي، وليكون

(١) سورة الفتح، آية ١٧.

(٢) الأحنف، معوج الساقين إلى الداخل.

(٣) رواه أحمد، المسند، ج ٤، ص ٣٩٠، حديث رقم (١٩٤٩٠)، صححه الألباني، انظر: السلسلة الصحيحة، حديث رقم (١٤٤١).

(٤) سورة النور، آية ٦١.

(٥) سورة عبس، آية ٢-١.

(٦) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٣٨٢٤/٦.

العتاب من باب كونه صاحب ضرارة فهو الأجدر بالعناية، لأن مثله يكون سريعاً إلى انكسار خاطره، لذا كان النبي ﷺ يحبه ويكرمه وقد استخلفه على المدينة في خروجه للغزوات وكان يؤنن للنبي ﷺ^(١).

وقد وردت في السنة إشارات واضحة إلى ضرورة مراعاة أصحاب مثل هذه الإعاقات، يقول ﷺ: "لعن الله من كره الأعمى عن السبيل..."^(٢)، وعن أبي ذر، قال: قال رسول الله ﷺ: "على كل نفس كل يوم طلعت فيه الشمس صدقة منه على نفسه، قلت: يا رسول الله من أين أتصدق وليس لنا أموال.... وذكر منها وتسمع الأصم وتهدي الأعمى"^(٣)، وكان القرآن الكريم لما ينزل يراعي أحوال أصحاب الإعاقات، فعن البراء، قال لما نزلت "لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله"، قال النبي ﷺ ادع لي زيدا وليجئ باللوح والداة والكتف أو الكتف والداة، ثم قال: اكتب لا يستوي القاعدون وخلف ظهر النبي ﷺ عمرو بن أم مكتوم الأعمى، قال يا رسول الله فما تأمرني، فأني رجل ضرير البصر، فنزلت مكانها لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله غير أولي الضرر"^(٤).

الفرع الثالث - الإعاقات المتعلقة بالنمو العقلي

ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة إشارات واضحة إلى إعاقات متعلقة بالنمو العقلي، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعِلَّ هُوَ فَلْيَمَلَّ لَهُ بِالْعَدْلِ وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ ﴾^(٥)، والسفيه هو مختل العقل^(٦)، فالآية الكريمة تدل بوضوح على أن المدين إذا كان سفيها لا يحسن تدبير أمره أو صغيراً ضعيفاً، أو لا يستطيع لأي سبب من الأسباب الحسية والعقلية فليممل ولي أمره القيم عليه^(٧).

(١) محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ٩٢/٣٠.

(٢) رواه الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٤، ص ٣٩٦، حديث رقم (٨٠٥٢)، صححه الألباني، انظر: السلسلة الصحيحة، حديث رقم (٣٤٦٢).

(٣) رواه ابن حبان، صحيح ابن حبان، ج ٨، ص ١٧١، طرف حديث رقم (٣٣٧٧)، صححه الألباني، انظر: السلسلة الصحيحة، حديث رقم (٥٧٥).

(٤) رواه البخاري، صحيح البخاري، ١٩٠٩/٤، طرف الحديث (٤٧٠٤).

(٥) سورة البقرة، آية ٢٨٢.

(٦) محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج ٢، ص ٥٧٠.

(٧) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٣٣٥٠/١.

ويقول سبحانه: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾^(١) السفاهة خفة العقل واضطرابه، ومن السفاهة ارتكاب الأعمال التي لا يرضى بها أهل المروءة^(٢).

وفي السنة النبوية ما حدث به عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس، ألا أريك امرأة من أهل الجنة، قلت بلى قال: هذه المرأة السوداء أنت النبي ﷺ فقالت: أني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي، قال إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك، قالت أصبر، قالت: فإني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف فدعا لها^(٣). فالحديث الشريف يدل دلالة واضحة على أن المرأة مصابة بمرض عقلي يجعلها تفقد وعيها وهذا المرض هو مرض الصرع المعروف لدى الأطباء.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن امرأة كان في عقلها شيء، فقالت: يا رسول الله إن لي إليك حاجة فقال يا أم فلان انظري أي السكك شئت حتى أقضي لك حاجتك، فخلا معها في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها^(٤).

الفرع الرابع - التعامل مع المعوقين من منظور إسلامي

أولاً - يرى الإسلام أن ما يعانيه المعوق من الإعاقة لا ينقص من كرامته الإنسانية ولا يحط من قيمته في الحياة، فالإعاقة الحقيقية هي التي تصيب الذات في الدين والخلق، وما على الإنسان إلا أن يقارن بين فقد البصر وفقد الشرف، وبين بتر اليد وبتر الأخلاق، فالمقارنة تحمل الشخص المصاب على الرضا، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾^(٥)^(٦).

ثانياً - يرى الإسلام أن المعوق إنسان مبتلى من الله سبحانه وتعالى والحق سبحانه يخبر أن ما حرمه إياه من صفات جسدية وحسية وعقلية سوف يعوض له يوم القيامة إذا هو صبر على بلواه وجعل نفسه راضية بقضاء الله وقدره. يقول ﷺ: "إن الله قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة"^(٧). وقد حث الإسلام المبتلى على الصبر حتى لا يصاب

(١) سورة النساء، آية ٥.

(٢) محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتوير، مرجع سابق، ١/٧٠٦.

(٣) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٩٩٤، حديث رقم (٢٥٧٦).

(٤) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٨١٣، حديث رقم (٢٣٢٦).

(٥) سورة الحج، آية ٤٦.

(٦) رشاد علي موسى، الإرشاد النفسي في حياتنا اليومية في ضوء الوحي الإلهي والهدى النبوي، القاهرة، الفاردة الحديثة للطباعة، ط ١، ٢٠٠١م، ص ٢١٦.

(٧) رواه البخاري، صحيح البخاري، ج ٥، ص ١٢٤٠، حديث رقم (٥٣٢٩).

باليأس والقنوط، وذلك بأن نطمئن قلوبهم بوعد الله بالأجر العظيم يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾^(١). ولقد عمل الرسول ﷺ على إيجاد الطمأنينة عند المصاب من المسلمين بأن ما أصابه يعدّ قضاءً وقدرًا، وأن الحق سبحانه لا يريد لعبده المؤمن إلا الخير في دنياه وآخرته، يقول ﷺ: "عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له"^(٢).

ثالثاً - يرى الإسلام أن للمعوق كمال الأهلية إلا ما نجده بالنسبة للأمراض العقلية التي تفقده تحكمه في سلوكه سواء أكانت بصورة دائمة أم بصورة منقطعة، يقول ﷺ: "رفع القلم عن ثلاث ... والمجنون حتى يفيق"^(٣)، وأما أصحاب الإعاقات الأخرى فلهم كمال الأهلية إلا أن الله رفع الحرج عنهم في بعض الأعمال، يقول سبحانه: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ﴾^(٤). وبهذا فإن الله سبحانه وتعالى منح المعوقين رخصاً وامتيازات ليست لغيرهم، لذا فواجبنا مراعاة الفروق الفردية بينهم وبين الآخرين ومنحهم الرخص والامتيازات كما منحهم إياها رب العزة سبحانه وتعالى.

رابعاً - يحفظ الإسلام الاعتبار الأدبي للمعوقين؛ سواء أكان ذلك من خلال القواعد العامة الشاملة في تعامل المسلمين أو من خلال القواعد الخاصة التي تخصهم بالذكر، فمن القواعد العامة حرم الإسلام كل ما يخل بتكريم الإنسان مثل السخرية والاستهزاء، يقول سبحانه: ﴿لَا يَسْخَرُونَ قَوْمًا مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللِّقَابِ﴾^(٥). وكذلك إنزال الناس منازلهم تبعاً لما يتصفون به من تقوى، يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِن أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَنكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٦). فهذه القواعد تعالج الشعور بالنقص الذي تتركه الإعاقة في نفس المعاق بإرشاده إلى ميدان العمل الصالح الذي يتفاضل فيه الناس بالتقوى، فالتقوى والعمل الصالح هما معيار التفاضل بين الناس، لذا فقد أفسح الإسلام المجال للجميع في ميدان السبق، فإن أدرك صاحب الإعاقة ذلك واستقر في نفسه أن إعاقته لا تحول بينه وبين السبق في ميدان التقوى والخير

(١) سورة البقرة، آية ١٥٥.

(٢) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ٤، ص ٢٢٩٥، حديث رقم (٢٩٩٩).

(٣) رواه ابن حبان، صحيح ابن حبان، ج ١، ص ٣٥٥، حديث رقم (١٤٢).

(٤) سورة الفتح، آية ١٧.

(٥) سورة الحجرات، آية ١١.

(٦) سورة الحجرات، آية ١٣.

وبالتالي الفوز بالجنة فإنه يبذل طاقته في سبيل تحقيق سبق يقول ﷺ: "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن إنما ينظر إلى أعمالكم وقلوبكم"^(١)، ومن القواعد الخاصة التي تحفظ اعتبار المعوقين أن النبي ﷺ أطلق عليهم أصحاب البلاء والمصاب، فعن أنس بن مالك: أن رجلاً مرّ برسول الله ﷺ، فقال رجل من الحاضرين: يا رسول الله، هذا مجنون، فأقبل النبي ﷺ فقال أقلت مجنون؟ إنما المجنون المقيم على المعصية ولكن هذا مصاب"^(٢)، ومن القواعد الخاصة بث الثقة في نفس المعوق، والتركيز على الجوانب الإيجابية لديه، مما يشعره بفاعليته في المجتمع، فعن مصعب بن سعد قال: رأى سعد أن له فضلاً على من دونه، فقال النبي ﷺ هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم"^(٣).

خامساً - يعمل الإسلام على دمج المعوقين في المجتمعات التي يعيشون فيها، وعدم استبعادهم عنها بل وتوجيههم نحو العمل المناسب، يقول سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾^(٤)، فقد قيل: إن هذه الآية نزلت ترخيصاً للمسلمين في الأكل مع أصحاب الأعذار، حيث إنهم كانوا يخرجون من الأكل معهم، لأن الأكل مع الأعمى الذي لا يرى الطعام وما فيه من الطيبات فربما سبقه غيره إلى ذلك، والأعرج لأنه لا يتمكن من الجلوس فيقتات عليه جلسه، والمريض لا يستوفي من الطعام كغيره، فكرهوا أن يؤكلوهم حتى لا يظلموهم"^(٥)، فنزلت هذه الآيات حائثة على مشاركتهم الطعام والشراب دون بأس.

والإعاقة لا تمنع كذلك من وجود القدرات الإبداعية، وهذا ما كان يفعله رسول الله ﷺ فكان يستخلف عبد الله ابن أم مكتوم على المدينة عندما يخرج في بعض غزواته، يأمره أن يؤذن، للمسلمين يقول ﷺ: "إن بلالاً يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى تسمعوا تآذين ابن أم مكتوم"^(٦)، ويجب كذلك على المعوق أن يقوم بالواجبات التي توكل إليه قدر استطاعته فعن ابن أم مكتوم أنه سأل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني رجل ضرير البصر شاسع الدار ولي قائد

(١) علاء الدين المتقي، كنز العمال، طرف الحديث (٧٢٥٧)، صححه الألباني، انظر: صحيح وضعيف الجامع الصغير، حديث رقم (١٨٦٢).

(٢) رشاد موسى، الإرشاد النفسي في حياتنا اليومية، مرجع سابق، ص ٢١٦.

(٣) علاء الدين المتقي، كنز العمال، طرف الحديث (١٠٤٥٣).

(٤) رواه البخاري، صحيح البخاري، ج ٣، ص ١٠٦١، حديث رقم (٢٧٣٩).

(٥) سورة النور، آية ٦١.

(٦) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج ٣، ص ٢٩٤.

(٧) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ٢، ص ٧٦٨، حديث رقم (١٠٩٢).

لا يلائمني، فهل لي رخصه أن أصلي في بيتي، قال هل تسمع النداء، قال نعم قال لا أجد لك رخصة^(١).

سادساً - يؤكد الإسلام على حقوق المعوقين المادية والمعنوية؛ يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾^(٢)، فالسفيه كما أشار الباحث سابقاً هو مختل العقل، ولكن له حق الكسوة والنفقة والمعاملة الحسنة كما تدل الآيات وكذا للمعاق حق التعلم، يدل على هذا حادثة ابن أم مكتوم مع النبي ﷺ في مناسبة نزول سورة عبس، وقد اهتم الفقهاء بتعليم المعاقين، فحرصوا على اختيار الطرق المناسبة للتعليم - كتعليم الكتابة للصم والبكم - وذلك بكتابة الكلمة على لوح ثم عرض الكتابة وعرض الصورة لما تدل عليه ليربط بين الخط المكتوب وما يدل عليه^(٣)، يقول ابن عابدين: "اعترض المقدس، بأن الأخرس الخلقي لا يعرف الكتابة ولا يمكن تعريفه إياها لأنها بإزاء الألفاظ المركبة من الحروف، وهو لا ينطق ولا يسمع النطق، أقول يمكن ذلك بتعريفه أن المعنى الفلاني يدل عليه بهذه الحروف المنقوشة على هذه الصورة"^(٤).

وللمعاق حق العمل كما دل على ذلك عمل ابن أم مكتوم مع النبي ﷺ وكذا حقه في الزواج: "لقد أكد الإسلام حق المعاق في حياة كريمة تقضى فيها مطالبه وحاجاته النفسية والجسدية والاجتماعية.... فلا تمنع الإعاقة ما له وما عليه من حقوق وواجبات... لذا ينبغي أن يأخذ المعاق حقوقه ويؤدي دوره في الحياة، ومن جملة هذه الحقوق الزواج، فعندما نتأمل النصوص الإسلامية التي تتضمن مبدأ الرفض أو القبول لنكاح المتقدم للزواج نجدها بمعياريين هما: الدين والخلق"^(٥)، ولا نجد ما يمنع المعاق من الزواج.

وأخيراً فإن من أهم حقوق المعوق ضرورة السعي لعلاجهم من إعاقته، فكثير من الإعاقات يمكن أن تعالج، وخاصة مع تقدم الطب، فقد أكد النبي ﷺ غير مرة مبدأ التداوي من الأمراض، والإعاقة في حد ذاتها مرض، وقد عرفت الحضارة الإسلامية مختلف أنواع المستشفيات التي تعالج مختلف الأمراض سواء أكانت جسدية أم نفسية أم عقلية.

(١) رواه أبو داود، سنن أبي داود، ج ١، ص ١٥١، حديث رقم (٥٥٢)، قال الألباني حديث حسن صحيح.

(٢) سورة النساء، آية ٥.

(٣) أيمن محمد عبد العزيز، دراسة تحليلية لبعض القضايا التربوية في المذهب الحنفي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أسيوط، كلية التربية، ٢٠٠٣م، ص ١٩٤.

(٤) عن ابن عابدين، رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار، القاهرة، المطبعة الأميرية، ص ١٣٢٣.

(٥) رشاد موسى، الإرشاد النفسي في حياتنا اليومية، مرجع سابق، ص ٢٣٥.

المطلب الثاني - مظاهر النمو غير السوي المتعلقة بالنمو الجنسي والأخلاقي

يمارس الشباب وغيرهم من فئات المجتمع سلوكيات تعدّ من الظواهر الدالة على نمو غير طبيعي فيما يتعلق بالنمو الجنسي والأخلاقي، منها العادة السرية، والجنسية المثلية (اللواط) والزنا، والتي تسبب العديد من الأمراض الجنسية، وفيما يلي عرض موجز لهذه المظاهر ثم بيان التعامل الإسلامي مع المسألة الجنسية.

الفرع الأول - العادة السرية

هي سلوك فردي يلجأ إليه المراهق بعد تعرضه لما يثير الدافع الجنسي في نفسه. وتعدد أسباب إقدام الشخص على هذه الممارسة منها القراءة للقصاص الهابطة أو النظر إلى الصور الخليعة، فلا يجد سبيلاً لخفض حدة التوتر إلا بوساطة ذلك الأعضاء التناسلية إذ تنخفض حدة التوتر بعد الإنزال^(١)، وهذا التصرف مضر بالنمو الجسمي والنفسي للفرد، فيجعله منهك القوى، ضعيف الجسم، غير قادر على أداء الأعمال، ويشعر الفرد أنه قد ارتكب إثماً وأمرأ مخجلاً مما يؤدي إلى العزلة الاجتماعية، والخوف أن تستحكم هذه العادة عند الفرد. يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ يُفْرُوهُمْ حَافِظُونَ ﴾^(٢) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مُلُومِينَ ﴿ فَمَنْ آتَىٰ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾^(٣)، يقول ابن كثير: " وقد استدل الإمام الشافعي - رحمه الله - ومن وافقه على تحريم الاستمنااء باليد بهذه الآية....."^(٤).

الفرع الثاني - الجنسية المثلية (اللواط)

وهو سلوك جنسي منحرف حيث تتم الممارسة الجنسية بين ذكرين، وفيه تعطيل للفترة التي فطر الله عليها سائر المخلوقات^(٥)، وقد شنع القرآن الكريم هذه الفعلة، يقول سبحانه: ﴿ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِمِ اتَّاتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾^(٦) أَيْتُكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ ۗ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّجْهَلُونَ ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِمَ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ﴾^(٧)، ويقول سبحانه: ﴿ وَلَوْطًا إِذْ قَالَ

(١) محمد السيد الزعبلوي، تربية المراهق، مرجع سابق، ص ٤٤٩.

(٢) سورة المعارج، آية ٢٩-٣١.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق.

(٤) محمد الزعبلوي، تربية المراهق في الإسلام وعلم النفس، مرجع سابق، ص ٤٥٠.

(٥) سورة النمل، آية ٥٤-٥٨.

لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَنْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾، ويقول ﷺ:
من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به^(١).

فهذا العمل من أشنع الجرائم الجنسية، ففيه مهانة وإذلال للنفس، والنفوس السوية تعاف
الفعل وتشمئز منه، وهو سبب في انتشار الأمراض الجنسية المختلفة، لذا حرم الله سبحانه
وتعالى هذا الفعل المنافي للفطرة، وعاقب عليه في الدنيا قبل الآخرة^(٢).
الفرع الثالث - الزنا

حرم الإسلام الزنا وجعل له عقوبة من الله سبحانه وتعالى، يقول سبحانه وتعالى:
﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ
تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهِدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

والزنا من أكبر أسباب الفساد وانحطاط الأدب ومن أكبر البواعث على الفجور، فهو
يسبب أمراضاً عدة، من أبرزها في العصر الحديث مرض الإيدز أو نقص المناعة المكتسبة،
وأضرار الزنا خلقية فهو يظهر طبيعة منحلة في المجتمع، وله أضرار مادية حيث تقل حوافز
العمل في المجتمع الذي تنتشر فيه هذه الأمراض، إضافة إلى الأضرار المالية حيث تنفق
الأموال الطائلة في علاج من يصابون بهذه الأمراض، مما يؤدي إلى حرمان المجتمع من
طاقات بشرية ممن أصيبوا بأمراض الجنس^(٤)، والعجب أن الدول الغربية رأت في الزنا
والبغاء مورداً مالياً لا يستهان به فنظمته تنظيمات دقيقة وسنت القوانين له، وكان لليهود دور
كبير في توسيع نطاقه حسب دعواتهم التلمودية التي تهدف إلى هدم القيم في المجتمعات^(٥).

فمثل هذه الممارسات تسبب العديد من الأمراض الجنسية التي تؤثر في مختلف مظاهر
النمو، ومن هذه الأمراض مثلاً مرض السفلس (الزهري) الذي ينتج عن الممارسات غير
الشرعية مثل: الزنا حيث يصاب الفرد بعد أيام من جريمة الزنا ببثرة غير مؤلمة في عضوه
التناسلي، ثم تزول هذه البثرة لتحل جرثومة بالدم، وبعد سنة أو سنتين، تظهر عليه بقع حمراء
نحاسية في مختلف أنحاء جسمه، ويغفل المريض عن مراجعة الطبيب لتستمر جرثومة المرض

(١) سورة العنكبوت، آية ٢٨-٢٩.

(٢) رواه أحمد، المسند، ج ١، ص ٣٠٠، حديث رقم (٢٧٣٢)، صححه الألباني، انظر: صحيح وضعيف الجامع الصغير، حديث
رقم (٦٥٨٩).

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٤/١٩١٢.

(٤) سورة النور، آية ٢.

(٥) أحمد ضياء الدين، التربية الوقائية في الإسلام، عمان، الأردن، دار الفرقان، ط ١، ٢٠٠٥م، ص ٢٧٦.

(٦) أنور الجندي، مفاهيم العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق في ضوء الإسلام، مرجع سابق، ص ١٥٥.

تنتقل في جسمه حتى تستقر في قلبه أو قرحة في كبده وغير ذلك من الأمراض^(١)، ومن الأمراض كذلك الإيدز، ففيروس الإيدز لا ينتشر في أكثر حالاته إلا من خلال الإباحية والفوضى الجنسية والإدمان على المخدرات، وانتشار السياحة من أجل الجنس، وهو مرتبط بالسلوك الشخصي بالدرجة الأولى وثمة مفارقة حادة تختص بهذا الوباء، إذ نجد أن معالجته مستعصية إلى درجة الاستحالة فالموت مصير كل مصاب، وفي الوقت نفسه فإن الوقاية منه سهلة إلى درجة أن كل إنسان لم يصب بهذا المرض يملك الوقاية التامة منه من خلال الالتزام بالمنهج الإلهي، إذ لكل شهوة في الإسلام قناة نظيفة تتحرك فيها^(٢).

وثمة مظاهر أخرى تدل على نمو جنسي غير سوي، مثل السحاق وهو ممارسة الجنس بين المرأة والمرأة فتمثل احدهن دور الرجل والأخرى دور المرأة. ومن المظاهر الحيوانية أي ممارسة الجنس مع الحيوانات^(٣).

الفرع الرابع - التعامل الإسلامي مع المسألة الجنسية

يعترف الإسلام بالطاقة الجنسية للإنسان أصرح اعتراف تصبو إليه الإنسانية، ولكنه لا يعترف بالجنس ضرورة هابطة ولا خلسة تختلس في جنح الظلام، بل يرفعها ويطهرها ويسلط عليها الضوء، ولا أدل على ذلك من عدة ممارسة الجنس جزءاً من العبادة، يقول ﷺ: "... وفي بضع أحدكم صدقة..."^(٤). أي أن الإنسان مثاب على ممارسة الجنس مع زوجته، ولا أدل على طهارة الجنس ونظافته في الإسلام من أن المسلم مأمور قبل اللقاء الجنسي مع زوجته أن يذكر اسم الله، فهذا يدل دلالة قاطعة على مدى نظافة الجنس في حس المسلم فإذا ذكر الله فهو دلالة على اطمئنانه وأنه مقدم على عمل نظيف يستأهل هذا الاسم الكريم، ولكن الإسلام يضع الضوابط بعد هذا الاعتراف التي تقي الإنسان من أن يقع في الممارسات الجنسية الخاطئة، فدعا إلى جملة من الإجراءات التي هي وقائية وعلاجية من الإصابة بمظاهر النمو الجنسي غير الطبيعي منها:

أولاً - الاهتمام بالتربية الجنسية

لقد أمر الله سبحانه وتعالى المسلمين أن يتدبروا القرآن الكريم ويفهموا السنة النبوية المطهرة، فيتعلموا ما فيهما من أحكام شرعية وعلاقات اجتماعية، وقد تحدث القرآن بألفاظ واضحة عن أمور تتعلق بالممارسات الجنسية، فعندما يقرأ الإنسان المسلم في صفات المتقين

(١) خليل شومان، الطب الوقائي في القرآن، مرجع سابق، ص ١٣٨.

(٢) محمد راتب النابلسي، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ص ٣٩٤.

(٣) انظر: مروان القيسي، الإسلام والمسألة الجنسية، ط١، ١٩٨٥م.

(٤) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج٢، ص ٦٩٧، طرف حديث (١٠٠٦).

المؤمنين أنهم لفروجهم حافظون، فيثور في نفسه ما معنى الفرج، ويتساءل عن كثير من الكلمات مثل الزنا والحيض والنفاس والفاحشة، ألا يُعدُّ حديث القرآن الكريم هذا تربية جنسية؟ إن التربية الجنسية "عملية تربية تساعد الناشئة والدارسين على اكتساب جملة التصورات والحقائق والمعارف والمفاهيم والقيم والاتجاهات والعادات السليمة والصحيحة التي ترتبط بالجنس والسلوك الجنسي كحقيقة بيولوجية واجتماعية، بهدف تحصين الناشئة والأفراد بالقيم والاتجاهات الإيجابية اللازمة لتوجيه الدافع الجنسي في إطاره الشرعي، ومساعدتهم على اتخاذ القرارات المستقبلية المسؤولة عن تكوين الأسرة السعيدة في إطار القيم الدينية والمعايير الاجتماعية التي يؤمن بها المجتمع الإسلامي، من أجل تحقيق صحة الفرد، وسعادته وطهارة المجتمع^(١)، وهي ليست مناقشة الطفل في الأمور الجنسية، كما أنها ليست إعطاء المعرفة العلمية المتعلقة بالجهاز التناسلي، وإنما تربية الأحاسيس والإرادة عند الفرد وهذا لا ينجز بيوم واحد، وتهدف إلى^(٢):

- أ- إكساب الفرد المعارف الصحيحة عن الجنس بصفته وسيلة عملية للتكاثر البشري.
 - ب- إدراك الآثار المترتبة على استخدام الجنس في إطاره غير الشرعي، وتجنب الوقوع في أخطاء التجارب الجنسية التي يتعرض لها الفرد بدافع الرغبة أو الجهل بالأمور الجنسية.
 - ت- تسليح الفرد بالمبادئ والقيم والاتجاهات الإيجابية المرتبطة بالجنس والسلوك الجنسي.
- ويمكن الاستفادة في موضوع التربية الجنسية من كتب الفقه ولا سيما الأبواب المتعلقة بالطهارة والغسل. فيتعلم الفرد أحكام البلوغ والغسل والجنابة بسبب الحيض عند اقتراب سن الفرد من هذه المراحل، فتقديم المعلومة من قبل الوالدين أو أحدهما يحمي الطفل من الأساليب الشاذة التي تكون عادات جنسية منحرفة تترك أثراً في شخصية الفرد طوال حياته، ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة في التعامل مع الأسئلة ذات الصيغة الجنسية، يدل على ذلك حديث أم سلمة التي أخبرت بسؤال أم سليم للنبي ﷺ.

ثانياً - الحث على الزواج المبكر

يعدّ الزواج المبكر من أقوى العوامل الإصلاحية التي تتقذ الشباب والشابات مما يواجههم من تحديات، وما يكتنفهم من مفاصد خلقية وممارسات جنسية محرمة، يقول ﷺ: " من استطاع الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء"^(٣)، فالزواج المبكر يحفظ الفرد من أن يمارس السلوكيات المنحرفة الشاذة مثل العادة

(١) الحسيني معدي، التربية الجنسية بين الفكر الإسلامي والغربي، مصر، فكر الشيخ، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٥م، ص ٤١.

(٢) المرجع السابق، ص ١٢٢-١٢٣.

(٣) رواه البخاري، صحيح البخاري، ج٢، ص ٦٧٤، حديث رقم (١٨٠٦).

السرية أو اللواط، ويحفظ المجتمع من الانحلال الخلقي، ويمنع انتشار الأمراض الفتاكة التي تنتشر نتيجة الانحراف والاتصال غير المشروع، إضافة إلى أنه يؤثر في النمو الاجتماعي للشخص، فتنشأ علاقة المودة والألفة بشكل مبكر بين الزوجين، ويوسع دائرة العلاقات الاجتماعية للإنسان.

ثالثاً - الانتفاع بالوقت

نظراً لأهمية الوقت عند الله سبحانه وتعالى، فقد أقسم به، إذ نجد هذا في مطالع السور القرآنية يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا﴾، ويقول: ﴿وَالعَصْرُ﴾^(١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خُسْرٌ وقد نظم الإسلام أوقات الإنسان من ليل ونهار، وطلب منه أن يستغل هذه الأوقات حتى لا تذهب هباءً منثوراً، فمن العوامل الأساسية لانحراف الأشخاص خاصة الصبيان والشباب الفراغ، لذا ينبغي توجيه الشباب إلى كل ما هو نافع في أوقات الفراغ وإلا لكان أثر ذلك شذوذاً وانحرافاً.

رابعاً - تربية الفرد على خلق الحياء

جعل الإسلام الحياء من الإيمان، يقول ﷺ الحياء من الإيمان^(١)، ويقتضي خلق الحياء من الله تعالى بأن لا يفعل الإنسان الرذائل، ثم حياء المرء من نفسه أن يفعل أمراً يرفضه قلبه وضميره، لذا قال ﷺ "إذا لم تستح فاصنع ما شئت"^(٢)، فينبغي أن يربي الإنسان على خلق الحياء لأنه يتطلب أن يكون في تصرفاته ومعاملاته في حالة سكينة ووقار.

خامساً - تربية الفرد على آداب الاستئذان وغض البصر

يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَعِذِنَكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾^(٣)، فأدب الاستئذان يغفله بعض الناس في حياتهم الاجتماعية والمنزلية غير مباليين بأثاره النفسية والعصبية والخلقية، وقد بينت الدراسات الآثار السلبية التي تقع في نفوس الأطفال جراء رؤيتهم لأبائهم وأمهاتهم على حين غرة في أوقات راحتهم^(٤)، فهذه المناظر والمشاهدات قد تسبب انحراف الفرد الجنسي فيمارس السلوكات المنحرفة التي أشرنا إليها سابقاً، وبجانب أدب الاستئذان حث الإسلام على غض البصر، يقول سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ

(١) رواه الطبراني، المعجم الأوسط، ١٩٣/٥، حديث رقم (٥٠٥٥)، صححه الألباني، انظر: صحيح وضعيف الجامع الصغير، حديث رقم (٣١٩٧).

(٢) رواه البخاري، صحيح البخاري، ج ٣، ص ١٢٨٥، حديث رقم (٣٢٩٦).

(٣) سورة النور، آية ٥٨.

(٤) محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، مرجع سابق، ص ٥٤.

أَبْصَرِهِمْ وَحَفِّظُوا لُفُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿١١﴾، فغض البصر من جانب الرجال والنساء هو محاولة للاستعلاء على الرغبة بالاطلاع على المحاسن الموجودة في الوجه والأجسام، وفيه إغلاق للنافذة الأولى من نوافذ الفتنة والانحراف بل هو محاولة عملية للحيلولة دون وصول السم^(٢). فأفضل وسيلة للسيطرة على الدوافع الجنسية من الانحراف هي غرض البصر، كون عمليات الاستثارة المستمرة تنتهي إلى سعار شهواني لا ينطفئ ولا يرتوي.

سادساً - المحافظة على صيام التطوع

يقول ﷺ: "ومن لم يستطع فعله بالصوم فإنه له وجاء"^(٣)، ويوجه النبي ﷺ إلى الصوم كونه يسيطر على الرغبات الجنسية، فالامتناع عن الطعام والشراب يضعف القوة الجسدية وبالتالي يضعف الرغبة الجنسية، وكثرة الصوم تربي في النفس مراقبة الله سبحانه وتعالى والقرب منه ومحبته، وتورث الإرادة القوية التي تجعل الإنسان يقف بثبات وشجاعة أمام كل التحديات ووساوس الشيطان، فالصوم يمرن الإرادة على التحكم بالرغبات والشهوات.

سابعاً - تنظيم الممارسة الجنسية مع الزوجة

بين الإسلام طريقة الممارسة الجنسية مع الزوجة بتنظيمها وبيان كيفية الجماع الجائز والأوقات التي ينهى فيها عن الجماع، وهذا يعود بالفائدة على الإنسان، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعَزُّ لَوْلَا النَّسَاءُ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وَمُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾^(٤)، فالمباشرة في المحيض قد تحقق اللذة الحيوانية مع ما ينشأ عنها من أذى، لكنها لا تحقق الهدف الأسمى فضلاً عن أنها انحراف عن الفطرة السليمة النظيفة^(٥)، فالأذى الذي يصيب الرجل كامن فيما قد يتسرب إليه من دم الحيض الذي يحدث له أمراضاً مزمنة، أما أذى المرأة فهو الآلام وربما إحداث التهابات الرحم والحوض والمبيضين^(٦).

والأمر الآخر الذي نظمه الإسلام بيان كيفية الجماع الجائز، يقول سبحانه: ﴿نِسَاؤُكُمْ

حَرَّتْ لَكُمْ فَأَتُوا حَرَثَكُمْ أَنِّي شِعْتُمْ وَقَدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوَةٌ وَنَبِّئْ

(١) سورة البقرة، آية ٣٠.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٢٥١٢/٤.

(٣) رواه البخاري، صحيح البخاري، ج ٢، ص ٦٧٤، حديث رقم (١٨٠٦).

(٤) سورة البقرة، آية ٢٢٢.

(٥) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٢٤١/١.

(٦) خليل شومان، الطب الوقائي في القرآن، مرجع سابق، ص ١٥٧.

الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾، فالآية تنبه على أن موطن الجماع هو الفرج وليس الدبر، ولكن هناك من الناس من شذ عن الفطرة السوية وأراد أن يخالط النجاسات ومواطن الأمراض، وفي هذا خطر شديد حيث يمنع التكاثر، ويحدث أثراً نفسياً شديداً خاصة للزوجة، إضافة إلى مساهمته في انتشار الأمراض كالسلس والسيلان والجرب وارتخاء عضلات المستقيم أو تمزيقها(٢).

المطلب الثالث - مظاهر النمو غير السوي المتعلق بالنمو النفسي

الفرع الأول - مفهوم الصحة النفسية من منظور إسلامي

نزل القرآن الكريم لهداية الناس إلى الطريق الحق، ودعاهم إلى عقيدة التوحيد، بل علمهم قيما وطرائق جديدة في التفكير والحياة، وأرشدهم إلى السلوك السوي المستقيم، وأرشدهم نحو طرائق تربية النفس وتنشئتها تنشئة سليمة، ففي القرآن الكريم طاقة روحية هائلة ذات تأثير في الإنسان، تهز وجدانه وتصل روحه وتوقض إدراكه وتفكيره. قال تعالى:

﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ

لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٣). فالآية الكريمة تدل على مضمون الصحة النفسية الذي يتحدث عنها علماء النفس ويضعون لها النظريات والأساليب والطرائق المختلفة، ففي القرآن الكريم الموعظة التي تحي القلوب وتشفي الصدور من الخرافة والشك اللذين يسيطران عليها والزيغ الذي يمرضها والقلق الذي يحيرها، وفيه موعظة تفيض على النفس بالبر والعافية واليقين والاطمئنان(٤).

وقد تباينت نظرة العلماء إلى مفهوم الصحة النفسية، فمنهم من قال: إنها حالة نفسية يشعر الإنسان بوساطتها بالأمن والطمأنينة، وذلك عندما يحقق الإنسان التوازن بين قوى نفسه الداخلية ومطالب جسمه(٥).

وقيل هي تحصيل السعادة بمجموعة المشاعر السارة التي يستدل عليها من تقدير الشخص نفسه واعترافه بسعادته أو تعبيرات الفرح والسرور التي تلحظ عليه(٦).

وقيل تحقيق الذات عندما يفهم الإنسان نفسه وينميها ويرضى عنها ويصل بها إلى أقصى وسع لها، فيشعر باتساق حاجاته وتكامل دوافعه فيثق في نفسه ويعتمد عليها(٧).

(١) سورة البقرة، آية ٢٢٣.

(٢) عبد الحميد دياب، وحمد قرقوز، مع الطب في القرآن الكريم، بيروت، مؤسسة علوم القرآن، ١٩٨٢م، ط٢، ص ١٧٧.

(٣) سورة يونس، آية ٥٧.

(٤) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ١٧٩٩/٣.

(٥) كمال إبراهيم موسى، تعريفات الصحة النفسية في الإسلام وعلم النفس، في المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية في الطب زين العابدين (محرراً)، ج٣، المعهد العالي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية ١٩٩٢م، ص ٢١٤.

(٦) المرجع السابق، ج٣، ص ٢٢٧.

(٧) المرجع السابق، ج٣، ص ٢٣١.

وكذلك تُعرف بأنها حالة الاتزان العقلي والجسمي والسلوكي لدى الشخص بما يتوافق مع ما هو مألوف لدى غالبية الناس والتعامل مع الحياة ومكوناتها بشكل سوي^(١).
وينظر إليها على أنها حالة من التوافق النفسي الذي يهدف إلى تماسك الشخصية ووحدتها، وتقبل الفرد لذاته وتقبل الآخرين له، بحيث يؤدي ذلك كله إلى شعور الفرد بالسعادة والراحة النفسية^(٢).

ويرى الباحث أن الصحة النفسية حالة من الشعور بالسعادة والرضا الذاتي عن النفس وحسن التعامل مع الآخرين وفق معيار الشرع الحنيف، وتعدّ السعادة في الدنيا مقدمة للسعادة في الآخرة.

الفرع الثاني - الأسس التي يقوم عليها النمو النفسي السليم من منظور إسلامي
أوضح الإسلام الأسس التي يقوم عليها النمو النفسي السليم للإنسان المسلم ومن هذه الأسس:

١- عدم الشرك بالله سبحانه وتعالى

يقول سبحانه وتعالى حكاية عن لقمان الحكيم: ﴿يَبْنِي لَكَ شُرَكَاءَ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(٣)، فلو وعى الإنسان هذه النصيحة لعاش مع الله سبحانه وتعالى بطمأنينة قلبية وأمن نفسي لا تعادلها طمأنينة أخرى ولا أمن نفسي آخر، فقد أشارت الآية الكريمة إلى أن أعظم أنواع الظلم هو ظلم الإنسان لنفسه، وهذا الظلم يبدأ من الشرك بالله تعالى، وينتهي به، فتصبح النفس بئسة قانطة تعبت بها شياطين الإنس والجن، أما النفس التي تتمسك بلا إله إلا الله تكون مطمئنة في طريقها، تذكر الله سبحانه وتعالى فلا يقرب منها شياطين الإنس والجن ولا تفتتها زينة الحياة الدنيا ومباهجها^(٤).

إن المتأمل في الآية الكريمة يجد أن الأمر بعدم الشرك جاء في صورة نصيحة من والد لولده، ونصيحة الوالد لولده مبرأة من كل شبهة وبعيدة عن كل ظنه، إنها الحقيقة التي تجري على لسان من آتاه الله الحكمة من الناس، فيرى بالنصيحة الخير المحض، وهذا هو المؤثر النفسي المقصود^(٥).

(١) إحسان المحاسنة، البيئة والصحة العامة، ط٢، عمان، دار الشروق، ١٩٩٤م، ص ١١٧.

(٢) مصطفى فهمي، الإنسان وصحته النفسية، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ص ٢٤٢.

(٣) سورة لقمان، آية ١٣.

(٤) حسن الشرقاوي، التربية في المنهج الإسلامي في دعوة الحق، مكة المكرمة، العدد ٣٥، ١٩٨٤م، ص ٢٠.

(٥) سيد قطب، مرجع سابق، ٥ / ٢٧٨٨.

٢- الخلق

يقوم النمو النفسي في الإسلام على مبدأ الخلق ، فقد خاطب الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾^(١)، وبين النبي ﷺ أنه جاء متمماً لمكارم الأخلاق، قال ﷺ: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"^(٢).

فالقرآن الكريم يهدف إلى بناء إنسان رفيع الخلق، عفيف المشاعر، نظيف السلوك، ولم يقم بناء الإنسان على مجموعة من المواعظ والنصائح، ولم يترك الجانب الخلقى لعوامل الوراثة والبيئة ومؤثرات التقليد، إنما جاء بمنهج خلقى يشمل كل ما يتصل بالحياة. ومنهج الأخلاق في الإسلام يقوم على ثلاثة مبادئ: الأول هو الإيمان بالله تعالى الذي يعدّ الأساس الرفيع الذي تبنى عليه الأخلاق، وهو حارس التنفيذ، فسورة النور بينت سلسلة من الأخلاق التي يجب على المسلمين التزامها، قال تعالى: ﴿ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾^(٣). والمبدأ الثاني هو الحق، فكل ما خالف الحق غريب عن منهج الكون، قال تعالى: ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾^(٤). والمبدأ الثالث هو الثبات، فمنهج القرآن الكريم خالد مسابر للزمان، صالح لكل العصور، فلا بد من اشتماله على عنصر الثبات، حتى لا يكون خاضعاً للتغيير والتبديل مع الهوى والشهوات^(٥).

٣- القدوة

القدوة معلم بلا لسان، ومرشد من غير بيان وهي مدرسة الإنسان العملية التي يرسخ تأثيرها في النفوس، والناس مائلون إليها لما لها من تأثير بالغ في النفوس. قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾^(٦).

ومن حكمة الله سبحانه وتعالى أن جعل نبيه ﷺ القدوة الدائمة للمسلمين فهو قدوة متجددة على مر الأجيال، والقرآن الكريم عندما يعرض القدوة لا يعرضها على سبيل الإعجاب والتأمل، وإنما يعرضها حتى تتحقق في نفوس المقتدين كل بقدر طاقته ووسعه، فالقدوة أساس من أسس غرض الآداب والفضائل الإسلامية الحميدة في النفس البشرية، ويكون تأثيرها

(١) سورة القلم، آية ٤.

(٢) رواه القضاعي، مسند الشهاب، ج ٢، ص ١٩٢، حديث رقم (١١٦٥)، صححه الألباني، انظر: السلسلة الصحيحة، حديث رقم (٤٥).

(٣) سورة النور، آية ١.

(٤) سورة النحل، آية ٣.

(٥) محمد شديد، منهج القرآن في التربية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٢م، ص ١٤٦-١٥٢.

(٦) سورة الأحزاب، آية ٢١.

بشكليين، الأول تأثير عفوي غير مقصود يعتمد على مدى اتصاف الفرد بصفات تدفع الآخرين إلى تقليدها. والثاني تأثير مقصود يكون قصد المربي فيه تعليم طلابه أو الآخرين أفعالاً وسلوكات محددة وإن يلفت نظرهم إلى الاقتداء به^(١).

٤- تهيئة الظروف

عالج القرآن الكريم أوضاع الإنسان المختلفة، وما يحيط به من ظروف، وهذا يجعل الإنسان مطمئناً إذا ما تغيرت الظروف، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾^(٢).

فصلاح البال نعمة كبرى من نعم الله سبحانه وتعالى على الإنسان، ومرتبطة بالإيمان وهي تعني الطمأنينة والراحة والثقة والرضا والسلام، ومتى صلح البال، استقام الشعور والتفكير واطمأن القلب وارتاحت المشاعر والأعصاب ورضيت النفس واستمتعت بالأمن والسلام^(٣). فالأجواء والمناخات التي يعيشها الإنسان لها تأثير بالغ في نموه النفسي، فمن المناخات والأجواء التي يعيشها الإنسان اللهو والبطر.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ هُمُ عَذَابُ مُهِينٍ﴾^(٤). فلهو الحديث هو كل كلام يلهي القلب، ويأكل الوقت، ولا يأتي بخير، ومن الناس من يشتري هذا الكلام بماله ووقته وحياته، وهو بهذا يضل نفسه ويضل غيره.

فالإنسان الذي يعيش في أجواء ومناخات يذكر فيها الله سبحانه وتعالى ويقضي وقته في الطاعة وطلب العلم، صحته النفسية ومشاعره مختلفة اختلافاً كلياً عن شخص يحرص على كل ما يلهي قلبه ويأكل وقته. فاللهو غير المباح يثير الغرائز الإنسانية حتى تسيطر على الإنسان وتتحكم به، فيبتعد عن التفكير الرصين، وتظهر عليه الانفعالات وما يصاحبها من سلوك شائن.

وكذلك البطر الذي هو حالة نفسية تعترى الإنسان، بحيث يقوم بالتصرف بالنعم التي أنعم الله بها عليه دونما اعتدال أو اتزان ويتهرب من القيام بحقوقها. قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا

(١) عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية، ط٣، بيروت، دار الفكر المعاصر، ١٩٩٩م، ص ٢٦٢

(٢) سورة محمد، آية ٢.

(٣) سيد قطب. في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٦ / ٣٢٨١

(٤) سورة لقمان، آية ٦.

وحرّم الزنا قال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزُّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾^(١).

وكذلك يشمل الجانب الوقائي وقاية الإنسان من مداخل الشيطان، فقد أمر سبحانه وتعالى بالاستعاذة من الشيطان الرجيم، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾^(٢).

٢- الجانب الإنمائي

ويتم التركيز على شخصية الإنسان واستغلال أقصى طاقاته وقدراته، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾^(٣). وقد حث الإسلام على مجموعة من الخصال التي تنمي شخصية الفرد وتبعده عن المشكلات النفسية المختلفة منها^(٤):

- الاعتماد على الذات، فقد كان رسول الله ﷺ يبحث أصحابه على الاعتماد على أنفسهم في كل شيء ومنها في كسبهم وحصولهم على الرزق، وعدم سؤالهم الناس، يقول ﷺ: "لأن يأخذ أحدكم أحبله خير له من أن يسأل الناس"^(٥).
- تعزيز الثقة بالنفس، فقد كان النبي ﷺ يبحث أصحابه على الاعتزاز بالنفس والشجاعة وإبداء الرأي دون خشية من أحد، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال، قال رسول الله ﷺ: "لا يحقرن أحدكم نفسه، قالوا: يا رسول الله كيف يحقر أحدنا نفسه؟ قال: "يرى أمراً لله عليه مقال ثم لا يقول فيه، فيقول الله عزوجل له يوم القيامة، ما منعك أن تقول في كذا وكذا؟ فيقول خشية الناس فيقول: "فإياي كنت أحق أن تخشى"^(٦).
- أداء العمل بفاعلية وإتقان، مطلوب من الإنسان المسلم دائماً أن يؤدي عمله بفاعلية وإتقان، ذلك أن إتقان العمل يعدّ تعبيراً عن النمو الذاتي للشخص، وبعداً عن المشكلات النفسية التي تسبب كثيراً من الأمراض، يقول ﷺ: "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه"^(٧).

(١) سورة الإسراء، آية ٣٢

(٢) سورة النحل، آية ٩٨

(٣) سورة النساء، آية ٥٨.

(٤) محمد عثمان نجاتي، الحديث النبوي وعلم النفس، مرجع سابق، ص ٢٨٨-٢٩٩.

(٥) رواه البخاري، صحيح البخاري، ج ٢، ص ٧٣٠، حديث رقم (١٩٦٩).

(٦) رواه الطبراني، المعجم الأوسط، ج ٥، ص ٢٤٠، حديث رقم (٥١٩٩).

(٧) رواه أبو يعلى الموصلي، مسند أبي العلاء، ج ٧، ص ٣٥٠، حديث رقم (٤٣٨٦)، حسنه الألباني، انظر: صحيح وضعيف الجامع

الصغير، حديث رقم (١٨٨٠).

٣- الجانب العلاجي^(١)

يتم التركيز فيه على تحرير الفرد من التوتر والقلق ومساعدته على حل المشكلات التي تواجهه. فالجانب العلاجي، يتمثل بحث الإنسان على الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٢).

وحث الإنسان على التوبة والرجوع إلى الله سبحانه وتعالى، قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾^(٣).

فالعلاج النفسي يمتاز بأنه علاج إيماني يعتمد على ترسيخ الإيمان في نفس الفرد، وهو علاج خلقي يحترم كرامة الإنسان ويصونها في الوقاية والشفاء، وهو علاج امتثالي يدعو الفرد لامتنال القيم والمبادئ والمثل العليا والأعراف السائدة في المجتمع. وهو علاج تعضيدي يقدم العون والمساعدة والتأييد والتشجيع للمريض، وكذلك هو علاج شمولي يتناول الفرد بكافة جوانب شخصيته الجسمية والنفسية والعقلية والروحية والخلقية والاجتماعية، وهو علاج واقعي لا يعتمد على الأمور الفلسفية أو الخيالية^(٤).

الفرع الثالث - الأسباب التي تؤدي إلى الإضرار بالنمو النفسي للمسلم

ثمة أسباب عدة تؤدي إلى الإضرار بالنمو النفسي للإنسان المسلم، ومن هذه الأمور:

١- الذنوب

الذنوب هو مخالفة شرع الله سبحانه وتعالى وإتباع النفس الأمارة بالسوء، وهو لا يصدر عن الإنسان إلا حينما يكون ضعيفاً، قال تعالى: ﴿وَذُرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيَجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾^(٥). وسواء أكان الذنوب ظاهراً أم خفياً سيجزي الله سبحانه وتعالى مرتكبيه، يقول ﷺ في بيان الإثم " الإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وكرهت أن يطلع عليه الناس"^(٦).

(١) سيأتي تفصيل هذا الجانب في علاج بعض مظاهر النمو غير الطبيعي المتعلقة بالنمو النفسي.

(٢) سورة الأعراف، آية ٢٠٠-٢٠١.

(٣) سورة آل عمران، آية ١٣٥.

(٤) عبد الرحمن العيسوي، الإسلام والعلاج النفسي، الإسكندرية، دار الفكر الجامعي، ص ٤٦-٤٧.

(٥) سورة الأنعام، آية ١٢٠.

(٦) رواه أحمد، المسند، ج ٤، ص ٢٢٨، طرف الحديث (١٨٠٣٥)، صححه الألباني.

٢- الضلال

ومن الضلال إتباع الهوى، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنْ اللَّهِ ﴾^(١). وإتباع الشيطان، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُرَّ عَدُوٍّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾^(٢). والغفلة، قال تعالى: ﴿ أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾^(٣). وأمراض الشك والشبهة والشهوة، فهذه أمراض تؤدي إلى اختلال العقيدة الإيمانية، وتحول فطرة الإنسان الخيرة إلى البهيمة التي لا تعرف كيف تضبط غرائزها، ولا كيف تشبع حاجاتها، قال تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾^(٤).

٣- الصراع

أخطر أنواع الصراع، الصراع بين الخير والشر، والحلال والحرام، وقد ينشأ الصراع بين النفس اللوامة والنفس الأمارة بالسوء. قال تعالى: ﴿ وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(٥). فالنفس الأمارة تدفع صاحبها إلى طريق الشر والإلحاد والكفر وارتكاب المعاصي كالقتل والرياء وأكل مال اليتيم... قال سبحانه: ﴿ لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۖ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾^(٦). والنفس اللوامة تلوم صاحبها لوما شديدا يدفعه للانتقام من نفسه عما ارتكب من أفعال، وتخوفه حتى يفقد الأمل ويعيش معذبا.

٤- اختلال معايير السواء والاحراف

الإسلام دين الفطرة لذلك جاءت الآيات القرآنية موحدة بين الدين والفطرة، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَنْ كُنَّ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(٧).

يقول صاحب الظلال في تفسير الآية الكريمة... وبهذا يربط بين فطرة النفس البشرية وطبيعة هذا الدين وكلاهما من صنع الله؛ وكلاهما موافق لناموس الوجود، وكلاهما متناسق مع الآخر: طبيعته واتجاهه، والله الذي خلق القلب البشري هو الذي أنزل إليه هذا الدين ليحكمه

(١) سورة القصص، آية ٥٠.

(٢) سورة فاطر، آية ٦.

(٣) سورة الأنبياء، آية ١.

(٤) سورة البقرة، آية ١٠.

(٥) سورة يوسف، آية ٥٣.

(٦) سورة القيامة، آية ٢-١.

(٧) سورة الروم، آية ٣٠.

ويعرفه ويطلب له من المرض، ويقومه من الانحراف، وهو أعلم بمن خلق وهو اللطيف الخبير: والفطرة ثابتة والدين ثابت ... فإذا انحرفت النفوس عن الفطرة، لم يرد لها إلا هذا الدين المتناسق مع الفطرة، فطرة البشر وفطرة الوجود^(١).

فالفطرة إسلام مجمل تفصله الشريعة، فيكون الحسن الذي حسنه الشرع هو الحسن الذي حسنه العقل والفطرة، والقبح الذي قبحه الشرع هو الذي قبحه العقل والفطرة. فالفطرة لا تتبدل لأنها تتصل بجوهر الإنسان والشريعة لا تتبدل، وعليه فإن المعيار الإسلامي في السواء والانحراف لا يتغير في أصوله العامة وينسجم مع سائر المعايير^(٢).

أما معايير علم النفس فقد تعددت، فهناك المعيار الذاتي، الذي يحكم به الشخص على نفسه وفق ثقافته الخاصة به والمعيار الإحصائي الذي يحكم به من خلال تكرار المرض وشيوعه في المجتمع، والمعيار الاجتماعي وذلك وفق اتفاقه مع المفاهيم والمبادئ السائدة في المجتمع^(٣).

الفرع الرابع - أساليب تحقيق النمو النفسي السليم من منظور إسلامي

حتى يتحقق النمو النفسي للفرد، ويصل إلى حالة من الاتزان العقلي والسلوكي، بحيث يترتب على هذا شعوره بالسعادة والراحة النفسية، لا بد له من ممارسة مجموعة الأساليب والطرائق التي وجهها القرآن الكريم إليها، والتي إن مارسها حقيقة تحقق له النمو النفسي السليم، ومن هذه الأساليب والطرائق.

١- الإيمان

الحديث عن الإيمان هو حديث عنه بكافة صورته وأشكاله: الإيمان بالله تعالى والإيمان باليوم الآخر والملائكة والقدر ... فلإيمان تأثير عظيم في نفس الإنسان، فهو يزيد ثقته بنفسه، ويزيد قوة احتماله وصبره، ويبعث في نفسه الطمأنينة وراحة البال، ويغمره بالسعادة والسرور، وإذا ما بث المجتمع هذا الإيمان بالفرد من الصغر فإنه يكسب الفرد مناعة ووقاية ضد الأمراض النفسية^(٤).

فالقارئ لآخر الأبحاث العلمية والطبية والنفسية حول العلاقة بين السلوك الإنساني السوي وغير السوي، والحالة الصحية والمرضية يجد المنظور الإسلامي قد سبقها في الوقاية من حالات القلق والاكتئاب وعلاجها ... بل في إيجاد الحل والمخرج من غالبية ما نواجهه من

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٥ / ٢٧٦٧

(٢) محمد عز الدين توفيق، التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، مرجع سابق، ص ٣٤٤

(٣) جمال الخطيب، تعديل السلوك، ط٣، ١٩٩٤م

(٤) محمد عثمان نجاتي. القرآن وعلم النفس، مرجع سابق، ص ٢٤٠ - ٢٤٢

مشكلات وأزمات نفسية في حياتنا، كما يجد أن الإيمان بالله تعالى سلاح فعال للوقاية والعلاج، وهو الطريق القويم للاحتفاظ بحالة دائمة من الصحة النفسية^(١).

فالقرآن الكريم يوجه النفوس إلى ما فيه الصلاح والاستقامة، فهو يخاطب الإيمان الذي بداخل النفوس، ويحث على تركية هذا الإيمان ومراقبته، لذا وجّه سبحانه وتعالى إلى إحاطة هذا الإيمان بمختلف العبادات من ذكر وصلاة وصوم وحج ... إذ إن القيام بالعبادات يكسب الإنسان شخصية سوية تتوافر فيها مقومات الصحة النفسية السليمة، كما تتوافر فيها حمايته من الأمراض النفسية التي يعاني منها من لا يلزمون بأداء العبادات.

٢- العبادات

شرع الإسلام مجموعة من العبادات المادية والروحية التي تهدف في مجملها إلى تحقيق الصحة النفسية للفرد، وتبعده عن القلق والاضطراب، وفيما يأتي عرض موجز لبعض العبادات وأثرها في الصحة النفسية للفرد.

أ- ذكر الله تعالى

تعددت الآيات التي تحث المسلم على ذكر الله سبحانه وتعالى، لما في هذا الذكر من طمأنينة نفسية، وسكون نفسي، لما يتضمنه من مناجاة العبد لخالقه سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(٢). وقال سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٣).

ويقول: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ نَضْرَعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾^(٤). فبذكر الله سبحانه وتعالى تطمئن القلوب وتسكن النفوس، فلا يشعر الذاكرون بالقلق والاضطراب على عكس الذين لا يذكرون الله تعالى^(٥).

ب- قراءة القرآن والاستماع له

نبه القرآن الكريم المسلم على أمر في غاية الأهمية ألا وهو الاستماع إلى قراءة القرآن عند قراءته، وعلّة الاستماع هي حصول الرحمة من الله، كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٦). فلقراءة الكتاب الكريم

(١) لطفي الشريبي، الإيمان بالله هو الطريق إلى النفس المطمئنة في النفس المطمئنة، عدد ٥٨، الجمعية العالمية الإسلامية للصحة النفسية، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ١٠-١١

(٢) سورة الرعد، آية ٢٨.

(٣) سورة الأنفال، آية ٤٥.

(٤) سورة الأعراف، آية ٢٠٥.

(٥) محمد الصابوني، صفوة التفسير، مرجع سابق، ٢ / ٨٢

(٦) سورة الأعراف، آية ٢٠٤.

والاستماع له مرتلاً أثر ملحوظ في النفس والجسد، لما له من تأثير كبير على الجسم والمشاعر والأحاسيس، وهذه حقيقة مشاهدة لا تحتاج إلى برهان من أجل قبولها. فقد أجرى أحد الباحثين دراسة لمعرفة أثر القرآن على الإنسان، وبعد عدة تجارب أثبتت الدراسات أن للقرآن أثراً إيجابياً مؤكداً في تهدئة التوتر وإحداث تغييرات فسيولوجية ونفسية في الفرد^(١). ويمكن أن يعزى تأثير القرآن على النفس البشرية إلى عاملين، الأول-صوت الألفاظ القرآنية. باللغة العربية سواء أكان المستمع قد فهمها أم لا، والثاني- فهم معنى الآيات القرآنية^(٢). وعليه فإننا ندرك علة نهى القرآن الكريم عن الصوت العالي، قال تعالى: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾^(٣).

فالصحة والصوت العالي يحدثان اضطراباً في مشاعر الإنسان وصحته النفسية والجسدية.

وأخيراً يقول ﷺ: "إن القرآن مادية الله فأقبلوا على مآدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن حبل الله والنور المبين والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه، ولا يزيغ فيستصعب ولا يعوج فيقوم ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الردّ أتلوه فإن الله يأجركم على تلاوة كل حرف عشر حسنات"^(٤).

٣- الاعتراف بالذنوب والتوبة

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ فَعَسَىٰ أَلَّا اللَّهُ يَصِرَوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٥). فالتوبة سبيل للخلاص من الذنوب، وهي إحدى سبل النجاة من الأمراض النفسية، فتخلص النفوس من التوتر والقلق، لأن الشعور بالقلق والتوتر قد يهلك الإنسان، ومن شأنه أن يدفع النفس الضعيفة إلى الانحدار. والتوبة من شأنها أن تعالج القلوب المريضة فهي لا تقف عند حد الكلمات، بل تتجاوزها إلى إخلاص النية والإقلاع الفوري عن المعاصي. فالإسلام لا يعلق الباب أمام هذا المخلوق الضعيف حتى لا يبقى حائراً منبوذاً، ولا يدعه مضطرباً خائفاً، وإنما يدلّه على المغفرة ويدله على الطريق ويأخذ بيديه وينير له الطريق إلى الحمى والأمن والطمأنينة^(٦).

(١) أحمد القاضي، تأثير القرآن على وظائف الجسم البشري، هدي الإسلام، وزارة الأوقاف الشؤون والمقدسات الإسلامية الأردنية،

العدد العاشر، ١٩٨٧م، ص ٤٠-٤٢

(٢) شومان، الطب الوقائي، مرجع سابق، ص ٢٦١

(٣) سورة لقمان، آية ١٩.

(٤) رواه الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ج ١، ص ٧٤١، حديث (٢٠٤٠).

(٥) سورة آل عمران، آية ١٣٥-١٣٦.

(٦) سيد قطب، مرجع سابق، ١ / ٤٧٦

والاعتراف بالذنب أهم ما يعتمد عليه العلاج النفسي الحديث، فهو يعيد إلى النفس المضطربة طمأنينتها، ويشع فيها السكينة والوقار، ويساعد النفس على التخلص من أمراضها وعللها الكثيرة كالغم والحزن والوسواس والقلق والاضطراب^(١). فاعتراف المسلم بذنبه يصاحبه ندم على أفعاله غير المقبولة عند الله تعالى، مما يدفعه إلى التوبة والعودة إلى الطريق الصحيح والسوي. قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾^(٢). وقد حث القرآن الكريم المسلم على الاعتراف بذنبه أمام الله تعالى، قال تعالى: ﴿قُلْ يٰعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٣) ولا بد أن يصاحب التوبة الاستغفار، قال تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾^(٤). فالاستغفار يشعر المسلم بعودته الصادقة إلى الله سبحانه وتعالى، وأنه بدأ بداية جديدة في حياته، وأن ذنوبه غفرت له، فالاستغفار عودة إلى الله تعالى من الشرك والمعصية إلى التوحيد والطاعة^(٥).

يقول سبحانه: ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٦). يقول الطبري "وهذا خير من الله جل ثناؤه على آدم وحواء فيما أجاباه به، واعترافهما على أنفسهما بالذنب، ومسألتهما إياه المغفرة منه والرحمة، خلاف جواب اللعين إبليس إياه، ومعنى قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ قال آدم وحواء لربهما: يا ربنا فعلنا بأنفسنا من الإساءة إليها بمعصيتك وخلاف أمرك، وبطاعتنا عدونا وعدوك، فيما لم يكن لنا أن نطيعه فيه من أكل الشجرة التي نهيتنا عن أكلها ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا﴾ يقول: وإن أنت لم تستر علينا ذنوبنا فتغطيها علينا ونترك فضيحتنا به بعقوبتك إيانا عليه، وتركك أخذنا به ﴿نَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ يعني لنكونن من الهالكين^(٧).

٤- مواجهة الواقع بمرونة

إن من أهم أسباب القلق والاضطراب النفسي الذي يحصل للإنسان، عدم النظر إلى الواقع بمرونة كافية، فالنظر إلى الواقع بمرونة يجعل الإنسان بعيدا عن القلق والاضطراب وشتى الأمراض النفسية. قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا

(١) أحمد ضياء الدين، التربية الوقائية في الإسلام، عمان، دار الفرقان، ٢٠٠٥م، ص ١٧٤.

(٢) سورة التحريم، آية ٨.

(٣) سورة الزمر، آية ٥٣.

(٤) سورة هود، آية ٣.

(٥) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٤ / ١٨٥٢.

(٦) سورة الأعراف، آية ٢٣.

(٧) محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل القرآن، ٢، ١ / ص ١٤٤.

شَيْفًا وَهُوَ شَرُّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١﴾. فالآية الكريمة تفتح للنفس نافذة تهب منها ريح طيبة، عندما تحيط بالإنسان الكروب وتشق عليه الأمور، فمن يدري؟ فلعل وراء هذا المكروه خيراً ووراء هذا المحبوب شراً... فالله سبحانه وتعالى عليم بالغايات البعيدة وهو الذي يعلم في حين أن الناس لا يعلمون عن الحقيقة شيئاً^(٢). يقول ﷺ "عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له"^(٣).

٥- التوافق مع الآخرين والتحلي بصفتي الصبر والتفاؤل

حياة المسلم قائمة على التعاون على البر والتقوى، والمودة والبعد عن البغضاء وكظم الغيظ والعفو عن الناس، وإذا التزم المسلم بما سبق من صفات توافق مع الآخرين ومع نفسه. قال تعالى: ﴿ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾^(٤). قيل إن الآية الكريمة نزلت في أبي سفيان الذي كان عدواً للنبي ﷺ في الجاهلية فصار ولياً وحليفاً وناصرأ، ويرى ابن عاشور أن الآية نزلت عامة في اكتساب المودة بالإحسان^(٥).

وللصبر والتفاؤل دور بارز في الصحة النفسية للإنسان، فالتربية الإسلامية تربي المسلم على الصبر في كل المواطن، قال تعالى: ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾^(٦).

يقول صاحب الظلال: إنها تربية للنفوس وإعداد كي لا تغير شعاعاً مع كل نازلة ولا تذهب حسرة مع كل فاجعة، ولا تنهار جزعاً أمام الشدة، إنه التجل والتماسك والثبات، حتى تتقشع الغاشية وترحل النازلة ويجعل الله بعد عسر يسراً، إنه الرجاء في الله والنقطة بالله والاعتماد على الله^(٧).

أما التفاؤل فهو من الصفات الأساسية في شخصية الإنسان المسلم، فلا يتطرق اليأس إلى نفسه قال تعالى: ﴿ يَبْنِي أَدْهَبُوا فَتَحَسَبُوا مِنْ يُوَسَّفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ

(١) سورة البقرة، آية ٢١٦.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ١ / ٢٢٣.

(٣) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ٤، ص ٢٢٩٥، حديث (٢٩٩٩).

(٤) سورة فصلت، آية ٣٥.

(٥) ابن عاشور، التحرير والتتوير، مرجع سابق، ٢٥ / ٥٩.

(٦) سورة البقرة، آية ١٧٧.

(٧) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ١ / ١٦١.

لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿١﴾. فالمسلم متفائل باستجابة الله سبحانه وتعالى له إذا توجه له بقلب صادق، مخلص، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ ﴿٢﴾. إنها آية عجيبة تسكب في قلب المؤمن الندوة والحلاوة والثقة واليقين، ويعيش المؤمن في جانب رضا وملأذ آمين وقرار مكين، وفي ظل هذا الأُنس يوجه الله عباده إلى الاستجابة له والإيمان به لعل هذا يقود إلى الرشد والهداية والصلاح ﴿٣﴾.

الفرع الخامس - علاج بعض مظاهر النمو غير السوي المتعلق بالنمو النفسي أولاً - الوسواس القهري

تعددت آراء العلماء في تفسير وتعريف هذا المرض النفسي وتعريفه والذي يعانيه عدد لا بأس به من الناس.

التعريف

حالة مرضية تصيب الإنسان وتعرّك صفاء ذهنه وتجعله قلقاً مشدوداً متوتراً^(٤)، ومنهم من قال: إن الوسواس هو "الانشغال بفكرة تافهة ظاهراً لكنها مستولية على صاحبها بحيث يعجز عن مقاومتها أو إبعادها وهي تقترن بتفكيره حتى تعطل اهتمامه بغيرها"^(٥).
وقيل: إن الوسواس القهري "أفكار غير معقولة تلازم الموسوس، والقهر هو أفعال تتركز في حياة الشخص إلى حد غير معقول، فالوسواس أفكار، والقهر أفعال"^(٦).
ويرى الباحث أن الوسواس القهري عبارة عن أفكار تسيطر على ذهن الشخص بحيث يجعله غير قادر على التفكير في غيرها من أمور لذا سمي قهري.
فقد تتركز الوسواس وتدور حول الشك في الغيب، أو ارتكاب جريمة أو الإصابة بمرض معين، وهي متنوعة مثل: غسل اليدين عشرات المرات، أو التأكد من إغلاق الباب حتى يصل الأمر درجة الإرهاق، أو إعادة الوضوء والصلاة عشرات المرات. والموسوس يعرف أن ما يفعله تافه ولكنه مدفوع للتفكير فيه وتكراره، بل مرغم على ذلك.

(١) سورة يوسف، آية ٨٧.

(٢) سورة البقرة، آية ١٨٦.

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ١، ص ١٧٣.

(٤) عبد الرحمن العيسوي. الإسلام والصحة النفسية، مرجع سابق، ص ٣١٩.

(٥) عبد الستار أبو غده، بحوث في الفقه الطبي، القاهرة، دار الأقصى، ١٩٩١م، ص ١٣٩.

(٦) محمد عز الدين توفيق، التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، مرجع سابق، ص ٤٠٩.

أسباب المرض

اختلف العلماء في تحديد أسباب هذا المرض، إذ ذهبت بعض النظريات إلى وجود علاقة بين الوسواس القهري وطريقة التربية في مراحل سابقة في الحياة، وذهب آخرون إلى أن السبب وجود بؤرة كهربائية نشطة في لحاء الدماغ، وهذه البؤرة تسبب فكرة أو حركة أو اندفاعاً^(١). ويمكن إضافة ما يلقيه الشيطان من أفكار وخواطر في النفس الإنسانية مما يسبب وسواساً في غير واحد من المجالات بدءاً من الطهارة والعبادات والمعاملات المالية وانتهاء بالعقيدة وما يخالغ النفس من خواطر لا تمت إلى ما في النفس من يقين^(٢).

وقد عانى بعض الصحابة في زمن رسول الله ﷺ من الوسواس، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: جاء ناس من أصحاب رسول الله ﷺ إلى النبي ﷺ فسألوه: أنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به، قال: أوجدتموه؟ قالوا نعم. قال: ذلك صريح الإيمان^(٣).

العلاج

يمكن إتباع الخطوات الآتية للتخلص من الوسواس القهري

١. أن يعلم المريض أن ما يصيبه من وسوسة هو من الشيطان، وأن الشيطان ضعيف يقهره بالعلم وبمعرفة الرخص الشرعية. فمن تكرر وضوؤه أو كرر صلاته أو كرر اغتساله فهو مطالب شرعاً بعدم التكرار.

٢. يدفع المسلم الوسوسة بتلاوة قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٤).

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ "يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا؟ من خلق كذا حتى يقول من خلق ربك فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته"^(٥). وعن عثمان بن أبي العاص ﷺ قال: قلت يا رسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقرآني يلبسها عليّ. فقال رسول الله ﷺ: ذلك شيطان يقال له خنزب، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتقل عن يسارك "فقلت فأذهب الله عني"^(٦).

(١) محمد عز الدين توفيق، التأسيس الإسلامي للدراسات النفسية، المرجع السابق، ص ٤٠٩.

(٢) عبد الستار أبو غده، بحوث في الفقه الطبي، مرجع سابق، ص ١٣٩.

(٣) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ١، ص ١١٩، حديث رقم (١٣٢).

(٤) سورة فصلت، آية ٣٦.

(٥) صححه الألباني، انظر: صحيح وضعيف الجامع الصغير، حديث رقم (٧٩٩٣).

(٦) رواه أحمد، المسند، ج ٤، ص ٢١٦، حديث رقم (١٧٩٢٨)، صححه شعيب الأرنؤوط.

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾. (٢).

فالإنسان عاجز عن دفع وسوسة الشيطان، ولكن الله سبحانه وتعالى دله على سلاحه وعدته في المعركة، فوصف الشيطان بالخناس ليبدل على تخفيه، حيث يجد فرصة سانحة فيوسوس، وهو ضعيف أمام من يستيقظ لمكره ويحمي مداخل صدره، فالمعركة طويلة لا تنتهي إلى يوم القيامة، فالشيطان قابع وخانس مرتقب للغلة والحرب سجال إلى يوم القيامة (٣).
٤. يشغل المريض نفسه أثناء الفراغ بأعمال عديدة مثل معرفة الرياضة ومعرفة مثيرات الوسوسة ومحاولة تجنبها.

ثانياً : القلق

يسمى في لغة التراث النفسي (الحصر والحُصار) وهو الشعور بالخوف الزائد من شر متوقع والإحساس بالعجز عن مواجهته.

والقلق في الغالب يكون مما يمكن أن يقع أو مما كان قد وقع، وسمي بالخصر لينكر بحالة نفسية عند بعض الفئات الضعيفة التي تلوذ بالحياد بدلا من الانتماء، لذا قال سبحانه وتعالى عن هؤلاء: ﴿ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتِ صُدُورُهُمْ أَنْ يَقْبِلُواكُمْ أَوْ يُقْبَلُوا قَوْمَهُمْ ﴾ (٤).

ويسمى القلق بتسميات أخرى مثل (الحزن) إذا كان الخوف من شر متوقع وله حقيقة، وإذا كان الشر قد وقع فإن أثره يسمى (الهم) (٥)، لذا يقول ﷺ: "اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن". فالقلق من أكثر الأمراض شيوعاً بين الناس، وقد اتفقت آراء علماء النفس على ذلك ولكنهم اختلفوا في تحديد أسباب القلق (٦).

وتتفق مدارس علم النفس على أن العلاج النفسي هو التخلص من القلق، بحيث يثبت الشعور بالأمن في نفس الإنسان (٧).

(١) سورة الفلق.

(٢) سورة الناس.

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٦ / ٤٠١١.

(٤) سورة النساء، آية ٩٠.

(٥) عبد الستار أبو غده، بحوث في الفقه الطبي، مرجع سابق، ص ١٣٦-١٣٧.

(٦) شومان. مرجع سابق، ص ٢٢٧.

(٧) محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، مرجع سابق، ص ٢٤١.

وقد اختلفت أساليب المدارس النفسية في علاج القلق لكنها لم تنجح في تحقيق الشفاء التام من هذا المرض، في حين يمكن علاجه بالقرآن الكريم، بإتباع الخطوات الآتية:

خطوات التخلص من القلق في القرآن الكريم

١ - الإيمان

لقد ثبت أن الإيمان بالله يحقق الشعور بالأمن والطمأنينة ويقي النفس من الأمراض النفسية، فالإيمان إذا ما بعث في نفس الفرد وهو صغير فإنه يكسبه مناعة ووقاية من الأمراض النفسية ومنها القلق. قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ؕ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْآمَنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾^(١). وبهذا الإيمان لا يخاف المسلم أي شيء في الحياة لأنه يعلم أن الأمور كلها بمشيئة الله تعالى ولا يمكن لأية قوة في الدنيا أن تلحق به ضرراً أو تمنع عنه خيراً قال تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾^(٢). أي يدخل الجنة من استسلم لله وخضع وأخلص نفسه، وهو مؤمن مصدق متبع لرسول ﷺ وله ثواب عمله في الآخرة ولا يعتربه حزن أو كدر^(٣).

يقول صاحب كتاب دع القلق على لسان أحدهم "... فأنا أومن بقدره الله على إدارة شؤون الكون وبأنه ليس بحاجة إلى نصيحة مني، فإذا وضعت الله نصب عيني فإنني أعتقد بأن أي شيء سينتهي إلى أفضل حال ... وهكذا لم أقلق من شيء أبداً"^(٤).

وفي موطن آخر "والآن ... لماذا لا تغلق هذا الكتاب على الفور وأغلق عليك باب غرفتك وصلي، وأفرغ ما في قلبك من هموم إلى الله"^(٥).

٢ - ذكر الله

الذكر وسيلة يستشعر بها المؤمن قربه من الله تعالى فيطمئن، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ؕ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾^(٦). فالطمأنينة والسكينة التي تحصل للمؤمن نتيجة ذكر الله تعالى، تبعد عنه القلق والاضطراب، ولا بد أن يكون هذا الذكر لله سبحانه وتعالى كثيراً، قال تعالى: ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۖ وَسَبِّحُوهُ

(١) سورة الأنعام، آية ٨٢.

(٢) سورة البقرة، آية ١١٢.

(٣) الصابوني، صفوة للتفاسير، مرجع سابق، ١ / ٨٨.

(٤) ديل كارنيجي، دع القلق وابدأ الحياة، عمان، الأردن، الأهلية للنشر والتوزيع، ٢٠٠١م، مرجع سابق، ص ١٤٠.

(٥) المرجع السابق، ص ١٤٤

(٦) المرجع السابق، ص ١٤٤

(٧) سورة الرعد، آية ٢٨.

بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿١﴾. ولن يعذر أحد بترك ذكر الله سبحانه وتعالى لأنه مطلوب في جميع الأحوال والأوقات.

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوفًا ﴾ (٢). فالذكر مطلوب من الإنسان في أشد حالات انشغاله، وهو في مواجهة الأعداء، قال تعالى: ﴿ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَأَثَبْتُمْ وَأَدْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٣).

٣- اليقين

إن أكثر ما يسبب القلق في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، الخوف من انقطاع الرزق، والأصل في المسلم أن يعلم أن الله قسم الأرزاق بين الناس وقدرها حسب عمله قال تعالى: ﴿ أَهْمٌ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (٤). وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ (٥). وقال سبحانه: ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا تَوَعَّدُونَ ﴾ (٦). فالمتأمل في الآيات الكريمة يخلص إلى أن سبحانه وتعالى قسم الأرزاق بين الناس، فالمسلم لا يخاف على رزقه ولا يخاف الفقر، يرضى بما قسم الله له إن كان كثيراً أو قليلاً.

٤- التسليم بقضاء الله تعالى وقدره

في كثير من الأحيان يكون سبب القلق الخوف من الموت أو الخوف من مصائب الدهر وغوائل الأيام، فمن التسليم بقضاء الله وقدره عدم قلق المسلم من الموت، فهو ينظر إليه بواقعية، ويراه حقيقة لا مفر منها، ولكل إنسان أجل، فهو في الدنيا عابر سبيل ومنها ينتقل إلى الحياة الدائمة، فهو على استعداد دائم لهذا الانتقال. قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ أَلَمْتُ أَلَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٧). والمسلم لا يخاف الأمراض والحوادث والكوارث، ولا يخاف من الأشياء التي يخاف منها

(١) سورة الأحزاب، آية ٤١-٤٢.

(٢) سورة النساء، آية ١٠٣.

(٣) سورة الأنفال، آية ٤٥.

(٤) سورة الزخرف، آية ٣٢.

(٥) سورة الذاريات، آية ٥٨.

(٦) سورة الذاريات، آية ٢٢.

(٧) سورة الجمعة، آية ٨.

الناس، فهو ذو قدرة على تحمل المصائب لأنه يسلم بقضاء الله وقدره. قال تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنْ ذَلِكُمْ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾^(١).
٥- التطلع إلى المستقبل

المسلم لا يلتفت إلى الماضي ولا يجتر الأحزان ويجعلها أمام عينيه، بل يتطلع إلى المستقبل ويعمل بجِد، ويترك الماضي مع أخذ العظات والعبر منه، قال تعالى: ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾^(٢).

٦- الإيجابية في التعامل مع الذنب والمعصية

يشعر المسلم بالقلق الذي لا يؤدي إلى المرض النفسي إذا ارتكب ذنباً، ويعود ذلك لعدة أسباب منها:

الأول: المسلم تربي منذ الصغر تربية إسلامية صحيحة بعيدة عند الذنوب والمعاصي قال تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾^(٣).

الثاني: إذا اخطأ المسلم يعلم أن له ربا يغفر الذنوب ويقبل التوبة من عباده، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾^(٤). وقال سبحانه: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾^(٥).

إن اعتراف المسلم بذنبه واستغفاره الله سبحانه وتعالى يحول دون سيطرة فكرة الذنب على ذهنه، فالتوبة والاستغفار يعملان على وقاية الإنسان من الكبت اللاشعوري للإحساس بالذنب وهو ما يسبب القلق والاضطراب^(٦).

(١) سورة الحديد، آية ٢٢.

(٢) سورة الحديد، آية ٢٣.

(٣) سورة التحريم، آية ٦.

(٤) سورة النساء، آية ١١٠.

(٥) سورة طه، آية ٨٢.

(٦) محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، مرجع سابق، ص ٢٤٧.

ثالثاً: الكبر

ثمة آيات عديدة في كتاب الله سبحانه وتعالى تتحدث عن الكبر وأسبابه وعلاجه، علماً بأن الكبر مذموم في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَلِّغِيهِ﴾^(١).

فهذا المخلوق الإنساني ينسى نفسه في كثير من الأوقات، إنه صغير ضعيف يستمد قوته من اتصاله بالمصدر الأول للقوة، من الله سبحانه وتعالى، فيقطع اتصاله بالله سبحانه وتعالى ويروح يتشامخ ويتعالى ويحبك في صدره الكبر، مستمداً إياه من الشيطان الذي هلك بسببه ثم سلط على الإنسان ليضله ويبعده عن طريق الصواب^(٢). قال سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ

أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾^(٣).

فالذين يستكبرون عن عبادة الله سبحانه، جزاؤهم أن يوجهوا أدلاء صاغرين لجهنم وهذه هي نهاية الكبر الذي يملأ القلوب والصدور في الأرض الصغيرة، التي نسيت عظمة الخالق سبحانه وتعالى^(٤).

تعريف الكبر

الكبر شعور خادع بالاستعلاء مصحوب باحتقار الناس والترفع عنهم، فهو انفعالات داخلية للإنسان^(٥).

فقد بين الرسول ﷺ معنى الكبر حين قال: "الكبر بطر الحق وغمط الناس"^(٦). وهو خلق باطن، تصدر عنه أعمال هي ثمرته، فتظهر على الجوارح، فهذا الخلق رؤية النفس على المتكبر عليه، يعني يرى المتكبر نفسه فوق الغير في صفات الكمال، فعند ذلك يكون متكبراً^(٧).

(١) سورة غافر، آية ٥٦.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٥ / ٣٠٨٩.

(٣) سورة غافر، آية ٦٠.

(٤) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٥ / ٣٠٩١.

(٥) محمد عز الدين توفيق، التأصيل الإسلام للدراسات النفسية، مرجع سابق، ص ٣٧٤.

(٦) علاء الدين المتقي، كنز العمال، حديث رقم (٧٧٢٨)، صححه الألباني، انظر صحيح وضعيف الجامع الصغير، حديث رقم (٧٦٧٤).

(٧) أحمد بن عبد الرحمن بن قدامه المقدسي، مختصر منهاج القاصدين، بيروت، دار الكتب الثقافية، ص ٣٦٥.

أنواع الكبر

أشار القرآن الكريم إلى ثلاثة أنواع من الكبر هي :

١. التكبر على الله سبحانه وتعالى بعدم عبادته وهذا أقبح أنواع الكبر، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾^(١).

٢. التكبر على الرسول ﷺ وعدم الانقياد له، قال تعالى: ﴿ أَنْتُمْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِبِيدُونَ ﴾^(٢).

٣. التكبر على عباد الله سبحانه وتعالى بالترفع عنهم واحتقارهم، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ﴾^(٣).

أسباب الكبر

قد يكون الكبر ناجماً عن شعور بالنقص أو شعور بالكمال وكلتا الحالتين خداع للذات، وقد يكون من أسبابه المال والجمال والقوة وكثرة الأتباع، وقد يتكبر الإنسان بالحسب والنسب، فهذه الأمور في الحقيقة ليست سبباً للكبر لأنها نعم من الله سبحانه وتعالى فهي في أيدي بعض الناس مدعاة للتواضع، وفي أيدي آخرين مدعاة للكبر. فإذا كانت سبباً للكبر فتظهر على المتكبر خصال منها: حب قيام الناس له، وأن لا يمشي مع أحد إلا أن يكون خلفه، ولا يزور أحد تكبراً على الناس، ويستتكف عن الجلوس مع أحد ولا يتعاطى في يده ثقلاً ولا يحمل لنفسه متاعاً^(٤).

علاج الكبر

• يبدأ العلاج بالوعي بضرورة تعديل هذا الخلق الذميمة، وأنه من عمل الشيطان، وأن الشيطان لا يأمر إلا بالسوء، قال تعالى: ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٥).

• الوعي بحقيقة الكبر وحكم الإسلام فيه، فالآيات والأحاديث الشريفة تبين حرمة، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾^(٦).

(١) سورة غافر، آية ٦٠.

(٢) سورة المؤمنون، آية ٤٧.

(٣) سورة الإسراء، آية ٣٧.

(٤) ابن قدامة المقدسي، مختصر منهاج القاصدين، مرجع سابق، ص ٢٦٩.

(٥) سورة الحشر، آية ١٦.

(٦) سورة الإسراء، آية ٣٧.

وقال ﷺ "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر"^(١). ويقول ﷺ: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يذكهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر"^(٢).

• معرفة الإنسان أصل وجوده، فإذا عرف الإنسان نفسه علم أنه أذل من كل ذليل وأنه لا يليق به إلا التواضع، وإذا عرف ربه علم أنه لا يليق به إلا العظمة والكبرياء"^(٣). ومن معرفة الإنسان لنفسه أن يعرف مبدأ خلقه، قال تعالى: ﴿ قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ ۗ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۗ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ۗ ثُمَّ أَسْبَلَ سَبْرَهُ ۗ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ۗ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ أَنْشَرَهُ ۗ ﴾^(٤). ففي الآيات الكريمة تعجب من أمر الإنسان الذي يعرض عن الهدى ويستعلي على الدعوة ولا يذكر مصدر وجوده ولا أصل نشأته، فأصل نشأته متواضع زهيد يستمد قيمته من فضل الله ونعمته، من النطفة التي لا قيمة لها، والأصل الذي لا قوام له، ولكن خالقه منحه قدراً وقيمة، فجعله خلقاً سوياً ومهد له سبل الحياة بما أودع فيه من خصائص واستعدادات^(٥).

• يعرف الإنسان ربه

فينظر إلى آثار قدرته سبحانه وتعالى في الكون، وعجائب صنعه سبحانه وتعالى، فتلوح له العظمة الإلهية، فإذا عرف ربه علم أن العظمة والكبرياء لا يلقان إلا له سبحانه وتعالى. ففي الحديث، قال ﷺ عن رب "العزة" قوله "الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن ينازعني واحد منهما القيت في جهنم"^(٦).

• معرفة مصير المتكبرين

وردت أحاديث كثيرة تبين مصير المتكبرين يوم القيامة بين يدي الله سبحانه وتعالى منها قوله ﷺ "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر". وقوله ﷺ: "يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة في صورة الذر يطوهم الناس لهوانهم على الله عز وجل"^(٧).

(١) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ١، ص ٩٣، حديث ٩١.

(٢) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ١، ص ١٠٣، حديث ١٠٧.

(٣) محمد بن محمد الغزالي أبي حامد (٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين، القاهرة، مكتبة مصر، ١٩٩٨م، ج ٢، ص ٤٤٢.

(٤) سورة عبس، آية ١٧-٢٢.

(٥) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٦ / ٣٨٣١.

(٦) رواه ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ج ٢، ص ١٣٩٧، حديث رقم (٤١٧٤)، صححه الألباني.

(٧) رواه ابن أبي الدنيا، التواضع والخمول، ج ١، ص ٢٧١، حديث ٢٢٤.

• معرفة أسباب الكبر ومعالجتها^(١).

أسباب الكبر كثيرة منها النسب، فمن تكبر بالنسب فقد تكبر بكمال غيره، ثم لينظر نسبه الحقيقي في قوله تعالى: ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴾^(٢).
فإنه سبحانه وتعالى خلق الإنسان في جملة إحسان كل شيء، وخاصة بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً وأخرج أصله من تراب، كون فيه نظام النسل من ماء مهين لا يعاب به أحد والغرض من الوصف الاعتبار^(٣).

وإذا كان التكبر بسبب الجمال، فعليه أن ينظر إلى باطنه، فالبول في المثانة، والمخاط في الأنف والدم في العروق ويغسل الغائط بيده. وإذا كان التكبر بالقوة البدنية فليتنظر إلى نفسه إذا توجع منه عرق، صار عاجزاً ذليلاً، وإذا كان السبب المال فإن خلقاً من اليهود والنصارى أغنى منه مالا فما هذا الشرف الذي يسبق إليه اليهود، ولربما ذهب المال في لحظة سواء أكان في سرقة أم خسارة...
رابعاً: الاكتئاب

الاكتئاب من الأمراض النفسية الوظيفية، بمعنى أنه لا يرجع إلى علة في جسم الإنسان، وإنما ينشأ من تعرض الفرد لمواقف الفشل والإحباط والكبت والقمع والحرمان والقسوة والإهمال والنزب وانعدام الرعاية والتوجيه والإشراف^(٤).
ويعرف بأنه "حالة انفعالية تكون فيها الفاعلية النفسية الجسدية منخفضة وغير سارة وقد تكون سوية أو مرضية، وتشير المرضية منها إلى اليأس والشعور الساقط بالتفاهة"^(٥).
وهذا يعني فقدان الاهتمام بالأشياء، والعجز عن التركيز، وفي بعض الحالات يميل الشخص إلى التخلص من الحياة، وإذا زاد تحول إلى اضطراب عقلي. وينظر إليه على أنه حالة مرضية لانفعال الحزن، أي عندما يتحول الحزن إلى حالة مزمنة من البؤس والتشاؤم والعجز والقلق^(٦).

ويرى الباحث أن الاكتئاب إحساس يسيطر على الفرد، وشعور بالخجل وخيبة الأمل، بحيث يتسم المصاب بالعبوس والعزوف عن بذل أي نشاط حيوي.
ويعاني الإنسان المكتئب من الصداع والأرق إضافة إلى الأحلام المزعجة ويتراجع الفكر وينتهي الفراغ الحاصل بشل الدماغ والخلايا العصبية.

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين، مرجع سابق، ٢ / ٤٤٥.

(٢) سورة السجدة، آية ٧.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتوير، مرجع سابق، ٢١ / ص ١٤٩ - ١٥١.

(٤) عبد الرحمن العيسوي، الإسلام والصحة النفسية، مرجع سابق، ص ٣١٥.

(٥) عبد الستار أبو غده، بحوث في الفقه الطبي، مرجع سابق، ص ١٢٧.

(٦) محمد عز الدين توفيق، التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، مرجع سابق، ص ٣٩٦.

مظاهر الاكتئاب الواردة في القرآن الكريم

في ضوء العرض السابق نستطيع أن نخلص إلى بعض المظاهر الدالة على الاكتئاب ومن أبرزها:

• الحزن وضيق الصدر

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾^(١). ويقول سبحانه: ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ ﴾^(٢). يقول صاحب الظلال في تفسيره قوله: ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾^(٣).

إن الآية الكريمة فيها توجيه للنبي ﷺ أن لا يأخذه الحزن، إذا رأى الناس لا يؤمنون وأن لا يضيق صدره بمكرهم، وإنما هو داعية إلى الله، فالله سبحانه وتعالى هو الحافظ^(٤) فالحزن أحد مظاهر الكآبة النفسية وله انعكاس يرتسم على عضلات الوجه والعيون ولو بدون بكاء.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الكآبة بقوله تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَمْرٍ مُوسَىٰ قَدْرًا ۗ إِن كَادَتْ لَتُبْدَىٰ بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَّٰ قَلْبِهَا لَتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٥).

العلاج القرآني للاكتئاب

قبل البدء بعرض أساليب القرآن الكريم في علاج الاكتئاب لا بد من تأكيد الحقائق الآتية^(٦):

- العلاج القرآني ليس علاجاً سلبياً بل هو علاج إيجابي للفرد دون الإعلان عن وجود مرض.
- إن قسوة الاكتئاب وشدته قد تقود الفرد إلى الانتحار، وهذا ما حرمة الإسلام، فالانتحار غالباً ما يكون عند الأفراد الذين لا إيمان لهم بالله واليوم الآخر، وعليه فتختلف درجات الاكتئاب باختلاف درجات الإيمان.

وأرشد القرآن الكريم إلى عدد من العلاجات النفسية لهذا المرض منها:

(١) سورة النحل، آية ١٢٧.

(٢) سورة الأنعام، آية ١٢٥.

(٣) سورة النحل، آية ١٢٧.

(٤) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٤ / ٢٢٠٣.

(٥) سورة القصص، آية ١٠.

(٦) محمد عز الدين توفيق، التأسيس الإسلامي للدراسات النفسية، مرجع سابق، ص ٣٩٦.

١- تقوى الله سبحانه وتعالى

قال تعالى: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١).

وقال: ﴿فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٢). فالتقوى تتأى بالمسلمين عن

الفواحش والآثام، وتقود إلى الطيبات والأعمال الصالحة والطاعات، وتنتهي إلى الأمن من الخوف والرضى عن المصير^(٣). والتقوى تقود إلى الاستقامة حسب قوله سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٤). فالاستقامة

منهج كامل للحياة يشمل كل نشاط وحركة، وهي من مميزات التفكير والشعور، وهي الثبات على النهج فلا تارجح ولا اضطراب ولا شك^(٥). ومن متطلبات الاستقامة إعلان الولاية لله

سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٦).

يقول صاحب التحرير والتوير "... فالكلام يفيد أن الله ضمن لأولياته أن لا يحصل لهم ما يخافونه وأن لا يحل بهم ما يحزنهم، وكأن ما يخاف منه من شأنه أن يحزن من يصيبه وكأن نفي الحزن عنهم مؤكد لمعنى نفي خوف فائق عليهم"^(٧).

فالأيات الكريمة تبين أن الاستقامة والعمل الصالح، يرفعان حالة الاكتئاب عن الإنسان ويزيدان في حالة الاطمئنان النفسي لديه، ومن الأعمال الصالحة التي يقوم بها المسلم.

• التسبيح

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ تَعَلَّمَ أَنْكَرُكَ يَضِيقُ صَدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾^(٨) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ

مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٧٧﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٧٨﴾.

فالأية الكريمة تشير إشارة واضحة إلى أن الإنسان وهو في حالة ضيق نفسي ما عليه

إلا أن يلجأ إلى الله سبحانه وتعالى بالتسبيح والتلهيل والدعاء.

(١) سورة الزمر آية ٦١.

(٢) سورة الأعراف، آية ٣٥.

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٣ / ١٢٨٨.

(٤) الأحقاف، آية ١٣.

(٥) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٦ / ٣٢٥٩.

(٦) سورة يونس، آية ٦٢.

(٧) ابن عاشور، التحرير والتوير، مرجع سابق، ١١ / ١٢٤.

(٨) سورة الحجر، آية ٩٨-٩٩.

• تلاوة القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿ وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾^(١). فالمتأمل في الآية الكريمة يجدها تخبر بأن القرآن الكريم شفاء من الأمراض سواء أكانت جسمية أم نفسية.

• أداء العبادات

وهنا أتحدث عن أداء فريضة الحج، فهو يترك أثراً نفسياً عظيماً في حياة المسلم، فيشعر بالسعادة بعد أداء هذه الفروض، وهذا يدفع عنه الشعور بالحزن والاكتئاب، ومن الناحية النفسية يشعر المسلم بعد أداء الحج بأنه تطهر من ذنوبه، وتحرر من مشاعر الذنب والإثم التي تقود إلى المرض النفسي.

٢- الدعاء

الدعاء أسلوب في تناول الجميع، يقوم به المسلم بالليل والنهار، في الإقامة والسفر، في كل أوقاته، ولا بد للمسلم في الدعاء من الخشوع والاستغراق، وأن يقوله بقلبه وعقله وكل جوارحه، مع وجوب تكراره والاستمرار فيه، وأن يدعو له ولغيره مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾^(٢). ومن أمثلة الدعاء الواردة في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾^(٣). وقوله سبحانه وتعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾^(٤).

والدعاء يشبه منهج علماء النفس في الوقت الحاضر بما يطلقون عليه "الإيحاء الذاتي" وبهذا العلاج يردد المريض كلمات يشجع بها نفسه بأنه أكثر قوة وصحة وأنه يشفى من علته تدريجياً، وبهذا تتحسن حالته الصحية^(٥). والفرق بين هذا العلاج والدعاء أن المريض يلجأ في الدعاء إلى قوة عظيمة، هي قوة الله سبحانه وتعالى.

(١) سورة الإسراء، آية ٨٢.

(٢) سورة الحشر، آية ١٠.

(٣) سورة محمد، آية ١٩.

(٤) سورة نوح، آية ٢٨.

(٥) عبد الرحمن العيسوي، الإسلام والصحة النفسية، مرجع سابق، ص ٣١٨.

٣- التحلي بالقوة

يربي القرآن الكريم الإنسان على عدم الالتفات إلى ما مضى من الأعمال، ويدعوه إلى التحلي بالقوة، لأن المسلم يستمد عونه من الله سبحانه وتعالى الذي أمر المسلم أن يكون قوياً ولا يتلفت إلى ما مضى من الأعمال.

يقول ﷺ: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح على الشيطان..."^(١).

فهذا الحديث في صلب علاج الاكتئاب النفسي، فنعلم أن أحد أسباب الاكتئاب هو الإخفاق والإحباط وعدم الحصول على شيء معين، فلو التزم المريض هذا الحديث لوقى نفسه ما هو فيه.

٤- الصبر

يحرص القرآن الكريم على غرس سمة الصبر في نفس المسلم ووجدانه، فالصبر يحمي الإنسان من الإصابة بكثير من الأمراض العقلية، ويجعله أكثر قدرة على الجلد والتحمل^(٢)، قال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾^(٣). فالصبر من الصفات الحميدة التي تفيد في تربية النفس وتقوية الإرادة وصقل الشخصية بل تنمي قدرة الشخص على الجلد والتحمل وتقبل صعاب الحياة.

قال تعالى: ﴿ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾^(٤). وقال سبحانه: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾^(٥).

فالصبر سمة تظهر في كافة جوانب الحياة وفي سلوك الإنسان العقلي والنفسي والحركي كما في أفكاره وآرائه وانفعالاته^(٦).

(١) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج٤، ص ٢٠٥٣، حديث (٢٦٦٤).

(٢) عبد الرحمن العيسوي، الإسلام والصحة النفسية، مرجع سابق، ص ٣١٩.

(٣) سورة البقرة، آية ١٥٥-١٥٦.

(٤) سورة البقرة، آية ٤٥.

(٥) سورة البقرة، آية ١٥٣.

(٦) عبد الرحمن العيسوي، الإسلام والصحة النفسية مرجع سابق، ص ٢٩٦.

المطلب الرابع - الخطوط العريضة في علاج المشكلات "النمو غير السوي" من منظور إسلامي

للقيام بحل المشكلات التي تواجه أبنائنا في مختلف مراحل نموهم ينبغي علينا الأخذ بالخطوات الآتية لمساعدتهم في التخلص من مشكلاتهم، وهذه الخطوات تتعلق بطرفين الأول - المعالج، والثاني - المعالج، وفيما يلي توضيح لهذه الخطوات:

الفرع الأول - الخطوات المتعلقة بالمعالج

أولاً - تأكيد توحيد الله سبحانه وتعالى وأداء العبادات المختلفة وقراءة القرآن في حياة الفرد لدورها البالغ في حل كثير من المشكلات التي تواجهه.

ثانياً - تحديد المشكلة التي تواجه الفرد بوضوح وفق معيار معين يتفق مع الشرع تعدّ خطوة تحديد المشكلة التي تواجه الإنسان البداية الصحيحة لحل المشكلة، ويجب أن يكون هذا التحديد في ضوء معايير محددة وفهم صحيح وليس بطريقة عشوائية.

ثالثاً - محاولة فهم أسباب المشكلة

ليس المقصود من معالجة المشكلة التي تواجه الفرد معالجة آثار هذه المشكلة، وإنما القيام بمعالجة أسباب هذه المشكلة ودوافعها، فكثير من المشكلات يكون سببها ودوافعها حب عمل الخير أو الجهل وربما قرين السوء، ففهم أسباب السلوك أو المشكلة مدخل لحل المشكلات التي يعاني منها الفرد.

رابعاً - معرفة الفرد أن هناك مشكلة يواجهها أو سلوكاً يصدر عنه عليه أن يوقفه

تعريف الشخص بأن السلوك الذي يمارسه غير مرغوب فيه، وأن هذا السلوك لا يتفق مع التربية القويمة وأحكام الدين الإسلامي، وأن عليه التوقف عنه^(١)، والرسول ﷺ اتبع هذا الأسلوب مع الصحابة رضوان الله عليهم، ويشعرهم بذلك عن طريق النظر أو الإشارة، فعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: رأى رسول الله ﷺ أسامة يلبس حلة من حرير كان بعث بها إليه "فراح في حلته فنظر إليه رسول الله ﷺ نظراً عرف أن رسول الله ﷺ قد أنكر ما صنع، فقال: يا رسول الله ما تنظر إليّ فأنت بعثت إليّ بها، فقال إني لم أبعث إليك لتلبسها، ولكني بعثت بها إليك لتشقها خمرأً بين نساءك"^(٢).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: "أخذ الحسن بن علي ﷺ تمر من تمر الصدقة فجعلها في فيه فقال النبي ﷺ كخ كخ ليطرحها، ثم قال: أما شعرت أننا لا نأكل الصدقة"^(٣).

(١) عادل رشاد غنيم، خمس خطوات لتعديل سلوك طفلك، السعودية، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٩م، ص ٢٨.

(٢) رواه مسلم، صحيح مسلم، ١٦٣٩/٣، طرف الحديث رقم (٢٠٦٨).

(٣) رواه البخاري، صحيح البخاري، ج٢، ص ٥٤٣، حديث رقم (١٤٢٠).

خامساً - تعليم الفرد أو الشخص الذي يعاني من مشكلة السلوك الصحيح

خير من مارس السلوك الصحيح النبي ﷺ حيث كان عندما يشاهد مشكلة ما في سلوك الآخرين، يقوم بتعليمهم السلوك، يدل على ذلك تعليم النبي ﷺ عمرو بن أبي سلمة، اداب الطعام والشراب، فعنه قال: كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحفة فقال لي رسول الله ﷺ: يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك^(١).

والنبي ﷺ كان يصحح ما يراه من أفكار وسلوكات وألفاظ يتلفظ بها الصحابة رضوان الله عليهم، فعن أبي داود عن عبد الرحمن بن عقبة رحمه الله عن أبيه وكان مولى من أهل فارس، قال شهدت مع النبي ﷺ أحداً، فضربت رجلاً من المشركين، فقلت خذها وأنا الغلام الفارسي، فبلغت النبي ﷺ فقال: "هلا قلت خذها مني وأنا الغلام الأنصاري"^(٢).

سادساً - التدرج في علاج المشكلة

إن كثيراً من المشكلات التي تواجه الإنسان في مراحل نموه المختلفة لا يمكن حلها مرة واحدة، وعليه فلا بد من التدرج في حل هذه المشكلات، وقد استخدم القرآن الكريم هذا الأسلوب في مواجهة بعض السلوكات التي كان يمارسها المسلمون، فكان تحريم الخمر ابتداءً بالتفكير من شرب الخمر عامة، يقول سبحانه: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا لَأَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾^(٣)، ثم حصر أوقات الشرب وحرمه في أوقات أخرى، يقول سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾^(٤)، ثم الأمر بالامتناع عن تعاطي الخمر وتحريمه تحريماً نهائياً، يقول سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٥).

سابعاً - تقديم للفرد القدوة الصالحة للفرد، عرض النماذج الصالحة له
حذر القرآن الكريم من إحداث الخلل في القدوة، ودعا إلى الانسجام بين الجانب النظري والجانب التطبيقي في حياة الإنسان، يقول سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ

(١) رواه البخاري، صحيح البخاري، ج ٥، ص ٢٠٥٦، حديث رقم (٥٠٦١).

(٢) رواه أحمد، المسند، ج ٥، ص ٢٩٥، حديث رقم (٢٢٥٦٨)، ضعفه شعيب الأرنؤوط، وله شواهد إسنادها محتمل للتصين.

(٣) سورة البقرة، آية ٢١٩.

(٤) سورة النساء، آية ٤٣.

(٥) سورة المائدة، آية ٩٠.

مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿١﴾، ويقول سبحانه: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾، والرسول ﷺ كان قدوة للمسلمين، وكان يطبق أمامهم ما يحتاجون إليه في حياتهم، والقدوة من أنجع الوسائل المؤثرة في إعداد الولد خلقياً ونفسياً واجتماعياً، فالمربي هو المثل الأعلى في نظر الطفل والأسوة الصالحة، فهو يقلده سلوكياً ويحاكيه خلقياً من حيث يشعر أو لا يشعر، ومن هنا كانت القدوة عاملاً كبيراً في صلاح الولد أو فساده، فإن كان المربي صادقاً أميناً كريماً نشأ الولد على الصدق والأمانة والخلق والكرم، وإن كان كاذباً بخيلاً نشأ الولد على ذلك (١).

الفرع الثاني - الخطوات المتعلقة بالمعالج

أولاً - أن يدرك الشخص الغاية من وجوده ومهمته في الحياة

لم يخلق الله سبحانه وتعالى الإنسان عبثاً ولم يتركه دون مهمة وغاية يسعى من أجلها في الحياة ثم يحاسب عليها بين يدي الله سبحانه وتعالى، يقول سبحانه وتعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَا تَرْجِعُونَ ﴿٤﴾، ويقول سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥﴾، ويقول ﷺ: "إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون..." (٦). فمهمة الإنسان ووظيفته خلافة الله في الأرض وعمارته واكتشاف الأنظمة والقوانين المتعلقة بكل ما في الكون، وبذلك يحقق الإنسان العبودية لله سبحانه وتعالى، فأدراك الإنسان لمهمته وغايته يجعله يسعى لتحقيق هذه الغاية دون كللٍ أو مللٍ، ويتخلص من كل ما يعيق تحقيق هذه الغاية.

ثانياً - أن يدرك الإنسان أنه مبتلى في هذه الحياة

يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٧﴾، ويقول سبحانه: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٨﴾، ويقول ﷺ: "عجبا لأمر

(١) سورة الصف، آية ٢.

(٢) سورة البقرة، آية ٤٤.

(٣) عبد الله علوان، تربية الأولاد في الإسلام، مرجع سابق، ٤٧٦/٢.

(٤) سورة المؤمنون، آية ١١٥.

(٥) سورة الذاريات، آية ٥٦.

(٦) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ٤، ص ٢٠٩٩، حديث (٢٧٤٢).

(٧) سورة الإنسان، آية ٢.

(٨) سورة الملك، آية ٢.

المؤمن إن أمره كله له خير إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صير فكان خيراً له^(١).

الفرع الثالث - نماذج لمظاهر نمو غير سوية تتعلق بالجانب الأخلاقي والاجتماعي أولاً - سلوك الكذب

الكذب سلوك منتشر بين الأفراد، وخاصة الأطفال، فقد ينكر الفرد ما اقترفه من تصرفات أو يتهم الآخرين اتهامات باطلة، وهو بشكل مجمل مخالفة القول للواقع، وتتعدد أنواع الكذب: منها الكذب الخيالي، وهو نوع من أنواع اللعب والتسلية يكثر في سن ٤-٥ سنوات ويقال تدريجاً حيث يدرك الطفل أنه مخالف، والكذب الالتباسي ويكون هذا الكذب حيث لا يتمكن الفرد من التمييز بين ما يراه في الواقع وما يكون في مخيلته، وذلك عندما يسمع قصة، يمتلكه الشعور فيتحدث بها وكأنها حدثت له، والكذب الانتقامي، وهذا يعد بداية الكذب غير السوي وفيه يتهم الآخرين بما يترتب عليه عقاب وغالباً ما يكون هذا الكذب بسبب التمييز بين الطفل وبين غيره في المعاملة. والكذب الدفاعي وهو من أكثر أنواع الكذب، يحدث نتيجة لخوف الطفل من العقاب وأخيراً الكذب المرضي وهو نمط شبه دائم في سلوكيات الفرد عند تعامله مع الآخرين^(٢)، ويمكن علاج الكذب بالاستناد إلى الخطوط العريضة السابقة المتمثلة في الخطوات الآتية:

أ- تجنب الكذب أمام الطفل ولو كان مزاحاً للضحك: الطفل لا يميز بين أنواع الكذب، فبعض الآباء والأمهات يكذب وهو يمزح ويضحك، يقول ﷺ: "ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب، ويل له ويل له"^(٣).

ب- حاول أن تفهم أسباب الكذب: راقب الطفل وابحث عن الأسباب التي تؤدي إلى الكذب وعالج هذه الأسباب من جذورها، فإذا كان سبب الكذب الخوف أشعره بالطمأنينة، وإذا كان سبب الكذب خوفاً من العقوبة فأشعره أن العقوبة ليست هدفاً بحد ذاته.

ج- أشعر الطفل بكرهيتك للكذب: حاول أن تشعر الطفل بكرهيتك للكذب، وأن الإسلام يحرم الكذب، فقد كان ﷺ يكره الكذب، "ما كان خلق أبغض إلى رسول الله ﷺ من الكذب"، وكان ﷺ إذا اطلع على أحد من أهله ممن كذب لم يزل معرضاً عنه حتى يحدث توبة^(٤).

(١) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج٤، ص ٢٢٩٥ حديث (٢٩٩٩).

(٢) فادية حمام، علم نفس النمو، مرجع سابق، ص ٢٠٢-٢٠٣.

(٣) رواه الترمذي، سنن الترمذي، ج٤، ص ٥٥٧، حديث رقم (٢٣١٥) قال أبو عيسى حديث حسن، حسنه الألباني.

(٤) علاء الدين المتقي، كنز العمال، طرف الحديث (١٨٣٨١)، صححه الألباني، انظر: صحيح وضعيف الجامع الصغير، حديث رقم (٤٦٧٥).

د- قدم للطفل نماذج عملية في الصدق: الطفل يتعلم الصدق من المحيط أو البيئة التي يعيش فيها، فإذا نشأ الطفل في بيئة تلتزم الصدق تعلم الطفل من هذه البيئة وإذا شاهد أو سمع من والديه ممارسات تدل على الكذب تعلم منها، لذا حرص الإسلام على توفير القدوة الصالحة الحسنة، فعن عبدالله بن عامر أنه قال: "دعتني أمي يوماً ورسول الله ﷺ في بيتنا، فقالت: هيا تعال أعطيك، فقال لها رسول الله ﷺ وما أردت أن تعطيه، قالت أعطيه تمراً، فقال لها رسول الله ﷺ أما إنك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة"^(١).

ه- أسلوب الثواب والعقاب: للثواب الأثر الطيب في إصلاح النفوس والأخلاق وتهذيبهما، بالإضافة إلى أنه يشدّ الهمم ويقوي العزائم ويبعث روح الأمل في الإنسان، والعقاب بشتى أنواعه ووسائله أحد الوسائل التي لا ترتاح إليها النفس البشرية ولا ينظر إليها بعين الرضا. وهذا ما كان يفعله النبي ﷺ، فكان يحث على الصدق ويعد بالجنة لمن صدق، فعن عبادة بن الصامت ؓ أن النبي ﷺ قال: "اضمنوا لي ستاً من أنفسكم اضمن لكم الجنة: منها اصدقوا إذا حدثتم....."^(٢).

وكان يحث على ترك الكذب ويعد على تركه ببيت في الجنة، فعن أبي إمامه ؓ قال: "قال رسول الله ﷺ: "أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً؛ وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً..."^(٣)، وقد توعد النبي ﷺ بالعقوبة لمن يكذب، فعن أبي هريرة ؓ، قال: قال رسول الله ﷺ: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكّيهم: شيخ زان وملك كذاب وعائل متكبر"^(٤).

ثانياً - الشجار بين الإخوة

تكثر المشاجرات بين الإخوة داخل الأسرة لأسباب متعددة؛ وفيما يلي عرض لعلاج مشكلة الشجار بين الإخوة، في جانبيه الوقائي والعلاجي.

أ- العدل بين الأبناء: إن شعور الطفل بأن أحد والديه يميل إلى أخيه، ويكرمه ويدلله أكثر منه، سيجعل في هذا الطفل شراسة لا يقوى الأبوان على الصمود أمامها، فإخوة يوسف لما علموا ميل قلب أبيهم إلى يوسف رموا أباهم بالخطأ ﴿ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا أُبَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾^(٥)، فكانت النتيجة أن أقدموا على عمل مشين في

(١) رواه أبو داود، سنن أبي داود، ج٤، ص ٢٩٨، حديث رقم (٤٩٩١)، حسنه الألباني.

(٢) رواه الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ج٤، ص ٣٩٩، حديث رقم (٨٠٦)، حسنه الألباني، انظر: للسلسلة الصحيحة، حديث رقم (١٤٧٠).

(٣) رواه الطبراني، المعجم الكبير، ج٨، ص ٩٨، حديث رقم (٧٤٨٨)، حسنه الألباني، انظر: صحيح الترغيب والترهيب، حديث رقم (١٣٩).

(٤) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج١، ص ١٠٢، حديث رقم (١٠٧).

(٥) سورة يوسف، آية ٨.

حق الإخوة وحق الأبوة، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾^(١)، وقد حذر النبي ﷺ من عدم العدل لآثاره السلبية، فعن النعمان بن بشير ﷺ قال: "انطلق بي أبي يحملني إلى رسول الله ﷺ، فقال يا رسول الله: أشهد أنني قد نحلته النعمان كذا وكذا من مالي، فقال أكل بنيك قد نحلته مثل ما نحلته النعمان؟ قال: لا قال: فاشهد على هذا غيري، ثم قال: أيسرك أن يكونوا في البر سواء قال: بلا، قال: فلا إذا."^(٢) والرسول ﷺ لم يفرق في المعاملة بين أحفاده وأولاد المسلمين، فعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يأخذني فيقعدني على فخذه، ويقعد الحسن على فخذه الأخرى ثم يضمنا ويقول، اللهم أرحمهما فإنني أرحمهما"^(٣).

ب- أن يكون الأب والأم قدوة في حل مشكلاتهم: الشجار بين الوالدين أمام الأطفال يفقد شعور الأطفال بالأمن والطمأنينة، وينعكس على أسلوب تعامل الإخوة فيما بينهم، فكيف لأبوين أن يطلبوا من الأبناء عدم الشجار وهما يفعلان هذا الأسلوب.

ج- منع الوشاية بين الأبناء: أكبر الأخطاء التي يرتكبها الآباء أن يجعلوا أبناءهم يقومون بتهمة التجسس على إخوانهم، فذلك يشعل نار العداوة والبغضاء بينهم، إضافة إلى أنه مخالف لأحكام الدين.

د- عدم المقارنة بين الأبناء فلكل شخصيته المميزة: من أسباب شجار الإخوة الغيرة والحقد والحسد، بسبب المقارنات التي يعقدها الآباء بين الأبناء، فلكل منهم شخصيته المميزة التي تختلف عن الآخر.

هـ- تدخل في المنازعات وقم بدور القاضي المنصف: يجب على أحد الأبوين أن يتدخل لفض الشجار الحاصل وأن يتعرف إلى أسباب الخلاف دون تحيز لأحد الأطراف، والطلب من الطرف المخطئ الاعتذار لأخيه، فعن أبي أيوب الأنصاري أن رسول الله ﷺ قال: "لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيصد هذا ويصد هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام"^(٤). وتعزيز القيم الإسلامية في نفوس الأبناء أي تعزيز فضيلة التسامح بين الناس، يقول سبحانه: ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾^(٥).

(١) سورة يوسف، آية ٦-١٠.

(٢) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ٣، ص ١٢٤٣، طرف الحديث (١٦٢٢).

(٣) رواه البخاري، صحيح البخاري، ج ٥، ص ٢٢٢٦، حديث رقم (٥٦٥٧).

(٤) رواه البخاري، صحيح البخاري، ج ٥، ص ٢٢٠٣، حديث (٥٨٨٣).

(٥) سورة الشورى، آية ٤٠.

الخاتمة

الحمد لله الذي وفقني لإنجاز هذه الدراسة والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وبعد، فقد خرجت الدراسة بنتائج وتوصيات يمكن إيجازها في الآتي:

الفرع الأول - نتائج الدراسة

أولاً - التأسيس الإسلامي للدراسات النفسية هو تناول مفردات علم النفس الغربي على أساس مبادئ الإسلام وأحكامه التي تحكم السلوك الإنساني وتهذيبه، وتضع القواعد المثلى للحياة الإنسانية السليمة.

ثانياً - التأسيس الإسلامي للدراسات النفسية يعود على المسلمين وعلى غيرهم بفوائد عديدة من أهمها التخلص من القيم الغربية السلبية التي يغصّ بها علم النفس، جعل علم النفس يصدر عن مصدر يقيني، وليس احتمالياً، والتأسيس بهذا ضرورة عقديّة إنسانية علمية.

ثالثاً - علم نفس النمو من المنظور الإسلامي هو العلم الذي يبحث في التغيرات الحادثة للأفراد في مختلف الجوانب النمائية خلال مراحل النمو المختلفة، ويكشف عن العوامل والمبادئ والمشكلات المتعلقة بالتغيرات الحادثة للفرد من منظور إسلامي، وكل ذلك بقصد التدبر في أحوال الإنسان واستشعار مظاهر القدرة الإلهية.

رابعاً - بناء نظرية إسلامية في النمو الإنساني يعود على المسلمين وعلى غيرهم بفوائد عديدة، فيما يتعلق بالجانب الإيماني والجانب الفكري والتربوي وجانب الطبيعة الإنسانية.

خامساً - مصادر دراسة النمو الإنساني من المنظور الإسلامي تتمثل في القرآن الكريم والسنة المطهرة والتراث الإسلامي والعقل والحواس والتجربة.

سادساً - مراحل النمو التي يمر بها الإنسان التي دلت عليها نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة سبع مراحل رئيسية، هي: مرحلة الاختيار، وبناء الأسرة، ومرحلة الجنين ومرحلة ما قبل التمييز، ومرحلة التمييز ومرحلة المراهقة والبلوغ، ومرحلة الشباب ومرحلة الكهولة والشيخوخة، علماً بأن حياة الإنسان لا تنتهي بالموت وإنما ينتقل إلى حياة أخرى تكتمل فيها جميع المظاهر النمائية.

سابعاً - بين القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة أن بعض الخلق خرج عن السنة الجارية المعروفة في نمو الإنسان، مثل خلق آدم وحواء وعيسى عليهم الصلاة والسلام.

ثامناً - أشار القرآن الكريم والسنة المطهرة إلى العديد من المظاهر النمائية عند الإنسان منها: النمو العقلي والنمو الجسمي والنمو الاجتماعي والنمو الأخلاقي والنمو النفسي والانفعالي،

وذلك من خلال الأحكام الشرعية المتعلقة بالإنسان منذ أن يكون نطفة إلى انتقاله إلى الحياة الآخرة السرمدية الأبدية.

تاسعاً - اهتم العلماء المسلمون الأوائل بدراسة النمو الإنساني - يتضح ذلك من خلال دراسة مؤلفات العلماء المسلمين ومصنفاتهم - فقد بينوا المراحل النمائية التي يمر بها الإنسان والعوامل المؤثرة في النمو الإنساني ومبادئه ومشكلاته وطرائق البحث فيه، إضافة إلى إشارتهم إلى المظاهر النمائية المختلفة عند الإنسان.

عاشراً - يقوم النمو الإنساني في المنظور الإسلامي على مجموعة من التوجيهات والتي تعدّ الأصول التي يستند إليها لإحداث التغيرات في المظاهر النمائية المختلفة، فثمة أسس تتعلق بالنمو الديني والنمو الجسمي والنمو العقلي والنمو النفسي والأخلاقي والاجتماعي.

الحادي عشر - يقوم النمو الإنساني في المنظور الإسلامي على مجموعة من المبادئ التي هي في حقيقتها محاولة للكشف عن سنن الله في خلق الإنسان، أي الكشف عن حقائق النمو الإنساني وقواعده المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ومن هذه الحقائق أن النمو الإنساني عملية تفوق الوجود الظاهري الدنيوي، وأن الإنسان مخلوق من أجود العناصر وأفضلها، وأن النمو الإنساني يمر بمراحل حرجة وحساسة وغيرها من القواعد والحقائق المتعلقة بالنمو الإنساني.

الثاني عشر - يتأثر النمو الإنساني في المنظور الإسلامي بالعديد من المؤثرات منها: العبادات والوراثة، وزواج الأقارب، وسن الأم، والبيئة، والغذاء، والنظافة، والأمراض، واتجاهات الوالدين نحو جنس الجنين، إضافة إلى الحالة الانفعالية للأم أثناء الحمل، والتجانس بين الوالدين.

الثالث عشر - الطبيعة الإنسانية في المنظور الإسلامي هي الصفات والخصائص التي يشترك بها جميع الناس، وفقاً للخلقة التي خلقهم الله عليهم، بغض النظر عن الأجناس أو الألوان أو الديانات أو الثقافات، وهذا ما يتفق مع المفهوم العام للفطرة.

الرابع عشر - الطبيعة الإنسانية في المنظور الإسلامي، تشير إلى أن الإنسان مفطور على جملة من الأمور، منها: الإيمان بالألوهية والوحدانية لله تعالى، والدوافع الفطرية والمكتسبة، والأخلاق التي تؤثر بمجموعها في مختلف المظاهر النمائية للإنسان.

- الطبيعة الإنسانية في المنظور الإسلامي كل مكون من أجزاء، هي: الجسمي والعقلي والروحي، لذا ينبغي العمل على الاهتمام بهذه الجوانب حتى يكون النمو الإنساني متكاملًا.

الخامس عشر - طبيعة النمو الإنساني في المنظور الإسلامي مراحل متصلة متداخلة مترابطة، تشمل تغيرات كمية ونوعية في آن واحد.

السادس عشر - أشار القرآن الكريم والسنة النبوية إلى تأثير كل من الوراثة والبيئة في مختلف المظاهر النمائية للإنسان، دون وجود حدود فاصلة بين تأثير الوراثة وتأثير البيئة.

السابع عشر - أشار القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة إلى مظاهر النمو غير السوي، فثمة مظاهر نمو غير سوي تتعلق بالنمو الجسمي والنمو الحسي والنمو العقلي والنمو الجنسي والنمو الأخلاقي والنمو النفسي.

الثامن عشر - بين الإسلام الخطوط العريضة في معالجة مظاهر النمو غير السوي المتعلقة بمختلف المظاهر النمائية، وترك للباحثين تفصيل علاج كل مظهر من مظاهر النمو غير الطبيعي.

الفرع الثاني - التوصيات

أولاً - تبني كليات الشريعة في الجامعات موضوعات تسهم في التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية.

ثانياً - إيلاء التراث النفسي الإسلامي - المتمثل في مؤلفات العلماء المسلمين ومصنفاتهم - الاهتمام اللازم، وعده ثروة معرفية نفسية إسلامية يمكن الاستفادة منه في الدراسات النفسية الحديثة.

ثالثاً - إيلاء المربين ومخططي المناهج الاهتمام اللازم لمراحل النمو التي يمر بها الطالب، والتعامل معه وفق هذه المراحل من خلال التربية الإسلامية.

رابعاً - العمل على تكليف طلبة الدراسات العليا - في مرحلتي الماجستير والدكتوراه - بإجراء الدراسات الآتية لأهميتها في صياغة نظرية إسلامية في النمو الإنساني:

أ- نظرية النمو عند ابن قيم الجوزية.

ب- نظرية النمو عند ابن الجوزي.

ج- العوامل المؤثرة في النمو الإنساني "دراسة مقارنة".

د- النمو الاجتماعي من منظور إسلامي "دراسة في القرآن والسنة والتراث".

هـ- النمو النفسي من منظور إسلامي "دراسة في القرآن والسنة والتراث".

و- أحكام عبادات الطفل وأثرها في النمو الإنساني

ز - أحكام معاملات الطفل وأثرها في النمو الإنساني.

قائمة المصادر والمراجع

المراجع العربية

إبراهيم رجب، "مداخل التواصل الإسلامي للعلوم الاجتماعية" أبحاث ندوة الخدمة الاجتماعية في الإسلام، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩١م.
ابن عابدين، رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار، القاهرة - مصر المطبعة الأميرية.

إحسان المحاسنة، البيئة والصحة العامة، عمان - الأردن، دار الشروق، ط٢، ١٩٩٤م.
أحمد القاضي، تأثير القرآن على وظائف الجسم البشري، هدي الإسلام، وزارة الأوقاف الشؤون والمقدسات الإسلامية الأردنية، العدد العاشر، ١٩٨٧م.
أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي. سنن البيهقي الكبرى، تحقيق محمد عطا، مكتبة دار الباز، ١٤١٤هـ.

أحمد بن حنبل الشيباني. المسند، مؤسسة الرسالة.
أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي. السنن الكبرى، تحقيق عبد الغفار البنداوي، دار الكتب العلمية، ط١.

أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي. مختصر منهاج القاصدين. بيروت - لبنان، دار الكتب الثقافية، ط١، ١٩٩٢م.

أحمد بن علي أبو يعلى الموصلي. مسند أبي يعلى، تحقيق حسين أسد، دار المأمون للتراث، ط١، ١٤٠٤هـ.

أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٤.

أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (أبو العباس)، المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم كتاب مسلم، بيروت - لبنان، دار ابن كثير، ط٢، ١٩٩٩م.

ألكس كاريل. الإنسان ذلك المجهول، تعريب: شفيق فريد، بيروت - لبنان، مكتبة المعارف، ط١، ٢٠٠٣م.

أحمد خليل، الوراثة وزواج الأقارب والمحرمات، مجلة التربية، قطر، العدد ١٢٠، ١٩٩٧م.

أحمد رجب الأسمر، النبي المرئي، عمان - الأردن، دار الفرقان، ط١، ٢٠٠١م.

أحمد رجب الأسمر، فلسفة التربية في الإسلام، عمان - الأردن، دار الفرقان، ط١، ١٩٩٧م.

أحمد ضياء الدين، التربية الوقائية في الإسلام، عمان: دار الفرقان، ط١، ٢٠٠٥م.

- أحمد ضياء الدين، الطب الوقائي في الهدى النبوي جسمياً وعقلياً، مؤتمر الاجتهاد في قضايا الصحة والبيئة والعمران، جامعة اليرموك، اربد ٣٠/٣-١/٤/٢٠٠٣م.
- أحمد الدغشي، الأساس الفطري في التربية الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، كلية الشريعة، اربد - الأردن، ١٩٩٥م.
- أحمد الدغشي، نظرية المعرفة في القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية، عمان - الأردن، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ٢٠٠٢م.
- أحمد كنعان، خلق الإنسان، سلسلة كتاب الأمة، الدوحة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر، ذو الحجة، ١٤٠٤هـ.
- أحمد مدحت، الماء سائل الحياة، مصر، دار الفكر، ط١، ١٩٩٩م.
- أسامة كمال بدوي، رعاية الإسلام للطفولة جسدياً ونفسياً، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة القرآن الكريم، جمهورية السودان، ٢٠٠٠م.
- إسماعيل الفاروقي، صياغة العلوم الاجتماعية صياغة إسلامية، فرجينيا، الولايات المتحدة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٨٩م.
- إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي أبي الفداء، تفسير القرآن العظيم، بيروت، لبنان، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٩٩٣م.
- أكرم رضا، يلوغ بلا خجل، مصر، دار النشر والتوزيع الإسلامية، ط٣، ٢٠٠٣م.
- أكرم رضا، مراهقة بلا أزمة، مصر، دار النشر والتوزيع الإسلامية، ط١، ٢٠٠٠م.
- أمينة الجابر، التفكك الأسري، الأسباب والحلول المطروحة، كتاب الأمة، الدوحة، قطر، وزارة الأوقاف، العدد ٨٣، ربيع الثاني ١٤٢٢هـ.
- أنور الجندي، مفاهيم العلوم الاجتماعية والنفوس والأخلاق في ضوء الإسلام، دار الاعتصام، ط١، ١٩٧٧م.
- أيمن محمد عبد العزيز، دراسة تحليلية لبعض القضايا التربوية في المذهب الحنفي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أسيوط، كلية التربية، مصر، ٢٠٠٣م.
- باتريشيا هـ، ميللر، نظريات النمو، ترجمة محمد عوض الله سالم وآخرين، عمان - الأردن، دار الفكر، ط١، ٢٠٠٥م.
- باقر القرشي، النظام التربوي في الإسلام: دراسة مقارنة، دار المعارف للمطبوعات، ١٩٨٨م.
- بشير حاج توم، مكاتب فلسفة التربية في النظرية الإسلامية، في بحوث المؤتمر التربوي، "نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة"، تحرير فتحي ملكاوي، عمان، جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية، ١٩٩١م.

- البهي الخولي، الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة، الكويت، دار القلم، ط ٥، ١٩٨٤م.
- تاج الدين الجاعوني، الإنسان هذا الكائن العجيب، أطوار خلقه وتصويره في الطب والقرآن. عمان - الأردن، دار عمار، ط ١، ١٩٩٣م.
- ج سوليفان. حدود العلم، لبنان - بيروت، الدار العلمية، ط ١، ١٩٧٢م.
- حامد أحمد حامد، رحلة الإيمان في جسم الإنسان، دمشق - سوريا، دار القلم، ط ٣، ٢٠٠٢م.
- حامد عبد السلام زهران، علم نفس النمو، الطفولة والمراهقة، القاهرة - مصر، عالم الكتب، ط ٥، ١٩٩٩م.
- حسن إبراهيم عبد العال، التربية والشيخوخة: دراسة للأبعاد لظاهرة الشيخوخة في فكر الإمام ابن الجوزي، رسالة الخليج العربي، مكتبة التربية العربي لدول الخليج، العدد ٤٨، ١٩٩٣م.
- حسن إبراهيم عبد العال، مقدمة في فلسفة التربية الإسلامية، الرياض - السعودية، دار عالم الكتب، ١٩٨٥م.
- حسن الشرقاوي، التربية في المنهج الإسلامي في دعوة الحق، مكة المكرمة، العدد ٣٥، ١٩٨٤م.
- حسن الشرقاوي، في الطب النفسي النبوي، مصر، دار المطبوعات الجديدة.
- حسن أيوب، السلوك الاجتماعي في الإسلام، مصر، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٩٩٦م.
- الحسيني معدي، التربية الجنسية بين الفكر الإسلامي والغربي، مصر - كفر الشيخ، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠٥م.
- حمد الرقعي، خلق الإنسان بين العلم والقرآن، ليبيا، الدار الجماهيرية، ط ١، ١٤٢٥هـ.
- حمدي الفرماوي، البناء النفسي في الإنسان: دراسة من فيض القرآن الكريم، القاهرة - مصر، مكتبة زهراء الشرق.
- حمدي شاكر محمود، مبادئ علم نفس النمو في الإسلام، السعودية، دار الأندلس للنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٩٨م.
- حنان عبد الحميد العناني، تربية الطفل في الإسلام، عمان - الأردن، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠١م.
- حنان عطية الجهني، الدور التربوي للوالدين في تنشئة الفتاة المسلمة، الرياض - السعودية، ط ١، ٢٠٠١م.
- خالد الحازمي، مراحل النمو في ضوء التربية الإسلامية، الرياض - السعودية، دار عالم الكتب، ١٩٩٩م.

خالد القاعود، أثر الإيمان بالله تعالى وقضائه على جهاز المناعة والصحة لدى الإنسان، في مؤتمر الاجتهاد في قضايا الصحة والبيئة، جامعة اليرموك، اربد، ٣٠/٣-٤/١/٢٠٠٢م.

خليل الحدي. التربية الوقائية في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها، وزارة التعليم العالي، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٨هـ.

خليل شومان، الطب الوقائي في القرآن، اربد - الأردن، دار الكتاب، ط١، ٢٠٠٤م. خوله جرادات. المؤلفات المعاصرة في التربية الإسلامية دراسة نقدية. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة، جامعة اليرموك، اربد، ١٩٩٦م.

داود السعدي، أسرار خلق الإنسان: العجائب في الصلب والترائب، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ.

ديل كارنيجي. دع القلق وابدأ الحياة، عمان - الأردن، الأهلية للنشر والتوزيع، ٢٠٠١م. رجا غازي العمرات. المضامين التربوية المتعلقة بعبادات الطفل ومعاملته في الفقه الإسلامي، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة اليرموك، كلية الشريعة، الأردن، ٢٠٠٦م.

رشاد علي موسى، الإرشاد النفسي في حياتنا اليومية في ضوء الوحي الإلهي والهدي النبوي، القاهرة - مصر، الفاردة الحديثة للطباعة، ط١، ٢٠٠١م. الزبير بشير طه، علم النفس في التراث العربي الإسلامي، جامعة الإمارات العربية المتحدة، لجنة التعريف والتأليف والترجمة، ١٩٩٧م.

زينب حسن، رعاية الطفولة في الفكر التربوي العربي الإسلامي، تحرير عون الشريف والحبيب الجحاني، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية ومكتب التربية العربي لدول الخليج، تونس، ١٩٨٧م. سبوك، حديث إلى الأمهات، مشاكل الآباء في تربية الأبناء، ترجمة منير عامر، بيروت - لبنان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٨٦.

سعيد إسماعيل علي، أصول التربية الإسلامية، القاهرة - مصر، دار السلام للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٥م.

سعيد إسماعيل علي، الخطاب التربوي الإسلامي، سلسلة كتاب الأمة، الدوحة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر، العدد ١٠٠، ربيع الأول ١٤٢٥هـ.

سعيد بن راشد الصوافي. الوحدة الإنسانية في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة آل البيت، كلية الدراسات الفقهية والقانونية، المفرق، ١٩٩٩م.

سليمان العبد، المنهاج النبوي في دعوة الشباب، الرياض - السعودية، دار العاصمة، ط ١، ١٩٩٥م.

سليمان بن أحمد الطبراني. المعجم الأوسط، بيروت - لبنان، المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ.

سليمان بن أحمد الطبراني. المعجم الكبير، مكتبة العلوم والحكم، ط ٣، ١٤٠٤هـ.

سليمان بن أحمد الطبراني. المعجم الصغير، تحقيق محمد شكور، بيروت - لبنان، المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٠٥هـ.

سليمان بن الأشعث السجستاني. سنن أبي داود، دار الفكر.

سليمان بن داود أبو داود الطيالسي. مسند أبي داود الطيالسي، دار المعرفة.

سميح عاطف الزين، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، بيروت - لبنان، دار الكتاب اللبناني، ط ١، ١٩٩١م.

سهام مهدي جبارة، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، بيروت، لبنان، المكتبة العصرية، ط ١، ١٩٩٧م.

سيد سابق. فقه السنة، بيروت - لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٩٢م.

سيد قطب. في ظلال القرآن، جدة - السعودية، دار الشروق، ط ٢٥، ١٩٩٦م.

سيد قطب. مقومات التصور الإسلامي، القاهرة - مصر، دار الشروق، ط ٢، ١٩٨٧م.

سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، بيروت - لبنان، دار الشروق، ط ٧، ١٩٨٢م.

سيد محمود الطواب، النمو الإنساني أسسه وتطبيقات، الإسكندرية - مصر، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥م.

شادية أحمد التل، النمو الإنساني في التراث الإسلامي، مجلة الثقافة النفسية، مركز الدراسات النفسية والجسدية، طرابلس، لبنان، عدد ٢٢، ١٩٩٥م.

شادية أحمد التل، علم النفس التربوي في الإسلام، عمان - الأردن، دار النفائس، ط ١، ٢٠٠٥.

شادية أحمد التل، مراحل النمو الإنساني ومطالبها التربوية، في بحوث المؤتمر التربوي، "نحو بناء نظرية تربوية إسلامية"، تحرير فتحي ملكاوي، عمان، جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية، ١٩٩١م.

شبيب الحاضري، الخمر داء وليست بدواء، مكة المكرمة، رابطة العالم الإسلامي، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ط ٢، ٢٠٠٠م.

شرف القضاة، متى تنفخ الروح في الجنين، عمان - الأردن، دار الفرقان، ط ١، ١٩٩٠م.

شفيق علاونة. سيكولوجية النمو الإنساني "الطفولة"، عمان - الأردن، دار الفرقان، ط ١، ١٩٩٤م.

شفيق علاونة، أساسيات علم النفس التطوري، مكتبة الرائد العلمية، ط ١، ١٩٨٩م.
شفيق علاونة، خصائص المتعلم من وجهة نظر إسلامية، في بحوث المؤتمر التربوي "تحو
بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة" تحرير فتحي ملكاوي، عمان، جمعية
الدراسات والبحوث الإسلامية، ١٩٩١م.

شفيق علاونة، سيكولوجية التطور الإنساني من الطفولة إلى الرشد، عمان - الأردن، دار
المسيرة، ط ١، ٢٠٠٤م.

صالح الصنيع، دراسات في التأصيل الإسلامي لعلم النفس، الرياض، عالم الكتب ط ١،
١٩٩٥م.

صبحي المحمصاني، النظرية العامة للموجبات والعقود في الشريعة الإسلامية، بحث مقارنة
في المذاهب المختلفة والقوانين الحديثة، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين، ط ٣،
١٩٨٣م.

صلاح أبو زيد، مليون مسلم يواجهون العاصفة، صحيفة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، عدد
١٧٨٧، ١٤٢٤هـ.

صلاح الخالدي، القصص القرآني، عرض وقائع وتحليل أحداث، دمشق - سوريا، دار القلم،
ط ١، ١٩٩٨م.

صلاح الدين سلطان، الآثار التربوية للعبادات في العقل والجسد، القاهرة - مصر، نهضة
مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م.

الطاهر الغربي، التغذية في الإسلام بحققها العلم الحديث، تونس، ط ١، ١٩٨٦م.
عابد توفيق الهاشمي، مدخل إلى التصور الإسلامي للإنسان والحياة، عمان - الأردن، دار
الفرقان، ١٩٨٢م.

عادل رشاد غنيم، خمس خطوات لتعديل سلوك طفلك، السعودية، الدار السعودية للنشر
والتوزيع، ط ١، ١٩٩٩م.

عبد الباسط السيد، المنهج النبوي في تربية الطفل، مصر، المكتبة الفا للتجارة والتوزيع، ط ١،
٢٠٠٥م.

عبد الحميد الزنتاني، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ليبيا، الدار العربية للكتاب،
١٩٨٤م.

عبد الحميد القضاة، الأمراض الجنسية عقوبة إلهية، ط ١، ١٩٨٥م.

عبد الحميد القضاء، تفوق الطب الوقائي في الإسلام، عمان - الأردن، المستشفى الإسلامي، ط ١، ١٩٨٧م.

عبد الحميد المجالي، البحوث الطبية في أحكام الطهارة، مؤتمر الاجتهاد في قضايا الصحة والبيئة والعمران، اربد، الأردن، جامعة اليرموك، ٣٠/٣-١/٤/٢٠٠٣م.

عبد الحميد الهاشمي، الفروق الفردية دراسة تحليلية، بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٩٨٢م.

عبد الحميد دياب، وأحمد قرقوز، مع الطب في القرآن الكريم، بيروت - لبنان، مؤسسة علوم القرآن، ط ٢، ١٩٨٢م.

عبد الرحمن المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض في ضوء القرآن الكريم، القاهرة، مصر، مكتبة وهبة، ط ١، ١٩٩٠م.

عبد الرحمن الميداني، كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصر، دمشق - سوريا، دار القلم، ط ١، ١٩٨٥م.

عبد الرحمن الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، بيروت - لبنان، دار العلم، ط ١، ١٩٧٩م.

عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية، بيروت - لبنان، دار الفكر المعاصر، ط ٣، ١٩٩٩م.

عبد الرحمن بن الجوزي أبو الفرج، زاد المسير في علم التفسير، بيروت - لبنان، المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٩٨٤م.

عبد الرحمن بن الجوزي أبو الفرج، تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر، القاهرة - مصر، دار الحديث.

عبد الرحمن بن الجوزي أبو الفرج، صيد الخاطر، عمان - الأردن، دار الإسرائاء، ط ١، ٢٠٠٥م.

عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، القاهرة - مصر، دار الفجر للتراث، ط ١، ٢٠٠٤م.

عبد الرحمن بن عبد الله الزيد، التوجيه الإسلامي للنمو الإنساني عند طلاب التعليم العالي، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، العدد (١٠٣-١٠٤)، ١٤١٦-١٤١٧هـ.

عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، السعودية. عبد الرحمن صالح، النظرية العامة للتربية رؤية إسلامية، في بحوث المؤتمر التربوي (نحو بناء نظرية إسلامية معاصرة، تحرير فتحى ملكاوي، عمان، جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية، ١٩٩١م.

عبد الرحمن عيسوي، الإسلام والعلاج النفسي الحديث، بيروت، لبنان، دار النهضة العربية، ١٩٨٨م.

عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. الدرر المنتشرة، ط٢، مكتبة دار العروبة، الصفاة، ١٩٨٩م.

عبد الرزاق الكيلاني، الحقائق الطبية في الإسلام، دمشق - سوريا، ط١، ١٩٩٦م.

عبد الستار أبو غده. بحوث في الفقه الطبي، القاهرة - مصر، دار الأقصى، ١٩٩١م

عبد السلام الفندي، تربية الطفل المسلم، عمان - الأردن، ط١، ٢٠٠٢م.

عبد العزيز النغيشي، المراهقون دراسة نفسية إسلامية للآباء والمعلمين والدعاة، الرياض - السعودية، دار المسلم، ط٢، ١٤١٤هـ.

عبد العزيز عبد الحميد. الإيمان بين الحقائق القرآنية والمعارف الطبية، القاهرة - مصر، دار الآفاق العلمية، ط١، ١٩٩٥م.

عبد الغني الخطيب، الطفل المثالي في الإسلام، بيروت، لبنان، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٩٨٢م.

عبد الغني عبود وحسن عبد العال، التربية الإسلامية وتحديات العصر، القاهرة، مصر، دار الفكر العربي، ط١، ١٩٩٠م.

عبد الفتاح دويدار، سيكولوجية النمو والارتقاء، بيروت، دار النهضة العربية.

عبد القادر رمزي، النظرية الإسلامية في فلسفة الدراسات الاجتماعية والتربوية، الدوحة - قطر، دار الثقافة، ط١، ١٩٨٤م.

عبد الكريم زيدان، الوجيز في أصول الفقه، بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٩٩٦م.
عبد الله البكري، الغذاء وصحة المجتمع، السعودية، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط١، ١٩٩٤م.

عبد الله بن أحمد بن قدامه المقدسي. المغني، تحقيق د. عبد الله التركي والدكتور عبد الفتاح الحلوة، السعودية، دار عالم الكتب، ط٤، ١٩٩٩م.

عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي. سنن الدارمي، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.

عبد الله شحاته، تفسير القرآن الكريم، القاهرة - مصر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
عبد الله علوان، تربية الأولاد في الإسلام، القاهرة - مصر، دار السلام للطباعة، ط٣١، ١٩٩٧م.

عبد الملك بن محمد الثعالبي، أبو منصور. فقه اللغة، بيروت - لبنان دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٤م.

عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكير الإنسان؛ بيروت - لبنان، دار الفكر المعاصر، ط ١، ٢٠٠٢م.

عبدالله السعيد، من الإعجاز الطبي في الأحاديث النبوية الشريفة علم الوراثة، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط ١، ١٩٨٩م.

عبدالله بن محمد أبو بكر القرشي. التواضع والخمول، تحقق محمد عطاء، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٩هـ.

عبدالله بن محمد بن أبي شيبة. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق كمال الحوت، مكتبة الرشيد، ط ١.

عثمان الصافي. أسلمة العلوم الإنسانية، بيروت - لبنان، دار الكتاب العربي، ط ١.

عدنان الشريف، من علم الطب القرآني، بيروت - لبنان، دار العلم للملايين، ٢٠٠١م.

عدنان حسن باحارث، مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة، جدة، السعودية، دار المجتمع للنشر والتوزيع، ط ٥، ١٩٩٦م.

علاء الدين المتقي بن حسام الدين. كنز العمال، في سنن الأقوال والأفعال، مؤسسة الرسالة. علي آغا، الصحة النفسية والبدنية والعقلية من مرحلة الحنين حتى ٦ سنوات من عمره، في مؤتمر الاجتهاد في قضايا الصحية والبيئية والعمران، جامعة اليرموك، ٣٠/٣-١/٤/٢٠٠٦م.

علي الحمادي، الكنز الذي لا يكلف درهما، بيروت - لبنان، دار ابن حزم، ط ٢، ١٩٩٨م.

علي بن محمد بن حبيب الماوردي. نصيحة الملوك، الكويت، مكتبة الفلاح، ط ١، ١٩٨٣م.

علي مذكور، منهج التربية في التصور الإسلامي، القاهرة - مصر، دار الفكر العربي، ط ١، ٢٠٠٢م.

عماد الدين خليل. العلم في مواجهة المادية، قراءة في كتاب حدود العلم لسوليفان، بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة ط ١، ١٩٨٣م.

عماد الدين خليل، حول إسلامية المعرفة والعلوم الإنسانية، محاضرة مكتوبة، ٢٠٠٥م.

عماد الدين خليل، مدخل إلى إسلامية المعرفة، الرياض - السعودية، الدار العالمية للكتاب الإسلامي ط ٣، ١٩٩٢م.

عمر الشيباني، مفهوم الإنسان في الفكر الإسلامي، طرابلس، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٨٧م.

عمر هارون خليفة، علم النفس التجريبي في التراث العربي الإسلامي، بيروت - لبنان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط ١، ٢٠٠١م.

عيسى العرباوي، كيف بدأ الخلق، دعوة الحق، مكة المكرمة، رابطة العالم الإسلامي، عدد ٨١، ١٩٨٨م.

فؤاد أبو حطب، علم نفس النمو من منظور إسلامي، المجلة التربوية الإسلامية، جامعة الكويت، كلية التربية، ١٩٨١م.

فؤاد البهي السيد، الأسس النفسية للنمو، دار الفكر العربي، ط٤، ١٩٧٥م.
فادية حمام وعلي مصطفى، علم نفس النمو، الرياض - السعودية، دار الزهراء، ط١، ٢٠٠٣م.

فاروق دسوقي. الإسلام والعلم التجريبي، بيروت - لبنان، المكتب الإسلامي، ط١، ١٩٨٧م.
فاطمة الغرباوي، الشيخوخة هل هي مرض، الكويت - عالم الفكر، وزارة الأعلام، ١٩٧٥م.
فيصل العمري، الأحاديث النبوية الواردة في رعاية الشباب، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة آل البيت، المفرق - الأردن، ١٩٩٩م.

كامل عويضة، علم نفس النمو، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية ط١، ١٩٩٦م.
كريم نجيب الاغر، أعجاز القرآن فيما تخفيه الأرحام، بيروت - لبنان، دار المعرفة، ط١، ٢٠٠٥م.

كمال إبراهيم موسى. تعريفات الصحة النفسية في الإسلام وعلم النفس، في المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية، تحرير الطيب زين العابدين، المعهد العالي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية ١٩٩٢م
لؤلؤة العلي، الوقاية الصحية في ضوء الكتاب والسنة، الدمام - السعودية، دار ابن القيم، ط١، ١٩٨٩م.

لؤي محمد عبابنة، التربية المعرفية للأطفال في التربية الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، اربد، الأردن، ٢٠٠١م.

لطفى الشربيني، الإيمان بالله هو الطريق إلى النفس مطمئنة في النفس مطمئنة، عدد ٥٨، الجمعية العالمية الإسلامية للصحة النفسية، القاهرة، ١٩٩٩م.

مالك بدري، علم النفس الحديث من منظور إسلامي، في المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية، تحرير، الطيب زين العابدين، فرجينيا، الولايات المتحدة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٩٩٢م.

محسن الدلفي، الإنسان عبر الحياة وفي مواجهة الموت، عمان، الأردن، دار الفرقان، ط١، ٢٠٠١م.

محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة د. عمر فروخ، بيروت - لبنان، دار العلم للملايين، ط١٦، ١٩٦٥م.

- محمد الخضري، من أسرار العطف في الذكر الحكيم (الفاء وثم)، القاهرة - مصر، مكتبة وجيه، ط ١، ١٩٩٣م.
- محمد السيد الزعلوي، الأمومة في القرآن الكريم والسنة النبوية، بيروت - لبنان، دار ابن حزم، ط ١، ١٩٩٨م.
- محمد السيد الزعلوي، تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، الرياض - السعودية، الكتب الثقافية، ط ٢، ١٩٩٦م.
- محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، بيروت - لبنان، مؤسسة التاريخ، ط ١، ٢٠٠٠م.
- محمد القوصي، قراءة إسلامية في علم النفس العام، القاهرة - مصر، دار الطباعة المحمدية، ط ١، ١٩٨٤م.
- محمد المستريحي، حكم التفريق بين الزوجين للعيوب لاسيما الوراثية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، كلية الشريعة، اربد - الأردن، ٢٠٠٣م.
- محمد امزيان، منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعارية، فيرجينيا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ط ١.
- محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية. التبيان في أقسام القرآن، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠١م.
- محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية. تحفة المودود بأحكام المولود، القاهرة - مصر، مكتبة ابن تيمية، ط ١، ١٩٩٩م.
- محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية. الروح، تحقيق السيد الجميلي، بيروت - لبنان، دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٩٨٦م.
- محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، الرياض، دار عالم الكتب، ٢٠٠٣م.
- محمد بن إسماعيل البخاري. صحيح البخاري، اليمامة، دار ابن كثير، ط ٣.
- محمد بن إسماعيل البخاري. الأدب المفرد، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، ط ٣، ١٤٠٩هـ.
- محمد بن حسين البصري الماوردي أبي الحسن. أدب الدنيا والدين، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م.
- محمد بن جرير الطبري أبو جعفر. جامع البيان عن تأويل أي القرآن، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي، ط ٣، ١٩٦٨م.
- محمد بن حبان التميمي. صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الارناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤١٤هـ.
- محمد بن سلامة أبو عبدالله القضاعي. مسند الشهاب، تحقيق حمدي السلفي، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٧هـ.

محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم. المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١١هـ.

محمد بن عبدالله التبريزي. مشكاة المصابيح، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، بيروت - لبنان، المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٩٨٥م.

محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الهداية والدراية من علم التفسير، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م.

محمد بن عيسى الترمذي. الجامع الصحيح لسنن الترمذي، دار الحياء التراث العربي، تحقيق أحمد محمد شاكر.

محمد بن محمد الزبيدي، تاج العروس، بيروت، لبنان، مكتبة الحياة، ط ١، ١٣٠٦هـ. محمد بن محمد العمادي أبو السعود. تفسير أبي السعود، بيروت - لبنان، دار إحياء التراث العربي.

محمد بن محمد الغزالي أبي حامد. إحياء علوم الدين، القاهرة - مصر، مكتبة مصر، ١٩٩٨م.

محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني. سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر. محمد بن يعقوب الفيروز آبادي. القاموس المحيط، بيروت - لبنان، ط ٤، ١٩٩٤م. محمد جمال الدين. تربية المراهق في المدرسة الإسلامية، مصر، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٧م.

محمد حسين. العشرة الطيبة، الإسكندرية - مصر، دار الدعوة، ط ٣، ٢٠٠٤م. محمد خالد الطحان وآخرون. أسس النمو الإنساني، دبي، جامعة الإمارات العربية المتحدة. محمد داوود الجزائري. الإعجاز الطبي في القرآن والسنة، بيروت - لبنان، مكتبة الهلال، ط ١، ١٩٩٣م.

محمد راتب النابلسي. مؤسسة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، دمشق - سوريا، دار المكتبي، ط ٣، ٢٠٠٥م.

محمد رواس. موسوعة فقه عمر بن الخطاب، الكويت، مكتبة الفلاح، ط ١، ١٩٨١م. محمد سيف الدين فهمي. النظرية التربوية وأصولها الفلسفية والنفسية، القاهرة، مصر، الأنجلو المصرية، ١٩٨٢م.

محمد شديد. منهج القرآن في التربية، بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٢م. محمد شريم. الشيخوخة، عمان - الأردن، جمعية عمال المطابع التعاونية، ١٩٩٢م. محمد شفيق غربال. الموسوعة العربية الميسرة، القاهرة - مصر، دار الشعب، ط ٢.

محمد عبد الظاهر الطيب، مبادئ علم النفس العام، الإسكندرية - مصر، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٤م.

محمد عثمان نجاتي، الحديث النبوي وعلم النفس، القاهرة - مصر، دار الشروق، ط٤، ٢٠٠٠م.

محمد عثمان نجاتي، الدراسات النفسية عند العلماء المسلمين، القاهرة - مصر، دار الشروق، ط١، ١٩٩٣م.

محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، القاهرة - مصر، دار الشروق، ط٢، ٢٠٠٥م.
محمد عثمان نجاتي، منهج التأصيل الإسلامي لعلم النفس، مجلة المسلم المعاصر، الكويت، عدد ٥٧، ١٩٩٠م.

محمد عز الدين توفيق، التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، القاهرة - مصر، دار السلام، ط١، ١٩٩٨م.

محمد عز الدين توفيق، دليل الأفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، القاهرة - مصر، دار السلام للطباعة، ط٢، ١٩٩٨م.

محمد عقله، أحكام الحج والعمرة، عمان - الأردن، مكتبة الرسالة الحديثة، ١٩٨١م.

محمد عقله، نظام الأسرة في الإسلام، عمان - الأردن، مكتبة الرسالة الحديثة، ط٢.

محمد علي البار، الأسرار الطبية والأحكام الفقهية في تحريم الخنزير، جدة - السعودية، ط١، ١٩٨٦م.

محمد علي البار، الأضرار الصحية للمسكرات والمخدرات والمنبهات، جدة - السعودية، ط١، ١٩٨١م.

محمد علي البار، الوجيز في علم الأجنة،

محمد علي البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، السعودية، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط٦، ١٩٨٦م.

محمد علي الصابوني، روائع البيان تفسير آيات الأحكام، دمشق - سوريا، مكتبة الغزالي، ط٢، ١٩٨٠م.

محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، بيروت - لبنان، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

محمد علي قطب، أولادنا في ضوء التربية الإسلامية، دمشق - سوريا، مكتبة الغزالي، ط١، ١٩٨٦م.

محمد عمر الفقيه، طبيعة النفس الإنسانية في ضوء القرآن الكريم وانعكاساتها التربوية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة اليرموك، اربد - الأردن، ٢٠٠٤م.

محمد عوده ومحمد رفيق عيسى، الطفولة والصبا، الكويت، دار القلم، ط١، ١٩٨٤م.

محمد فياض، أعجاز آيات القرآن في بيان خلق الإنسان، القاهرة - مصر، دار الشروق. ط ١، ١٩٩٩م.

محمد قطب، الإنسان بين المادية والإسلام. بيروت - لبنان، دار الشروق، ط ٧، ١٩٨٢م.
محمد قطب، حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، القاهرة - مصر، دار الشروق ط ٣، ١٩٩٨م.

محمد قطب، دراسات في النفس الإنسانية، بيروت - لبنان، دار الشروق، ط ٦، ١٩٨٣م.
محمد كامل عبد الصمد، الإعجاز العلمي في الإسلام، السنة النبوية، دمياط - مصر، الدار المصرية اللبنانية، ط ٣، ١٩٩٣م.

محمد كامل عبد الصمد، الإعجاز العلمي في الإسلام، القرآن الكريم، دمياط - مصر، الدار المصرية اللبنانية، ط ٢، ١٩٩٣م.

محمد أبو النور، منهج السنة في الزواج، دار التراث العربي، ط ١، ١٩٧٢م.
محمد لبيب النجيجي، الأسس الاجتماعية للتربية، بيروت - لبنان، دار النهضة العربية، ط ٧، ١٩٧٨م.

محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، القاهرة - مصر، أخبار اليوم، قطاع الثقافة.
محمد محروس الشناوي، بحوث في التوجيه الإسلامي للإرشاد والعلاج النفسي، القاهرة - مصر، دار غريب للطباعة، ط ١، ٢٠٠١م.

محمد محروس الشناوي، نظريات الإرشاد والعلاج النفسي، القاهرة - مصر، دار غريب، ط ١، ١٩٩٤م.

محمد محمود الشريعة، المتطلبات التربوية لمراحل النمو الإنساني في ضوء التربية الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة، جامعة اليرموك، اربد، الأردن، ١٩٩٧م.

محمد محمود عبد الله، الطب القرآني بين الغذاء والدواء، مصر، مؤسسة شباب الجامعة، ٢٠٠١م.

محمد محمود، علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام، جدة - السعودية، دار الشروق، ط ١، ١٩٨٤م.

محمد مصطفى زيدان، النمو النفسي للطفل والمراهق ونظريات الشخصية، جدة - السعودية، دار الشروق، ط ٤، ١٩٩٤م.

محمد ناجح أبو شوشة، المضامين التربوية في أهم مصادر المذهب الشافعي، رسالة دكتوراه، غير منشورة، جامعة جنوب الوادي، كلية التربية بسوهاج، مصر، ٢٠٠٢م.

محمد ناصر الدين الألباني. صحيح الترغيب والترهيب، الرياض - السعودية، مكتبة المعارف، ط ٥.

محمد ناصر الدين الألباني. صحيح وضعف الجامع الصغير وزيادته، بيروت - لبنان، المكتب الإسلامي.

محمد ناصر الدين الألباني، السلسلة الصحيحة، الرياض - السعودية، مكتبة المعارف.

محمد ناصر الدين الألباني، السلسلة الضعيفة، الرياض - السعودية، مكتبة المعارف.

محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الترغيب والترهيب، الرياض - السعودية، مكتبة المعارف، ط ٥.

محمد نور سويد، منهج التربية النبوية للطفل، مكة المكرمة - السعودية، دار طيبة.

محمود عطا عقل، النمو الإنساني، الطفولة والمراهقة، السعودية، الرياض، دار الخريجي، ط ٥، ١٤١٨هـ.

محمود قمبر، دراسات تراثية في التربية الإسلامية، الدوحة - قطر. دار الثقافة. ط ١، ١٩٨٥م.

محمود مجيد الكبيسي، الصغير بين أهلية الوجوب وأهلية الأداء، الدوحة - قطر، دار إحياء التراث، ١٩٨٣م.

مختار سالم، الطب الإسلامي بين العقيدة الإبداع، بيروت - لبنان، مؤسسة المعارف، ١٩٨١م. مروان القيسي، الإسلام والمسألة الجنسية، ط ١، ١٩٨٥م.

مروان القيسي، المدخل إلى علم النفس في الإسلام. إربد - الأردن، مكتبة عمران، ط ١، ٢٠٠٦م.

مريم النعيمي. إشرافات تربوية، بيروت - لبنان، دار ابن حزم، ط ١، ١٩٩١م.

مريم سليم، علم نفس النمو، بيروت - لبنان، دار النهضة العربية، ط ١، ٢٠٠٢م.

مسعد النجار، نحو نظرية إسلامية في الشخصية، رسالة ماجستير غير منشورة إربد، كلية التربية، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ١٩٩٥م.

مسلم بن الحجاج النيسابوري. صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.

مصطفى ديب البغا، أصول الفقه الإسلامي، دمشق - سوريا، دار المصطفى، ط ١، ٢٠٠٤م.

مصطفى ديب البغا، تنوير المسالك بشرح وأدلة عمدة السالك، دمشق - سوريا، دار المصطفى، ط ١، ٢٠٠٣م.

مصطفى ديب البغا، مضامين تربوية في الفقه الإسلامي، إربد - الأردن، عالم الكتب الحديث، ط ١، ٢٠٠٧م.

- مصطفى رجب، تنمية البيئة وحمايتها من منظور تربوي إسلامي، مؤتمر الاجتهاد في قضايا الصحة والبيئة والعمران، جامعة اليرموك، اربد - الأردن، ٢٠٠٤م.
- مصطفى فهمي، الإنسان وصحته النفسية، القاهرة - مصر، مكتبة الأنجلو المصرية.
- معاوية أبو غزال، نظريات التطور الإنساني وتطبيقاتها التربوية، عمان - الأردن، دار المسيرة، ط١، ٢٠٠٦م.
- مقداد بالجن، علم النفس التربوي في الإسلام، الإسلامية الرياض - السعودية، عالم الكتب، ط٢، ١٩٩٧م.
- مقداد بالجن، معالم بناء النظرية الإسلامية، في بحوث المؤتمر التربوي، نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة، جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية، ١٩٩١م.
- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، قراءات في التربية الخاصة وتأهيل المعوقين، تونس، ١٩٨٢م.
- منى رفعت ادعيس، مراحل خلق الإنسان في آيات القرآن الكريم، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطني، فلسطين، ٢٠٠٣م.
- مها عبد الله الابرش، الأمومة ومكانتها في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة، مكة المكرمة، وزارة التعليم العالي، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث، ط١. ١٩٩٦م.
- مهني محمد غنایم، أسس بناء نظرية إسلامية معاصرة، في بحوث المؤتمر التربوي، نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة، جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية، عمان، ١٩٩١م.
- موسى علي الشرقاوي، نظريات تفسير الطبيعة الإنسانية، دراسة نقدية في ضوء مفهوم هذه الطبيعة في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الزقازيق، كلية التربية، مصر، ١٩٨٨م.
- ناصر الشيرازي ومحمد معرفة، تفكروا في عظمة خلق الله، بيروت - لبنان، دار المحجة البيضاء، ط١، ٢٠٠١م.
- ناصر العقل، التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة، الرياض - السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٣٩٤هـ.
- نبيل سليم علي، الطفولة ومسؤولية بناء المستقبل، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط١، ٢٠٠٣م.
- نبيل محمد السمالوطي، الإسلام وقضايا علم النفس الحديث، جدة - السعودية، دار الشروق، ط٢، ١٩٨٤م.

نزار العاني، الشخصية الإنسانية في التراث الإسلامي، عمان - الأردن، دار الفرقان، ط ١، ١٩٩٨م.

نعمان السامرائي، نحن والحضارة والشهود، كتاب الأمة، سلسلة تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، العدد ٨٠، ١٤٢١هـ.

هشام بني خلف، المبادئ الأخلاقية لتربية الفرد والمجتمع في سياق القرآن الكريم، رسالة دكتوراه، غير منشورة، جامعة اليرموك، كلية التربية، اربد، ٢٠٠٥م.

هشام خوجلي، علم نفس النمو... الخلفيات العلمية... رؤية جديدة، جدة - السعودية، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠١م.

هشام خوجلي، نظريات النمو الإنساني دراسة نقدية من منظور إسلامي، جدة - السعودية، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠١م.

وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى، تعريب ظفر الإسلام خان، دار البحوث العلمية، ط ٢، ١٩٧٣م.

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الموسوعة الفقهية، الكويت، مطابع دار الصفاة، ط ٢، ١٩٩٢م.

وهبة الزحيلي، أصول الفقه الإسلامي، دمشق - سوريا، دار الفكر، ط ١، ١٩٨٦م.

يحيى عبد، الفروق الفردية في التربية الإسلامية، في المرجع في تدريس علوم الشريعة، عبد الرحمن صالح (محرر)، الأردن.

يحيى عيد الخطيب، أحكام المرأة الحامل في الشريعة الإسلامية، عمان - الأردن، دار النفائس، ط ٣، ١٩٩٩م.

يوسف بن عبد البر أبو عمر، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق أبي الأشبال الزهري، جدة - السعودية، دار ابن الجوزي، ط ٤، ١٩٩٨م.

يوسف خطار، التربية الإيمانية والنفسية للأولاد في ضوء علم النفس والشريعة الإسلامية، عمان - الأردن، دار النفائس، ط ٢، ٢٠٠٣م.

يوسف سويد، الإسلام والعلم التجريبي، الكويت، مكتبة الفلاح، ط ٢، ٢٠٠٠م.

- Shehu, Salisu.(1998), Toward an Islamic Perspective of Developmental Psychology , The American Journal of Islamic social sciences Psychology , 15(4)
- Thomas. R.(1979). Comparing Theories of Development concept and Application, Second Edition. New York- The city University.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

فهرس الآيات

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
البقرة		
٢١٣	١٩	﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾
١٠٤	٢٦	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا آنظُرْنَا وَاسْمَعُوا ﴾
٣٠	٤١١، ٣٣	﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾
٢٥٦	٣٨	﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾
٢٤٧	٢٩٩، ٢١٢، ٣٩، ٢٩	﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلَكًا ﴾
٣١	١١٧، ٧١، ٤٥	﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلٰٓئِكَةِ ﴾
٧٨	٤٨	﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانًا وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَخْشَوْنَ ﴾
١٧٣	٢٣٩، ٤٩	﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِرِ ﴾
١٨٩	٤٦	﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾
٢٦٠	٦٠	﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُخْرِجُ الْمَوْتَى ﴾
٢٥٩	٢٠٤	﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ ﴾
٣٠	٣٢١	﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾
١٧٢	١٠٠	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ ﴾
٣٤	٧٢	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَسْجُدْ ﴾
٣٥	٧٢	﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا ﴾
٣٧	٧٣	﴿ فَتَلَقَىٰ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾
٢٣٣	١١٠، ١٠٥، ٩٧، ٧٩ ٣٠٧، ٢١٦، ٢٠٩	﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنَ كَامِلَيْنِ ﴾
٢٣٤	٩٦	﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَضَّضْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾
٢٨٦	٢٥٤، ١٠٠	﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾
١٦٨	٢٣٧، ١٥٤	﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلٰلًا طَيِّبًا ﴾
١٣٨	١٦٣	﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عٰبِدُونَ ﴾
١١١	١٩٤	﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَى ﴾
١٩٧	١٩٩	﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ ﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٢٥٩	٢٩٥	﴿ وَأَنْظِرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ تَكْسُوها لِحْماً ﴾
٢٦٩	٢١٢	﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا ﴾
٤	٢١٨	﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾
١٨٣	٢٢٨	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾
١٨٤	٢٢٨	﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾
٢٢٨	٢٦١	﴿ وَهَلْ مِنْ مِثْلِ الَّذِي عَلَّمَنِ بِالْعُرُوفِ ﴾
٢٢١	٢٦٢	﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِيْنَ حَتَّى يُؤْمِنَ ﴾
١٢٨	٢٦٥	﴿ وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً ﴾
١٣٣	٢٦٥	﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ بَنِيَّ إِنْ أَلَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الَّذِينَ ﴾
١٢٤	٢٧٨	﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ﴾
٢٨٢	٣١١	﴿ فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعِلَّ ﴾
١٥٥	٣١٣	﴿ وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ ﴾
٢٢٢	٣٢١	﴿ وَتَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْرِضُوا لِلنِّسَاءِ فِي الْمَحِيضِ ﴾
٢٢٣	٣٢٢	﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾
١٠	٣٢٩	﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾
١٧٧	٣٣٤	﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ﴾
١٨٦	٣٣٥	﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾
١١٢	٣٣٨	﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾
١٥٦-١٥٥	٣٤٨	﴿ وَنَشِرَ الصَّابِرِينَ ﴿٥٦﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا ﴾
٤٥	٣٤٨	﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾
١٥٣	٣٤٨	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾
٢١٩	٣٥٠	﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْمِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ ﴾
٤٤	٣٥١	﴿ أَتَأْتُرُونَ النَّاسَ بِالْبُرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾
٢١٦	٣٣٤	﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
ال عمران		
٦٤	٣٤	﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾
١٩١	٤١	﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾
١١٠	٢٨٤	﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ تَنْهَوْنَ ﴾
٥٩	١٢١ ، ٧٥ ، ٦٨	﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ﴾
٤٥	٧٦	﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ ﴾
٣٤	٣٦٧ ، ٨٤	﴿ ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾
٦	٢٢٠ ، ٩٣	﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾
٥	١٩٠	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾
١٨٥	٢٠٥	﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾
٧٥	٢١٣	﴿ وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنَّهُ بِقِطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ﴾
١٠٣	٢٢٨	﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾
٣٥-٣٤	٢٧٦ ، ١٨٨	﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾
١٣٥	٣٣٢ ، ٣٢٨	﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَجِيئَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ ﴾
النساء		
١	١١٩ ، ٧٣ ، ٣٦	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ ﴾
١٩	٢٦٠ ، ٩٩	﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾
٥	٣١٢ ، ١١٩	﴿ وَأَرْزُقُوهُنَّ فِيهَا وَاكْسُوهُنَّ وَقُولُوا لَهُنَّ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾
٥٩	١٦٤	﴿ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾
٦	٣٠٧ ، ١٦٩ ، ١٦٨ ، ١٦٦	﴿ وَأَتَّبِعُوا آلَئِمَّتِي حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِن آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا ﴾
٢٣	٢٧٤ ، ٣٢١	﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَالذَّيْنِ ﴾
٤٣	٣٥٠ ، ٢٤٦	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا ﴾
١١	٢٥٧	﴿ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ﴾
٢٥	٢٦٣	﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾
١٠٠-٩٧	٢٨١	﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةَ طَالِعِي أَنفُسَهُمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ ﴾
٥٨	٣٢٧	﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٩٠	٣٣٧	﴿ أَوْ جَاءَكُمْ حَصْرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقْبِلُوكُمْ أَوْ يُقْبِلُوا قَوْمَهُمْ ﴾
١٠٣	٣٣٩	﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾
١١٠	٣٤٠	﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾
٤٣	٤٤١	﴿ يَتَأْتِيهِ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ ﴾
المائدة		
٩١-٩٠	٣٥٠، ٢٤٠	﴿ يَتَأْتِيهِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ ﴾
٦	٢٤٧	﴿ يَتَأْتِيهِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ ﴾
٣٨-٣٩	٢٨٥	﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا تَكْلَافًا ﴾
الأنعام		
٣٨	٤٩	﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحِهِ ﴾
٧٩-٧٤	٦٢، ٦١	﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾
٥٢	١٥٢	﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾
١٥٢	١٦٨	﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾
١٢٠	٣٢٨	﴿ وَذُرُوا طَيْرَ الْإِنَّمِ وَنَاطِنَهُ ﴾
٨٢	٣٢٨	﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾
١٢٥	٣٤٥	﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَفْرَحْ صَدْرُهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾
١٦٢	٢٢٦	﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾
٦٨	٢٨١	﴿ وَإِنَّمَا يُنِيبُكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾
الأعراف		
١٧٢	٢٩٣، ٢٠٥، ٢٣	﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي ءَادَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾
١٧٩	٥٣	﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ ﴾
١١	٧٠، ٦٧	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِءَادَمَ ﴾
٧٣	٧١	﴿ هٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةٌ ﴾
٢٣	٣٢٣، ٧٣	﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا ﴾
١٨٥	١٧٥	﴿ أُولَئِكَ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾
٢٦	٣٢٦، ٢٥٠	﴿ يَبْنِي ءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوْءَ بَيْتِكُمْ وَرَبَّنَا ﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٢٠٠-٢٠١	٣٢٨	﴿ وَإِنَّمَا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾
٣١	٣٠٠، ٢٥١، ٢٤	﴿ يَنبِئُكَ إِذْ يَخُذُوا زِينَتَكَ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾
٢٠٥	٣٣١	﴿ وَأَذْكُرْ بِتِلْكَ فِي نَفْسِكَ نَضْرَعًا وَخِيفَةً ﴾
٢٠٤	٣٣١	﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾
٣٥	٣٤٦	﴿ فَمَنْ آتَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾
الأنفال		
٢٠	٥٠	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾
٢٤	٤١	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾
٢٢	١٩٤	﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾
١١	٢٤٤	﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ اللَّعَاسُ أَمَنَةً مِنَّهُ وَيُثَرِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾
٤٧	٣٢٦	﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ ﴾
٤٥	٣٣٩، ٣٣١	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ ﴾
التوبة		
١٠٥	٩٩	﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾
١٠٣	١٢٦	﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾
٧١	١٥٨	﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾
١١٩	٢٢٨	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾
٩٧	٢٨٤، ٢٣٦	﴿ آلَاءِ عِزَابٍ أَشَدَّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾
يونس		
٨٣	١٧٣	﴿ فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ ﴾
٥٧	٤١٣، ٢٦٨	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ ﴾
٦٢	٣٤٦، ٥٧	﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾
هود		
٧	١٢٤	﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾
٧٢-٧١	١٨٤	﴿ وَأَمْرًا تُهْرَقَابِمَةً فَضَحِكْتُمْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ ﴾
٢٤	٢١٢	﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٢٧٨		﴿ قَالَ يَبُوءُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾
٢٨١	١١٣	﴿ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾
٣٣٣	٣	﴿ وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا مِنْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾
يوسف		
٣٤	٤٠	﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِي إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ ﴾
١٦٤	٢٣	﴿ وَرَزَقْنَاهُ الْبُزْقَ وَوَدَّعْنَا فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَّقَتِ الْأَبْتَابَ ﴾
٣٥٣، ١٩٧	٨	﴿ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا ﴾
٢٨١	١٠٨	﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلُ اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ ﴾
٣٢٩	٥٣	﴿ وَمَا أُبْرِيْ نَفْسِيْ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾
٣٣٥	٨٧	﴿ يَبْنِيْ أَدْهَابًا فَتَحْسَبُوا مِنْ يُّوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رُّوحِ اللَّهِ ﴾
٣٥٤	١٠-٦	﴿ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا وَخَنَّ عَصَبَةٌ ﴾
الرعد		
٣٣٨، ٣٣١، ١٩٨	٢٨	﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ﴾
الحجر		
٢١٥، ٦٩	٢٨	﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن صَلَٰصِلٍ مِّن حَمَلٍ مَّسْنُونٍ ﴾
٦٩	٢٦	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلَٰصِلٍ مِّن حَمَلٍ مَّسْنُونٍ ﴾
٩٤، ٧٠	٢٩	﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَٰجِدِينَ ﴾
١٩٥	٨٥	﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾
٣٤٦	٩٩-٩٨	﴿ وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنكَ بِضِيقِ صَدْرِكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾
النحل		
١٠٥، ١٠١، ٤٥، ٣٥، ٢١١، ١٧٧، ١٠٨، ٣٠٢، ٣٠٥، ٢١٤	٧٨	﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا ﴾
٩٩، ٣٨	٩٧	﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾
٣٢٩، ٤٩	٥	﴿ وَاللَّعَنَ خَلْقَهَا لَكُمْ فِيهَا دَفٌّ وَمَنْفَعٌ وَمِنَّهَا تَأْكُلُونَ ﴾
٣٢٦، ٢٣٧، ١٨٩، ١٥٤	١٤	﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾
١٨٥٢	٧٠	﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ ﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٩٠	١٩٦	﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ ﴾
٦٦	٢٢١	﴿ وَإِنَّ لِكُلِّ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّئَلَّا تُكْفِرُوا بِمَا فِي بُطُونِهِمْ ﴾
٥٨-٥٩	٢٥٧	﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾
٣	٣٢٤	﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾
١١٥	٣٢٦	﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ ﴾
٧٢	٣٢٦	﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ ﴾
٩٨	٣٢٧	: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾
١٢٧	٣٤٥	﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَلَالٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾

الإسراء

٣٤	٣٤	﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾
٧٠	٢٩٢، ٤٤، ٣٧	﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَخَلَقْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾
٣٣	٣٧	﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾
٨٥	١٤٢، ٩٦، ٩٤	﴿ وَاسْتَعْلُوا نَفْسَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾
٣٦	١٥٦	﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنْ أَسْمَعُ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ ﴾
٢٣	١٧٩، ١٧٢	﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾
٨٤	٢٠٧	﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ ﴾
٣١	٢٥٩	﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ حَشِيَّةً إِلَيْنِي نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾
٢٦	٢٨٣	﴿ وَءَاتَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْدُرْ تُبْدِيرًا ﴾
٣٢	٣٢٧	﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّهُمْ كَانَ فَجِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾
٣٧	٣٤٢	﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ﴾
٨٢	٣٤٧	﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾

الكهف

٤٦	٨٢	﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ ﴾
١١٠	٢٢٢	﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ﴾
٢٨	٢٨١	﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
مريم		
٢١-١٦	٧٦	﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَدَّتْ مِنْ أهلكها مَكَانًا شَرْقِيًّا.....﴾
٣٠	٧٧	﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا.....﴾
٤	٢١٠، ١٨٠	﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا.....﴾
٩-٨	١٨٤	﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا.....﴾
٣١-٣٠	٢١٢	: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا.....﴾
٢٨-٢٧	٢٧٥	﴿قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا.....﴾
طه		
١١٤	٢٢٥، ١٧٥	﴿فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ.....﴾
٥٠	٧٠	﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى.....﴾
١٢١-١٢٠	٧٢	﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ.....﴾
١٢١-١١٦	٣٠٣	﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا..... وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾
٨٢	٣٤٠	﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى.....﴾
الأنبياء		
٢٢	١٦٠، ٢٣، ٢١	﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا.....﴾
٦٦	٦١	﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ.....﴾
١	٣٢٩	﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ.....﴾
الحج		
٥	٨٩، ٧٩، ٧٨، ٧٧، ٤٩، ١٦٨، ١٦٥، ١٦٠، ٣٠٦، ١٨٢	﴿ثُمَّ خَرَّجْنَاكُمْ طِفْلًا.....﴾
٤٦	٣١٢	﴿فَأَنبَأْنَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ.....﴾
المؤمنون		
١٦-١٥	٢٣	﴿ثُمَّ إِنَّا نَكَّرْنَا بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّا نَكَّرْنَا يَوْمَ الْقِيٰمَةِ تَتَّبِعُونَ.....﴾
١٤-١٢	٩٤، ٨٩، ٨٨، ٦٨، ٣٧، ٢٠٦، ٢٠٥، ١٠٣، ٢١٦، ٢١٤، ٢١٠	﴿خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلٰلَةٍ مِّن طِينٍ.....﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
١٦-١٢	٢٠٥، ٢١٥، ٥٣	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾
٦	٨٢	﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٦﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ ﴾
٧٨	١٠٨، ١٠١	﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ﴾
١١٢-١١٠	٢١٨	﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾
٢٠	٢٣٩	﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سَيْئَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٍ لِلَّذِينَ ﴾
٤٧	٣٤٢	﴿ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴾
النور		
٥٩	١٥١، ٧٧، ٤٣، ٤، ٣٠٦، ١٥٥	﴿ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَعِذُوا ﴾
٦٣	٥٠	﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرُّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾
٤٥	٧٩	﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنَيْهِ ﴾
٣٢	٢٠٨، ٣٥، ١٥	﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾
٥٩-٥٨	٢٠٩، ١٦٩، ١٣٤، ٣٢٠، ٢١٠	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَعِذِكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾
٣١	١٦١، ١٥٥	﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ بَغْضَازٍ مِنَ ابْصَرِهِنَّ وَحَفِظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾
٣٠	٤١٧، ٢٥٩، ٣٢٦	﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ بَغْضَاؤٌ مِنَ ابْصَرِهِمْ وَحَفِظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾
٣-٢	٣١٧، ٢٨٥	﴿ الزَّائِغَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾
٦١	٣١٤، ٣١٠، ٣٠٩	﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ ﴾
١	٣٢٤	﴿ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾
الفرقان		
٤٤	٤٩	﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ﴾
٧٤	١١٠	﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾
٢٩-٢٧	١٩١، ١٦٤	﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾
٥٤	٢٣٣	﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ﴾
٣٠-٢٨	٢٨٥	﴿ يَا بُولَاقِي لَيْتَنِي لَمْ أَخَذْ فَلَانًا خَلِيلًا ﴿٣٠﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ ﴾
٢	٣٠٦	﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
النمل		
٥٤-٥٨	٣١٦	﴿ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَجِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾
القصاص		
٢٣	١٨٠	﴿ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾
٧٧	٢٩٩، ٢١٧	﴿ وَأَتَّبِعْ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ﴾
٤	٢٧٢	﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾
٥٨	٣٢٦	﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ﴾
٥٠	٣٢٩	﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغْيَ هُدَىٰ مِنَ اللَّهِ ﴾
١٠	٣٤٥	﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَمْرٍ مُوسَىٰ فَرِحًا بِإِنَّ كَادَتْ لَتُبْدَىٰ بِهِ ﴾
العنكبوت		
٤٥	١٩٩	﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾
٢٨-٢٩	٣١٧	﴿ وَلَوْطَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأْتُونَ الْفَجِشَةَ ﴾
الروم		
٨	١٣	﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ ۗ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾
٩	٥٣	﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾
٣٠	٨٢، ١٠٩، ١٤١، ١٨٩، ٢١٤، ٢٢٦، ٢٩٢، ٣٢٩	﴿ فَأَقْرُبْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾
٥٤	١٧٨، ١٠٩، ١٥٤، ١٧٠، ١٧٧، ١٨١، ٢٠٤، ٣٠٨، ٢٠٥، ٣٩٩	﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ﴾
٢١	٨١، ٨٢، ٢٦٢	﴿ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾
٢٢	٢١٢، ٢٣٦، ٣٥٣	﴿ وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافَ السِّيَاقِ وَالْوَأْيِكْرِ ﴾
٢٣	٢٥٦	﴿ وَمِنْ ءَايَاتِهِ مَتَابِعُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَجِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ ﴾
لقمان		
١١	٤	﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَزُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾
٢٠	٤٤، ١٨٩	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمِمَّا فِي الْأَرْضِ ﴾
١٦	١٩١	﴿ يَدْبُقِي فِيهَا إِنْ نَكَ مِنْ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ ﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
١٤	٢٨٣	﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَلَّةً أُمَّهُرَ وَهَنَّا عَلَى وَهْنٍ ﴾
١٣	٣٢٣	﴿ يَبْنِي لَّا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾
٦	٣٢٥	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾
١٩	٣٢٢	﴿ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ﴾
السجدة		
٨-٧	٣٤٤ ، ٢١٨ ، ٢١٠ ، ٤	﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ ﴾
الأحزاب		
٧٢	٢١٨ ، ٣٤	﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ ﴾
٢١	٣٢٤ ، ٢٠٢ ، ٥٥	﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ ﴾
٥	١١٠	﴿ أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾
٥٩	١٥٥	﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾
٥٠	٢٣١	﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحَلَّلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ ﴾
٣٦	٢٥٧	﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمِئَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا ﴾
٤٢-٤١	٣٣٩	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾
فاطر		
٢٨	٣٩	﴿ وَمِنَ النَّاسِ وَالْذَّوَابِ وَالْأَنْعَامِ مَخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ ﴾
١١	٢٢٠ ، ٦٦	﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ﴾
٦	٣٢٩	﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُرْهُدٌ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾
يس		
٧١	٦٦	﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَلَائِكَةٌ ﴾
الصفوات		
٩٥	٦١	﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَحْمِلُونَ ﴾
١١	٦٨	﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهَمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَن خَلَقْنَا ﴾
١٠٢	١٣٢	﴿ فَأَمَّا بَلَّغَ مَعَهُ السَّعَى قَالَ يَبْنِي إِيَّيْ أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْهَبُ ﴾
١١٣	٤٢٦	﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مَحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴾

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
ص		
﴿ فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾	٧٢	٤٤، ٧١، ٣٠٠
﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴾	٧١	٦٨، ٢٩٩
الزمر		
﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلْ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾	٦	٧٣، ٧٤، ٨٧
﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	٩	١٧٥
﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَنْحَسِرُنِي عَلَىٰ مَا فَرَّقْتُ فِي حَنْبِ اللَّهِ ﴾	٥٦	٢٥٩
﴿ قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴾	٥٣	٣٢٣
غافر		
﴿ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرًا مَا هُمْ بِبَلَّغِيهِ ﴾	٥٦	٣٤١
﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾	٦٠	٣٤٢، ٣٤١
فصلت		
﴿ سَتَرْنَاهُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾	٥٣	٣، ١٣، ٣٥
﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾	٤٢	٤٩
﴿ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾	٣٥	٣٣٤
﴿ وَإِنَّمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ تَرَعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾	٣٦	٣٣٦
الشورى		
﴿ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾	١١	٣٢
﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ خَلَقَ مَا يَشَاءُ ﴾	٤٩-٥٠	٢٥٧
﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾	٤٠	٣٥٤
الزخرف		
﴿ الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾	٦٧	٢٨٥
﴿ أَهْمَرُ يَفْسُمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ ﴾	٣٢	٣٣٩
الدخان		
﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ ﴾	٥٦	٣٩

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
الأحقاف		
١٥	١٦٨، ١٧٠، ٢١٠٤	﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ..... ﴾
٣٣	٢٢١	﴿ أَوْلَعَرِوْا أَنْ اللّٰهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ..... ﴾
١٣	٣٤٦	﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ..... ﴾
محمد		
٢	٣٢٥	﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ..... ﴾
١٩	٣٤٧	﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذُنُوبِكِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ..... ﴾
الفتح		
١٧	٣١٠، ٣١٣	﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ..... ﴾
الحجرات		
١١	١١٢، ٣١٣	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ..... ﴾
١٠	١٤٤، ١٥٨	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ..... ﴾
١٣	٣١٣	﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ..... ﴾
ق		
٢٧	٢٨٥	﴿ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطَّغَيْتَهُ وَلَيْكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ..... ﴾
الذاريات		
٢١	٢٣، ٢٥٤	﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ..... ﴾
٥٦	٣٣، ٣٨، ٦٤، ١٦٤، ٢١٨، ٢٩٦، ٣٥١	﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ..... ﴾
٢١-٢٠	٣٥	﴿ وَفِي الْأَرْضِ ءَايَاتٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ..... ﴾
٢١	٥٢	﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ..... ﴾
٥٨	٣٣٩	﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ..... ﴾
٢٢	٣٣٩	﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ..... ﴾
النجم		
٣٢	٧٨، ٨٧	﴿ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُرْكُوا أَنفُسَكُمْ..... ﴾
٤٦	١٠٣	﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الرُّوحَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٤٦﴾ مِنْ نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى..... ﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٤٦-٤٥	٢٧١	﴿ وَأَنْتُمْ خَلَقَ الرَّوْحَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٤٦﴾ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا نَمَنَى ﴾
القمر		
٤٩	٢١١	﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾
الرحمن		
١٤	٦٩	﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ﴾
الحديد		
٢٢	٣٤٠	﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ ﴾
٢٣	٣٤٠	﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾
المجادلة		
٢٢	٢٦٢	﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ ﴾
١١	٢٨٦	﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾
الحشر		
٩	٢٨٣	﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾
١٠	٣٤٢، ٣٤٧	﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا ﴾
الصف		
٣-٢	٢٠٢، ٣٥١	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾
الجمعة		
٩	١٥٩	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تُوذِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ﴾
٨	٣٣٩	﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ﴾
المنافقون		
٤	٢٩٩	﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ﴾
التغابن		
١٤	٢٨١	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ ﴾
الطلاق		
٦	٩٧	﴿ أَسْكِنُوهُمْ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تَضَارُّوهُمْ ﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٧-٥	٢٦٨	﴿ فَابْظُرْ إِلَىٰ إِنْسَانٍ مِّمَّ خَلَقَ ۖ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ۖ ﴾
التحريم		
٦	٣٤٠، ٣٠٨، ١٢٠، ٤٣	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ ﴾
٥	٨٢، ٨١	﴿ عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُمْ أَرْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مُسَلِّمَتٍ ۖ ﴾
١١	٢٨٢	﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ ۖ ﴾
٨	٣٣٣	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ۖ ﴾
المالك		
٢	٣٥١، ٣٧	﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۖ ﴾
٢٣		﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۖ ﴾
القلم		
٤	٣٢٤	﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۖ ﴾
المعارج		
٢١-١٩	٢٢١	﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۖ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۖ ﴾
٣١-٢٩	٣١٦	﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَفْوَاهِهِمْ حَافِظُونَ ۖ إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ ۖ ﴾
نوح		
٢٧-٢٦	٢٧٦	﴿ قَالُوا يَا نَمْرُوتُ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا ۖ ﴾
١٤-١٣	٣٠٦	﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۖ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۖ ﴾
٢٨	٣٤٧	﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا ۖ ﴾
القيامة		
٣٧	٨٨	﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِن مَّنِي يُمْنَىٰ ۖ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۖ ﴾
٤-٣	٢١١	﴿ انْحَسِبَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْمَعَ عِظَامَهُ ۖ ﴾
٢-١	٣٥١، ٣٢٩	﴿ لَا أُقِيمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۖ وَلَا أُقِيمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ ۖ ﴾
الإنسان		
٢١	١٦	﴿ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُدُوسٌ خُضِرَ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَخُلُوا أَسَاوِرًا ۖ ﴾
٢	٤٤١، ٣٦٤، ٢٧٣، ٩٠	﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ ۖ ﴾
٢٨	٢٦٨	﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا ۖ ﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
<u>النازعات</u>		
٤١-٣٧	٣٠١	﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾
<u>عبس</u>		
٢٢-١٧	٣٤٣	﴿ قِيلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾
٢-١	٣١٠	﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴾
<u>الانفطار</u>		
٨-٦	٩٣	﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾
<u>الطارق</u>		
٨-٥	١٩٦، ١٥٢	﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴾
<u>الغاشية</u>		
٢١-١٧	٥١	﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾
<u>البلد</u>		
١٠	٣٠٢، ٢٩٢	﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾
<u>الشمس</u>		
١٠-٧	٣٠٢، ٢٩٢	﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾
<u>البينة</u>		
٥	٣٢٦	﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾
<u>الفلق</u>		
٥-١	٣٣٧	﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾
<u>الناس</u>		
٦-١	٣٣٧	﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِي النَّاسِ ﴾

فهرس الأحاديث

رقم الصفحة	مصدر الحديث	الحكم	طرف الحديث	الرقم
١٣٠	المعجم الكبير	صحيح	أنتوني بهؤلاء الفتيان	١.
٤٣	مسند أحمد	صحيح	أتحسن السريانية	٢.
٢٣٦	مسلم	صحيح	أقبلون صبيانكم	٣.
٢٥٠	أبو داود	حسن	انقوا الملاعن الثلاث	٤.
٢٩١	مسلم	صحيح	أتى رسول الله ليلة أسري به	٥.
٣٢٨	مسند أحمد	صحيح	الإثم ما حاك في النفس	٦.
١٣٥	أبو داود	صحيح	أحلقوا كله أو اتركوه كله	٧.
١٩٤	مسلم	صحيح	أخبروني بشجرة مثلها مثل المسلم	٨.
١٨٥	البخاري	صحيح	أدغ لي زيذاً	٩.
٢٦٣	ابن حبان	صحيح	إذا أتاكم سمن ترضون	١٠.
١٤٣	مسلم	صحيح	إذا أصبح أحدكم يوماً صائماً	١١.
٨١	الترمذي	حسن	إذا جاءكم من ترضون خلقه	١٢.
١٧٢	الترمذي	حسن	إذا خطب إليكم من ترضون	١٣.
٢٥٢	مسلم	صحيح	إذا سمعتم به بأرض	١٤.
٤١١	البخاري	صحيح	إذا لم تستح فاصنع ما شئت	١٥.
١٠٢، ٩٥، ٩٤	المعجم الكبير	صحيح	إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون	١٦.
١٧٥	البخاري	صحيح	أرجعوا إلى أهليكم	١٧.
٢٢٦	أبو داود	صحيح	أرخنا بها يا بلال	١٨.
٢٧٧	البخاري	صحيح	ارموا بني إسماعيل فإن إياكم كان	١٩.
٢٦٢	مسلم	صحيح	الأرواح جنود مجندة	٢٠.
٧٥	البخاري	صحيح	استوصوا بالنساء	٢١.
٢٥٣	البخاري	صحيح	اسقه عسلاً	٢٢.
١٢٨	أبو داود	صحيح	أصلى الغلام	٢٣.
٣٥٣	الحاكم	حسن	اضمنوا لي ستاً من أنفسكم	٢٤.
٢٥٣	ابن حبان	صحيح	أعينكما بكلمات الله التامة	٢٥.
١٢٨	كنز العمال	-	اقتحوا على صبيانكم أول كلمة	٢٦.
١١١	البخاري	صحيح	أفضل دينار دينار	٢٧.
١١٩	مسلم	صحيح	أفضل دينار، دينار ينفقه الرجل	٢٨.
٢٧٣	المعجم الكبير	صحيح	أقبضها إليك حتى تلد	٢٩.
٣١٤	كنز العمال	-	أقلت مجنون	٣٠.
٣٥٤	مسلم	صحيح	أكل ولدك تحلته	٣١.
٢٦١	الترمذي	حسن صحيح	أكمل المؤمنين إيماناً	٣٢.
٣١٢	مسلم	صحيح	ألا أريك امرأة من أهل الجنة	٣٣.
٢٨٦	الدارمي	ضعيف	ألا أن شر الشر شرار العلماء	٣٤.
١٩٣	أبو داود	صحيح	ألا تعلمين هذه رقية النملة	٣٥.
١٩٧	البخاري	صحيح	ألا سويت بينهم	٣٦.

الرقم	طرف الحديث	الحكم	مصدر الحديث	رقم الصفحة
٣٧	ألم تري أن مجزر المدلجي	صحيح	مسلم	٢٧٥
٣٨	أما أن أحدكم إذا أتى أهله	صحيح	البخاري	٢٠٨
٣٩	أن أحب أسمائكم إلى الله عبيد الله	صحيح	مسلم	١١٢
٤٠	أن أحدكم يجمع خلقه	صحيح	مسلم	٥٧، ٩٥، ٢١٧، ٣٠٦
٤١	أن الأمانة نزلت	صحيح	مسلم	٢٩٧
٤٢	إن الدنيا حلوة خضرة	صحيح	مسلم	٣٥١
٤٣	إن الغضب من الشيطان	ضعيف	مسند أحمد	٢٢٣
٤٤	إن القرآن مادية الله	موقوف	الحاكم	٣٣٢
٤٥	إن الله انزل الداء والدواء	له شواهد	أبو داود	٢٥٣
٤٦	إن الله خلق آدم من قبضة	صحيح		٢١٣، ٢٧٠، ٦٨، ٢٩٨
٤٧	إن الله طيب يحب الطيب	حسن	الترمذي	٢٥١
٤٨	إن الله عن تعذيب هذه لنفسه	صحيح	مسلم	٢٥٥
٤٩	أن الله قال: إذا ابتليت عبدي	صحيح	البخاري	٣١٢
٥٠	أن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم	صحيح	كنز العمال	٣١٤
٥١	أن الله وضع عن المسافر الصوم	صحيح	المعجم الكبير	١٠٠
٥٢	إن الله يحب إذا عمل أحدكم	حسن	أبو يعلى	٣٢٧
٥٣	إن المرأة خلقت من ضلع	صحيح	مسند أحمد	٢٦٠
٥٤	إن الملائكة لتضع أجنحتها	صحيح	ابن حبان	١٧٥
٥٥	إن اللودّ والعداوة يتوارثان	ضعيف	الحاكم	٢٧٦
٥٦	إن اللودّ يتوارث	-	البخاري	٢٧٦
٥٧	إن امرأتي ولدت غلاماً	صحيح	مسلم	٣٦٣
٥٨	إن أول زمرة تسخل الجنة	صحيح	مسلم	٢٠٥
٥٩	إن بلالاً يؤذن بليل	صحيح	مسلم	٣١٤
٦٠	إن بني آدم خلقوا من طبقات شتى	صحيح	مسند أحمد	٢٩٧
٦١	أن رجلاً جاء وسأل النبي ﷺ	صحيح	البيهقي	١٧١
٦٢	أن رجلاً سأل النبي ﷺ	صحيح	النسائي	١٨٤
٦٣	أن رسول الله دخل حائطاً	صحيح	مسلم	٢٤٨
٦٤	إن طعنوا في إمارته	صحيح	مسلم	١٧٤
٦٥	أن علي دخل على فاطمة وحسن وحسين	صحيح	أبو داود	١١١
٦٦	إن فيك لخلقين	صحيح	المعجم الكبير	٢٩٧
٦٧	إن لجسدك عليك حقاً	صحيح	ابن حبان	١٥٤، ١٩١
٦٨	إن مثل ما يعشي الله	صحيح	مسلم	٢١٣
٦٩	إن من إجلال الله إكرام ذي الشبية	حسن	البخاري	١٨٠
٧٠	إن من الشجر شجرة	صحيح	مسلم	٢٠١، ١٣١
٧١	إن من الشعر حكمة	صحيح	البخاري	١٥٦
٧٢	إن هذه الحية السوداء	صحيح	البخاري	٢٥٣
٧٣	أنا زعيم بيت في ربض	حسن	المعجم الكبير	٣٤٥، ٣٥٣

الرقم	طرف الحديث	الحكم	مصدر الحديث	رقم الصفحة
٧٤.	إنما الأعمال بالنيات	صحيح	البخاري	٢٩٦
٧٥.	إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق	صحيح	الشهاب	٣٢٤
٧٦.	إنه أروى وأبر وأمرأ	صحيح	مسلم	٢٤١
٧٧.	أنه سمع ابن عباس	صحيح	البخاري	١٢٥
٧٨.	أنني أخشى أن يطول عليك الزمان	صحيح	مسند أحمد	١٧٤
٧٩.	إنني لم أبعث إليك لتبسها	صحيح	مسلم	٣٤٩
٨٠.	أيسرك أن يكونوا في البر سواء	صحيح	مسلم	٣٤٦
٨١.	بركة الطعام الوضوء قبله	صحيح	الترمذي	٢٤٢
٨٢.	اليزاق في المسجد خطيئة	صحيح	مسلم	٢٥١
٨٣.	بها نظرة فاسترقوا لها	صحيح	مسلم	٢٥٣
٨٤.	تحلي بهذا يا بنية	حسن	أبو داود	١٩٦، ٤٢
٨٥.	تخيروا لنطفكم	صحيح	المستدرک علی الصحیحین	٢٧٧، ٨٣
٨٦.	تزوجوا الودود الولود	صحيح	أبو داود	٢٥٨
٨٧.	تذكر ساعة خير من قيام ليلة	موقوف	ابن أبي شيبة	٣٦
٨٨.	تتكح المرأة لأربع	صحيح	مسلم	٢٨٣، ٢٦٣، ٨١
٨٩.	ثلاثة لا يكلمهم الله	صحيح	مسلم	٣٥٣، ٣٤٣
٩٠.	جاءت امرأة من خثعم	صحيح	البخاري	١٨٥، ١٧١
٩١.	حافظوا على أبنائكم في الصلاة	صحيح	المعجم الكبير	٢٠٠
٩٢.	حسين مني وأنا من حسين	صحيح	البخاري	١٢١
٩٣.	حفظ الغلام الصغير	له شواهد	كنز العمال	
٩٤.	حق الولد على الوالد	صحيح	البيهقي	١٣٧
٩٥.	حق لله على كل مسلم	صحيح	مسلم	٢٤٦
٩٦.	الحلال بين والحرام بين	صحيح	البخاري	٤٢
٩٧.	الحياء من الإيمان	صحيح	المعجم الأوسط	٣٢٠
٩٨.	خدمت النبي ﷺ عشر سنين	صحيح	مسلم	١٩٨
٩٩.	خذي من ماله بالمعروف	صحيح	مسلم	٩٨
١٠٠.	خلق الله آدم على صورته	صحيح	مسلم	٧٢
١٠١.	خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً	صحيح	البخاري	
١٠٢.	خلقت عبادي حنفاء	صحيح	مسلم	٢٩٣
١٠٣.	خمس من الفطرة	صحيح	مسند أحمد	٢٤٨
١٠٤.	خير الجيران عند الله	صحيح	الترمذي	١٧٣
١٠٥.	دعيها وهل يكون الشبه	صحيح	مسلم	
١٠٦.	ذلك صريح الإيمان	صحيح	مسلم	٣٣٦
١٠٧.	رأيت رسول الله أذن في أذن الحسن	حسن	الترمذي	١٥٨
١٠٨.	الرجل على دين خليله	حسن	مسند أحمد	١١٣
١٠٩.	رفع القلم عن ثلاث	صحيح	الترمذي	١١٢، ١٥٧، ١٦٩، ٢٨٥، ٣١٣، ١٧٦
١١٠.	السفر قطعة من العذاب	صحيح	مسلم	٢٥٥

الرقم	طرف الحديث	الحكم	مصدر الحديث	رقم الصفحة
١١١	صلاة الجماعة تفضل صلاة	صحيح	البخاري	١٥٩
١١٢	صليت مع رسول الله	صحيح	مسلم	١٣٦
١١٣	طهور إنباء أحكم	صحيح	مسلم	٢٥١، ٢٤٥
١١٤	عجباً لأمر المؤمن	صحيح	مسلم	٣١٣، ٢٣٤، ٣٥٢
١١٥	عرضت على النبي ﷺ	صحيح	مسلم	١٥٢، ٧٧
١١٦	عق رسول الله ﷺ عن الحسن	صحيح	ابن حبان	١١٥
١١٧	عقلت من النبي ﷺ مجة مجها	صحيح	البخاري	٢٧٣
١١٨	عليكم بالإبكار فإينهم أعذب أفواها	صحيح	البخاري	٢٣٤، ٨٥
١١٩	عليكم ما تطيقون من الأعمال	صحيح	البخاري	٢٤٥
١٢٠	عليكم من العمل بما تطيقون	صحيح	المعجم الكبير	١٤٦
١٢١	غسل يوم الجمعة واجب	صحيح	البخاري	٢٤٦
١٢٢	الغلام مرتين بعقيقته	صحيح	الترمذي	١١٥، ١١٤
١٢٣	فإن لجسدك عليك حقاً	صحيح	البخاري	٢٨٣
١٢٤	فتبسم النبي ﷺ حين رآه مقبلاً	صحيح	مسلم	١٢٩
١٢٥	فسمها جميلة	صحيح	مسلم	١١٢
١٢٦	الفطرة خمس	صحيح	مسلم	١١٦
١٢٧	فقال النبي منتصراً لام سليم	صحيح	الدارمي	٣٦٥
١٢٨	فكنا نصومه ونصوم صبياننا	صحيح	مسلم	١٢٩، ١٢٢
١٢٩	فكروا العاني، وأطعموا الجائع	صحيح	البخاري	١٥٨
١٣٠	فهلا بكرا تضاحكك وتضاحكها	صحيح	مسلم	٢٣٤
١٣١	قدم النبي ﷺ المدينة	صحيح	مسند أحمد	١٣٤
١٣٢	كان النبي ﷺ إذا قدم من سفر	صحيح	مسلم	١٩٨
١٣٣	كان شباب من الأنصار	صحيح	مسند أحمد	١٧٤
١٣٤	كان ناس من الأسارى	حسن	مسند أحمد	١٩٣
١٣٥	كان يحب الطواء والعسل	صحيح	مسلم	٢٥٢
١٣٦	الكبير بطر الحق وغمط الناس	صحيح	كنز العمال	٣٤١
١٣٧	الكبرياء ردائي والعظمة إزاري	صحيح	ابن ماجه	٣٤٣
١٣٨	كخ كخ ليطرحتها	صحيح	البخاري	٣٤٩
١٣٩	كفى بالمرء إثماً أن يضيع	حسن	مسند أحمد	١١١
١٤٠	كل خلق الله حسن	صحيح	مسند أحمد	٣١٠
١٤١	كل شيء ليس من نكر الله	صحيح	النسائي	١٧١
١٤٢	كل مولود يولد على الفطرة	صحيح	البخاري	١٠٩، ١١٩، ١٢٨
١٤٣	كلكم راع وكلكم	صحيح	البخاري	٣٠٨
١٤٤	كلوا وتصدقوا وألبسوا	حسن	مسند أحمد	٣٠٠
١٤٥	كنا نعلم أولادنا المغازي	موقوف		
١٤٦	كنت من سبي بني قريظة	صحيح	الترمذي	١٥١
١٤٧	لا آكل متكنأ	صحيح	البخاري	٢٤٢

الرقم	طرف الحديث	الحكم	مصدر الحديث	رقم الصفحة
١٤٨	لا تدعوا على أنفسكم	صحيح	مسلم	١٩٦
١٤٩	لا تزول قدما عبد يوم القيامة	حسن صحيح	الترمذي	٣٨
١٥٠	لا تسترضعوا الورهاء	موقوف	البيهقي	١٠٧
١٥١	لا تتكحوا قرابة القرية	موقوف	-	
١٥٢	لا يبوان أحدكم في الماء الراكد	صحيح	مسلم	٢٥١
١٥٣	لا يحقرن أحدكم نفسه	-	المعجم الأوسط	٣٢٧
١٥٤	لا يحل لمسلم أن يهجر	صحيح	البخاري	٣٥٤
١٥٥	لا يخلون رجل بامرأة	صحيح	البخاري	١٥٥
١٥٦	لا يدخل الجنة من كان في قلبه	صحيح	مسلم	٣٤٣
١٥٧	لا يقبل الله صلاة حائض	صحيح	الترمذي	١٥٢
١٥٨	لا يورد ممرض على مصح	صحيح	مسلم	٢٥٢
١٥٩	لأن يؤدب الرجل ولده	-	الترمذي	٢٠٠
١٦٠	لأن يأخذ أحدكم أحبله	صحيح	البخاري	٣٢٧
١٦١	لعن الرسول ﷺ المشبهين	صحيح	البخاري	١٦٥، ١٥٥
١٦٢	لعن الله من كره	صحيح	الحاكم	٣١١
١٦٣	لقد هممت ألا قبل هدية	-	ابن حبان	٢٨٤، ٢٣٦
١٦٤	اللهم ارحمهما فاني ارحمهما	صحيح	البخاري	٤٤٥
١٦٥	اللهم اني أعوذ بك من البخل	صحيح	البخاري	١٨٢، ١٧٩
١٦٦	لولا حواء لم تكن	صحيح	مسلم البخاري	٢٧٧
١٦٧	ليس الشديد بالصرعة	صحيح	البخاري	١٧٣
١٦٨	ليس المؤمن بالطعان ولا باللعان	صحيح	البخاري	١١٩
١٦٩	ليس من كل الماء يتكون الولد	صحيح	الطيالسي	٥١
١٧٠	ليس منا من تشبه بغيرنا	حسن	الترمذي	٢٨٣
١٧١	ليس منا من لم يرحم صغيرنا	صحيح	الترمذي	١٨٠، ١٢٢
١٧٢	للمؤمن القوي خير وأحب إلى الله	صحيح	مسلم	٣٤٨
١٧٣	ما اسمك	صحيح	البخاري	١١٢
١٧٤	ما آمن بي من بات شبعان	صحيح	الجامع الصغير	١٩٩
١٧٥	ما عاب رسول الله طعاماً قط	صحيح	مسلم	٢٤٢
١٧٦	ما كان أبعض إلى رسول الله	صحيح	كنز العمال	٣٥٢
١٧٧	ما من مولود إلا يولد على الفطرة	صحيح	مسلم	٢٠٧، ١٨٨، ٢٣٦، ٢٠٩، ٢٩١، ٢٨٢
١٧٨	ما هذا الحبل	صحيح	البخاري	٢٥٥
١٧٩	ما هذا يا عائشة	صحيح	أبو داود	١٣٣
١٨٠	ماء الرجل أبيض	صحيح	مسلم	٢٧١
١٨١	ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر	صحيح	مسلم	٢٦٥
١٨٢	مثل الجليس الصالح	صحيح	مسلم	١٦٤، ١٥٨، ٢٨٥، ٢٣٧
١٨٣	مثل الذي يتعلم في صغره	شواهد صحيحة	السيوطي	١٣٣

الرقم	طرف الحديث	الحكم	مصدر الحديث	رقم الصفحة
١٨٤.	مثل المؤمنين	صحيح	مسلم	١٥٨
١٨٥.	مر بي رسول الله ﷺ	صحيح	مسلم	٢٠٠
١٨٦.	مروا أبناءكم بالصلاة	صحيح	مسند أحمد	٣٠٧، ٢٧٤
١٨٧.	مروا الصبي بالصلاة	صحيح	أبو داود	١٩٠
١٨٨.	مروا أولادكم بالصلاة	حسن صحيح	أبو داود	١٢٨، ١٣١، ١٣٥، ١٣٧، ٢١٦، ٣١٩، ٣٢١
١٨٩.	من استطاع الباءة	صحيح	البخاري	١٥٥
١٩٠.	من استطاع منكم الباءة	صحيح	مسلم	١٧١
١٩١.	من أصبح مفطراً فليتم	صحيح	المعجم الكبير	١٧٤
١٩٢.	من القائل الكلمة	حسن لغيره	أبو داود	١٧٦
١٩٣.	من القوم	صحيح	مسلم	١٢٩
١٩٤.	من حق الولد على الوالد	-	كنز العمال	٢٨٣
١٩٥.	من سبق إلي فله كذا	ضعيف	-	١٩٢
١٩٦.	من سره أن يحمد الله في عمره	صحيح	مسند أحمد	١٧٣
١٩٧.	من سقاها الله لبناً	حسن	ابن ماجه	٢٣٨
١٩٨.	من سكن الياضية جفا	صحيح	الترمذي	٢٣٦، ٢٨٤
١٩٩.	من عال جاريتين حتى تبلغا	صحيح	مسلم	١٩٥
٢٠٠.	من كان له ثلاث بنات	صحيح	مسند أحمد	٢٥٧
٢٠١.	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر	صحيح	مسلم	١٦٥، ٧٤
٢٠٢.	من لا يرحم لا يرحم	صحيح	البخاري	٢٧٣
٢٠٣.	من لم يدع قول الزور	صحيح	البخاري	١٩٩
٢٠٤.	من وجدتموه يعلم عمل قوم لوط	صحيح	مسند أحمد	٣١٧
٢٠٥.	الناس معادن	صحيح	الجامع الصغير	٢٩٨
٢٠٦.	نعم إذا رأيت الماء	صحيح	البخاري	٢٠٩، ٢٣٠، ٢٧٣
٢٠٧.	نعم الرجل عبدالله	صحيح	الجامع الصغير	١٩٨
٢٠٨.	نعم الفتى سمرة	صحيح	مسند أحمد	١٧٢
٢٠٩.	نعم فمن أين يكون الشبه	صحيح	مسلم	٢٧١
٢١٠.	نعم يا عباد الله تداووا	صحيح	أبو داود	١٧٩
٢١١.	نهى عن أن يشرب الرجل قائماً	صحيح	مسلم	٢٤٢
٢١٢.	هذه بتلك السبقة	صحيح	مسند أحمد	١٧١
٢١٣.	هل تدرون ما هذه وهذه	صحيح	الترمذي	١٩٥
٢١٤.	هل تتصرون وترزقون إلا بضعفانكم	صحيح	البخاري	٣١٤
٢١٥.	هل لك من إيل	صحيح	مسلم	٢٣٠، ٢٧٢
٢١٦.	هلا قلت خذها وأنا الغلام	ضعيف	مسند أحمد	٣٥٠
٢١٧.	هما ريحانتي من الدنيا	صحيح	البخاري	٨٠
٢١٨.	والذي نفسي بيده لتأمرن	حسن	الترمذي	٧٠

الرقم	طرف الحديث	الحكم	مصدر الحديث	رقم الصفحة
٢١٩.	وتصدق به على نفسك	صحيح	البخاري	١٥٦
٢٢٠.	وتميط الأذى عن الطريق	صحيح	مسلم	٢٨٢
٢٢١.	وفي بضع أحدكم صدقة	صحيح	مسلم	٣١٨
٢٢٢.	ولد لي غلام	صحيح	مسلم	١١٤
٢٢٣.	ولكن أنزلهم على حكمك فإنك لا تنري أتصيب حكم الله	صحيح	البخاري	٢٧
٢٢٤.	وما أردت أن تعطيه	حسن	مسند أحمد	١٢٠
٢٢٥.	وما أردت أن تعطيه	صحيح	أبو داود	٣٥٣
٢٢٦.	ويحك ارجعي واستغفري	صحيح	التسائي	١٠٠
٢٢٧.	ويل للذي يحدث بالحديث	صحيح	الترمذي	٣٥٢
٢٢٨.	يا أبا عمير ما فعل النعير	صحيح	مسلم	١٢١
٢٢٩.	يا أسماء إن المرأة إذا	صحيح	أبو داود	١٥٢
٢٣٠.	يا أيها الناس إن منكم منفرين	صحيح	مسلم	١٣٠
٢٣١.	يا بني السائب قد أضويتم	موقوف	كنز العمال	٨٥
٢٣٢.	يا بني إياك والالتفات في الصلاة	ضعيف	الترمذي	١٢٨
٢٣٣.	يا رسول الله أتبعثني وأنا شاب	صحيح	ابن ماجه	١٧٤
٢٣٤.	يا رسول الله إن ابني	حسن	الحاكم	١١٨
٢٣٥.	يا رسول الله أن الشيطان قد حال	صحيح	مسند أحمد	٣٣٦
٢٣٦.	يا رسول الله إن زوجي صفوان	صحيح	الحاكم	٢١٧
٢٣٧.	يا رسول الله إن لي إليك حاجة	صحيح	مسلم	٣١٢
٢٣٨.	يا رسول الله إنني رجل ضرير	حسن صحيح	أبو داود	٣١٥
٢٣٩.	يا رسول الله أني صاحب ظهر	-	أبو داود	١٧١
٢٤٠.	يا رسول الله ما اتقم على ثابت	صحيح	البخاري	٢٦٣
٢٤١.	يا رسول الله من أين أتصدق	صحيح	ابن حبان	٣١١
٢٤٢.	يا زيد تعلم لي كتاب يهود	صحيح	مسند أحمد	٤٣
٢٤٣.	يا عائشة أن الله يحب الرفق	صحيح	مسلم	١٢١
٢٤٤.	يا عبدالله ألم أخبر أنك	صحيح	البخاري	٢٥٤
٢٤٥.	يا عكرش كل من موضع واحد	-	المعجم الأوسط	١٣٥
٢٤٦.	يا غلام إنني أعلمك كلمات	صحيح	الترمذي	١٢٩، ١٩٠
٢٤٧.	يا غلام سم الله	صحيح	البخاري	٢٠٣، ٣٥٠
٢٤٨.	يا غلام سم الله وكل بيمينك	صحيح	مسلم	١٢٠
٢٤٩.	يا معشر الشباب	-	مسند أحمد	٢٠٩
٢٥٠.	يا يهودي من كله خلق	ضعيف	مسند أحمد	٢١٧
٢٥١.	يأتي الشيطان أحدكم	صحيح	الجامع الصغير	٣٣٦
٢٥٢.	يحشر الجبارون والمتكبرون	-	ابن أبي الدنيا	٣٤٣
٢٥٣.	يدخل المالك على النطفة	صحيح	مسلم	

Abstract

Human Development from Islamic Perspective

Prepared by

Imad Abdullah Mohammad Al-Shraifeen

Supervisors:

Prof. Marwan Ibraheem Al-Qaisi Prof. Shafeeq Fahah Alawneh

This study aimed at identifying Islamic vision features towards human development. The researcher used basic mythology and analytical descriptive methods to achieve the study purposes for their appropriateness to the study nature.

The study questions were:

- 1- What is the importance of Islamic rooting for psychological studies?
- 2- What is the importance of building an Islamic theory in human development?
- 3- What are the main sources for studying human development?
- 4- What are human development stages and features mentioned in the Holy Qur'an and Sunna and their educational, psychological requirements?
- 5- What are human development principles, characteristic and most influence factors on human development from Islamic prospective?
- 6- What is the Islamic position from basic human development issues? Innate and innate basic human nature – Nature of development and at normal development.

The study was divided into an introduction, four chapters and conclusion. In the introduction, the researcher addressed study problem, questions, significance, objectives, method, previous studies in a detailed research plan.

In the first chapter, the researcher addressed Islamic rooting concept and its importance for psychological studies. In addition, the researcher addressed the importance of building an Islamic theory in human development, study sources for human development and a definition of theoretical aspects for human development.

In the second chapter, the researcher addressed human development stages and aspects in the Holy Quran and Suna' based on Shariate judgments related to human behavior. The study clarified in the third chapter, the researcher clarified human development directions, its principles, factors affecting it from an Islamic perspective. In the fourth chapter, the study discussed basic issues in psychological developmental field from Islamic perspective.

The study revealed the following:

- 1- Building an Islamic theory in human development will be beneficial for both Muslims and non-Muslims.

- 2- The most important Islamic sources for studying human development from Islamic perspective are Holy Quran and Suna, Islamic heritage, mind, experience and sensations.
- 3- Holy Quran and Suna have identified human development stages, and different aspects through Sharite judgments related to different stage of human life.
- 4- Islam has detailed human development basics, principles, and factors affecting it.
- 5- Human development in Islamic perspective indicates that man has an intuition towards some basic things, motives and morals, which affect in turn different human development aspects.
- 6- Human development nature from Islamic perspective is interrelated, commutative stages that include quantitative and qualitative changes at the same time.
- 7- Holy Quran and Suna indicated to developmental problems and they identified basic guidelines to solve these problems.

The study recommends the following:

- 1- Stairs faculties at Jordanian universities must adopt topics contributing to Islamic rooting for psychological.
- 2- Future studies are needed covering all aspects of human development.

Key Words: Human Development, Islamic Perspective, Development Psychology.